المركز القومى للترجمة

طبقات ناصري

تأليف
شيخ الإسلام وقاضي القضاة أبي عمر منهاج الدين عثمان
المعروف بالقاضي منهاج السراج الجوزجاني

كتبه في دهلي بالهند عام 658 هجرية قمرية

الجزء الأول

ترجمة وتقديم: عفاف السيد زيدان

1827

المشروع القومى للترجمة

هذا الكتاب جزءان يضمان ثلاثًا وعشرين طبقة من الأنبياء والخلفاء والملوك والحكام، يضم هذا الجزء إحدى وعشرين طبقة بدأها بطبقة الأنبياء، ثم طبقة الخلفاء الراشدين، ثم خلفاء بني أمية، ثم الخلفاء العباسيين، ثم انتقل إلى ملوك المشرق الإسلامي، فأرّخ لملوك العجم قبل الإسلام، وتبابعة اليمن، وبعد ذلك تحدث حديثًا مفصلاً عن سلاطين المشرق الإسلامي حتى عام 658هـ.

وللكتاب أهمية خاصة بين كتب التاريخ والتذاكر، فهو يعد مصدراً أساسيًا لمن يؤرخون عن خراسان، والمصدر الأول لمن يؤرخون للدولتين: الغورية في الهند وأفغانستان، والشمسية في الهند، والأول كذلك لمن يؤرخون لهجوم المغول على العالم الإسلامي، وما ارتكبوه من فظائع وجرائم في حق المسلمين فاقت حد التصور والخيال.

تصميم الغلاف : سارة عابدين

طبقـــات ناصري

(الجزء الأول)

المركز القومى للترجمة
إشراف: جابر عصفور

- العدد: 1827
- طبقات ناصرى (ج١)
- منهاج الدين عثمان بن سراج الدين
- عفاف السيد زيدان
- الطبعة الأولى 2013

هذه ترجمة كتاب:

طبقات ناصرى

تأليف: منهاج الدين عثمان بن سراج الدين

شارع الجبلاية بالأوبرا- الجزيرة- القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: egyptcouncil@yahoo.com Tel: 27354524 Fax: 27354554

طبقـــات ناصري

تأليـــف

شيخ الإسلام وقاضي القضاة أبي عمر منهاج الدين عثمان

المعروف بالقاضي منهاج السراج الجوزجاني

كتبه في دهلي بالهند
عام ٦٥٨ هجرية قمرية

الجـــزء الأول

ترجمته عن الفارسية
وقدمت له وكتبت الحواشي والتعليقات

عفـاف السـيد زيدان

2013

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

الجوزجانى، أبو عمر مهاج الدين عثمان بن سراج الدين،...
بعـد ١٢٦٠ .

طبقـات ناصـرى (الجـزء الأول) / تأليف: أبى عمر مهاج الدين عثمان (القاضى منهاج السراج الجوزجانى مسيقار)، ترجمته عن الفارسية وقدمت له وكتبت الحواشى والتعليقات: عفاف السيد زيدان.

ط ١ - القاهرة : المركز القومى للترجمة ، ٢٠١٣
٨٠٨ ص ، ٢٤ سم
١ - الإسلام - تراجم
(أ) زيدان، عفاف السيد (مترجم)
(ب) العنوان ٩٢٢,١

رقم الإيداع ٤٣٧٧ / ٢٠١١
الترقيم الدولى : I.S.B.N 978 - 977 - 704 - 464 - 6
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومي للترجمة إلى تقديم الاتجاهـات والمـذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربي وتعريفه بها، والأفكار التى تتـضمنها هـي اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز.

فهرس الجزء الأول

من الكتاب

المحتويات

الطبقة الرابعة 214- 246

خلفاء بنى العباس

الطبقة الثالثة:

ملوك الطوائف الإشكانية

الطبقة الرابعة:

الساسانية

الطبقة الحادية عشرة

الطبقة الثانية عشرة: السلجوقية 385- 414

الطبقة السادسة عشرة:

الطبقة السابعة عشرة:

حب وإهداء

إلى والدتي الحبيبة المرحومة السيدة/ زهيرة هانم محمد أبو علم

في الستينيات من القرن الماضي ونحن طلاب بالجامعة، ظهرت الدعوة إلى ضرورة الاحتفال بعيد الأم، إجلالاً لها، وتقديرًا لمكانتها، ووقع الاختيار على يوم الحادي والعشرين من مارس ليكون موعدًا لهذا العيد، وظهرت الأغاني والأشعار التي تذكر بفضل الأم، وتعلي قدرها وشأنها، مع أن الإسلام كان أسبق السابقين إلى معرفة قدر الوالدين، وقدر الأم على وجه الخصوص.

كنت آنذاك طالبة في كلية الآداب جامعة القاهرة، وكنت أقيم في المدينة الجامعية؛ لأنني من الأقاليم، ويوم عيد الأم كان معظم الطالبات يتحدثن في التليفون من السنترال كل مع والدته، فلم يكن هناك "موبايل" ولا تليفون مباشر لدينا كما هي الحال الآن، وكان البعض منا يرسل خطابًا إلى والدته بهذه المناسبة؛ فقد كان من غير المقبول أو المألوف في ذلك الوقت أن نقطع الدراسة، ونسافر للاحتفال بهذه المناسبة كما يحدث من الكثيرين في هذه الأيام.

وكنت أنا أرسل خطابًا إلى والدتي أبثها حبي وأشواقي، وكانت والدتي- رحمة الله عليها- تسعد للغاية برسائلي إليها؛ فقد كانت مفعمة بالحب، فياضة بالشوق والحنين، وعندما ينتهي الموسم الدراسي وأسافر إلى بلدتي كنت أشتري لوالدتي هدية بسيطة من مصر وأقدمها لها اعترافًا بفضلها، وتقديرًا لها.

ولكن والدتي كانت تهتم بالخطاب أكثر؛ فقد كانت قارئة جيدة، حادة الذكاء، قوية الفهم؛ لأنها أتمت المرحلة الابتدائية في زمانها، وكانت مرحلة علمية كبيرة في ذلك الوقت.

وأثناء ترجمتي لهذا الكتاب أحببت في البداية- بيني وبين نفسي- أن أقدم الإهداء لوالدتي، وشاءت الظروف أن أنتهي من الترجمة في الأول من مارس ٢٠١٠م، فقلت في نفسي: لقد جاءت المناسبة، سيكون الإهداء خطابًا لها يوم عيد الأم كما كنت أفعل؛ لأن هذا كان يسعدها، ويبهجها:

تحية وتجلة لمن كانت لنا البيت والسكن والأحباب والإخوان.

تحية وتجلة لمن كانت لنا العشيرة والأسرة والأهل والخلان.

تحية وتجلة لمن ضمتنا تحت جناحيها بعد اليتم صغارًا فوقتنا تقلب الأزمان.

تحية وتجلة لمن علمتنا الطموح والعزم والإخلاص والصدق، لا الزور والبهتان.

تحية وتجلة لمن علمتنا السلام، والوئام، والسماحة والحنان.

تحية وتجلة إلى من كانت تلهج في جوف الليل بالدعاء وتتوسل بسورة الرحمن.

تحية وتجلة إلى الساجدة لله في خشوع وخضوع، تطلب منه الصفح والغفران.

إليك ... إليك وأنت الآن بين يدي العظيم القادر الذي كرَّم الإنسان.

أبعث هذا الخطاب تحمله النسمات إليك وأنت في فراديس الخلد والجنان.

ترفلين وتنعمين وهذا مقامك يا أماه يوم يقوم العدل وينتصب الميزان.

ابنتك

عفاف السيد زيدان

مقدمة المترجمة

-١-

يحظى كتاب طبقات ناصري بشهرة واسعة بين كتب التاريخ والتذاكر، فهو يعد مصدرًا أساسيًا ورئيسيًا لمن يؤرخون عن خراسان بعد الجرديزي (ت بين عامي ٤٤٣هـ ، ٤٤٤هـ)، ويعتبر المصدر الأول لمن يؤرخون للدولة الغورية في أفغانستان والهند، والدولة الشمسية في الهند، والأول كذلك لمن يؤرخون لهجوم المغول على العالم الإسلامي وما ارتكبوه في حق المسلمين من فظائع فاقت حد التصور والخيال.

ونظرًا لأهمية كتاب طبقات ناصري فقد اهتم به المشتغلون بالتاريخ والمستشرقون اهتمامًا بالغًا منذ أمد بعيد، وعكفوا على دراسة مخطوطاته العديدة، وطبع الكتاب في القرن التاسع عشر طبعتان:

الطبعة الأولى: طبعت ونشرت في كلكتا بالهند عام ١٨٦٤م، وقد قام على تحقيقها المستشرق الإنجليزي وليام ناسيوليز (W. Nassau lees) ومن علماء الهند مولوي خادم حسين، ومولوي عبد الحي، وتشتمل هذه الطبعة على ست طبقات فقط من أصل ثلاث وعشرين طبقة، والطبقات الست التي تم نشرها هي المتعلقة بالهند فقط، "وأهمل كل ما له صلة بالطاهريين والسامانيين والديالمة والسلاجقة والخوارزمشاهية، وغير ذلك من الدول التي لها أهمية خاصة لدى كل شغوف بدراسة التاريخ الفارسي"[١].

وقد كتب ناسيوليز مقدمة لطبعته، وذكر أنه طبع هذه النسخة من خلال أربع نسخ خطية للكتاب، ولكن الأستاذ عبد الحي حبيبي يذكر أنهما نسختان فقط؛ لأن النسختين الأخريين هما طبق الأصل من الأولى والثانية، ويذكر

---

(١) براون: تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي، الطبعة العربية، ترجمة إبراهيم أمين الشواربي، ص ٥٩٦.

الأستاذ عبد الحي حبيبي أن هذه الطبعة مملوءة بأخطاء فظيعة وكثيرة ولا يمكن الاعتماد عليها.

الطبعة الثانية: قام بها المستشرق الإنجليزي راڤرتي H.G.Ravarty وقد نشر راڤرتي نص كتاب طبقات ناصري مترجمًا إلى اللغة الإنجليزية، وأخرج هذه الطبعة في جزءين عام ١٨٨١م.

الجزء الأول يقع في (٧٦١ صفحة) سبعمائة وإحدى وستين صفحة قدمها بمقدمة عن منهاج السراج في أربع عشرة صفحة.

والجزء الثاني يقع في (٥٣٥ صفحة) خمسمائة وخمس وثلاثين صفحة، منها ٢٧٣ مائتان وثلاث وسبعون صفحة فهارس للأعلام وأسماء الكتب والأماكن.

وقد استفاد راڤرتي في كتابه من مخطوطات كثيرة عن طبقات ناصري بلغت اثنتا عشرة نسخة مخطوطة، بالإضافة إلى مصادر التاريخ المكتوبة بالعربية والفارسية، مثل: تاريخ الرسل والملوك للطبري، وزين الأخبار للجرديزي، والكامل لابن الأثير، وتاريخ اليميني للعتبي، وتاريخ البيهقي، وغير ذلك من كتب كثيرة ألفت عن أفغانستان، وإيران والهند.

هذا بالإضافة إلى استفادته من المصادر التي كتبت باللغة الپاشتو لإجادته التامة لهذه اللغة ولكثير من لغات الهند، وقد أتيحت له هذه الفرصة لعمله في الهند سنوات طويلة.

وقد امتدح الأستاذ عبد الحي حبيبي عمل راڤرتي، واعتبره عملاً متميزًا يضاهي أعمال المستشرق إدوارد براون في كتابه عن تاريخ الأدب الفارسي، وذكر أنه استفاد كثيرًا من طبعة راڤرتي.

الطبعة الثالثة: هي التي نهض بتحقيقها وطبعها الأستاذ عبد الحي حبيبي في أفغانستان، وجاءت هذه الطبعة في جزءين:

الجزء الأول: طبع وصدر في كابل عام ١٣٤٢ هجرية شمسية الموافق ١٩٦٣م.

والجزء الثاني: طبع وصدر في كابل أيضا عام ١٣٤٣ هجرية شمسية الموافق ١٩٦٤م.

وقد استفاد الأستاذ عبد الحي حبيبي في تحقيقه من النسخ المطبوعة والخطية، وأثبت جميع هذه النسخ في حواشيه، مشيرًا إلى أوجه النقص والكمال فيها.

ولقد جاء الجزء الأول في طبعة كابل في (٤٩٧ صفحة) أربعمائة وسبع وتسعين صفحة من القطع الكبير، مضافًا إليها أربع صفحات فهرسًا لموضوعات هذا الجزء فبلغ عدد الصفحات (٥٠١ صفحة) خمسمائة وواحد صفحة. واشتمل على إحدى وعشرين طبقة تبدأ بديباجة المؤلف، ثم الطبقة الأولى، حتى الطبقة الحادية والعشرين.

والجزء الثاني جاء في (٢٢١ صفحة) مائتين وإحدى وعشرين صفحة من القطع الكبير أيضًا، واشتمل هذا الجزء على طبقتين الثانية والعشرين والثالثة والعشرين ولم يضع الأستاذ حبيبي فهرسًا لموضوعات هاتين الطبقتين.

ومن بداية صفحة (٢٢٣) مائتين وثلاثة وعشرين وحتى صفحة ٥٠٦ خمسمائة وست، كتب الأستاذ عبد الحي حبيبي حواشي مفصلة على الجزءين الأول والثاني، كما كتب تعريفًا شاملاً عن المؤرخ منهاج السراج وأسرته وحياته، ثم أضاف الفهارس للأعلام والأماكن وأسماء الكتب.

وطبعة كابل التي قام الأستاذ عبد الحي حبيبي بتحقيقها ونشرها هي التي قمنا بترجمتها أنا وزميلتي الأستاذة الدكتورة ملكه علي التركي أستاذ اللغة الفارسية وآدابها بكلية الآداب جامعة عين شمس، حيث قمت أنا كاتبة هذه السطور بترجمة الجزء الأول، وقامت زميلتي الدكتورة ملكة بترجمة الجزء الثاني، ولم تدخل حواشي الأستاذ عبد الحي حبيبي في نطاق ترجمتنا، حيث قمنا بترجمة متن المؤلف فقط، ثم أضفنا نحن الحواشي والتعليقات التي رأينا أنها مفيدة للقارئ العربي من وجهة نظرنا.

وجدير بالذكر أن هذه هي المرة الأولى التي يُترجم فيها هذا السفر القيِّم إلى اللغة العربية.

والأستاذ العلامة عبد الحي حبيبي أحد المؤرخين والمحققين الأفغان الكبار، كان- رحمة الله عليه- أستاذًا للتاريخ بكلية الآداب جامعة كابل، ورئيسًا لأكاديمية الپـاشتو، ورئيسًا للجمعية التاريخية الأفغانية.

قدَّم بالفارسية والپـاشتو أعظم المؤلفات التاريخية عن أفغانستان منذ فجر التاريخ قبل الإسلام وبعد الإسلام، وحتى عصر آخر ملوكها محمد ظاهر شاه الذي تولى ملك أفغانستان من ١٩٣٣ ـ ١٩٧٣م.

وقد تشرفتُ بدراسة تاريخ الدولة الغزنوية معه في كابل، وذلك حينما ذهبت إلى أفغانستان عام ١٩٦٨م في بعثة دراسية لدراسة الدكتوراه في الأدب الفارسي، وقد ذكرت هذا في مقدمة ترجمتي لكتاب زين الأخبار الذي نُشر في المركز القومي للترجمة عام ٢٠٠٦م. وجدير بالذكر أن الأستاذ عبد الحي حبيبي هو الذي حقق نص زين الأخبار للجرديزي أيضًا، ونشره عام ١٩٦٨م،

- ٢ -

سوف نتحدث في هذه المقدمة عن المؤرخ منهاج السراج الجوزجاني وعن ألقابه، والمناصب التي تولاها، وعن والده وأجداده، وعن والدته وأخواله وإخوته وأخواته وأبنائه، وكل ما يتعلق بأقربائه، وسوف يكون مرجعنا في هذا الشأن هو كتاب طبقات ناصري نفسه؛ لأنه الوثيقة الأولى لدينا في هذا الشأن.

اسمه كما جاء في كتابه: أبو عمر منهاج الدين عثمان المعروف بالقاضي منهاج السراج الجوزجاني.

وهو الإمام العلامة شيخ الإسلام، قاضي القضاة، إمام الأئمة، الشاعر والأديب، السياسي المجاهد ضد المغول، شيخ مدرسة فيروزي والمدرسة الناصرية بالهند ورئيسهما وكلاهما تعادل جامعة بالمفهوم العصري لهذا الزمان، هذا بالإضافة إلى مسند حكومة دهلي.

وهو سليل أسرة عريقة عرفت بالفصاحة والبلاغة والبيان والعلم والمعرفة، وقد لقب نفسه في كتابه طبقات ناصري: الداعي، وداعي الدولة، وداعي المسلمين، والداعي إلى الله.

ولد عام ٥٨٩هـ حسبما يقرر هو في كتابه: "وكنت في الثامنة عشر من عمري في شهور سنة سبع وستمائة...."[١].

---

(١) رغم هذا التقرير من منهاج السراج عن تاريخ مولده، فإن براون يذكر في كتابه تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي، ص ٥٩٥ أن منهاج السراج ولد عام ٥٩٠هـ= ١١٩٣م.

والده: الفقيه والعالم والسياسي سراج الدين محمد، وذكر ابنه منهاج السراج عدة مرات أنه: مولانا سراج منهاج، وسراج الدين منهاج، والسراج المنهاج، وقال عنه: إنه أفصح العجم، وأعجوبة الزمان.

جده: مولانا سراج الدين عثمان الجوزجاني، وقد جاء إلى غزنين ولوهور أثناء عودته من سفر الحجاز والكعبة المشرفة، وكان ذلك في عهد الملك شمس الدين أحد ملوك النيمروز، وجرى بينه وبين قوام الدين الزوزني حديثًا أمام الملك شمس الدين، وأفحمه مولانا سراج الدين عثمان إفحامًا شديدًا، وردّ الاعتبار للإمام أوحد الدين البخاري، وأنعم الملك شمس الدين عليه، وهذا الجد تشرف بخلعة دار الخلافة في عهد الخليفة المستضيء بالله العباسي (٥٥٦- ٥٧٥ هـ).

جده الثاني: إبراهيم وقد سماه والده إبراهيم تيمنًا بجد الولد لوالدته السلطان إبراهيم الغزنوي المتوفى عام ٤٩٢هـ.

جده الثالث: الإمام عبد الخالق الجوزجاني، وهو الجد الأكبر لهذه الأسرة وأصله من عائلة مشهورة في خراسان تنتسب إلى مدينة جوزجان، ويقول عنها ياقوت الحموي في معجم البلدان (جـ٢، ص ١٨٢ دار صادر بيروت): "جوزجانان وجوزجان هما واحد، بعد الزاي جيم وفي الأولى نونان وهو اسم كورة واسعة من كور بلخ بخراسان، وهي بين مرو الرود وبلخ، يقال لقصبتها اليهودية، ومن مدنها الأنبار وفارياب وكلار، وبها قتل الإمام يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه".

وجوزجان الآن محافظة من محافظات الشمال في أفغانستان وعاصمتها مدينة شبرغان.

وأسرة المؤرخ منهاج السراج تركت جوزجان، واستقرت في غزنين عاصمة الغزنويين؛ لأن جده الثالث الإمام عبد الخالق الجوزجاني رأى في منامه هاتفًا يحثه على الرحيل من مدينة جوزجان والذهاب إلى غزنين ليتزوج هناك، وبناءً على هذه الرؤيا التي تكررت ثلاث ليالٍ متوالية جاء إلى غزنين وتزوج إحدى الأميرات بنات السلطان إبراهيم الغزنوي، وكان لديه أربعون بنتًا، وستة وثلاثون ابنًا وقد زوج جميع بناته للسادة الكرام.

ومع أن الأسرة استقرت في غزنين، فإنهم ظلوا يحتفظون بلقب الجوزجاني اعتزازًا بمدينتهم وأصولهم.

وقد أنجب الإمام عبد الخالق الجوزجاني ابنًا من هذه الأميرة أسماه إبراهيم كما ذكرنا.

كان والد مؤرخنا سراج الدين محمد من الرجالات المعروفين ذوي الشأن في بلاط الغوريين، وكان يلقب بأفصح العجم، وأعجوبة الزمان كما ذكرنا.

ويظهر من حديث منهاج السراج عن والده أنه تقلد مناصب عديدة مرموقة؛ ففي عام ٥٨٢هـ وبتكليف من السلطان معز الدين أبي المظفر محمد سام (ت ٦٠٢هـ) أصبح قاضي جيش الهندوستان، وارتدى تشريفة السلطان معز الدين، وكان سراج الدين محمد يعقد مجلس العلم في قاعدة الجيش، وعينوا اثني عشر بعيرًا لنقل كرسيه ولوازمه، وفيما يبدو أن إقامته لم تطل في الهندوستان أكثر من عام ٥٨٧هـ؛ لأنه لم يلبث أن عاد إلى بلاط السلطان غياث

الدين محمد سام (٥٥٨ـ ٥٩٩هـ) في فيروزكوه، ثم طلبه سرًا من فيروزكوه السلطان بهاء الدين سام (٥٨٧-٦٠٢هـ) وهو من ملوك الشنسبانية في طخارستان وباميان، وأرسل إليه خاتمه الخاص، وكان مزدانًا بفص من الفيروز ونقش عليه الجد الكبير سام، وطلب مولانا بالإعزاز والإكبار، والتقدير والاحترام، وكان استدعاء بهاء الدين سام له متعاقبًا متواترًا، وكان السبب في ذلك أنه رآه وسمع كلماته المنعشة للأرواح، ومواعظه الفاتحة للقلوب؛ ففوض له جميع المناصب الشرعية، وأفاض في تعظيمه وتبجيله، فكان له من المناصب: قضاء الممالك، والقضاء في شكاوى الحشم، ومخاطبة الممالك، وحساب كل شيء بالأمور الشرعية، كما فوض له مدرستين بإقطاع وإنعام وافر.

وفيما يبدو أن والد منهاج ظل في هذا البلاط فترة، ثم رجع إلى بلاط السلطان غياث الدين في فيروزكوه في أواخر عام ٥٨٩هـ تقريبًا، حيث كان يُبعث من قبل السلطان غياث الدين بالرسائل السياسية في أنحاء الممالك.

فقد حمل رسالة من السلطان غياث الدين الغوري إلى الملك تاج الدين حرب ملك النيمروز وسجستان (ت ٦١٢هـ) ولقي التقدير والاحترام.

ومرة ثانية مرَّ على سيستان أيضًا، وكان مبعوثًا من السلطان غياث الدين الغوري إلى الخليفة الناصر لدين الله العباسي (٥٧٥ـ ٦٢٢ هـ) في بغداد، وقد وجد من تاج الدين حرب في سيستان الإعزاز والتقدير.

وهذا الكلام ذكره منهاج السراج في طبقاته؛ أي إن والده ذهب إلى خليفة بغداد مرتين، وهذه هي المرة الأولى وكان بمفرده؛ لأن منهاج السراج لم يذكر

أشخاصًا آخرين مع أبيه، وهذه المرة بالطبع كانت قبل هجوم تكش خوارزمشاه على بغداد بقليل؛ لأن السلطان تكش هاجم بغداد بين عامي ٥٩٠ و٥٩٢هـ، وعندئذ قدمت رسل دار الخلافة إلى عاصمة الغور فيروزكوه وغزنين، وطلبوا المدد من السلطان غياث الدين، فعين للرد على دار الخلافة: الإمام شمس الدين ترك، وابن الربيع، وابن الخطيب، ومولانا سراج الدين منهاج، ولكن مولانا سراج الدين منهاج توفي في الطريق، ونظن أنه توفي قبل أن يؤدي الرسالة مع الوفد الذي ذهب معه؛ بدليل أن الخليفة العباسي أرسل مع الوفد رسالة ليشكر السلطان الغوري كما كانت تقتضي الأمور الرسمية في ذلك الوقت، وقال في الرسالة: "وأما السراج المنهاج فقد وقع في الطريق وأجره على الله"، والرسالة سلمت إلى الوفد لتسلم للسلطان غياث الدين الغوري، وواضح من كلمات الرثاء البسيطة أنه كان يعرفه من المرة الأولى.

وبحساب تاريخ ذهاب الوفد إلى بغداد نجد أن وفاة والد منهاج السراج قد وقعت بين عامي ٥٩٢ و٥٩٣هـ تقريبًا؛ لأن هجوم تكش على بغداد تم بين عامي ٥٩٠ و٥٩٢هـ كما ذكرنا؛ أي إن الوالد توفي وعمر ابنه منهاج السراج حوالي أربعة أعوام تقريبًا، وفيما يبدو أن هذا الأمر أثر على الابن- حينما أدرك- تأثيرًا بالغًا؛ لأنه كان يعتز بوالده اعتزازًا شديدًا، وقد ظهر هذا من ذكره له مرات عديدة على صفحات كتابه، وذكر أنه يحتفظ في خريطته بمناشير ومراسيم تعيين والده في المناصب العليا، وكذلك احتفظ بالْعَلَم وعمامة التشريفة الخاصة به.

أما والدة منهاج السراج، فهي عريقة الأصل رفيعة النسب أيضًا، فقد تربت ونشأت مع الأميرة ماه ملك ابنة السلطان غياث الدين الغوري؛ لأن

أجداده لوالدته كانوا- على حد تعبيره- في خدمة بلاطها وبلاط والدها، ويذكر أن أخواله وأجداده لوالدته تولوا منصب القضاء في قلعة تولك بولاية قهستان والجبال في هرات، وكانوا يتولون هذا المنصب بناءً على منشور يصل من الخليفة العباسي.

وكان أخواله يحتفظون بهذه المراسيم معتزين مفتخرين بتقدير الخلافة العباسية لهم، وذكر منهاج السراج أن القاضي ضياء الدين محمد عبد السلام قاضي تولك هو ابن عم جدته لوالدته، وأن من أخواله القاضي مجد الدين التولكي، وهو مجد الدين القدوة الذي كان مع الهيئة التي سافرت إلى بغداد لملاقاة الخليفة العباسي بعد أن اعتدى تكش خوارزمشاه على بغداد، وذكر كذلك من أخواله القاضي جلال الدين مجد الملك أحمد عثمان حاكم نيشاپور.

وكانت عائلة والدته تقيم في تولك بين بلاد الغور وخراسان، وحينما هاجمت جيوش المغول هذه المنطقة عام ٦١٧هـ كان أخواله جميعًا يدافعون ضد المغول وكان منهاج السراج معهم.

أما عن إخوته وأخواته فنحن لا نجد لهم ذكرًا في طبقات ناصري إلا في موضعين:

الأول: عن شقيقه، إذ بينما كان منهاج السراج يجاهد مع المجاهدين في قلعة تولك ضد المغول عام ٦١٧هـ كان شقيقه في فيروزكوه عاصمة الغوريين، وفيما يبدو أنه هو الآخر كان يستعد للدفاع ضد المغول؛ لأنهم هاجموا فيروزكوه عام ٦١٨هـ.

الثاني: عن شقيقته، فيذكر منهاج أنها ظلت تعيش في خراسان، وكانت تبعث إليه بالرسائل إلى الهند وتعرف أخباره، وتعلمه بأخبارها، وقد تأثر؛ لأنها كانت تعيش وحيدة، وحينما علم ألغ خان المعظم بأمرها تأثر تأثرًا بالغًا، وأنعم عليه وعلى شقيقته بإنعامات كثيرة وصلت إليها في خراسان عام ٦٤٧هـ.

أما عن زوجته وأولاده، فيذكر منهاج السراج أنه في شهور سنة ثماني عشرة وستمائة التحق بخدمة الملك شهاب الدين محمد بن الحسين في ولاية گزيو وتمران وشاهد ورأى مروءته وشجاعته، وفي هذا العهد تزوج إحدى بنات الأكابر من أقرباء الملك ناصر الدين أبي بكر، وهذه الزوجة هي التي أنجبت له ابنه عمر الذي يكنى به، ثم أنجبت له ذرية وأولادًا بعد ذلك؛ لأنه يقول في أول الطبقة الثانية والعشرين: إن الألطاف والعواطف التي أظهرها الملوك الذين تولوا الحكم من قبل السلاطين الشمسية هي فرض عين، وقرض دين في ذمة هذا الضعيف داعي الدولة القاهرة وأبنائه.

وفي مكان آخر من الطبقة نفسها، وهو يتحدث عن الملك تاج الدين سنجر قتلق يقول: إن هذا الملك الجميل السيرة أمر لأتباعه وأبنائه بالزاد وأنواع الإكرام.

أما علاء الدين إياز ريحاني الذي يذكر أنه ابنه ونور عينه، فنحن نظن أنه ليس ابنه، ولكنه كان يحبه ويقدره في منزلة الابن، ثم يذكر منهاج السراج أن التوفيق والنجاح الذي حصل عليه والذي توج بتأليف كتاب طبقات ناصري تم له بسبب دعاء أبنائه له.

ومن خلال دراستنا لشخصية منهاج السراج من واقع ما ذكره في كتابه طبقات ناصري، نجد أن حياته انقسمت إلى ثلاثة أطوار رئيسية، وهذه الأطوار الثلاثة هي التي كونت شخصيته، وجعلته كيانًا كبيرًا في بلاطات الملوك والسلاطين.

الطور الأول: مرحلة الطفولة:

توفي والد منهاج وهو طفل صغير كما ذكرنا، أضف إلى ذلك أن الوالد كان مفوضًا دائمًا في أعمال سياسية وعلمية من قبل السلاطين والملوك داخل الدولة وخارجها. وبعد وفاة والده، وكما يذكر هو في أول الطبقة السابعة عشرة: ظلت الأسرة في كنف الجليلة سيدة ملوك الدنيا، زبيدة العصر والزمان، جليلة الدنيا والدين، سلطانة الملكات في العالمين ماه ملك بنت السلطان السعيد غياث الدنيا والدين أبي الفتح محمد بن سام قسيم أمير المؤمنين أنار الله برهانه...... وهذه الملكة ربت ورعت هذا الضعيف؛ أي منهاج السراج في كنف ملكها كما يربى الأبناء في عناية الملوك، فوجد الرعاية ليلاً ونهارًا تحت نظرها المبارك، مع صغر سنه في كنفها؛ لأن والدته كانت تربتها في الرضاع وفي المدرسة، وقد تربى الكاتب في كنف غايتها وحرم عصمتها، وظل حتى أوان البلوغ؛ أي في شهور سنة اثنتي عشرة وستمائة تحت رعاية عرشها المعظم.

وهذه الملكة الجليلة أنشأته على ما نشأت عليه؛ فقد كانت تحفظ كلام الله سبحانه وتعالى، وكان لها كل عام قيام تختم فيه القرآن الكريم في ركعتين، وكان يستمع في بلاطها إلى أشعار فخر الدين مبارك شاه عن سلاطين الغوريين، ولم تتركه والدته والأميرة ماه ملك هملاً دون تثقيف أو تربية، بل أتوا إليه بالأساتذة

والمؤدبين ليتعلم فنون العلم والثقافة التي كانت معروفة في هذه الأيام؛ فقد كان الإمام علي الغزنوي يُحفِّظه القرآن الكريم، ويعلمه شروحه ومعانيه، كما عرف في هذه المرحلة المبكرة من حياته آداب العرب والفرس واطلع عليها وحفظ الكثير منها، واستطاع أن يتفهمها وينقدها؛ إذ قال: "إن الفردوسي نقل في الشاهنامة تواريخ العجم من أقوال عبدة النار وإن هذه الأقوال بعيدة عن الصدق والصواب".

وكان له في فيروزكوه ذكريات وأشياء لا ينساها، من هذا ما يذكره أثناء حديثه عن السلطان محمد سام؛ وأنه كان يقف على باب قصر السلطان عام ٦٠٧هـ.

وكان يجلس في مجالس العظماء ويسمع منهم، وينصت إلى أحاديثهم، كما يقول في الطبقة الثامنة عشر: "في عام ٦١١هـ كنت في العاصمة فيروزكوه، فسمعت من الأمير علي چاوش أنه قال...".

الطور الثاني: مرحلة الشباب:

كان لابد لمنهاج السراج في هذه المرحلة أن ينهض بما نهض به آباؤه وأجداده، من أعمال كبيرة، تلقى على عاتقه فيقوم بها خير قيام، وأن يبدأ في تحمل المسئولية التي أظهرته رجلاً يعتمد عليه ويوثق به.

ففي شهور سنة اثنتي عشرة وستمائة ذهب من فراه بسيستان إلى الملك تاج الدين ينالتگين من طرف الملك ركن الدين محمد عثمان الميرغني إلى خايسار الغور برسالة لتقوية أواصر الود واستحكام العهد.

وفي عام ٦١٣هـ؛ أي وهو في الثالثة والعشرين من عمره ذهب من مدينة بست إلى سيستان، وقد استقبله الموظفون المكلفون بالتشريفات السياسية، وجاءوا به إلى المدينة حيث تشرف بالحضور في حضرة الملك بهرامشاه، وفي المدة التي ظل فيها في سيستان كانت ترسل إليه الأعلاف الوفيرة من الذهب والغلال، وأعزه الملك إعزازًا بالغًا، وأكرمه إكرامًا لا يوصف، وبعد سبعة أشهر رجع إلى خراسان.

وفي شهور سنة ثماني عشرة وستمائة ذهب منهاج السراج إلى گزيو وتمران، والتحق بخدمة شهاب الدين محمد بن الحسين، وشاهد مروءته وعرف شجاعته.

ويقول منهاج السراج: في هذا العام- أي ٦١٧هـ- عبر جنگيزخان الملعون نهر جيحون إلى خراسان، واتجه صوب غزنين.

وكان لمنهاج السراج العديد من الأسفار، في سنة إحدى وعشرين وستمائة سافر أولاً: إلى قهستان، ثم سافر إليها مرة أخرى سنة اثنتين وعشرين وستمائة.

ففي شهور سنة إحدى وعشرين وستمائة سافر إلى قهستان برسالة إلى الملكة بنت علاء الدين آتسز؛ لتنتقل مع ابنها من ممالك الغور إلى حدود طبس بولاية خوسف، وذلك في حادثة هجوم ملاعين الصين.

وفي شهور سنة إحدى وعشرين وستمائة أيضًا سافر من حصن تولك بإشارة الملك تاج الدين حسن سالار خريوست إلى أسفزار؛ ليفتحوا باب

القوافل؛ لأن خراسان بسبب جيوش المغول كانت في حاجة ماسة إلى أهم الاحتياجات من الملبس والمأكل، وأصبحت في ضيق من العيش، ومن أسفزار سافر إلى قاين، ومن هناك سافر إلى قلعة سرتخت وجواشير، وكان المحتشم شهاب منصور أبو الفتح يحكم قهستان، وقابله منهاج السراج، ويقول: إنه كان في غاية العلم والحكمة والفلسفة.

وفي شهور سنة اثنتين وعشرين وستمائة سافر منهاج السراج برسالة من الغور من طرف الملك السعيد ركن الدين محمد عثمان الميرغني- طاب ثراه- إلى قهستان لإصلاح طريق القوافل، وهناك قابل إماما من أكابر خراسان يدعى القاضي وحيد الدين الفوشنجي.

وفي شهور سنة ثلاث وعشرين وستمائة سافر من طرف الملك ركن الدين خايسار إلى الملك تاج الدين ينالتگين، ومن طرف الملك تاج الدين في العام نفسه ذهب برسالة إلى ملك قهستان في مدينة نيه بسيستان.

وقد تعرض منهاج السراج للسجن ثلاثة وأربعين يومًا في قلعة صفهبدستان؛ لأنه رفض طلب تاج الدين ينالتگين بالسفر إلى ديار الملاحدة مرة أخرى برسائل، وتدخل الملك ركن الدين خايسار من بلاد الغور وأرسل رسالة إلى تاج الدين ينالتگين فأخرجه من سجنه.

وقبل أن أنتقل إلى المرحلة الثالثة من مراحل حياة منهاج السراج يهمني أن ألقي الضوء على مدينة فيروزكوه عاصمة الغوريين؛ لأنها هي التي شكلت شخصية منهاج السراج وكونت أحاسيسه ووجدانه؛ طفلاً يرتع ويلعب، ويجلس

أمام الأساتذة في إنصات وأدب؛ لتلقي العلم والمعرفة، ثم شابًا يتوثب فيرتقي مدارج العلا والمجد، وناضجًا تربى في دهاليز القصور وساحات السياسة.

فمن خلال أحاديثه عن ملوك الغوريين، ودعائه الدائم لهم نجد أنه كان مرتبطًا بهذه المدينة وبمن فيها من مشاهير الرجال والنساء ارتباطًا كاملاً، الأمر الذي جعله يذكر الأميرة ماه ملك ابنة السلطان غياث الدين الغوري أكثر من مرة في كتابه، ويتحدث عنها، وعن أسرتها أحاديث المحب العاشق لهذه الأسرة وهذه المدينة.

هذه المدينة فيروزكوه!!! زالت كما زالت إرم ذات العماد.

مكانها الآن غير معروف، وكان من الممكن أن تكون هي عاصمة محافظة الغور في أفغانستان الآن، ولكن عاصمة محافظة الغور مدينة چَخْچَران. فلماذا اندثرت هذه المدينة؟ ولماذا انشقت الأرض وابتلعتها؟ فكثير من المدن؛ التاريخية تعرضت لهجوم المغول، ولكن المغول زالوا واندحروا وبقيت المدن، فمدينة غزني موجودة وهي عاصمة محافظة غزني، ومدينة هرات موجودة وهي عاصمة محافظة هرات، ومدينة بلخ موجودة وأطلق اسمها على محافظة بلخ، ومدينة باميان موجودة وهي عاصمة محافظة باميان، ومدينة بغداد موجودة وضربت ولا تزال تضرب حتى اليوم ولكنها- إن شاء الله- لن تندثر، إذن: ما الذي حدث لمدينة فيروزكوه؟.

إنَّ كثيرًا من المؤرخين الأفغان يذكرون أن المدينة دُمرت بالكامل تحت جحافل جيوش المغول عام ٦١٧ و٦١٨هـ حينما هجموا على خراسان، "وحين أغار المغول على أفغانستان لم يكن لديهم النية للسيطرة عليها، بل كان هدفهم

ببساطة تدمير البلاد عن آخرها... وقبل هجوم المغول لم تتعرض المجتمعات القائمة في أفغانستان لمثل هذا الدمار والخراب المنظم، ومن قبل ومن بعد المغول لم يتكرر هذا التدمير للحياة والبنية الأساسية بهذه الصورة، وعلى هذا النطاق"[١].

المغول دمروا وخربوا فعلاً، ولكن المدن التي خربوها لا تزال قائمة وموجودة ولم تختف أسماؤها من الوجود، ولكن فيروزكوه عاصمة الغوريين اختفى اسمها من الوجود، والخلاف شديد بين علماء الأفغان بشأن تحديد مكانها، وهل كانت في المكان نفسه الذي توجد فيه مُنار جام الآن؟.

ومنار جام هي مئذنة كبيرة شيدت في عهد السلطان غياث الدين الغوري طولها خمسة وستون مترًا، وهي أقدم بناء من الآجر موجود حتى الآن، وقد اعتبرتها اليونسكو من التراث الإنساني.

وبعد ترجمتي لكتاب طبقات ناصري رحتُ بدوري أتساءل: أين مدينة فيروزكوه الآن؟ وسألت القاصي والداني من علماء الأفغان عنها لعلهم يدلونني على ما يشفي الغُلَّة ويطفئ الظمأ، فوجدت أن العلماء بشأنها منقسمون إلى فريقين.

الفريق الأول وعلى رأسهم المؤرخ المشهور أحمد علي كهزاد: يرى أن منار جام كانت توجد في قلب العاصمة فيروزكوه، والمنارة كانت مئذنة المسجد الجامع، والمسجد كان جزءًا من أبنية كثيرة كانت تزخر بها هذه المدينة

([١]) ستيفن تانر: أفغانستان "التاريخ العسكري منذ عصر الإسكندر الأكبر حتى سقوط طالبان، ترجمة نادية أحمد إبراهيم، القاهرة، ٢٠١٠م، ص ١٠٤.

العظيمة، وهو ومن يؤيده من العلماء يقدمون الدلائل والشواهد على ذلك، ويستشهدون بما جاء في كتاب طبقات ناصري لتأييد وجهة نظرهم.

والفريق الثاني وعلى رأسهم المؤرخ عزيز أحمد پنجشيرى: يرى أن فيروزكوه مكانها الأطراف الجنوبية في محافظة الغور الحالية، ويقدم هو من معه الدلائل على ذلك.

ويهمنا أن نذكر في هذا الصدد ثلاثة أمور:

أولها: أن المدن لا تندثر ويزول أثرها بفعل هجوم جارف أو حرب مدمرة، ولكنها تندثر بفعل ظواهر طبيعية خارجة عن قدرة الإنسان؛ مثل: السيول، والزلازل، والبراكين، والفيضانات. وكثيرًا ما حدث أن ثار نهر هلمند، وماجت أمواجه وأغرق الزرع والضرع، والبيهقي روى أطرافًا من فيضانات هذا النهر، وكانت مدينة فيروزكوه تقع على ضفافه، ويؤيد الأستاذ العلامة فكري السلجوقي أنها تعرضت لسيل جارف أزالها من الوجود.

الأمر الثاني: أن فيروزكوه تعرضت لهجوم المغول ومنهاج السراج لا يزال في خراسان وبعد أن سافر إلى الهند عام ٦٢٣هـ ظل على صلة ومعرفة بما يحدث في بلاده، وقد أرسلت له أخته عام ٦٤٧هـ خطابًا وتأثر لوحدتها. فهل لم تبلغه أن مدينة فيروزكوه زالت من الوجود؟؟ أم أن زوالها جاء بعد عام ٦٥٨هـ؟. لأنها لو زالت قبل وفاته لذكر ذلك حتمًا؛ لأنه وعد: لو يكون في عمره بقية فسوف يكتب ما يجد من الأحداث، وهل هناك حدث أفظع من زوال عاصمة من عواصم المسلمين واختفائها؟؟.

الأمر الثالث: ربما اتبع المغول بشأن هذه المدينة ما هو أخبث؛ فقاموا بعد تدميرها بتقطيع أوصالها، وألحقوا أجزاءها بالقرى والدساكر القريبة منها، فأخفوا بذلك اسمها ومعالمها وطمسوا هويتها، حقدًا من عند أنفسهم؛ وكل شيء من المعتدين على الإسلام جائز، وقد رأينا نماذج من هذا بالنسبة للمسلمين؛ فبلاد التركستان الإسلامية العظيمة التي عرفها المسلمون ببلاد ما وراء النهر، اقتسمها الروس والصين فابتلعت روسيا تركستان الغربية عام ١٨٦٥م، وقسمتها إلى خمس جمهوريات عرفت بعد ذلك باسم آسيا الوسطى، ومحي اسم التركستان من الوجود، وكذلك محي اسم بلاد ما وراء النهر.

وابتلعت الصين تركستان الشرقية عام ١٨٧٦م وعرفت باسم إقليم شنجانغ؛ أي المستعمرة الجديدة، ولم يعد أحد يعرف ما تركستان الشرقية وأين كانت، ونقلت كل من روسيا والصين السكان قصرًا من أماكنهم إلى أماكن لا يعرفونها، وأتوا إلى بلادهم بأقوام أخرى لا عهد لهم بهذه البلاد فطمسوا هويتهم، وقضوا على تاريخهم، وبمرور الوقت نسي المسلمون بلادهم العظيمة: التركستان، بلاد ما وراء النهر، كاشغر، الأويغور، المهم أن هذا حدث تحت سمع المسلمين وبصرهم ولم يحركوا ساكنا.

وبمرور الوقت ينسى الناس كل شيء، ولا حول ولا قوة إلا بالله[1].

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن فيروزكوه:
- تاريخ طبقات ناصري.
- جغرافياي حافظ أبرو قسمت ربع خراسان.
- تاريخ گزيده حمد الله مستوفي.
- تاريخ صنف ٧ طبع سال ـ ١٣٦٧ هـ ـ ش ـ مطبعة معارف، كابل.
- تاريخ مختصر غور ـ تأليف غوث الدين مستمند غوري سال طبع ١٣٧٨ هـ. ش.
- العلاقات الأفغانية الروسية ترجمة الدكتورة عفاف زيدان القاهرة ١٩٩١م.

الطور الثالث: مرحلة النضج الفكري والوصول إلى أعلى المناصب في الهند:

في عام ٦٢٣هـ، وفي الرابعة والثلاثين من العمر في أوج الفتوة والشباب صمم منهاج السراج على ترك خراسان والذهاب إلى الهند، وذلك بعد جهاد ضد المغول دام ست سنوات، وفيما يظهر أنه رأى الطريق مظلمًا تمامًا أمامه ولا سبيل إلا الفرار، فجموع المغول المحتشدة، وجيوشهم الجرارة اجتاحت بضراوة عام ٦١٧هـ خوارزم وبلاد ما وراء النهر وخراسان، وعجز المسلمون بجيوشهم عن صد هذا الأتون المحرق، والوقوف أمام هذا السيل العرم الجارف المغرق، وكان الهجوم عنيفًا قاسيًا غاية القسوة، فقد استباحوا ديار المسلمين وأوسعوا أهلها تقتيلاً وتعذيبًا، ومثلوا بهم أفظع تمثيل، وهدموا المدن العامرة، وخربوا العواصم الزاهرة. واعتبر ابن الأثير هجوم المغول على بلاد المسلمين "الحادثة العظمى، والمصيبة الكبرى التي عقمت الأيام والليالي عن مثلها، عمت الخلائق وخصت المسلمين".وكان ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) معجبًا أشد الإعجاب بخراسان، وكان ينوي الإقامة فيها، لولا ما حل بها من الدمار والخراب على أيدي المغول؛ فيقول عنها في كتابه معجم البلدان: "كانت بلادًا مونقة الأرجاء، رائقة الأنحاء، ذات رياض أريضة، وأهوية صحيحة مريضة، قد تغنت أطيارها، وطاب روح نسيمها، فصح مزاج إقليمها".

ثم يصف أهل خراسان وما كان فيهم من نبل وكرم في الطباع؛ فيقول: "أطفالهم رجال، وشبابهم أبطال، ومشايخهم أبدال، شواهد مناقبهم باهرة، ودلائل مجدهم ظاهرة".

ثم يصف هذه البلاد- أي خراسان- بعد اجتياح جيوش المغول لها، فيقول: "أصبحت تلك القصور كالمحو من السطور، وأمست تلك الأوطان مأوى

للأحداء والغربان، يتجاوب في نواحيها البوم، ويتفاوح في أراجيها الريح السموم، ويستوحش فيها الأنيس، ويرثي لمصابها إبليس... فإنا لله وإنا إليه راجعون من حادثة تقصم الظهر، وتهدم العمر، وتوهي الجَلَد، وتضاعف الكمد".

في هذا الجو المضطرب المحزن سافر منهاج السراج إلى الهند عن طريق غزنين والملتان، ووصل إلى أچه عام ٦٢٤هـ، وفي هذا الوقت كانت الحرب مستعرة بين السلطان ناصر الدين قباچة، والسلطان شمس الدين التتمش، ورغم هذه الحروب كانت الأمور العلمية والأدبية تسير في الهند بخطى ثابتة؛ ففي شهر ذي الحجة عام ٦٢٤هـ حولت لمنهاج السراج أعمال مدرسة فيروزي أچه مع وظيفة القضاء في جيش علاء الدين مسعود بهرامشاه وهو ابن ناصر الدين قباچة ولم يلبث منهاج السراج سوى فترة قصيرة في هذا العمل، ثم تحول إلى خدمة السلطان آلتتمش، وذلك بعد أن هزم ناصر الدين قباچة وأغرق نفسه في مياه نهر السند.

ولم يكن منهاج السراج رجلاً مغمور الذكر، بل كان معروفًا بعلمه، مشهورًا بفضله، فاستقبل استقبالاً حافلاً لدى ولاة آلتتمش، وأنزل منزلاً كريمًا، وفي عام ٦٢٥هـ وصل إلى دهلي، حيث كانوا يحتفلون بهذا النصر الكبير، ورأى منهاج السراج هذه الاحتفالات، ورأى رسول الخليفة العباسي المستنصر بالله وقد أتى بالعهد واللواء إلى السلطان آلتتمش، وقد ذكر منهاج السراج هذا في الطبقة الرابعة وهو يتحدث عن الخليفة المستنصر بالله، وظل منهاج السراج في دهلي حتى عام ٦٢٩هـ وهو يتولى أكبر المناصب العلمية والدينية، وفي

شعبان من العام نفسه ذهب إلى حصن كاليور، حيث كان يلقي دروسًا في الوعظ ثلاث مرات في الأسبوع في بلاط السلطنة.

وحينما دخل شهر رمضان كانت دروس الوعظ كل يوم، وكذلك في العشرة الأوائل من ذي الحجة، والعشرة الأوائل من محرم، أما في الشهور الأخرى فيظل الوعظ ثلاث مرات فقط، وعقد منهاج السراج خمسة وتسعين مجلسًا للوعظ في الخيمة السلطانية، وفي عيدي الفطر والأضحى كان جيش الإسلام يؤدي الصلاة في ثلاثة مواضع، وتشرف منهاج السراج بتقديم خطبة العيد وإقامة الصلاة.

وأسند السلطان إليه القضاء، والخطابة، والإمامة، والحسبة وكل الأمور الشرعية، وأنعم عليه بتشريفات فاخرة، وإنعامات وافرة، وفي عام ٦٣١هـ -وكان منهاج السراج لا يزال في كاليور- قدم رسل بركاخان خاقان المغول إلى دهلي، فأرسلهم السلطان ألتتمش إلى كاليور المحروسة، وكان هؤلاء الرسل يؤدون الصلاة خلف منهاج السراج، حيث إنهم كانوا مسلمين.

ظل منهاج السراج في كاليور حتى توفي السلطان ألتتمش، وتولت السلطانة رضية ابنته الملك فذهب منهاج السراج إلى دهلي، حيث أسندت إليه رئاسة المدرسة الناصرية، وبالإضافة إلى هذا المنصب العلمي الرفيع أسندت إليه أمور القضاء في كاليور.

وبعد السلطانة رضية، وفي عام تسعة وثلاثين وستمائة فوض إليه السلطان معز الدنيا والدين بهرامشاه قضاء الحضرة وكل الممالك مع التقدير والتبجيل والاحترام. وفي هذا الوقت قامت فتنة كبيرة من الجيش والأمراء

لعزل السلطان معز الدنيا والدين بهرامشاه، وحاول منهاج السراج تهدئة الفتنة والقضاء عليها، ولكن الفتنة اشتدت ولم تهدأ، وحاول بعض أهل خراسان من جنس منهاج السراج الهجوم عليه بعد إغرائهم بالمال، فخرجوا من المسجد شاهرين سيوفهم عليه، ولكنه تمكن من الخروج من بين الغوغاء بالتدبير والحيلة، واستشهد السلطان معز الدنيا والدين في هذه الفتنة.

وفي عهد السلطان علاء الدين مسعود شاه بن فيروز شاه سنة تسع وثلاثين وستمائة طلب منهاج السراج الاستعفاء من القضاء وظل القضاء مهملاً ستة وعشرين يومًا حتى أسند إلى القاضي عماد الدين شفورقاني.

وأثناء سلطنة علاء الدين مسعود شاه أراد منهاج السراج أن يكون في مأمن من الفتنة التي اشتعل أوارها في دهلي، فانتقل من دهلي مع أسرته وأتباعه يوم الجمعة التاسع من رجب سنة ٦٤٠هـ، حيث ذهب إلى لكهنوتي، وأقام فيها عامين، وفي عام ٦٤٢هـ وعلى أبواب لكهنوتي اشتبك طغان خان وتمرخان في حرب ضارية وجميعهم مسلمون، فكلف طغان خان منهاج السراج أن يصلح بين الطرفين، فأحكم العهد والأمان بينهما، وقدَّر طغان خان هذا الصنيع لمنهاج السراج فاصطحبه معه إلى دهلي في الرابع عشر من صفر عام ٦٤٣هـ.

وفي دهلي ذهب منهاج السراج إلى السلطان علاء الدين مسعود، وبرعاية ألغ خان المعظم تولى منهاج السراج رئاسة المدرسة الناصرية مع أوقافها، وكذلك قضاء كاليور ودروس المسجد الجامع كما كان في السابق، وتشرف بالجواد المزين بالسرج واللجام، وذكر منهاج السراج أن هذا التشريف لم يحصل عليه واحد من أبناء جنسه من أهل خراسان مطلقًا. وفي شهر رجب سنة ٦٤٣هـ وصلت الأخبار عن وصول جيش كفار المغول إلى أطراف أچه فجمع السلطان علاء الدين

الجيوش وذهب إلى شواطئ نهر بياه. وكان منهاج السراج بينهم يحث الناس على الجهاد ويثبت قلوبهم، ولكن الكفار فروا هاربين حينما رأوا هذا الاستعداد وهذه الجيوش وكفى الله المؤمنين القتال، ورجع منهاج السراج إلى دهلي بعد هذا الفتح الذي منَّ الله عليهم به دون قتال.

وفي عام ٦٤٤هـ سجن السلطان علاء الدين، وتوفي في سجنه، وفي العام نفسه تولى السلطان ناصر الدين محمود، وهو ممدوح منهاج السراج وقد أحبه منهاج حبًا شديدًا، وشرف السلطان ناصر الدين محمود منهاج السراج بالجبة والعمامة، والجواد واللجام وغير ذلك بكثير من المكرمات والإنعامات؛ لأنه قدر علمه وفضله.

وفي عام ٦٤٥هـ انتصر السلطان ناصر الدين محمود في تلسندة، وأنعم الله عليه بفتح عظيم؛ فنظم له منهاج السراج منظومة "ناصري نامة"، ولكنها فقدت في الطريق، وأنعم السلطان عليه بفيض من الإنعامات، وكذلك أنعم عليه ألغ خان بقرية في حدود هانسي.

وبعد أن توفي قاضي القضاة جلال الدين كاشاني قاضي ممالك الهندوستان، أسندوا للمرة الثانية منصب قاضي قضاة الهندوستان ودهلي إلى منهاج السراج، وذلك بعد أن استشار ألغ خان السلطان ناصر الدين محمود، وكان ذلك في عام ٦٤٩هـ.

وفي عام ٦٥٠ هـ حينما كان السلطان ناصر الدين محمود مسافرًا للحرب في أچه والملتان، كان منهاج السراج في وداعه فأنعم السلطان عليه بجواد خاص بالعدة واللجام الذهبي.

وفي عام ٦٥١هـ تغير مزاج السلطان على ألغ خان، وبناءً على ذلك تغيرت النفوس والأمزجة على منهاج السراج، وأسندوا وظيفة قضاء الممالك للقاضي شمس الدين بهرايجي بمساندة عماد الدين ريحان، وانزوى منهاج السراج في منزله ستة أشهر لم يخرج منه، ولم يتمكن من تأدية صلاة الجمعة، حيث كانوا يلحقون به الشر والأذى، ويتعمدون المضايقة.

لكن هذه الحال لم تدم، ففي عام ٦٥٢هـ صفت الأمور لمنهاج السراج، واندحر حزب المناوئين بقيادة عماد الدين ريحان، وعلا شأن ألغ خان مرة أخرى، وفي ربيع الأول عام ٦٥٢هـ فاز منهاج السراج بلقب صدر جهان أي: شيخ الإسلام.

وكان منهاج السراج صديقًا حميمًا لألغ خان، ولم يكن يبتعد عنه؛ لذلك أشار ألغ خان على السلطان أن يفوض إلى منهاج السراج قضاء الممالك للمرة الثالثة وكذلك مسند حكومة دهلي، وكان ذلك في ربيع الأول عام ٦٥٣هـ.

وكان منهاج السراج يقابل نعمهم إليه بأحسن منها، ويعرف لهم جميلهم، وحسن صنيعهم ويقابل المعروف بالمعروف؛ ففي عام ٦٥٦هـ، حينما كان سلطان دهلي وألغ خان مسافرين لصد هجمات المغول، عقد منهاج السراج في يوم عاشوراء مجلسًا للتذكير والوعظ، وذلك للحث على الجهاد والحصول على ثواب الغزوات، والجد في المحافظة على فرائض الإسلام، وخدمة البلاط، والامتثال لأوامر أولي الأمر.

وفاته: انتهى منهاج السراج من كتابة كتابه في شوال عام ٦٥٨هـ، وهو في موقعه في القضاء والحكومة، وكتب أنه لو كان هناك فرصة فسوف يكتب

بقية الأحداث، وذكر الأستاذ حبيبي أن منهاج السراج كتب الطبقة الثالثة والعشرين قبل الثانية والعشرين؛ لأن الطبقة الثالثة والعشرين أتمها في الخامس من شهر ربيع الأول سنة ثمان وخمسين وستمائة، ولم يكتب منهاج السراج بعد شوال ٦٥٨هـ شيئًا، وكان في هذا الوقت في التاسعة والستين من عمره، وغالب الظن أنه توفي في الهند، وذكر الأستاذ حبيبي أنه سأل كثيرين من مؤرخي الهند عن قبره أو أين دفن، ولكنه لم يجد عند أحد إجابة على ذلك.

والمؤرخون وكتاب التذاكر كذلك لا يذكرون شيئًا عن وفاته، أو أين دفن، ويذكر سيد علي حسن في تذكرته صبح گلشن أن منهاج السراج توفي عن أربعة وثمانين عامًا، ولا يذكر من أين عرف هذا![1].

أما الأستاذ سعيد نفيسي فيذكر في سالنامه فارسي أن: "منهاج السراج ولد عام ٥٨٩هـ وتوفي عام ٦٩٨هـ"، أي إنه تخطى المئة وزاد عليها تسعة، ولكننا نظن أن الأستاذ سعيد نفيسي كتب تاريخ الوفاة ٦٥٨هـ والرقم ٩ تسعة جاء خطأ في الطباعة بدلاً من خمسة؛ أي إن التاريخ الصحيح ٦٥٨هـ، وليس ٦٩٨هـ وهذا أمر لا يغيب في نظرنا عن فطنة القارئ.

أما الدكتور محمد زبير في مقدمته على تاريخ هرات لسيف بن محمد الهروي، المطبوع في كلكتا عام ١٩٤٢م، فيكتب: إن مولانا منهاج السراج توفي عام ٦٥٨هـ.

ورغم أن الذين كتبوا هذا التاريخ لم يدللوا لماذا، ولكن أغلب الظن أنه تاريخ صحيح؛ لأننا لم نجد ذكرا لمنهاج السراج بعد ذلك.

([1]) نقلاً عن الأستاذ عبد الحي حبيبي في مقدمته عن منهاج السراج.

-٣-

لا شك أن إلقاء الضوء على المصنفات والمؤلفات التي كتبها المؤرخون المسلمون عربية كانت أو فارسية له أهمية كبيرة لدى المشتغلين بالحضارة الإسلامية، والتاريخ الإسلامي؛ لأن هذه المصادر والمصنفات هي صورة واضحة لتطور الأوضاع السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والفكرية للمجتمعات الإسلامية في العصور المختلفة.

ولقد بلغت الحياة العلمية والأدبية والفكرية درجة كبيرة في قصبات المشرق الإسلامي في العصرين العباسي الأول والثاني، وظهرت حواضر إسلامية مثل: غزني، وبلخ، ونيسابور، وبخارى، وسمرقند، ودهلي، ولاهور. واجتمع العلماء والأدباء والمفكرون في هذه الحواضر، وقدموا مصنفاتهم ومؤلفاتهم إلى السلاطين والحكام فاستقبلوها أحسن استقبال، واحتفوا بها أجل حفاوة. ومن هؤلاء العلماء: منهاج السراج الجوزجاني الذي قدم كتابه طبقات ناصري للسلطان أبي المظفر محمود ابن السلطان ألتتمش في دهلي بالهند.

ولقد قسم الجوزجاني كتابه التاريخي إلى ثلاث وعشرين طبقة، بدأها بطبقة الأنبياء منذ آدم عليه السلام، واستعرض حال كل نبي مع قومه، وأنهى هذه الطبقة بخاتم الأنبياء محمد- صلى الله عليه وسلم، ولقد أفاض في الحديث عن الرسول- صلى الله عليه وسلم- فشمل عصر الرسول- صلى الله عليه وسلم- كله، وتحدث عنه حديث العاشق الواله بحبه، المتيم في عشقه. ولم يكن دور الجوزجاني هو سرد حياة كل نبي ورسول على اعتبار أن الأنبياء هم الصفوة والقدوة الصالحة، ولكنه كان يركز على الجوانب الصعبة التي عاناها كل نبي مع قومه حتى آمنوا به، أو

نزل عليهم العذاب من الله- سبحانه وتعالى- جزاء كفرهم وصدهم عن الطريق القويم حتى يعطي العظة والعبرة.

وبعد ذلك أرَّخ للخلفاء الراشدين، ثم خلفاء بني أمية، وخلفاء بني العباس، ثم انتقل إلى موطنه في المشرق الإسلامي، فأرَّخ لملوك العجم قبل الإسلام، وتبابعة اليمن، ولم يقدمهم على خلفاء العرب والمسلمين تأدبًا؛ لأنهم لم يكونوا مسلمين.

وبعد ذلك تحدث عن أمراء وسلاطين المشرق الإسلامي الذين كانوا يحكمون من قبل الدولة العباسية وبتفويض منها حتى سقوط الخلافة في بغداد عام ٦٥٦هـ على يد المغول، وأفرد الطبقة الأخيرة للحديث عن هجوم المغول على العالم الإسلامي، وأنهى تاريخه بعام ٦٥٨هـ؛ لأن العالم الإسلامي بأسره كان قد وقع تحت احتلال المغول ما عدا مصر والهند.

والجوزجاني في تأريخه لتاريخ بلاده من بداية الطبقة الخامسة يشعر بالحب للوطن والاعتزاز به، وهذا منهج معروف عند كثيرين من مؤرخي المشرق مثال ذلك: أخبار ولاة خراسان لأبي علي الحسين السلامي (ت ٣٧٤هـ) وهذا الكتاب مفقود، وكتاب المسامرة في أخبار خوارزم للبيروني (ت ٤٤٠هـ) وهذا الكتاب مفقود أيضًا، وكتاب زين الأخبار للجرديزي (ت بين عامي ٤٣٣ و٤٤٣هـ).

وعدم الكتابة عن الأوطان يعده المؤرخون عيبًا، وهذا ما جعل أبا علي الحسن بن محمد بن الربيع التميمي القيرواني يصف مؤرخي الأندلس بالتقصير في الكتابة عن بلدهم، وذلك في رسالة وجهها إلى ابن حزم القرطبي، ويقول فيها: "لقد كانوا في غاية التقصير، ونهاية التفريط من أجل أن علماء الأمصار دونوا فضائل أمصارهم، وخلدوا في الكتب مآثر بلدانهم، وأخبار الملوك، والأمراء، والكتاب،

والوزراء، والقضاة، والعلماء، فأبقوا لهم ذكرًا في الغابرين يتجدد على مر الليالي والأيام، ولسان صدق في الآخرين يتأكد مع تصرف الأعوام)[1].

وتبدو ثقافة الجوزجاني الواسعة المستمدة من الشريعة الإسلامية، ومن العلوم التي كانت معروفة في عصره، إضافة إلى قراءاته الواسعة في كتب التراث الإسلامي، وقد أعطاه هذا مقدرة فقهية، ولغوية، وأدبية، وتجلى هذا في براعته ومقدرته على صياغة أحكام لا تشعر القارئ بأي ملل أو تعب، معتمدًا على التشويق بطريقة بارعة تنم عن حسٍ أدبي رفيع، فمثلاً كتابته عن المغول في الطبقة الثالثة والعشرين تميزت بواقعية شديدة، وتجرد كامل، وعرض محزن ومؤثر للأحداث التي تعرض لها المسلمون، فقد كان قلبه يعتصر من الحزن، ويتفطر من الألم، ومع هذا لم يجد غضاضة في تصوير هذه المشاهد التي تُدمي القلوب وتفتت الأفئدة، وكان يكتب هذا بدوافع دينية محضة تحث المسلمين على النهوض من كبوتهم.

وقد مكنته سعة ثقافته واطلاعه على الأدبين العربي والفارسي أن يرصع كتابه بأبيات شعرية جميلة ومقطوعات بارعة، وأقاويل حكيمة، وهو لا يعرضها في بذخ وإسراف، وإنما يعرضها في مناسباتها، وكان يكرر الاعتذار إذا تعرض لسهو أو خطأ، وهذه سمة الكتاب الواثقين من أنفسهم، الواثقين من صدق كتاباتهم.

وكان يراعي الدقة في تسجيل الحوادث، خاصة الحوادث التي عاصرها بنفسه، فكان تأريخه في معظمه باليوم والشهر والسنة، وقد سجلها بالتاريخ

---

(١) جامعة الأزهر مؤتمر مستقبل الدراسات التاريخية، جـ ١، ص ٣٧١، (١٩٩٦).

الهجري القمري ومعروف أن المسلمين بدأوا التاريخ بالهجرة في عهد عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم.

كذلك كان يراعي الإسناد؛ وهو إرجاع الروايات التاريخية إلى الذين ذكروها مثل قوله: يقول جريج، ويقول وهب، وبرواية التوراة، وبرواية أبي حذيفة، ويقول الحسن البصري، ويقول صاحب تاريخ المقدسي، وحسب رواية الواقدي، وهذه الفصول من التاريخ المُجذوَل، وبرواية محمد بن إسحاق، وهذه رواية الصوري أما رواية النسبي، ويروي ابن الهيصم النابي، وقد نقلنا هذه الرواية من تاريخ الطبري، وفي بداية ذكر تبابعة اليمن يقول: إنه نقل هذه الطبقة من تاريخ المقدسي وتاريخ الطبري على سبيل الإيجاز والاختصار.

وهو في كتابه واسع المعرفة، غزير العلم، أسلوبه فارسي رصين بعيد عن التكلف، جمع بين السهولة والعذوبة، والجزالة والرصانة، والوفاء بالغرض من أقرب سبيل، وهو يصور الأحداث في وضوح وقوة، حتى إنه في تصويره للمعارك التي جرت بين الغوريين وأعدائهم صورها بحنكة شديدة، وقلم بارع. وقد أفاض الأستاذ عبد الحي حبيبي في وصف سلاسة أسلوبه ووضعه في مصاف الذين عرفت كتاباتهم بالسهل الممتنع، ووصفه بأنه جذاب الأسلوب، ممتع مبدع حسن السرد، واضح الحجة: مشرق العبارة، أسلوبه متدفق لا غموض فيه ولا خفاء ولا إملال، بل فيه لمعان وإشراق وسلاسة وبلاغة، جمع بين دفتي كتابه القيم معلومات ضخمة، وتاريخًا طويلاً، ومشاهدات عديدة، فجاء الكتاب قيمًا وفذًا في موضوعه ومنهجه وأسلوبه.

وهو مؤرخ محقق جدير بالثقة به والاعتماد على أحكامه واحترام آرائه ونظراته، ففي حديثه عن الديالمة يقول: "أما بالنسبة لتقديمهم وتأخيرهم فلم يكن

موضع نظر، وهذا التاريخ لا يعرف على وجه التحقيق، وكثير من الأمور جرى بها القلم على سبيل الظن والتحسين فإذا كان هناك سهو، فنحن نأمل في عفوكم، وسبب ذلك معروف؛ لأن ذكرهم ليس معروفًا في تاريخ العجم وخراسان إلا على سبيل الإجمال".

ويقول في مطلع حديثه عن السامانيين: "... ومع أن ذكر ملوك اليمن كان يجب تقديمه بحكم الترتيب، فإنهم لم يكونوا من ملوك الإسلام؛ لذا لم يكن من الأصوب أن يتقدموا على الخلفاء، وبناء على هذا قدمنا الخلفاء، وقد نقلنا ذلك الفصل من تاريخ ابن الهيصم حتى يقر القراء بصحة هذا الاعتماد، وعلى الله التكلان".

وفي حديثه في الطبقة السابعة عشر عن السلاطين الشنسبانية وملوك الغور، في مطلع حديثه عن الأمير سوري بن محمد يقول: "من عهد الأمير بنجي حتى هذا العهد لم يوجد شيء عن إمارة الغور في التواريخ التي جاءت مفصلة؛ لأن اتساق هذه الطبقات في الحضرة العليا لدهلي لا يزال أمرًا غير مدرك؛ لأن الاختلاف والفرقة ظهرا في ديار المسلمين بواسطة فتنة الكفار المغول خذلهم الله، فلم تتهيأ إمكانية النقل من كتب التاريخ في بلاد الغور، وللضرورة حصلنا عليه من تاريخ ناصري وتاريخ ابن الهيصم النابي وبعضه حصلنا عليه بالسماع من مشايخ الغور فأرجو العفو من القراء".

وقد جاء كتابه حافلاً بمجموعة هائلة من المعلومات التاريخية، والجغرافية، والاجتماعية والأدبية عن الدولة الغورية التي عاصرها، وعاصر أمجادها مما يجعل لهذا الكتاب قيمة لا تقدر، وهذه القيمة لا تقتصر على غزارة

علم المؤلف فحسب، وإنما ترجع بالدرجة الأولى إلى أنه كان شاهد عيان على الأحداث في عصره؛ لأنه تقلد الكثير من المناصب المهمة لدى السلاطين الشنسبانية وملوك الغور الذين حكموا خراسان والهند، وكذلك لدى السلاطين الشمسية الذين حكموا في الهند، ولذلك نجد هذا الكتاب من أدق المصادر التي أمدتنا بمادة غزيرة عن أحوال هذه الدول، بل كان هو المصدر الوحيد لغيره ممن كتبوا ويكتبون عنها بعد ذلك.

ولقد استفاد كثير من العلماء الذين جاءوا بعد منهاج السراج الجوزجاني منه وأولهم سيف بن محمد الهروي الذي ألف كتابه عن تاريخ هراة حوالي عام ٧٢١هـ، فقد رجع إلى منهاج السراج في كثير من موضوعاته، وكذلك رجع إليه واستفاد منه ضياء الدين بن مؤيد الملك رجب البرني في كتابه "فيروز شاهي، الذي ألفه عام ٧٥٨هـ وطبع في كلكتا عام ١٨٦٢م، "، وقد أراد به أن يكتب ما لم يدركه منهاج السراج.

كذلك استفاد منه عين الدين البيجاپوري (٧٠٦- ٧٩٥هـ)؛ فقد كتب ملحقات على طبقات ناصري، وأراد أن يكمل بقية حوادث الهند بعد منهاج حتى عصره هو، ولكن هذه الملحقات فُقدت.

أما الذين أطلقوا على كتبهم طبقات مثله، واستفادوا من مادة كتاب طبقات ناصري، فكثر، ومنهم خواجه نظام الدين أحمد بن محمد مقيم الهروي في كتابه طبقات أكبري الذي كتبه عام ١٠٠١هـ، وكذلك طبقات محمود شاهي الگجراتي، وطبقات شاهجهاني كتبها محمد صادق، وكذلك كتاب ظفر الواله بمظفر وآله تأليف عبد الله محمد بن عمر، وقد كتبه بالعربية عام ١٠١٤هـ في الگجرات كذلك استفاد منه ميرخواند(ت ٨٠٣هـ) في كتابه روضة الصفا وهو

يكتب عن السلطان ناصر الدين محمود بن آلتتمش وكذلك خواندمير (ت١٩٤١هـ) حفيد ميرخواند؛ فقد استمد مادته عن ملوك الغور والسلاطين الشمسية من كتاب طبقات ناصري.

وقال عنه الشيخ عبد الحق الدهلوي (ت ١٠٥٢هـ):

"الشيخ القاضي منهاج السراج الجوزجاني صاحب طبقات ناصري كان عظيمًا، وكان من أفاضل أهل زمانه، وكان من أهل الوجد والسماع، وحينما صار قاضيًا استقام أمر القضاء".

فإذا تركنا القدماء جانبًا، واتجهنا إلى نظرة الكتاب المعاصرين لمنهاج السراج نجد أن العلامة بديع الزمان فروزانفر يقول عنه: "القاضي منهاج الدين بن سراج الدين المعروف بمنهاج السراج، من أهل گوزگانان، ذهب إلى الهند إبان هجوم المغول، ووصل إلى عدة مناصب مرموقة، وكتاب طبقات ناصري من تأليفه، وهو يعطي معلومات غاية في الفائدة والدقة بخصوص الغزنويين والغوريين، وما حدث من أحداث في حروب المغول"[1].

أما الأستاذ سعيد نفيسي فيقول عن الكتاب والمؤلف:

"في الحقيقة لقد ظلم أدباء إيران هذا الكتاب؛ لأنه- فضلاً عن النكات التاريخية التي هي غاية في الأهمية- فهو يعتبر في أوج الفصاحة للنثر الفارسي، وكل صفحة من هذا الكتاب تشهد بأن منهاج السراج هو البيهقي الذي بعث بعد مائتي عام، أما الطبقة التى تحدث فيها عن فتنة المغول، فهي جديرة

---

(1) مجلة أرمغان، ص ٦١٠ الجزء العاشر.

بأن يقرأها الإيرانيون جميعًا، ولو كان الاختيار بيدي لقررت هذا الكتاب ضمن الكتب الدراسية للغة الفارسية في مدارس إيران"[١].

أما الكاتب الكبير الأستاذ عباس إقبال فيقول:

"كتاب طبقات ناصري من حيث السلاسة واستحكام الإنشاء والبلاغة، وأيضًا من حيث اشتماله على وقائع مهمة ودقيقة وموثوق بها يعتبر واحدًا من الأعمال العظيمة فى الآداب الفارسية، وهو بالإضافة إلى أهميته الكبيرة في تاريخ الغور وملوك الهند، فإنه يعتبر أحسن وأدق المصادر في فترة استيلاء التتار على البلاد الإسلامية، ومن حيث الزمان، فهو واحد من أقدم كتب التاريخ الفارسية في هذه الفترة، أما مؤلفه القاضي منهاج السراج فهو من الكتاب والشعراء ذوي الفصاحة والبلاغة في اللغة الفارسية[٢].

ولقد أوردنا نماذج فقط مما ذكره النقاد القدماء والمعاصرون حتى لا نطيل الموضوع على من يقرأ المقدمة.

---

(١) منتخبات أدبيات فارسي، ص ٢٥٩.

(٢) طبقات ناصري، جـ٢، ص ٢٦٩.

الدارس لكتاب طبقات ناصري يتعرف جانبًا مهمًا في كتابه وهو: تأثره الشديد بالآداب العربية، وقد تمثل هذا التأثير في ثلاثة أمور:

الأمر الأول هو: الاستشهاد بالآيات الكريمة في القرآن الكريم، وذلك في كل مناسبة ممكنة، وكذلك الاستشهاد بالأحاديث النبوية الشريفة، وقد ساعده على هذا حفظه للقرآن الكريم منذ طفولته، فقد درس على يد الإمام علي الغزنوي في فيروزكوه عاصمة الغوريين حيث ولد، وهذا جعله يضع كل آية، وكل حديث في الموضع السليم، ثم يتبع ذلك بشرح باللغة الفارسية لما أورده واستشهد به.

وإجادته في معرفة تفاسير القرآن الكريم ومعانيه، وكذلك الحديث الشريف وشروحه وبقية العلوم الإسلامية جاءت أمرًا طبيعيًا مع نشأته؛ فآباؤه وأجداده من ناحية أبيه ووالدته كانوا جميعًا من العلماء، وتولوا مناصب الإمامة والقضاء في الدولتين الغزنوية والغورية، هذا بالإضافة إلى تراث ضخم لعلماء المسلمين وأئمتهم في خراسان منذ انتشار الإسلام في هذه البلاد عام ٢٣هـ في زمن الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه.

الأمر الثاني: إجادته للغة العربية نظمًا ونثرًا، ومعرفته بأساليب فصحاء العرب وشعرائهم، وهذا ما جعله يستشهد بأبيات من أشعار العرب، أو يضمن شعره أبياتًا ومصاريع عربية، كذلك بدأ موضوعاته بمقدمات عربية رائعة؛ مناسبة للموضوع الذي يتحدث فيه، ومزدانة بكلمات رقيقة، مسجوعة غير مفتعلة، كذلك كان ينهي الموضوع الذي يتحدث فيه بفقرة أو جملة عربية رصينة، تدل على فهم واسع للغة العربية، وامتلاك لأدواتها، وهو في هذا لا

يرى نفسه ولا يراه قراؤه أجنبيًّا أو غريبًا عن الفكر العربي والثقافة العربية، بل إنه كان يفعل ذلك؛ لأنه جزء من هذا الفكر وهذه الثقافة التي أسهم المسلمون جميعًا على اختلاف جنسياتهم وأعراقهم في بنائها، فاللغة العربية بعد انتشار الإسلام لم تكن محددة تحديدًا إقليميًّا؛ بل اتسعت لتشمل بلاد المسلمين جميعًا.

الأمر الثالث: هو اختيار اسم الطبقات لتاريخه، وهو اختيار مرتبط بالأمر الأول والثاني؛ لأن الطبقات تسمية عربية "والتأليف فيها ظاهرة بارزة من مظاهر التراث العربي" وطبقات مفردها طبقة، والطبقة تعني الجيل بعد الجيل، أو القوم المتشابهون في سن أو عهد، وكذلك تعني المرتبة والدرجة أيضًا، والفعل انطبق معناه انضم بعضه إلى بعض، وأطبق القوم على كذا؛ أي اجتمعوا عليه متوافقين، وأطبق الليل أي: أظلم، وأطبق فمه أي: ضم شفة إلى شفة وأغلقه، وطابق فلان بين الشيئين أي جعلهما على مثال واحد، وطبَّق الشيء أي: ضم بعضه إلى بعض.

ولم يستعمل القرآن الكريم لفظ الطبقة، ولكنه استعمل (طبق) (وطباق) قال تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾، وقال: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾، وقال ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ فالطبق والطباق هو أن نجعل الشيء فوق الآخر على قدره.

"وكلمة طباق موجودة في كلام العرب منذ القديم، وقدمها قدم اللغة ذاتها، ولكنها تطورت مع الزمن، وأخذت مدلولات متعددة في حياة العرب، ولكن صار لهذه الكلمة مجاز آخر عند الكتاب والمؤلفين حين جاء عصر التدوين،

فتناوله المؤلفون والكتاب في مختلف العلوم والفنون إلى أن وصلنا لهذا المعنى المعروف"[1].

ولقد ظهر عدد كبير من الكتب حمل عنوان طبقات. والتأليف في الطبقات ظهر في إطار دراسة الحديث النبوي الشريف؛ لأن الإسناد كان سببًا في ظهور التراجم التي تضم تفصيلات عن كل واحد من رجال السند، وكان ينبغي ترتيب أولئك الرجال على طبقات متتالية مع التركيز على الذين عاصروا الرسول- صلى الله عليه وسلم، وكان بينهم وبينه- عليه الصلاة والسلام- علاقات.

إذن: التأليف في الطبقات وجد بتأثير الحديث وبسببه. والتأليف في الطبقات يقوم بالتصنيف على حسب الأجيال المتتالية ولقد استعمل الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٤هـ) في تاريخ نيسابور الطبقة والقرن والجيل باعتبارها مفردات مترادفة.

والتقسيم إلى طبقات منهج إسلامي أصيل، وهو أقدم تقسيم وجد في التاريخ الإسلامي، "ونظام الطبقات أنفع المناهج للباحث التاريخي؛ إذ يوجد فيه الاستمرار الذي هو جوهرة التاريخ"، وهو تأريخ حسب الموضوعات، وترتيبها بما يناسب بعضها البعض، أما المنهج الثاني في التاريخ فهو المنهج الحولي، أو التاريخ حسب السنين، والطبري هو أول مؤرخ وصلنا إنتاجه مرتبًا حسب السنين منذ بداية التاريخ الهجري حتى عام ٣٠٢هـ.

---

(1) محمود محمد شاكر في مقدمة طبقات فحول الشعراء لابن سلام الطبعة الثانية، جـ ، ص٦٥، ٦٦ . (مطبعة المدني ١٩٧٤م).

والجاحظ في كتابه التاج في أخلاق الملوك، يقسم المجتمع الفارسي إلى أربع طبقات ويوضح أن أردشير بن بابك حدد الذين ينتمون إلى كل طبقة.

الطبقة الأولى: الأساورة.

الطبقة الثانية: سدنة بيوت النار.

الطبقة الثالثة: الأطباء والكتبة والفلكيون.

الطبقة الرابعة: المزارعون وأصحاب المهن.

والجرديزي (ت ٤٤٣هـ) في كتابه زين الأخبار عند حديثه عن الأكاسرة قسمهم إلى طبقات وقد بدأ بالطبقة الثانية.

٢- الطبقة الثانية: الكيانيون.

٣- الطبقة الثالثة: ملوك الطوائف .

٤- الطبقة الرابعة: ملوك الساسانيون.

٥- الطبقة الخامسة: الأكاسرة.

ثم قسم الجرديزي بعد ذلك الكتاب إلى أبواب، وهذا ما جعلنا في الترجمة العربية نقسمه كله إلى أبواب حتى لا يختلط الأمر على القارئ .

إذن مصطلح طبقة كان شائع الاستعمال منذ فجر الإسلام، وفقهاء السنة والشيعة والمعتزلة قديمًا وحديثًا يؤثرون أن يطلقوا على مؤلفاتهم اسم طبقات مثال ذلك:

١- معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، تأليف أبي القاسم الموسوي الخوئي.

٢- طبقات الإجازات بالروايات تأليف آية الله حسن الصدر.

٣- المعين في طبقات المحدثين تأليف أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي.

٤- طبقات مفسران شيعة تأليف عفيفي بخشايشي.

٥- الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة تأليف صدر الدين السيد علي خان المدني الشيرازي.

٦- طبقات أعلام الشيعة تأليف العلامة الشيخ أغا بزرك الطهراني.

٧- طبقات المعتزلة تأليف أحمد بن يحيى المرتضى.

وإذا نظرنا إلى بعض الكتب التي حملت اسم الطبقات، وكانت موجودة قبل منهاج السراج نجد أنها كثيرة، ولا بد أنه كان على علم بها أو اطلع عليها، وبناء على ذلك اختار لكتابه اسم "طبقات ناصري"، وهذه الكتب على سبيل المثال لا الحصر:

١- الطبقات الكبرى للإمام ابن سعد (ت ٢٣٠هـ).

٢- طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي (ت ٢٣٢هـ).

٣- طبقات القراء للإمام خليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ).

٤- الطبقات للإمام مسلم (ت ٢٦١هـ).

٥- طبقات الشعراء لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ).

٦- طبقات الشعراء لعبد الله بن المعتز العباسي (ت ٢٩٦هـ).

٧- طبقات المحدثين بأصبهان لأبي الشيخ الأصبهاني (ت ٣٦٩هـ)

٨- طبقات الأطباء والحكماء لأبي داود سليمان بن حسان الأندلسي

(ت ٣٧٧هـ).

٩- طبقات النحويين واللغويين لأبي بكر الزبيدي (ت ٣٧٩هـ).

١٠- طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي (ت ٤١٢هـ).

وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة الفارسية وقام بترجمته شيخ الإسلام خواجه عبد الله الأنصاري الهروي المتوفى عام ٤٨١هـ، وقد ترجمه بالاسم نفسه.

١١- طبقات الأمم للصاعد الأندلسي (ت ٤٦٢هـ).

١٢- طبقات الفقهاء لأبي إسحق الشيرازي (ت ٤٧٦هـ).

١٣- طبقات الحنابلة للقاضي أبي يعلى (ت ٥٢٦ هـ).

١٤- نزهة الألباء في طبقات الأدباء لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري

(ت ٥٧٧ هـ)[1].

---

(١) استعنت في الكتابة عن الطبقات بهذه الكتب:

- مقدمة كتاب الطبقات للإمام مسلم للدكتور مشهور حسن سلمان طبع دار الهجرة الرياض ١٩٩١م.
- مقدمة كتاب طبقات خليفة بن خياط للدكتور أكرم ضياء العمري دار طيبة الرياض ١٩٦٧م.
- التأليف في طبقات المالكية في التراث العربي دراسة تاريخية وصفية لمحمد خير محمود البقاعي، دمشق ١٩٨٠هـ.

لقد اختار منهاج السراج لكتابه اسم "طبقات ناصري"، وهذه التسمية جيدة؛ لأنه استند فيها إلى تراث ضخم عريض في الآداب العربية والفارسية من العلماء الذين درسوا عصورًا متباينة، وحقبًا مختلفة في كتبهم، ومنهاج السراج فعل ما فعلوا؛ فقد درس في كتابه حقبًا طويلة متباينة أيضًا، حيث يقرر هو في ديباجته في الجزء الأول من كتابه طبقات ناصري: "فأراد هذا العبد الضعيف أن يملأ هذا التاريخ المُجَدْول بذكر كل ملوك وسلاطين الإسلام من العرب والعجم من الأوائل والأواخر. وأن يضيء شمعة على هذا الجمع من كل أسرة، وأن يضع قبعة على رأس كل نسب عند بيان حالهم وآثارهم، مثل ذكر تبابعة اليمن وملوك حمير، وبعد ذكر الخلفاء ذكرنا آل بويه والطاهريين والصفاريين والسلاجقة والروم والشنسبيين الذين كانوا سلاطين الغور وغزنين والهند والخوارزمشاهيين، وملوك الكرد الذين كانوا سلاطين الشام، وملوك المعزية وسلاطينهم الذين صاروا ملوكًا على غزنين والهند. وأن أكتب في العهد المبارك لأسرة هذه السلطنة وأسرة مملكة آلتتمش وارث هذا التاج والعرش السلطان المعظم ناصر الدنيا والدين سلطان السلاطين في العالمين أبي المظفر محمود ابن السلطان يمين خليفة الله، قيم أمير المؤمنين خلد الله سلطانه، وهذا التاريخ الذي جرى به القلم، وزُينَ بألقابه المباركة، واسمه الميمون، وضعت له اسم طبقات ناصري".

بقي لنا بعد هذا العرض أن نتساءل: لماذا لم يلحق منهاج السراج الطبقات إلى اسمه فيقول طبقات منهاج السراج؟ ولو فعل هذا لكان أمرًا طبيعيًا وغير مستهجن، ولكن منهاج السراج أراد أن يخلد اسم السلطان ناصر الدنيا والدين أبي المظفر محمود بن آلتتمش الذي عاش في كنفه، ووصل إلى أعلى الدرجات في

عهده. فأسرة هذا السلطان هي التي فتحت أبواب دهلي، وأبواب الهند قاطبة لاستقبال المسلمين الفارين أمام جحافل المغول والمحتمين بهم من هذا الفزع الأكبر، حيث وفروا لهم سبل العيش والدعة والراحة، وكان منهاج السراج واحدًا من هؤلاء، فقد ظل قبل ذهابه إلى الهند يحارب المغول مع أهله في قلعة تولك بخراسان، ولكنه وغيره حينما أيقنوا أن الهزيمة واقعة لا محالة، فروا إلى الهند، فوجدوا بلادًا آمنة فُتحت أمامهم، وأيادي حانية عطفت عليهم. وكان هذا الاستقبال الحار الذي قوبل به المسلمون من إخوتهم في الهند سببًا في أن يلهج منهاج السراج بثنائهم وشكرهم، وأن يعرف أفضالهم.

وإذا كان منهاج السراج في كثير من صفحات الكتاب يكيل المدح وينظم عقود الثناء، للسلطان ناصر الدين محمود فمرد ذلك إلى إعجابه الصادق به، وتقديره الخالص له، وعلو صفات السلطان ناصر الدين محمود، وعلاقته الودية، وتقديره الكبير لكاتب ومؤرخ عظيم مثل منهاج السراج، ولو لم ير منهاج السراج هذه الصفات التي ذكرها في كتابه في السلطان ناصر الدين محمود ما أقدم على كتابتها، والتزم الصمت، ولكن الرجل أراد أن يعبر عما يشعر به حقيقة من أحاسيس ومشاعر صادقة غير متصنعة.

أضف إلى هذا أن اسم "طبقات ناصري" بالإضافة إلى تخليد اسم السلطان، فإن منهاج السراج كان يستوحي من هذه التسمية النصر للمسلمين بعد هزيمتهم القاصمة أمام جحافل المغول، وكان النصر فيما يبدو يمثل للكاتب هدفًا بعيد المنال، يتمناه ويطلبه، ويتمنى عز المسلمين بعد ذلهم.

-٥-

أول من ذكر اسم كتاب "طبقات ناصري" هو منهاج السراج نفسه في كتابه الذي بين أيدينا، والذي يعرف بكتاب طبقات ناصري.

فلم يدع الكاتب مناسبة في كتابه بجزئيه: الأول والثاني، إلا وذكر أنه مؤلف كتاب طبقات ناصري ومصنفه، لذلك فالكتاب صحيح النسبة إليه، ولا مجال للشك فيه أو الخلط بينه وبين والده. ولم يكن كتاب طبقات ناصري هو المؤلف الوحيد الذي نسبه منهاج السراج إلى ممدوحه السلطان ناصر الدين محمود، بل كان لديه منظومة شعرية أخرى نسبها إلى الممدوح ذاته وهي "ناصري نامه" ولكنها فقدت.

متى ألّف منهاج السراج كتابه طبقات ناصري؟.

الوقائع التاريخية التي بين أيدينا تدل على أن منهاج السراج بدأ في كتابة كتابه عام ٦٥٥هـ؛ لأنه حينما تحدث عن الخليفة المستعصم بالله في الطبقة الرابعة، كانت طلائع المغول قد بدأت بالزحف على بغداد، فيقول: "في شهر ذي الحجة سنة خمس وخمسين وستمائة انتصر أمير المؤمنين المستعصم أمام المغول في عدة معارك"، ثم يقول: "وفي اليوم التاسع من شهر المحرم سنة ست وخمسين وستمائة نشبت المعارك على أبواب بغداد، فنصر الحق- تبارك وتعالى- أمير المؤمنين وانهزمت جيوش الكفار".

وفي آخر حديثه في هذا الصدد يدعو للخليفة بالنصر: "فلينصر الله- عز وجل- أمير المؤمنين، وليفض عليه ويزده آمين يا رب العالمين...".

وكان هذا في الفترة الثالثة لتوليه القضاء في الهند أو قبلها بقليل. وأنه انتهى من كتابته عام ٦٥٨هـ، فآخر جملة كتبها منهاج السراج في الجزء الثاني من كتابه قال في الطبقة الثالثة والعشرين:

"كتبه منهاج السراج في الخامس من شهر ربيع الأول سنة ثمان وخمسين وستمائة"، وآخر جملة كتبها في الطبقة الثانية والعشرين: "التاريخ في شوال سنة ثمان وخمسين وستمائة".

وسواء كتب الطبقة الثالثة والعشرين قبل الثانية والعشرين أو بعدها، فإن ما يهمنا هو أن منهاج السراج انتهى من كتابة كتابه عام ٦٥٨هـ.

<u>مصادر كتاب منهاج السراج ومنابعه:</u>

حدد منهاج السراج مصادر كتابه في ثلاثة مصادر:

المصدر الأول: النقل والاطلاع

يقول: "ففيما تقدم من التواريخ من قصص أخبار الأنبياء والملوك اطلعنا عليه ونقلناه".

المصدر الثاني: الرؤية والمشاهدة:

يقول: "وما رأيناه رأي العين وشاهدناه كتبناه وسجلناه".

المصدر الثالث: السماع:

يقول: "لقد كتبت كل ما سمعته، فالأذن هي الأصل في النقل والسماع من الموثوق بهم ومقبولي القول".

١) المصدر الأول: الكتب:

أشار الجوزجاني في كتابه إلى جميع المصادر التي استقى منها كتابه، وسوف نتحدث عنها كما وردت بترتيبها في الكتاب بقدر الإمكان:

١) التاريخ المُجَذول:

يذكر منهاج السراج أنه "حينما فوض إليه كرسي قضاء الهندوستان لفت نظره كتاب جمع أفاضل السلف لتذكر أماثل الخلف تواريخ الأنبياء والخلفاء عليهم السلام وأنسابهم، وأخبار الملوك السابقين، نور الله مراقدهم جميعًا، ولقد أثبت هذا في حواصل جداول... فأراد هذا العبد الضعيف أن يملأ هذا التاريخ المُجذول بذكر كل ملوك وسلاطين الإسلام من العرب والعجم من الأوائل والأواخر".

وفي الطبقة الحادية عشرة في الحديث عن سبكتكين يقول: "أما عن جلده وسخائه فيروي الإمام محمد علي أبو القاسم العمادي في التاريخ المجدول ...".

وهذا التاريخ مفقود، وهناك خلاف حول اسم المؤلف، ولقد جاء اسمه في كتاب مجمل التواريخ والقصص الذي ألف عام ٥٢٠هـ، وحققه وطبعه في طهران المرحوم ملك الشعراء بهار بهذا الشكل "ولقد عرفت لدينا هذه التواريخ من إملاء الأمير عمادي محمود ابن الإمام السنجري الغزنوي- حفظه الله- وهو محل ثقة لدينا".

فصاحب المجمل كتب اسمه: الأمير عمادي محمود بن الإمام علي السنجري، ومنهاج السراج كتبه: الإمام محمد علي أبو القاسم العمادي.

ويظن الأستاذ عبد الحي حبيبي أن الاسمين ربما يكونان لشخص واحد على هذه الصورة: الإمام أبو القاسم محمد عمادي بن الإمام علي السنجري الغزنوي.

أو : الأمير محمود عمادي بن أبي القاسم الإمام علي السنجري الغزنوي.

وكان من مؤرخي غزنة، وفيما يبدو أنه كان معاصرًا لصاحب مجمل التواريخ والقصص، الذي كتب كتابه عام ٥٢٠هـ؛ لأنه يدعو له بقوله "حفظه الله"، وربما تكون الخلافات في الكتابة في اسمه من الناسخين.

<u>٢) تاريخ وقصص ابن الهيصم النابي:</u>

رجع إليه منهاج السراج في كثير من المسائل التاريخية، ويقول فصيح أحمد بن جلال الدين محمد فصيحي المولود في هرات ٧٧٧هـ، (ت ٨٤٥هـ) في كتابه مجمل فصيحي: "الإمام هيصم بن محمد بن عبد العزيز الناوي صاحب كتاب التهذيب في اللغة، وهو كتاب صنفه الإمام المذكور في اللغة وفي تاريخ الكرامية. وهذا الإمام هو ابن بنت محمد بن هيصم الكرامي الإمام المشهور".

ويقول الأستاذ عبد الحي حبيبي من كلام فصيحي نعرف أن الإمام الهيصم بن محمد بن عبد العزيز الناوي هو الشخص ذاته الذي يذكره منهاج السراج باسم أبو الحسن الهيصم بن محمد النابي وهو مؤلف التاريخ والقصص.

ومن المحتمل أنه كان يعيش في أواخر القرن الخامس الهجري وكتابه مفقود.

٣) تكملة اللطائف:

هو الكتاب الذي ذكره منهاج السراج، واستفاد منه وورد ذكره في الطبقة الأولى، ثم لم يذكره بعد ذلك، وهذا الكتاب مفقود أيضًا ولا يعرف مؤلفه.

٤) البدء في التاريخ:

وهو تأليف مطهر بن طاهر المقدسي، وهذا الكتاب ألف حوالي عام ٣٥٥هـ، وقد طبعه ونشره المستشرق الفرنسي كلمان هيوارت في ستة أجزاء، عام ١٨٩٩م والنص العربي مصحوب بترجمة فرنسية.

٥) كتاب الأغاني:

صاحب هذا الكتاب هو إسحاق بن إبراهيم بن ميمون الموصلي، وهو من أهل أرجان ولد عام ١٥٠هـ وتوفي عام ٢٣٥هـ كتابه يعرف بالأغاني، وهو غير كتاب الأغاني المعروف الذي ألَّفه أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني المتوفى عام ٣٥٦هـ. وكتابه الأغاني معروف وطبع عدة مرات

٦) القانون المسعودي:

وهذا الكتاب ألفه البيروني (ت ٤٤٠هـ) وقدمه للسلطان مسعود الغزنوي عام ٤٢٣هـ، وهذا الكتاب في علم الهيئة والنجوم والجغرافيا، وقد نسبه منهاج

السراج خطأ إلى أبي معشر المنجم وهو سهو ربما يرجع إلى الناسخ، والكتاب طبع ونشر عام ١٩٩٤م في ثلاثة مجلدات في حيدر آباد بالدكن.

٦) تاريخ الرسل والملوك:

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) وكتابه معروف مشهور وطبع عدة مرات في مصر ولبنان.

٧) تاريخ البيهقي:

لأبي الفضل محمد بن حسين البيهقي نائب رئيس ديوان الرسائل في عهد السلطان مسعود الغزنوي، وقد ولد البيهقي عام ٣٨٥هـ وتوفي عام ٤٧٠هـ، وكتابه على ضخامته هو جزء من ثلاثين جزء مفقودة، والذي بقي هو ما يحتوي على تاريخ السلطان مسعود فقط، وقد ترجم هذا الكتاب إلى العربية المرحوم الدكتور يحيى الخشاب والمرحوم الأستاذ صادق نشأت ونشر في مصر عام ١٩٥٦م وهو مزود بالفهارس والحواشي والتعليقات.

٨) تاريخ اليميني:

وهو كتاب يؤرخ لأخبار السلطان يمين الدولة وأمين الملة محمود الغزنوي، ويعرف أيضًا بتاريخ العتبي نسبة لمؤلفه أبي نصر محمد بن عبد الجبار العتبي، وقد كتبه حوالي عام ٤١٥هـ والكتاب موجود ومعروف في مصر والدول العربية، وقد طبع في السنوات الأخيرة في دار الطليعة للطباعة والنشر في بيروت مع شرح وتحقيق للدكتور إحسان ذنون الثامري والكتاب مؤلف أصلاً باللغة العربية، وكان هدف الكاتب أن يكتب عن السلطان محمود مؤلفًا باللغة العربية يكون معروفًا بين الناطقين بالعربية.

٩) التاجي في آثار الدولة الديلمية

رجع إليه منهاج السراج في الطبقة العاشرة وصاحبه هو أبو إسحق إبراهيم بن هلال بن إبراهيم بن زهرون الصابي، كان آية في الكتابة والبلاغة، وقد ولد عام ٣٢٠هـ وتوفي عام ٣٨٠هـ وله ديوان أشعار ورسائل بليغة.

١٠) تاريخ ناصرى ومنتخب تاريخ ناصرى:

أغلب الظن أن تاريخ ناصري، ومنتحب تاريخ ناصري من الأجزاء الضائعة من التاريخ الكبير للبيهقي. وفيما يبدو أنها كانت رائجة ومعروفة لدى العلماء في غزنة، ومؤلفها هو البيهقي أيضًا، ففي الطبقة السبكتگينية المحمودية يقول: "يروي الإمام أبو الفضل الحسين بن البيهقي- رحمه الله- في تاريخ ناصري عن السلطان السعيد محمود...".

وفي ذكر الملك بسطام ملك الهند والسند، ذكر روايتين، وذكر أن الرواية الثانية نقلها من كتاب منتخب ناصري".ولا توجد آثار لهذه الأجزاء الآن.

١١) ولاة خراسان:

لأبي علي حسين بن أحمد بن محمد السلامي البيهقي النيشاپوري (ت ٣٩٤هـ)، وله كتب كثيرة غير هذا الكتاب منها كتاب "النتف والطرف"، وكتاب "المصباح"، وأغلب الظن أن منهاج السراج استفاد من كتاب ولاة خراسان؛ لأنه ذكر السلامي ولم يذكر اسم الكتاب، وبما أنه تحدث عن ولاة خراسان، فكل الذين أرخوا لولاة خراسان قبله كان كتاب السلامي هو العمدة بالنسبة لهم، وهذا الكتاب مفقود.

١١) سنن أبي داود السجستاني:

وهو من جملة الصحاح الستة كتبه سليمان بن الأشعث بن إسحق الأسدي السجستاني المتوفى عام ٢٧٥هـ، وهو كتاب "جمع وشمل أحاديث الأحكام، ورتبها أحسن ترتيب، ونظمها أحسن نظام، مع انتقائها أحسن انتقاء واطراحه منها أحاديث المجروحين والضعفاء"[١].

١٢) أحداث الزمان:

ذكر منهاج السراج هذا الكتاب مرتين في الطبقة الثالثة والعشرين، وقال إن مؤلف هذا الكتاب هو أبو عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله أبي الليث الشيباني، وهذا الكتاب مفقود.

١٣) أما الكتاب الذي ذكره منهاج السراج ولم يستفد منه هو كتاب "نسب نامه غوريان" تأليف فخر الدين مبارك شاه الغوري، وهو من المعروفين في بلاط الغوريين ورجالاتهم، وكان يكتب الشعر بالفارسية والعربية وتوفي عام ٦٠٢هـ.

وكتاب نسب نامه غوريان هو مثنوي في البحر المتقارب، وقد رآه منهاج السراج في بلاط الأميرة ماه ملك ابنة السلطان غياث الدين الغوري، وهو في سن الثالثة عشر من عمره، ولكن أثناء تأليفه لكتاب طبقات ناصري كان في الهند، ولذلك لم يستفد من الكتاب لوقوع بلاده في قبضة المغول.

---

(١) شرح الإمام ابن القيم لسنن أبي داود، مطبوع مع كتاب عون المعبود، طبعة المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ١٩٦٨م.

ومن الأشياء التي استرعت انتباهنا أثناء البحث في المصنفات التي اعتمد عليها منهاج السراج أنه ذكر أسماء من رجع إليهم، وذكر كتبهم ومصنفاتهم، وأردف ذلك بالدعاء لهم والثناء عليهم، ومع ذلك لم يذكر أبا سعيد عبد الحي بن الضحاك الجرديزي (ت ٤٤٣-٤٤٤هـ)، ولا مصنفه "زين الأخبار"، لا صراحة ولا ضمنًا، مع أن منهاج السراج اتفق مع الجرديزي في موضوعات كثيرة، مما يدل- بما لا يدع مجالاً للشك- أنه رجع إليه واستفاد منه.

وما دفعنا لهذا القول أن منهاجًا رجع لكتب أبي الريحان البيروني (ت٤٤٤هـ)، وأبي الفضل البيهقي (ت ٤٧٠ هـ)، والمعروف أن الجرديزي كان معاصرًا لأبي الريحان البيروني، وكان يحضر حلقاته العلمية، بل هو متأثر تأثرًا شديدًا بمنهج أبي الريحان البيروني العلمي في كتابه "زين الأخبار"، أما أبو الفضل البيهقي، فقد توفي بعد الجرديزي بثلاثة عقود تقريبًا، ويستحيل على مؤرخ مدقق مثل منهاج السراج أن يكون قد رأى مؤلفات البيروني والبيهقي، ولم ير "زين الأخبار".

والواقع أننا نميل إلى أن عدم ذكر الجرديزي ومصنفه "زين الأخبار" في "طبقات ناصري" يرجع إلى وجود صفحات تلفت أو ضاعت من "طبقات ناصري"، وقد ذكر الأستاذ عبد الحي حبيبي أن النسخ الأصلية التي رجع إليها في تحقيقه لكتاب "طبقات ناصري" الكثير منها تلفت أوراقه، بل ضاعت، ولذلك نراه- في كثير من الأحيان- يقول في حواشيه- في حيدة علمية: "هذه الكلمة لم أستطع قراءتها".

والسبب الذي يجعلنا نميل إلى هذا القول أن منهاج السراج حفيٌّ بجميع من رجع إليهم وأخذ عنهم، يذكرهم، ويدعو لهم، ويجلهم الإجلال الواجب، ومن

غير المقبول أنه لم يستفد من "زين الأخبار"؛ لأنه يعد من أمهات المصادر الإسلامية، أضف إلى هذا أن الجرديزي ومنهاج السراج أبناء موطن واحد، والبلاطات التي عاشا فيها متجاورة.

وأخيرًا: نأمل أن تظهر نسخة خطية من كتاب طبقات ناصري لا يكون التلف أو الضياع قد أصابها أو لحق بها، ويأتي فيها ذكر الجرديزي ومصنفه "زين الأخبار"، وعندئذٍ تكتمل أمامنا صورة مصادر منهاج السراج في كتابه "طبقات ناصري".

٢) المصدر الثاني: الرؤية والمشاهدة:

المؤرخ منهاج السراج له مشاهدات كثيرة، ولو أقدمنا على ذكر كل ما رآه، وكل ما شاهده، فسوف نغطي أجزاء كبيرة من الجزءين الأول والثاني، ولكننا سوف نكتفي بذكر نماذج فقط توضح للقارئ دقة هذا الرجل، وحسن ملاحظته، وحرصه الشديد على أن يجعل كتابه سجلا حافلاً بالتاريخ والمشاهدات.

فمن الأمور التي شاهدها وكانت مطبوعة في ذاكرته حتى وقت كتابة كتابه هو تربيته في قصر الأميرة ماه ملك ابنة السلطان غياث الدين الغوري، وكيف كانت تحتضنه وهو طفل صغير، وكيف كانت تحنو عليه؛ فوالدته كانت تربتها وصديقتها، وأختها في الرضاع، ووالده وأهله جميعًا من رجالات بلاطهم، ومن المخلصين لدولتهم، وكانوا جميعًا في خدمة بلاطها وبلاط والدها.

وهو يروي مشاهدات كثيرة له في مدينة فيروزكوه عاصمة الغوريين، وهذه المشاهدات الدقيقة يتخذها المحققون الآن أسانيد لتحديد مكان هذه المدينة التي طمست معالمها، ولم يعرف مكانها حتى الآن.

وفي الطبقة الثامنة وحينما يتحدث عن يعقوب بن الليث، يقول: "وصلت إلى سجستان في شهور سنة ثلاث عشرة وستمائة في عهد ملك النيمروز شاه غازي يمين الدين بهرامشاه ابن الملك الكبير تاج الدين حرب بن عز الملوك محمد- نور الله حفرتهم- فرأيت موضعًا في جنوب مدينة سجستان يسمونه باب الطعام خارج المدينة، ويسمون هذا الموضع ريگ گنجان، وبجوار هذا الموضع فوق تل كان يوجد قصر خرب....".

وفي عام ٦١٨هـ حينما ذهب ليحارب المغول في قلعة تولك وصف القلعة، وتحدث عن بنائها، ومياه الشرب فيها. كذلك تحدث عن قلعة كاليون وكيف استولى عليها المغول، وهي: "أحصن حصون الدنيا وأحسنها".

أما مشاهداته في الهند، فهي كثيرة وسوف نعطي نموذجًا واحدًا منها فقط لأنه يصور فيه كيف يزول الملك من الملوك.

ففي حديثه عن السلطان ركن الدين فيروزشاه أخي السلطانة رضية يقول: "كان يميل ميلاً كاملاً للهوى والطرب والمجون، وكان يمعن في مجونه ولهوه إمعانًا كاملاً، وكانت أكثر عطاياه وإنعاماته لأهل الطرب وأهل اللهو واللعب والمخنثين، ووصل عطاؤه من الذهب إلى حد أنه كان يجلس على ظهر فيل ثملاً سكران، ويسير وسط المدينة، وينثر عملات الذهب الأحمر حتى يضحك الناس ويأخذوا نصيبهم من الذهب، وكان يحرص على اللعب، وركوب الفيلة حرصًا كاملاً، وكان لحراس الفيلة نصيب كامل من دولته وإحسانه، وكان

في طباعه ومزاجه ألا يؤذي مخلوقًا، وهذا المبدأ هو سبب زوال ملكه؛ لأن الملوك ينبغي أن تجمع جميع المعاني: العدل واجب حتى ترتاح الرعية، والإحسان واجب حتى يشعر الحشم بالراحة، أما اللهو والطرب والمجانسة والمخالطة مع غير المتكافئين والخبثاء، فهو موجب لزوال الملك".

٣) المصدر الثالث: السماع:

ذكر منهاج السراج في ديباجته أبياتًا من نظمه، أوضحت أهمية السماع في كتابه، وضرورة أن يعفو الإنسان إذا وجد سهوًا أو خطأ؛ لأن منهاج السراج سجل كثيرًا من أقوال الثقات في كتابه، وسوف نكتفي بذكر نماذج بسيطة فقط، يقول منهاج: لقد كتبت كل ما سمعته، فالأذن هي الأصل في النقل والسماع. والكريم يتجاوز عن الخطأ حينما يراه؛ لأنه يتمتع بالعزة والعقل والذكاء.

وأحيانًا كان منهاج السراج يشتكي من قلة المصادر المتاحة له عند بحث موضوع معين، فيكتفي بالسماع من الثقات، وقد حدث هذا وهو يؤرخ عن الغور؛ إذ لجأ إلى مشايخهم للسماع منهم.

ولقد سمع منهاج من الثقات أن أكتاي بن جنكيزخان كان مسلمًا في السر؛ لأنه أمر أن يذكروا المسلمين بلفظ الصديق والأخ، وأمر المغول أن يزوجوا بناتهم للمسلمين إذا رغب أحد المسلمين في الزواج منهن، وأمر بإقامة صلاة الجمعة في جميع بلاد المسلمين.

كما سمع من الثقات أيضًا أن باتو بن توشي بن جنكيزخان كان رجلاً عاقلاً محبًا للمسلمين، وكان المسلمون في عهده يعيشون في رفاهية ولم يصل المسلمين ضرر في عهده، وعاش مسلمو التركستان في عهده في أمان ووئام؛

لذلك حينما كان يذكر اسم أحدهما كان منهاج السراج يقول: "خفف الله عنه العذاب إن كان كافرًا، ورحمه إن كان مسلمًا".

وذكر الثقات لمنهاج السراج وسمع منهم: "حينما ولد بركا بن توشي بن جنيگزخان قال والده: لقد جعلت ابني هذا مسلمًا، وسوف آتي له بمرضعة مسلمة تقطع سرته كما يفعل المسلمون، وترضعه لبن المسلمين، وسيكون ابني هذا مسلمًا، وبحكم هذا جعلته المرضعة مسرورًا (أي مقطوع السرة) ورضع اللبن من مراضع المسلمين، وحينما وصلت سنه إلى فترة التأديب والتهذيب، جمع قومًا من أئمة المسلمين، واختاروا واحدًا من بينهم ليعلمه القرآن الكريم"، وأضاف البعض من الثقات: "إن تعلمه للقرآن الكريم كان في مدينة خجند في بلاد ما وراء النهر عند أحد العلماء الأتقياء في هذه المدينة".

ولقد أوردت هذه الأمثلة القليلة عن مصدر السماع في كتاب طبقات ناصري خشية الإطالة؛ لأن الأمثلة كثيرة، خاصة في الجزء الثاني، واخترت نماذج عن أكتاي بن جنگيزخان وباتو بن توشي بن جنگيزخان؛ لأن هذين المثالين يعكسان حال المسلمين في عصور الهزيمة والتردي والضعف، فإنهم إذا وجدوا تعاطفًا- ولو قليلاً- من أي أجنبي غير مسلم، بادروا يتناقلون الحكايات والروايات والمبالغات عنه، وأنه حتمًا مسلم سرًا، ولهذا يتعاطف مع المسلمين.

ولكن بعد هذه الضربات الموجعة التي ألحقها المغول بالعالم الإسلامي لم يلبث أن أفاق المسلمون من سباتهم العميق، وبدأوا يشعرون بأن اعتقادهم بأن المغول قوة لا تقهر هو مجرد خرافة أطلقوها وصدقوها، فلم يلبثوا أن التحموا في حرب ضد المغول عام ٦٥٨هـ في موقعة عين جالوت، وانتصر المسلمون انتصارًا مؤزرًا بقيادة السلطان سيف الدين قطز، وانحصرت موجة المد

المغولي، ثم توالت انتصارات المسلمين بعد ذلك، فانتصروا بقيادة الظاهر بيبرس في موقعة عين تاب عام ٦٧٦هـ؛ إذ استطاع المسلمون أن يهزموهم هزيمة نكراء، وقتلوا منهم ستة آلاف وسبعمائة وسبعين جنديًا، ثم انتصر المسلمون في موقعة مرج الصُفَّر سنة ٧٠٢هـ بالقرب من دمشق، واستطاع الملك الناصر أن يجلب عند عودته إلى القاهرة ألفًا وستمائة أسير مغولي مصفدين في الأغلال، وقد حمل كل واحد منهم رأس قتيل مغولي تتدلى من سلسلة في عنقه، وسار بهم في المدينة يتقدمهم ألف فارس من رجاله، وقد شهروا حرابهم، وعلى كل واحدة رأس قتيل مغولي جلبوها معهم من الموقعة[1].

لقد أيد الله المسلمين بنصر من عنده، حينما أحسنوا الاستعداد وتخلوا عن الأفكار الخائرة المهزومة، وهو القائل سبحانه وتعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدوَ اللهِ وَعَدوَكُمْ}.

هذا هو منهاج السراج الجوزجاني وكتابه طبقات ناصري، نقلناه إلى اللغة العربية؛ ليكون هاديًا لدارسي التاريخ الإسلامي، والحضارة الإسلامية على الوجه الصحيح والعريق لهذا التاريخ وهذه الحضارة، ولقد هيئت لهذا الكتاب ظروف طيبة جمعتني مع زميلتي الأستاذة الفاضلة الدكتورة ملكه علي التركي، فتعاونا معًا في ترجمة هذا الكتاب، فقمت أنا- كاتبة هذه السطور- بترجمة الجزء الأول مع المقدمة، وقامت الدكتورة ملكه بترجمة الجزء الثاني.

وإنني أتقدم لزميلتي الكريمة بخالص الشكر وجزيل التقدير؛ لأنها قدمت لي نسخة من رسالتها للماجستير وكانت عن منهاج السراج الجوزجاني، ولقد استفدت من رسالتها أعظم فائدة، فلها مني خالص الشكر والتقدير.

([1]) براون: تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي، ص٥٦٧ و٥٦٨.

وبعد: فإن الكمال لله وحده- سبحانه وتعالى- ولرسوله الكريم- صلى الله عليه وسلم، وما عدا القرآن الكريم كتاب الله "لكل شيء إذا ما تم نقصان"، ولا أجد في هذا المقام ما هو أنسب من كلمات منهاج السراج الجوزجاني أختم بها كلامي: "وأرجو رجاء الواثقين من الذين يقرءون هذه الطبقات ويتأملون في هذه الأخبار والحكايات ويصل إلى أسماعهم بعض هذه الأحوال ورمز من هذه الأقوال إذا وصلت إلى أسماعهم المشنفة وخواطرهم المعطرة هفوة أو زلة أو سهو أو سقط فليستروها بأذيال العفو والستر، ويسدلوا عليها دثار التجاوز عن الخطأ ويجتهدوا في الإصلاح.... وليكن الظفر وحسن السيرة في الدنيا والآخرة لكاتب هذه الطبقات وقارئها وسامعها (ومترجمها) بحق محمد وآله أجمعين".

ولقد أضفت كلمة مترجمها إلى كلام منهاج السراج حتى لا نحرم من الدعوات الصادقة المخلصة التي طلبها من الله- سبحانه وتعالى- إنه مجيب الدعاء.

وقبل أن أنهي مقدمتي رأيت أن أقلد المؤرخ منهاج السراج في أدبه الجم وسلوكه الرفيع، فقد شكر جميع من وقفوا معه وعاونوه، ولم ينس طوال صفحات كتابه والده ووالدته وإخوته وأبناءه، وأبدأ بالتحية والثناء على والدي الحبيب، رحمة الله عليه، فقد كان صوفيًّا مشربًا، زاهدًا مسلكًا، وعلى الرغم من الحياة القصيرة التي عشناها معه قبل أن تختطفه يد المنون ، إلا أننا تعلمنا منه كيف يعيش الإنسان معتزًا بنفسه، محافظًا على كرامته، وهذا هو الذي يدفع الإنسان إلى التمسك بالمبادئ السامية والمثل العليا.

تحية وثناء أزجيهما لزوجي العالم الجليل فضيلة المرحوم الأستاذ الدكتور سيد عبد التواب عبد الهادي أستاذ العقيدة والفلسفة، وعميد كلية

الدراسات الإسلامية والعربية للبنات جامعة الأزهر؛ فهو الذي كان يوصيني دائمًا بالاهتمام الشديد بترجمة المصادر الإسلامية غير العربية؛ لأن هذا سوف يقرب شقة البعد بين المسلمين بعد أن نجح الاستعمار في شرذمة الدول الإسلامية وتفريقها، رحمه الله رحمة واسعة، فقد كان يحمل صفات نادرة من الأخلاق، والتضحية والإيثار، والعطاء والتفاني والإخلاص، مع ذكاء متوقد، وطموح وثاب، وعزم لا يلين.

تحية وثناء لأخواتي وإخوتي، فقد منحني الله أخوات وإخوة هم مثال كريم، في الود، والبر، والحب، فأنا أذكر لهم دائمًا حبهم وتقديرهم لي وعطفهم وحنانهم البالغ على أولادي، وهذا ما دفعني إلى الأمام دائمًا، متعهم الله جميعًا بالصحة والعافية، ولا يفوتني وأنا أتحدث عن إخوتي أن أسدي الشكر والتقدير والامتنان إلى أختي وحبيبتي الأستاذة فايزة السيد زيدان، فقد احتضنتني، واحتضنت أولادي على طول مراحل حياتنا العلمية والأسرية، ولهذا أثر عميق في نفسي وفي نفوسهم، فلها مني دائمًا الحب كل الحب، وأدعو بالرحمة والمغفرة لإخوتي الذين رحلوا عن دنيانا.

تحية وثناء لأولادي وقرة عيني محمد، وميسرة، ورامين، وأنار، فقد ساعدوني خير مساعدة بتفوقهم ونبوغهم في الدراسة، وكانوا في جميع مراحل التعليم- بمنة من الله- مثالاً يحتذى في الأدب والأخلاق والتفوق والمحافظة على اكتساب العلم والمعرفة، وأكثر ما يسعد الآباء هو نبوغ الأبناء.

تحية وثناءً إلى أحفادي وحفيداتي الأحباء:

محمود، وعلي، وياسين، وفرح، وجميلة، وأحمد، وعبد الله، ومصطفى، وليزد الله في عطائه وهباته، فهؤلاء هم أجمل هبة، وأحلى عطية، أبقاهم الله جميعًا قرة أعين لآبائهم وأمهاتهم، وأنبتهم الله نباتًا حسنًا، فهم مستقبل مصر وغدها الزاهر المشرق بإذن الله.

أما الذين عاونوني لتهيئة هذا الكتاب بإمدادي بالكتب النادرة أو بالخرائط التي كنت في أمس الحاجة إليها أو بالمساعدة في تنظيم الفهارس أو الكتابة على الكمبيوتر فهم كثيرون، ومهما حاولت أن أقدم لهم شكري فسوف يكون قليلاً بالنسبة لهم، فليقبلوا مني كلماتي العاجزة المتعثرة، فهناك مواقف يعجز الإنسان عن التعبير عنها، ولكنني سأحاول أن أعبر قدر استطاعتي عن بعض معاني الشكر والثناء التي يجيش بها صدري، وما لا يدرك كله، لا يترك كله.

وأخص بالذكر أخي الفاضل الكريم الأستاذ حسين عبد التواب عبد الهادي المدير بمؤسسة المكنز الإسلامي، وابني العزيز الدكتور محمد معبد عبد الكريم المتخصص في الحديث الشريف وعلومه بجامعة الأزهر، والباحث النابه رجب عبد الوهاب طالب الدكتوراه بقسم الدراسات الأدبية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة؛ والأستاذ ياسر أحمد عوض.

فإذا تركت أبناء مصر الحبيبة إلى أفغانستان الشقيقة؛ فإنني أقدم آيات الشكر والثناء والعرفان إلى:

شيخ الأفغان وفقيههم العلامة الأستاذ الدكتور عناية الله إبلاغ وأسرته؛ والأستاذ النجيب عبد الرازق صارم، والدكتور عبد الرءوف محمد أسلم، والدكتور عبد الله صديقي، والدكتور الشاعر محمد الله صخرة.

فإلى هؤلاء العلماء من أبناء أفغانستان أتقدم بخالص شكري وتقديري وثنائي ضارعة إلى المولى- جلت قدرته- أن يوفقهم ويصلح الأمور في أفغانستان، إنه على ما يشاء قدير.

فإذا تركت أفغانستان إلى بلد إسلامي آخر حبيب إلى قلوبنا جميعًا، وهو إيران، فإنني أشكر صديقتي وأختي الكريمة الأستاذة الدكتورة پري الماسي الأستاذة بجامعة طباطبائي.

فإليها وإلى أسرتها الكريمة أقدم الثناء والشكر والتقدير، راجية المولى- جلت قدرته- أن يجمع شمل المسلمين، فتذوب الفوارق، وتتلاشى الحواجز، ونصبح قوة يحترمها الصديق ويرهبها العدو.

أيعود أيتها الخيام زماننا　　　أم لا سبيل إليه بعد ذهابه!

(رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ).

د. عفاف السيد زيدان
القاهرة– مدينة نصر
٢ رجب ١٤٣١هـ
الموافق ٧ يوليو ٢٠١٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

الديباجة

الحمد الله الذي لا ابتداء لوجوده، الآخر الذي لا انتهاء لجوده، الملك الذي ليس لملكه زوال، الدائم الذي لا يكون لسلطانه انتقال، والصلاة على من ختمت برسالته مصارع باب النبوة، وفتحت بجلالته مشارع كتاب الفتوة، والسلام على آله الناصرين لدين الإسلام، وأصحابه الكاسرين للأصنام، وسلم تسليمًا كثيرًا كثيرًا.

أما بعد: فيقول العبد الداعي[1] للمسلمين الناصر لأهل السنة والجماعة، الداعي إلى الله تعالى أبو عمر عثمان بن محمد المنهاج سراج الجوزجاني، عصمه الله تعالى من الزلل والتواني: حينما أفاء الله- سبحانه وتعالى- وتكرم بفيض فضله فزين تاج سلطنة ممالك الهندوستان وعرشها، ومتكأ أقاليم الإسلام ومستندها بعظمة هذا المبارك، يُمن قاعدة الفلك وظل ملوك العالم، سلطان سلاطين الترك والعجم، مالك رقاب ملوك الأمم، ملك ملوك أبناء آدم، ناصر الدنيا والدين، غياث الإسلام والمسلمين، صاحب الخاتم في مُلك العالم، ذي الأمان لأهل الإيمان، وارث ملك سليمان، أبي المظفر محمود بن السلطان ألتتمش، يمين خليفة الله، قيِّم أمير المؤمنين[2]، أعلى الله سلطانه، وخلد برهانه،

([1]) المؤلف عبر عن نفسه على طول الكتاب بالداعي أو داعي المسلمين أو الداعي إلى الله (المترجم).

([2]) ذكر في الطبقة الحادية والعشرين قسيم أمير المؤمنين (المترجم).

وعظم شأنه، وأدام لحرز الإسلام أمانه، لقد تحلت وازدانت الخطبة والسكة بجمال اسم هذا الملك المبارك ولقبه، واستمد إيوانه العالي وعرشه الملكي النور والبهاء من طلعته الجميلة البهية، وتجلى ضياء شمس ملكه من مطالع يمنه على أطراف الدنيا وأكنافها، وفتحت نسائم صبا عهده المبارك رياحين الأمن والأمان في خمائل بساتين الدنيا بأسرها، واعتصم عظماء الدنيا وسادة العالم بأعتاب ملكه وبلاطه مزينين آذان أرواحهم بأقراط الولاء والطاعة، ووضع أبطال العالم رقاب العبودية في ربقة امتثال أوامر حكمه ونواهيه، وكأن بيان الدنيا ولسان الزمان، بلابل على أغصان الثناء أخذت تشدو وتغرد:

الدين في غبطة والملك في جزل — والتاج والملك في حلى وفي حلل

*****

وكم أقيم بحد العصر من صغر — وكم أسد بصرف الدهر من خلل[1]

ادع لدولته حتى تعمر الدنيا وتأمن دون تعب أو نصب.

فجذور السوسن الفضي تستل الخناجر، وفروع البراعم الذهبية تضرب السهام والرماح[2].

---

(1) البيت الأول للمتنبي، والبيت الثاني لأبي تمام. (المترجم).

(2) **دعاى دولت أوگوى، زآنكة بى كوشش — جهان بدولت آ نچنان شد آبادان**

كه بيخ سوسن سيمين همى كشد خنجر — كه شاخ گلبن زرين همى زند پيكان.

وليبق الله تعالى ظل سلطنته حتى نهاية الحد والإمكان، ولتمتد وتتسع على بسيط الربع المسكون، ففي أثناء صفاء هذه الدولة، وأدوار هدوء هذه المملكة التي تظل عامرة باقية بإذن الله، حينما فوض كرسي قضاء الهندوستان لهذا المخلص داعي الدعاء وناشر الثناء لفت نظره في وقت من الأوقات في ديوان المظالم، ومقام فصل الخصومات، وقطع الدعاوى، كتاب جمع أفاضل السلف، لنذكر أماثل الخلف من تواريخ الأنبياء والخلفاء عليهم السلام، وأنسابهم وأخبار الملوك السابقين نور الله مراقدهم جميعًا، ولقد أثبت هذا في حواصل جداول، وجمع عهود سلاطين آل ناصر الدين سبكتگين - برَّد الله مضاجعهم- على سبيل الإيجاز، ونهج الاختصار، من كل بستان زهرة، ومن كل بحر قطرة، وبعد ذكر الأنبياء وأنسابهم الطاهرة وخلفاء بني أمية وبني العباس، وملوك العجم والأكاسرة، أكمل هذا بذكر أسرة السلطان السعيد محمود بن سبكتگين الغازي- رحمه الله- ثم أعرض عن ذكر الملوك الآخرين والأكابر، وأسر السلاطين ما تقدم منها وما تأخر.

فأراد هذا العبد الضعيف أن يملأ هذا التاريخ الـمُجَدْوَلْ بذكر كل ملوك وسلاطين الإسلام من العرب والعجم من الأوائل والأواخر، وأن يضيء شمعة على هذا الجمع من كل أسرة، وأن يضع قبعة على رأس كل نسب عند بيان حالهم وآثارهم مثل ذكر تتابعة اليمن وملوك حمير، وبعد ذكر الخلفاء، ذكرنا آل بويه، والطاهريين، والصفاريين، والسلاجقة، والروم، والشنسبيين الذين كانوا سلاطين

الغور وغزنين[1] والهند، والخوارزمشاهيين، وملوك الكُرد الذين كانوا سلاطين الشام وملوك وسلاطين المعزية الذين صاروا ملوكًا على عروش غزنين والهند، وأن أكتب في العهد المبارك لأسرة هذه السلطنة، وأسرة مملكة ألتتمش وارث هذا التاج والعرش السلطان المعظم ناصر الدنيا والدين سلطان السلاطين في العالمين أبي المظفر محمود بن السلطان يمين خليفة الله، قيِّم أمير المؤمنين خلد الله سلطانه، وهذا التاريخ الذي جرى به القلم، وزُيِّن بألقابه المباركة واسمه الميمون، ووضعت له اسم (طبقات ناصري).

إنني واثق في الكرم الواسع والجاه العظيم للخالق تبارك وتعالى وتقدس، أن هذا الكتاب حينما يتشرف بالنظر المبارك لملك الدنيا ملاذ أهل الإيمان أعلى الله تعالى بهاءه وجلاله سوف يحظى بسعادة القبول، وسوف تضيء على العبد الضعيف أضواء العواطف الملكية من أوج فلك الإنعام وأعلى أبراج الإكرام، وبعد موتي من هذه الدنيا الفانية سوف تبقى وتخلد دعوات الخير من القراء، ولو اطلعوا على سهو أو خطأ فليستروني بأذيال العفو؛ فقد سطرت بقلمي ما

---

(1) غور – غزنين:

أ) **غور**: محافظة من محافظات الغرب في أفغانستان، وهي بلاد جبلية؛ لأن كلمة غور بلغة هذه المنطقة معناها جبل، وتقع بين محافظات باميان، وأروزگان، وجوزجان، وفارياب، وبادغيسي، وهرات، وفراة، وهلمند، وعاصمتها چخچران، وكانت بلاد الغور مركزا لحكم الغوريين، وقد ظهر منهم سلاطين عظماء خدموا الإسلام في إيران وأفغانستان والهند (المترجم).

غزنين: غزنة = غزني، وغزني هو الاسم الذى يطلق عليها الآن، وهي إحدى المدن الكبيرة في أفغانستان وعاصمة محافظة غزني، وتقع في جنوب غرب كابل، وهي على طريق المواصلات بين كابل وقندهار، وهي عاصمة ملك الغزنويين ويوجد بها قبر السلطان محمود الغزنوي وقبر ابنه السلطان مسعود الغزنوي، ويوجد بها الكثير من آثار الغزنويين، وتبعد عن كابل العاصمة مائة وخمسين كيلو مترًا (المترجم).

وجدته في كتب التواريخ المعتبرة، ولقد كتبت هذه الأبيات في هذه الصحائف طمعًا في عفو الحاضرين:

لقد كتبت كل ما سمعته، فالأذن هي الأصل في النقل والسماع.

إن الكريم يتجاوز عن الخطأ حينما يراه؛ لأنه يتمتع بالعز والعقل والذكاء.

وكل من يتمتع بذوق وخلق عظيم، فإن نبات الصبر بالنسبة لصبره يكون لذة للشاربين .

ذيل العفو له دائمًا أجنحة وريش، يستر العيب في طريق الحلم.

وليتذكروا منهاجًا بالدعاء، حتى لو كان ميتًا ويضمه قبر ضيق[1].

وليبق الله تعالى السلطان في هذه السلطنة، وليحفظ المتأملين والقارئين لهذه التواريخ في أكناف عصمتهم، بحق محمد وآله أجمعين وسلم تسليمًا كثيرًا كثيرًا.

---

(1)

هرچه كردم سماع بنو شتم — أصل نقل وسماع گوش بود
درگذارد خطا چوديد كريم — زآنكه باعز وعقل وهوش بود
هركه اوذوق مهترى در يافت — نزد صبرش صبر چو نوش بود
دامن عفوپر وريش مدام — درره حلم عيب پوش بود

به دعا ياد داردش منهاج
گرچه اندر قفس خاموش بود

الطبـــــقة الأولي

طبقة الأنبيـاء

أبو البشر آدم صلوات الله عليه

أما بعد: فاعلم أن الحق تعالى حينما أراد أن يزين عرش الخلافة، بعظمة آدم- عليه السلام- وجلاله أنزل الملائكة أفواجًا من السماء إلى الأرض، وفيهم عزازيل فأناروا أطراف الأرض وأكنافها بنور العبادة، وأعلمهم تبارك وتعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[1]. فاستفسر الملائكة من حضـــرة ذي الجـــلال: ﴿ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ فأجـابهم: ﴿ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾، فـامتثلوا للأمر إلا عزازيل، وحين جاء وعد ربك وتجلى الستر عن وجه آدم أزهر الوجود بعد أن خلع عليه المولى ثوب الخلافة، ورفع الله ذكره، ورزقه الإجابة وأسكنه مع الملائكة الجنات.

وخرجت حواء عليها السلام من جانبه الأيسر لأنسه وراحته، وكان هذا في يوم الجمعة، واليوم في الآخرة بخمسمائة عام في هذه الدنيا، وظل آدم في الجنة من الصباح حتى صلاة الظهر، وبحكم التقدير أطعم حفنة قمح، وهبط آدم

---

(1) سورة البقرة: الآية (٣٠).

وحواء وإبليس والطاووس والحية إلى الأرض، وبأمر من الله تعالى ﴿ ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا ﴾[1].

آدم هبط في جزيرة سرنديب[2]، وحواء في جدة، والطاووس في الهند، والحية في أصفهان، وإبليس بجزائر البحر. ولما قبلت توبة آدم بعد مائتين وخمسين سنة تعارف مع حواء في عرفات. ويذكرون في الروايات الصحيحة: حينما وهبه الحق- تبارك وتعالى- أربعين ابنًا في عشرين بطنًا، واشتملت كل بطن على ولد وبنت كان يزوج غلام هذا البطن بنت البطن الآخر، ويزوج بنت هذا البطن غلام هذا البطن الآخر.

ونزلت على آدم خمسون صحيفة، ونزل له بيتٌ من الدُر الصافي، وضع في مكان الكعبة، وظل هذا البيت حتى آخر حياته في هذا المكان، وبعد وفاته حملوه إلى السماء الرابعة حيث البيت المعمور هناك، ونزل عليه تسعة أحرف للهندسة برواية واحدة في علم الحساب وأسرار حكمة الأفلاك، والطباع السفلية، كلها نزلت عليه، وفي عهده كثر الأبناء إلى حد لم تحتويهم بلاد الحجاز والشام والعراق والهند والسند والحبشة، وحينما وقع النزاع بين قابيل وهابيل بشأن أخواتهما وتزوج قابيل من أخته التي ولدت معه، قدم إلى ناحية الجنوب

---

(1) سورة البقرة: الآية (٣٨).

(2) سرنديب: أطلق عليها الإنجليز حين احتلوها اسم سيلان، وفي عام ١٩٧٩ أطلق عليها اسم سريلانكا، وهي جزيرة في بحر الهند فيها الجبل الذى هبط عليه آدم عليه السلام، ويقال: إن اسم هذا الجبل الرهون، معجم البلدان جـ ٣ ص ١٦، طبعة صادر (المترجم).

وذهب إلى جبال القمر والحبشة، وأنجب، وكثر أبناؤه، ولكنهم هلكوا جميعًا في الطوفان.

أما سيدنا آدم عليه السلام، ففي إحدى الروايات: إنه سكن سرنديب، وكان يذهب كل عام إلى الحج، حتى حج أربعين حجة، وفي صحائفه حُرمت الميتة والدم ولحم الخنزير، ووضح له كل ما يخص معاشه وأبناءه من الحل والحرمة والإباحة، وحينما مضت خمسمائة عام من عمره، ولد قابيل وبعده بسبع سنوات ولد هابيل، وحينما كان قابيل في الثامنة من عمره قتل هابيل بسبب أخته التي ولدت مع قابيل في البطن نفسه، وقد ذكرنا ذلك، وحزن آدم حزنًا شديدًا على وفاة هابيل، ووهبه الحق- تبارك وتعالى- شيث عوضًا عن هابيل، وكان عمر سيدنا آدم- عليه السلام- ألف عام، وهناك خلاف حول قبره؛ فبعضهم يقول: في سرنديب، وبعضهم يقول: في أرض الشام، وأخبر بذلك الذين يسيحون في الأرض، وأصحاب القصص متفقون على أن تابوت آدم- عليه السلام- كان داخل سفينة سيدنا نوح عليه السلام، وبناءً على هذا فإن القول بوجود قبره في بلاد الشام هو الأقرب، وقد نزل مع سيدنا آدم رأسان من الماعز، ورأسان من البقر، ورأسان من الإبل ورأسان من الخراف ومن آلات الحدادة المطرقة والسندان، وعرفوه الحجر الذي به جوهر الحديد فصنع الحديد، وعلمه جبرائيل الزراعة، وصناعة الخبز، وإقامة التنور، والفلاحة، وعلم حواء غزل الصوف، وعلم آدم نسجه.

شيث عليه السلام

أم شيث[١] عليه السلام هي حواء، وقد أورد المقدسي[٢] في تاريخه أن شيث في الفارسية هو البدل، وبقول آخر: هو العطاء والمنحة، ولما كان قابيل قد قتل هابيل، فقد وهب الله تعالى شيث لآدم- عليه السلام- بدلا من هابيل، ولهذا السبب أسموه شيث، وانقطع جميع نسل أولاد آدم في الطوفان إلا من شيث، ويقول محمد بن جرير الطبرى: اشتقاقه من شيث وهو بلغتهم البدل، وقد جعله آدم- عليه السلام- بأمر من الله تعالى خليفته، وعلمه الأوقات وعلمه عدد ساعات الليل والنهار، وعلمه عبادة الله- سبحانه وتعالى- ليعلمها للخلق، وأخبره أين سيكون الطوفان، وفي أي البلاد يستقر به المقام، ويقولون: إن مدة الطوفان كانت سبع سنين، وكانت الخلافة بعد آدم لشيث وكان نبيًا مرسلاً.

وأرسل الله- سبحانه وتعالى- كتابًا في خمسين صحيفة، وقد حرص بعض أولاد آدم في عهده أن يعودوا إلى الجنة؛ لأن آدم قد وصفها لهم من قبل، فسلكوا طريق الزهد وذهبوا إلى جبل حرمون[٣]، وشغلوا بالعبادة، وكان عمر شيث مائتين وخمسين عامًا حينما ولد أنوش، وبلغ عمر شيث تسعمائة واثني عشر عامًا، وكان آدم- عليه السلام- يوصيه بالمحافظة على نفسه من الطوفان، وأن يحترس من مخالطة أبناء قابيل، والصحيح أن ثلاثين صحيفة نزلت على شيث، وكل هذه الصحف كانت مشحونة بالعلوم والحكم، ويسميها حكماء اليونان

---

(١) يقول محمد بن جرير الطبري: هو بالعربية شيث وبالسريانية شاث، وبالعبرانية شيث. تاريخ الطبرى جـ ١، ص ١٥ طبعة دار الأعلمي بيروت (المترجم).

(٢) هو مطهر بن طاهر المقدسي مؤلف كتاب البدء في التاريخ (المترجم).

(٣) جبل حرمون في شمال شرق فلسطين ويسمونه جبل الشيخ وجبل الثلج. (المترجم).

عاليمون، وظلوا في كتبهم على هذه الحال، ويروون عنه العلوم الطبيعية والرياضية والحكمية والإكسيرية، وقد ذُكر هذا كله في كتب الحكمة والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب(1).

أنوش عليه السلام

اسمه: أوانش أو أنش، وأمه بحواملة السمار، وكانت حورية من الجنة صبها الله- سبحانه وتعالى- لشيث؛ لأن شيث ولد وحيدًا، وبقية الأخوة كانوا يولدون توائم، وقد ولد لأنوش قينان، وكان عمره مائة وخمسة وتسعين عامًا، وأنوش هو الذي ابتدع علوم الكتابة والحساب، وحساب الأوقات والأيام والشهور والأعوام، ووضع التاريخ وعلّم الناس، ودعاهم لشريعة والده وحثهم عليها وحفظ وصية آدم وشيث- عليهما السلام- في صندوق وحفظه من الطوفان، وكان يُعلّم علوم النجوم والطبيعة التي تعلمها من والده، وكان على طريق الأنبياء وشريعتهم، والله أعلم بالصواب.

قينان بن أنوش

اسم قينان: حارس، وأمه واسطة بنت كيل بن شيث بن آدم عليه السلام، وكان عمره مائة وسبعين سنة حينما ولد له مهلائيل، وكان يسير على منهاج أبيه وجده، ويحافظ على شريعة الحق، وحفظ أبناءه من أبناء قابيل، حتى صنع الشيطان الطبل والناي والصنج، وكان أبناء قينان يعيشون في سفح جبل

---

(1) يقول ابن جرير الطبري جـ 1 ص ١٦٢: إن شيث لم يزل مقيمًا بمكة يحج ويعتمر إلى أن مات، وإنه كان جمع ما أنزل الله عز وجل عليه من الصحف إلى صحف أبيه آدم عليه السلام وعمل بما فيها، وإنه بنى الكعبة بالحجارة والطين. [طبعة دار المعارف، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، سنة ١٩٦٧م] (المترجم).

حرمون، فأعطى الشيطان المعازف لأبناء قابيل ليعزفوا في سفح الجبل، وكانت البنات والبنون ينزلون من قمة الجبل، ففشا الزنا بين الفريقين، وحينما وصل الخبر إلى قينان تملكه الهم والحزن حتى أهلكه ورحل عن الدنيا.

مهلائيل بن قينان

وجاء مهلائيل أيضًا، واسم أمه: نحلة بنت سولان بن هيطل بن شيث، ولقد زهد أبناء آدم أيام شيث وذهبوا إلى جبل حرمون، وضعفوا من كثرة العبادة وينسوا أن يذهبوا إلى الجنة مرة أخرى، فاندمجوا بين الخلق وشغلوا باللهو والعبث، وتزوجوا من أبناء قابيل فظهر الظالمون والجبابرة من أولادهم، ومن أجل دفعهم والتغلب عليهم جعلوا ولدًا من أبناء شيث ملكًا عليهم، وأعدوا جيشًا ليدفعوا به ظلم الجبارين وعدوانهم، وهؤلاء الملوك من أبناء شيث وآدم كانوا يسمونهم الكلدانيين، ويقول البعض: أولهم كان گيومرث، وكانوا يسمونه گلشاه؛ أي ملك الطين، والله أعلم.

يرد بن مهلائيل

كان يسمى تول، أمه: شهيال بنت برمائيك[1] بن شيث، وقد تفرق الناس في أيامه وكل إنسان اختار لنفسه أرضًا ومكانًا، ووضع لنفسه لقبًا، واتخذوا جوانب وزوايا، وظهر من أولاده القبط الجبابرة الظالمون، وتقاتلوا مع بعضهم البعض، وبعد فتن كثيرة جعلوا ساميارس من أولاد القبطي رئيسًا عليهم، وكان يرد وقت رئاسة ساميارس في الثالثة والأربعين، ومن آدم حتى هذا الوقت مضى ألف عام

---

(1) هي سمعن بنت براكيل بن محويل بن أخنوخ بن قينان. الطبرى جـ ١ ، ص ١٦٩ تحقيق أبي الفضل إبراهيم (المترجم).

بالتمام والكمال، ومن الهبوط حتى ذلك الوقت ألف وثلاثمائة وأربعون عامًا، والله أعلم.

أخنـــوخ بن يرد

والدة أخنوخ كانت تدعى دمت بنت يبان بن آدم عليه السلام، وأخنوخ هو إدريس النبي عليه السلام، وأطلقوا عليه اسم إدريس لكثرة دراسته.

وكان نبيًا، ولما كان قابيل قد عبد النار بعد شيخوخته، وسلك أولاده المسلك نفسه، وكانوا يصنعون الخمر ويحتسونها ويتناكحون فيما بينهم، وادعى كل شخص الغيب، وتكهنوا كثيرًا واتخذوا هذا مذهبًا لهم، فأرسل الله- عز وجل- إدريس- عليه السلام- لهم، وعلمه علم النجوم، وأمره أن يدعو الخلق إلى صحف شيث عليه السلام، وكان في عامه الخمسين بعد الستمائة حينما توفى، وهو أول من حاك الثياب وأول من كتب بالقلم.

وأثبت نبوته لقومه بمعجزة علم الرمل، ليعتقدوا في نبوته، وذلك باتفاق المنجمين، وفي وقت نبوته عرفوا الدقائق والدرجات، ودوران الفلك وأقرءوه لغة اليونان هرمس وهرامسة، ويروون عنه علم الحكم، ويقول علماء القصص: كان له ابن في غاية العلم والكياسة والبهاء والجمال، وتوفي وهو شاب صغير، فحزن حزنًا شديدًا لوفاة هذا الولد، فخيره رب العزة- تبارك وتعالى- بين حياة الابن وبين العمر الطويل له، فاختار الحياة الطويلة، فوصله الموت وعلى سبيل الامتحان والاختبار أذاقوه شرابًا، وحملوه إلى مكان عَلِيّ في الجنة واليوم هو هناك ورآه حضرة المصطفى- عليه السلام- ليلة المعراج، والله أعلم الواقع.

متوشلح بن أخنـــوخ

كانت والدة متوشلح تدعى بركيا بنت كسرجيل بن خويلد بن آدم عليه السلام، أنجبت ولدًا بعد سبعمائة عام، وبعد ولادة ابنها عاشت مائتي عام،

وتوفيت على سُنة أبائها وعمرها تسعمائة وتسعة عشر عامًا، وأرشدت أولادها إلـى اتبـاع طريـق الصـلاح والعفـة، وأمـرتهم أن يتجنبـوا الاعتـداء والظلـم، والله أعلم.

لـمَـكْ بن متوشلح

كانت والدة لملك تدعى عريـا، وهـي بنـت عرايل بـن متوسل بـن حير بـن شيث، ولمك معناه: قليل بالعربية، وقد جاب لمك بلدان الشام والحجاز والعراق ومـا وراء النهـر وفـارس وكرمـان وقهسـتان وخراسـان كلهـا، وذكـر إسـحق الموصلي في كتابه الأغاني أنـه كـان لـه ابـن تـوفي فجـزع جزعًـا كبيـرًا، فصنع عـودًا علـى شـكل ابنـه وعلقـه فـي رقبتـه وأخـذ يعـزف عليـه، وبهـذا الشـكل كـان يواسي نفسه، ويبكي، وهو والـد سـيدنا نـوح عليـه السـلام، وكـل العـالم مـن أبنـاء نـوح الثلاثـة، وكـان فـي السـفينة معـه تسـعة وثمـانون شخصـًا، وهلـك أبنـاء نـوح وأبناء أبنائه جميعًا، وكان في الطوفان النار والرياح اللتان كانتا على قوم صالح وهود.
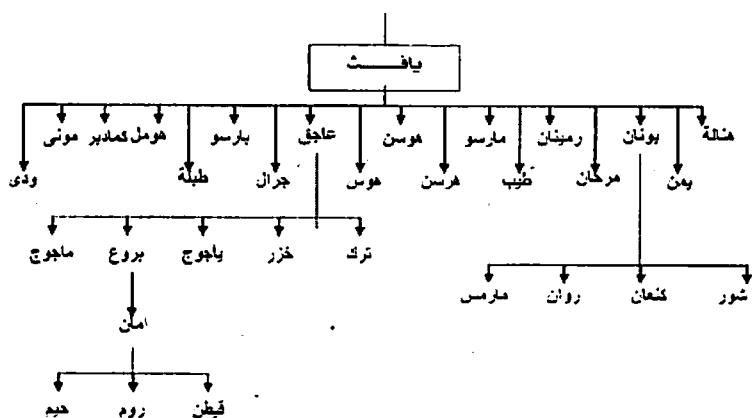
حام بن نوح
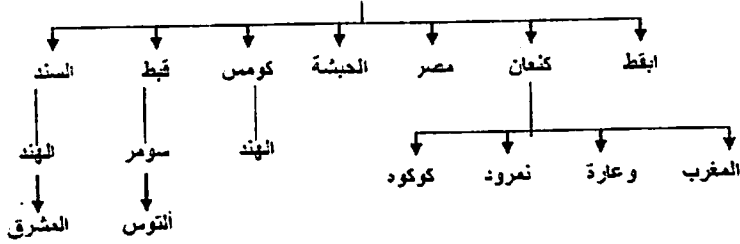
كنعان بن نوح
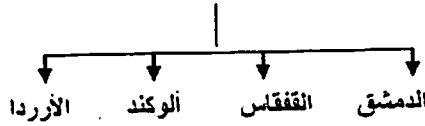
نوح النبي عليه السلام

أما أم نوح فهي قيقوس بنت براليك بن متوشلح، وقد أسمته نوحًا؛ لأنه كان كثير النواح، وحينما أتاه وحي النبوة، كان عمره مائة وخمسين عامًا، وفي اليوم الذي ولد فيه سام كان عمره خمسمائة عام، وقد لبث في قومه ألف عام إلا خمسين عامًا وفي هذه الأثناء جاء الطوفان، وبعد ستمائة عام من حياته وبعد الطوفان قسم العالم بين أولاده؛ فأعطى سام بابل، وأعطى الترك والخزر والروم ونواحي الشمال ليافث، وفي أيام الضحاك أتاه وحي النبوة، وفي هذا الوقت كان سنه مائة وخمسين عامًا، وكانوا يعبدون الأصنام في أيامه، ويعوق ويغوث ونسرا كانت أصنامًا، ولم ينزل عليه كتاب من السماء، وكان يدعو الناس إلى صحف آدم وشيث وإدريس، وفي التوراة ذكرت قصة سيدنا نوح موافقة لما جاء في القرآن الكريم. وجميع الخلق من نسله باتفاق الجميع وقد قال

الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾[1] وجميع الخلق تُقر بالطوفان، إلا فرس العجم ومجوس الهند.

والصحيح أن نوحًا- عليه السلام- بعث على الشرائع السابقة، والراجح أنه نزل عليه كتاب، وأغلب الظن أن الصابئة التي جاء ذكرها في القرآن الكريم مع الأديان الأخرى كانت على دينه، ولهذا السبب حكمهم حكم أهل الكتاب في أحكام الشرع.

أما إن سيدنا نوح- عليه السلام- كان على الشرائع السابقة، فقد نقل نابي[2] صاحب القصص في مجموعه أن بعثه كان على شريعة، والصحيح أن عمر نوح كان ألفًا وأربعمائة وخمسين عامًا[3].

سام بن نوح عليه السلام

اسم والدة سام عروة بنت يراليك بن محول بن أخنوخ النبي، ويقول محمد إدريس: انتشرت بين أولاد سام تسع عشرة لغة، والعرب والعجم والروم كلهم من أولاد سام، وجميعهم فيهم جمال وبهاء، وبناء على رواية التوراة كان عمر أرفخشد بن سام مائة وعامين وكان عمر سام ثلاثمائة عام، والله أعلم بالصواب.

---

(١) الصافات: آية (٧٧).

(٢) يقصد أبا الحسن الهيصم بن محمد النابي؛ وكتابه أحد المصادر التي رجع إليها المؤلف. (المترجم).

(٣) يقول تعالى في كتاب العزيز : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ العنكبوت : آية (١٤).

أرفخشد بن سام

والدة أرفخشد هي: صليب بنت ساميل بن قيم، وقد ولد بعد الطوفان بعامين، ومن آدم حتى أرفخشد ألفان ومائتان وأربعون عامًا، وعندما ولد شالح كان عمر أرفخشد مائة وخمسة وثلاثين عامًا، والله أعلم بالصواب.

شالح بن أرفخشد

والدة شالح هي: سرود بنت سروش بن يافث، وفي الوقت الذي ولد فيه عابر كان عمر شالح مائة وثلاثين عامًا، ومن آدم حتى شالح ألفان وثلاثمائة وتسع وثلاثون سنة، ومن عهد قينان حتى ولادة شالح ألف ومائة وثلاثون عامًا.

عابر بن شـــالح

والدة عابر: مكعبة بنت عويلم بن سام بن نوح، وقد ظهر نور النبوة على جبينه، وقد رأى الناس علامة هذا النور، وقالوا: إنه علامة على أنه يعبد الله وحده لا شريك له، وأنه يكسر الأصنام؛ فعظموه وأجلوه.

وحينما ولد فالغ كان عمر عابر مائة وأربعة وثلاثين عامًا، ويقطان هو ابن أخته، وهو الذي أفشى الظلم والجور بين الناس، وأغار عليهم حتى يصالحوه ويؤدوا له الخراج والجباية، ويتفق أهل اليمن وربيعة ومضر وكذلك الأسر ذات المجد

والعزة أن عابرًا هو هود النبي- عليه السلام- وقد عاش أربعمائة وأربعة وسبعين عامًا، والله أعلم بالواقع[1].

صالح النبي عليه السلام

وهو صالح بن عبد الله بن حارث بن ثمود بن عوض بن إرم بن سام بن نوح النبي عليه السلام، وقد أرسله الحق تعالى إلى بنى أعمامه الذين هم أبناء ثمود، ومنازلهم من الحجر في وادي القرى، وحينما أهلك قوم عاد بطوفان الريح، بقي قوم ثمود ثم تحولوا إلى عبادة الأصنام، وأظهروا الفساد والعصيان.

وفي إحدى الروايات أن صالحًا صار نبيًا في أول البلوغ، وفي رواية صحيحة: أن الوحي أتاه وهو في تمام الأربعين من عمره، وظل أربعين عامًا يدعو قومه وأهله إلى التوحيد والعدل، فالتف حوله قليلون، أما الباقون فقد طلبوا منه معجزة، وبالتماس من كبيرهم جندع بن عمرو دعا صالح- عليه السلام- أن تأتي لهم ناقة عمرها عشرة أشهر تكون حاملاً، فانشق الصخر وخرجت، وضربت بركبتها، فخرج وليدها وكان لكبر حجمه يماثل والدته، وكان جسم الناقة كبيرًا بحيث كان عرضها من جانب إلى جانب مائة وخمسة وعشرين ذراعًا، وكان لقوم ثمود بئر، فقسموا الشرب فيه بين الناقة وسائر مواشيهم، فيوم يكون للمواشي ويوم يكون للناقة، فضاقوا وضجروا لهذا السبب، فاشترك

---

(1) في نهاية حديث المؤلف عن أخنوخ بن يرد، قال: والله أعلم الواقع، أما في هذا الحديث أي عن عابر بن شالح، فقال: والله أعلم بالواقع، وربما أراد الكاتب أن يظهر لقارئه مدى تمرسه في اللغة العربية وأساليبها. (المترجم).

قيدار بن سالف مع آخرين وقتلوا الناقة ووليدها، فأرسل الحق- تبارك وتعالى- عليهم نارًا فهلكوا جميعًا، وكان عمر نبي الله صالح مائتين وثمانين عامًا، ويروى المقدسي صاحب التاريخ أن الحق- تبارك وتعالى- أرسل هود نبيًّا لقوم عاد، وأرسل صالحًا لثمود، وكان ذلك في أيام مملكة چمشيد في أرض بابل، وذُكر في بعض التواريخ أن بين نبي الله نوح- عليه السلام- ونبي الله إبراهيم- عليه السلام- ألفين ومائتين وأربعين عامًا، وفي بعض الروايات: من الطوفان حتى يوم ولادة نبي الله إبراهيم ألف ومائتان وسبعون عامًا، والله أعلم.

هود النبي عليه السلام

هود بن عبد الله بن رباح بن حارث بن عاد بن عوض بن إرم بن سام بن نوح النبي- عليه السلام- كان نبي الله تعالى، كان رجلا قمحي اللون، ولم يكن بين أنبياء الله- عليهم السلام- من هو أكثر شبهًا بآدم عليه السلام إلا هود، وقد دعا قوم عاد إلى التوحيد، وعبادة الله سبحانه وتعالى، ونهى عن الظلم، وكان له الأمر بهذه الأشياء، وكان على دين نوح- عليه السلام- وعلى شريعته، وكان قوم عاد أناس في أبهى صورة وأقوياء البنية، وكل واحد منهم يبلغ طوله مائة ذراع، أما أقصرهم فكان لا يقل عن ستين ذراعًا.

وكان مقرهم يمتد من حضرموت حتى اليمن وعمان، ولبث هود- عليه السلام- في قومه مدة مديدة وهو يدعوهم، ولم يتبعه إلا قليل منهم، وكان من

أشرافهم مرثل[1] بن سعيد بن عقير، فحبس عنهم الحق- تبارك وتعالى- المطر سبعة أعوام، فحل القحط بهم، وبعد سبعة أعوام قدموا إلى مكة من أجل المطر، وكان مرثل معهم وانفصل عنهم، ودعوا فبدت لهم سحب، ذات ألوان ثلاثة بيضاء وحمراء وسوداء، وهاتفهم هاتف أن تخيروا ألوننا من هذه السحب فاختاروا السحب السوداء، فسلط عليهم الحق- تبارك وتعالى- الرياح وشهب النار في هذه السحب حتى هلكوا جميعًا، وظلت هذه الرياح تزمجر سبعة أيام وسبع ليالٍ حتى حولت القوم إلى ذرات، فأهلكوا وبادوا، وبقى مرثل وقومه، وقدم هود- عليه السلام- بعد هلاك القوم إلى مكة، وكان عمر هود- عليه السلام- أربعمائة وأربعة وستين عامًا، ويقول البعض: إن قبره في حضرموت، والبعض الآخر يقول: في مكة.

لقمان عليه السلام

جاء في رواية: إن لقمان الحكيم جعله الله- سبحانه وتعالى- مستجاب الدعوة، وقد أعطاه الله عمر سبعة نسور، والنسر يعيش سبعمائة سنة، أي كان عمره أربعة آلاف وتسعمائة عام.

شداد المتمرد

وهو شداد بن عاد بن عوض بن إرم بن سام بن نوح النبي عليه السلام، وكان شداد وشديد شقيقان، وكان أبوهما عاد ملكًا، وحينما توفي صار ملكه ميراثًا للشقيقين، ومات شديد، فسلم الملك كله إلى شداد، وكبر واستولى على الدنيا

---

(1) جاء اسمه في الطبري مرثد بن سعد بن عفير وكان مؤمنا يكتم إيمانه. الطبري جـ١ ، ص ٢١٩، طبعة دار المعارف (المترجم).

بأسرها، وكان تحت يده ورهن أمره مائتان وسبعون ملكًا، يؤدون له المال والخراج.

وكان شداد هذا ملحدًا، فأرسل له الحق- تبارك وتعالى- رسولا، فلم يؤمن ووعده الرسول بالجنة، فقال له شداد عليه اللعنة: ما حاجتي إلى هذه الجنة غير أنك تجعلني أسجد؟، إنني سوف أصنع مثل هذه الجنة، فأمر جميع ملوك الدنيا أن يأتوا إليه بالذهب والفضة والجواهر الموجودة في العالم، وأرسل بذلك الرقاع والمكاتبات للناس جميعًا، وأمر الوزراء أن يصنعوا له جنة حتى حدود اليمن بقدر عدة فراسخ في عدة فراسخ، وتُكسى أعمدتها الحجرية بلبنات من الفضة، أما طلاء الحوائط فقد كان من المسك والزعفران، ونثر الياقوت واللؤلؤ بدلا من الرمال في النهيرات والغدران.

وظلوا يبنون فيها ثلاثمائة عام حتى تم بناؤها، وحينما ذهب إلى هذا المكان وبالقرب منه أرسل الحق- تبارك وتعالى- ملكًا نفخ في الصور لهم، وذهب هو ومن معه إلى الجحيم.

ولم يصل إنسان إلى هذا المكان، وأخفى الحق- تبارك وتعالى- هذا المكان عن أعين الخلق، وفي عهد معاوية كان جمَّال يبحث عن بعيره الذي فقده، فوصل إلى هذا المكان، وذكر علاماته لمعاوية، وذكر كعب الأحبار صدق هذا الأمر، والله أعلم.

فالج بن عامــر

اسـمه قاسـم، وأمـه عـروة بنـت صـفوفي بـن عـويلم، وكانـت ولادتـه بعـد الطوفـان بـأربعين سنة، وركـب مـع فـالج مـن أبنائـه الأصـلاب سـبعمائة، ومـن جلوس النمرود الكـافر الـذي صـار فـي البدايـة ملكًـا علـى بابـل حتـى وقـت ولادة فالج مائة عام، ومن آدم- عليه السلام- حتى النمرود ألفان وسبعمائة واثنـان من الأعوام.

وحينما تهدم الصرح مـات تحتـه فـالج، وبعـد ذلـك وقـع الاخـتلاف والتبـاين بين الألسنة، والله أعلم بالصواب.

أرغو بن فالج

جاء اسمه في إحدى الروايات: أرغون، وأمه هي أنَهْ بنت شق بن عويلم بن سام بن نـوح النبـي- عليـه السـلام- وحينمـا ولـد ساروغ كـان عمـره مـائتين وتسعة وثلاثين عامًا.

ساروغ بن أرغو

اسم ساروغ: السريع، وأمه: عروة بنت كونك بن عويلم، وقد أطلقوا عليـه اسـم السـريع لسـرعته فـي فعـل الخيـرات، فلـم يـره إنسـان قـط إلا وهـو مشـغول بالصـلاة أو بفعـل الخيـرات أو بالعبـادة أو بشـكر الله- سـبحانه وتعـالى- والثنـاء عليه، وكان في الثلاثين حينما ولد ناحور، وتوفي وعمره مائتان وثلاثون عامًا.

ناحور بن ساروغ

تفسير ناحور سروزي، وأمه: هي ملكة بنت أخيل بن عويلم، وحينما ولد تارح كان عمره أربعين عامًا، وقد عمر مائتين وثمانية وأربعين عامًا.

تارح بن ناحور

وأم تارح شكي بنت حوميان بن يقطان، وقد أسماه والده تارح، وحينما أعطاه النمرود خزائنه أسماه آزر، ويقولون: إن آزر هو اسم الصنم الذي كان في يده، ويقول البعض: إن الصنم كان من صنعه، وكلمة آزر بلغتهم صانع الأصنام. وكان عمره خمسًا وأربعين سنة حينما ولد إبراهيم عليه السلام، ويقول صاحب القصص نابي أبو الحسن بن الهيصم: إن آزر كان من الكوشانيين من سواد الكوفة، وفي مملكة بابل، وبعد الطوفان وضع التاج على رأسه، وكان طاغية جبارًا، وفي وقت سيدنا إبراهيم- عليه السلام- كان يوجد النمرود بن كنعان بن كوس بن إرم بن سام بن نوح، ويقول البعض: إنه كان من أولاد حام، وواضح أنه كان أول ملك للمشرق والمغرب، والبعض يقول: كان للنمرود مُلك بابل والعراق، وقد استولى على ملك العجم من أيدي گشتاسپ بن لهراسب، وكان النمرود يدَّعى الربوبية، وحينما حانت ساعة ولادة سيدنا إبراهيم- عليه السلام- أخبر المنجمون والكهان النمرود بأن مُلْكَكَ سوف يهلك على يد طفل يولد، فأمر النمرود أن يجتنب الرجال نساءهم، ولكن الحق- تبارك وتعالى- أخذ إبراهيم من صلب أبيه ووضعه في رحم أمه، وكان اسم والدة إبراهيم- عليه

السـلام- أهليـة، وقـد أخفـت حملهـا، وحينمـا ولدتـه وضـعته فـي مغـارة تحـت الأرض، وأخذت تربيه فيها حتى كبر. والله أعلم بالحق.
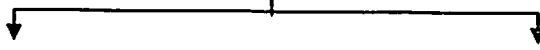
إسماعيل عليه السلام　　　　إسحق النبى عليه السلام

والواجبـات عشـر خصـال، خمـس فـي الـرأس: المضمضـة والاستنشـاق والسـواك، وقـص الشـارب، وفـرق الشـعر، وخمـس فـي الجسـد: تقليم الأظـافر، ونتف الإبط، وحلق العانة، والجياد، والاستنجاء بالماء.

وقد روي: أن النمـرود فـي مـدة أربعين سنة قتل سبعة آلاف طفل بسبب إبراهيم، وحينما بلغ إبراهيم الثالثة عشر من عمره رآه والده فجأة، فسأل والدتـه: من هذا؟ فقالت: إنـه ابنك إبراهيم، وقد اختفى خوفًا من النمرود، وكـان إبراهيم يتحدث مع أمه في الغار، وتحدث مع والده بشأن الأوثان، وتحدث مع قومـه بشـأن الكواكب، وتحدث مع النمـرود بشأن تحطيم الأوثـان، فأخذوا يخططـون لإحـراق إبراهيم فأمر النمرود أن يهيئوا موضعًا في سفح الجبل توقد فيه نار يشتعل لهيبهـا ثلاثين ذراعًا وأن يقذف الوقود فيها أربعين يومًا حتى تستعر ويصير لهـا ضـرام، وعلمهم إبلـيس المنجنيـق ليقذفوا إبـراهيم فـي النـار، ووضـعوه فيهـا سـبعة أيـام، وصعد النمرود فـي مكـان مرتفـع حتـى يـراه حينمـا يخـرج، وخـرج إبـراهيم سـالمًا فـأمر النمـرود أبـاه وأمـه أن ينـادوه، وحينمـا رأى النمـرود أن شـعرة منـه لـم تمـس بأذى أبعدوه ومنعوه عن إيذائـه. وقـال البعض: إن النمرود شيد صـرحًا فـي مـدة أربعين عامًـا، وبلـغ طولـه ثمانيـة آلاف قدم، وحينمـا صـعد الصـرح ليحـارب فـي

السماء ناداه جبرائيل فتهدم الصرح وهلك النمرود، وكانت مدة ملكه وعمره مائتين وسبعين عامًا، وفي رواية أخرى: إنه صعد إلى السماء على ظهر نسر؛ فسقط وهلك وبقى سيدنا إبراهيم- عليه السلام- سالمًا، وفي رواية أخرى: دخلت أنف النمرود بعوضة أو عانى سبعة أعوام الآلام والمتاعب، ثم هلك في النهاية.

وبعد خروج سيدنا إبراهيم من النار تزوج ابنة عمه سارة بنت هرمس بن ناحور، وآمن على يديه ابن أخيه لوط بن هارون بن آزر عليه السلام، ودعا إبراهيم والده للإيمان، فلم يستجب وكانت سنه في هذا الوقت ثمانين عامًا، وتذكر إحدى الروايات: أن إبراهيم وسارة ولوطًا ووالد لوط هاجروا، ووضعوا سارة في صندوق وخرجوا، فطلب منهم المحصلون الضريبة، وفتحوا باب الصندوق على أساس أنه مال؛ لأنه مغطى بالقماش، وحينما رأوا سارة أرادوا أن يخبروا النمرود فبلبل الحق- تبارك وتعالى- ألسنتهم، ولهذا السبب أسموها بلاد بابل، وانتقل إبراهيم من هناك إلى الشام إلى أرض فلسطين، وأرسل الحق- تبارك وتعالى- إليه عشرين صحيفة، وبشريعته نُسخت شريعة سيدنا نوح عليه السلام، وفرض عليه عشرة سُنَنْ معروفة في ديننا، فقد ختن نفسه ببلطة بعد سبعين عامًا، وفي رواية أخرى: بعد ثمانين عامًا، وفرض عليه إكرام الضيف، والصوم، والصلاة، والحج، وقد دفنوه - بحسب حكم الشرع- في مزرعة حبرون[1] التي كانت ملكا له، وحتى وقتنا هذا الحكم مستقر لأولاده.

([1]) حبرون: اسم القرية التى فيها قبر ابراهيم الخليل (عليه السلام) في بيت المقدس (المترجم).

(فليبق الحق- تبارك وتعالى- هذا الملك العالم العادل الحسن السيرة راعي العالم سنوات وسنوات كثيرة آمين يارب العالمين) [1].

إسحق النبي عليه السلام

والدة إسحق- عليه السلام- هي سارة بنت هياران بن آزر، وحينما صار إبراهيم في عامه المائة، وكانت سارة في التاسعة والتسعين بشر الحق- تبارك وتعالى- إبراهيم على لسان جبرائيل بإسحق وبعده بيعقوب، يقول تعالى: ﴿ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴾[2]، وكان إسحق نبيًا عظيمًا في حياة والده، كان يدعو الناس إلى دين إبراهيم، وزوجته هي رفقا بنت ناحور بن آزر بنت عم إسحاق، وأنجب من هذه السيدة ولدين في بطن واحدة أحدهما العيص والآخر يعقوب.

وكان نبي الله إسحق يحب العيص أكثر، وأمه تحب يعقوب أكثر، ولقد كُفَّ بصر سيدنا إسحق في آخر عمره. وذات يوم قال للعيص: اذهب وأحضر لي صيدًا، واصنع منه طعامًا لي، حتى أدعو لك، فذهب العيص يبحث عن الصيد فأبلغت الأم سيدنا يعقوب أن اذبح عنزة واسلخ جلدها واصنع من لحمها طعامًا قدمه للوالد ليدعو لك، ففعل يعقوب ما أمرته به والدته، فدعا له سيدنا إسحق أن يبارك له في نسله وأن يتخير الله الأنبياء من أولاده، وببركة هذا الدعاء أرسل الله- سبحانه وتعالى- من نسل يعقوب سبعين ألف نبي. وحينما عاد العيص من الصيد، أحضر الصيد أمام والده فقال إسحق: إن شقيقك يعقوب فاز

---

(1) هذا الدعاء خاص بالسلطان أبي المظفر محمود بن السلطان آلتتمش، وهو الذي عاش مؤلف الطبقات في كنفه وسوف يأتي ذكره بعد ذلك (المترجم).

(2) سورة هود: آية (٧١).

بالدعاء، ولكن سوف أدعو لك أن يبارك الله لك في نسلك، وأن يأتي من نسلك نبي صابر هو أيوب. واستجيب دعاء سيدنا إسحق فجاء أتراك الروم وملوك العجم من أبناء العيص، وكذلك أيوب عليه السلام، وحينما توفي سيدنا إسحق كان عمره مائة وثمانين عامًا، ودفنوه إلى جوار سيدنا إبراهيم- صلوات الله عليه- والسلام على من اتبع الهدى.

يعقوب إسرائيل الله

سيدنا يعقوب- عليه السلام- هو نبي الله، حينما بلغ مرحلة الشباب أوصاه سيدنا إسحق: إذا أردت زوجة فخذها من بنات أخوالك رايان بن ناهر، ورايان هذا كان يقطن أرض الشام، وحينما عزم يعقوب اختيار زوجة نزل مكانا يقال له بيت المقدس، فرأى في النوم أنه وضع سلمًا من النور يصل إلى السماء وتنزل عليه الملائكة. فأوحى الله- تبارك وتعالى- إليه أن هذه الأرض لك وميراث لأبنائك. وسوف أرسل منهم الأنبياء وأئمة الشريعة، وسوف أحفظهم وأحفظك حتى تعود إلى هذا الموضع. وحينما ذهب يعقوب إلى الشام كان لخاله ابنتان الكبيرة كانت تسمى أوليا، والصغيرة كانت تسمى راحيل، وفي تلك الشريعة كانوا يجمعون بين الأختين فتزوجهما، وكان هناك جاريتان وكانتا أختين كان اسم إحداهما بيلقا، والثانية فتلقا، وقد أخذ الجاريتين أيضًا لخدمته، وولد له من بنات خاله ستة أبناء وستة من الجاريتين. من أوليا ولد له أربعة أبناء، ومن راحيل ولدان، أما الجاريتان فكل جارية ثلاثة أبناء.

اختص الله- سبحانه وتعالى- من بينهم يوسف بمزيد من الجمال، وحينما ابتعد عن أحضان أبيه وظل عدة أعوام مفارقًا بكى يعقوب كثيرًا حتى أبيضت عيناه، وحينما رموا بقميص يوسف على وجهه ارتد إليه بصره، وأتى مع جميع أبنائه إلى مصر، ورأى يوسف نبيا في عز الأبهة والملك، وتوفي يعقوب في مصر وعمره مائة وخمسة وأربعون عامًا، وقد أتوا به إلى الشام ودفنوه إلى جوار أبيه وجديه إسحق وإبراهيم عليهم السلام جميعًا، وتوفي العيص شقيق سيدنا يعقوب في اليوم نفسه، ودفن الاثنين إلى جوار بعضهما البعض عليهم صلوات الله وسلامه، والله أعلم بالحق.

سيدنا يوسف عليه السلام

كان سيدنا يوسف- عليه السلام- نبيًا صاحب جمال وبهاء، وكان سيدنا يعقوب يحبه أكثر من أولاده، كانت سنه سبعة أعوام حينما رأى في المنام أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر له ساجدين، وقص رؤيته على أبيه فحذره أن يطلع أخوته على رؤياه، ويقول البعض: إن والدة إخوته أخبرتهم، فاتفقوا فيما بينهم أن يأخذوه ويطرحوه أرضًا، ليبتعد عن أحضان يعقوب- عليه السلام- وقال روبيل شقيق سيدنا يوسف: إن قتل يوسف ليس من المصلحة.

ويقول ابن جريج[1]: قال شمعون: يجب أن نقذف به في بئر، فاستأذنوا من أبيهم وأخذوه للتفرج والنزهة، ورموه في البئر، ووصلت قافلة مالك بن

---

(1) ابن جريج: من كبار مشاهير رجال الحديث ولد في مكة سنة ٨٠هـ وتوفي عام ١٥٠هـ (المترجم).

زعز[1]، إلى هذا المكان وأخرجوه من البئر، فجاء الإخوة وقالوا: إن هذا الغلام هو عبد آبق منا، فباعوه بعشرين درهما من الفضة، وأخذه مالك إلى مصر، وكان قطمير وزير عزيز مصر، وكانت زليخا زوجته، فاشترته وشغف قلبها حبا بجماله، ولدفع التهمة عن نفسها ألقت يوسف في السجن، وظل سبعة أعوام فيه، حتى رأى عزيز مصر في الرؤيا سبع سنبلات خضر، وسبع سنبلات عجاف، وفسرها له يوسف، فأعطاه وزارة مصر، ثم صار عزيز مصر، وجاء إخوته إليه، وقدم نبي الله يعقوب مع أهله وأتباعه وأقاربه وكانوا ثمانين شخصًا، وأحد عشر أخا وأمه وأباه لخدمته ورهن إشارته، وكانت مدة غيبته عن أبيه أربعين عامًا، وحينما قدم يعقوب إلى مصر عاش ثمانية عشر عامًا، وكان يعقوب في مصر وشقيقه العيص في الشام، ومات يعقوب وشقيقه العيص في يوم واحد، وعاش يوسف بعد أبيه ثلاثة وعشرين عامًا، وحسب رواية التوراة: إن عمر يوسف امتد حتى عهد موسى والخضر، وبين مجيء يعقوب إلى مصر إلى أن أخرج سيدنا موسى بني إسرائيل منها أربعمائة عامًا، وحينما توفي يوسف وضعوه في تابوت من الرخام ودفنوه في النيل، وأخرجه موسى- عليه السلام- من النيل، وأتى به إلى بيت المقدس، وكان عمر سيدنا يوسف- بأصح الروايات- مائة وعشرين عامًا، والله أعلم بالصواب.

([1]) كتبت في كثير من المصادر العربية مالك بن دعز (المترجم).

لوط النبي عليه السلام

لوط بن هارون بن آذر هو ابن شقيق سيدنا إبراهيم عليه السلام، وحينما سكن سيدنا إبراهيم أرض فلسطين، أرسل الحق- تبارك وتعالى- لوطًا إلى أربعة مدن: الروم، وداد، ورما، وصدايم من أرض فلسطين، وكان القحط في هذه الأرض، ولكن في هذا العام حل الخصب والنماء واتجه الفقراء إلى هذه المدن. وبدأت جماعة منهم تفعل فعلا شنيعًا، ويذكر الحسن أنهم كانوا يجامعون بعضهم بعضا في المجالس، ويباشرون الرّجال، فنهاهم لوط، ولكنهم لم يتوقفوا عن هذا الفعل، فأمر الحق- تبارك وتعالى- جبرائيل أن يقتلع هذه المدن بجناحه ويرفعها بين السماء والأرض ويشعل فيهم النار ثم يردهم إلى الأرض منحوسين ويهلكهم، ثم ذهب لوط مع أبنائه دون امرأته إلى عمه إبراهيم، والله أعلم بالصواب وإليه المعاد والمآب.

أيوب الصابر من أبناء العيص

يروى الضحاك: أن أيوب بن موص بن العيص بن إسحق عليه السلام، قالوا: إنه كان صهر نبي الله يعقوب، وليا ابنة يعقوب كانت زوجته ، وأم أيوب كانت ابنة لوط- عليه السلام، وكان له حصن مدينة حوران[1] ومدينة سه. كان له مال كثير، وكان لديه ثلاثة عشر من الأبناء، وألف غلام. وفجأة ابتلاه الله ببلاء الجذام، وهلك ماله وثراؤه ومواشيه، وأبناؤه، ولكن زوجته التي كانت ابنة يعقوب (عليه السلام) كانت تخدمه، وظل في هذا البلاء سبعة أعوام وسبعة أشهر وسبعة

([1]) قرية حوران نواحي دمشق. (المترجم).

أيام وسبع ساعات. وفجر الحق- تبارك وتعالى- عينا تحت أقدامه ليغتسل[1] بها، وتعافي ووهبه الله تعالى ستة وعشرين ابنا وتضاعف ماله وثراؤه ضعفين عما كان، وجعل له معجزة فقد جعل الجراد يمطر الذهب على رأسه من صلاة الظهر حتى صلاة المغرب .

ثم أرسله الحق- تبارك وتعالى- إلى أهل الروم، وظلوا على دين سيدنا إبراهيم حتى جاء عيسى (عليه السلام) والله تعالى أعلم بالصواب.

شعيب النبي عليه السلام

اسم سيدنا شعيب بزن[2] وهناك خلاف في نسبه، وكان كفيف البصر كما يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾[3]، ويذكر أنه كان خطيب الأنبياء، وأرسله الحق- تبارك وتعالى- إلى أهل مدين، وهم أصحاب الأيكة[4]، وكانوا ينقصون في الكيل والميزان، ويقول الحق تبارك وتعالى في هذا الشأن: ﴿وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾[5].

ويروي محمد بن إسحق : شعيب بن مراوليت بن دعويل بن هران بن عنقا بن راس بن إسحق بن إبراهيم (عليه السلام) يقول وهب: إن ابنة سيدنا لوط كانت زوجة سيدنا شعيب، وقد صار سيدنا شعيب بعد هلاك قومه، أعرج

([1]) ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ سورة ص (٤٢).

([2]) جاء اسمه في الطبري جـ ١، ص ٣٢٥ يزون (طبعة دار المعارف) (المترجم).

([3]) سورة هود: آية (٩١).

([4]) الأيكة: الشجر الملتف (المترجم).

([5]) سورة هود: آية (٨٤).

وأعمى، وأرسله الله- سبحانه وتعالى- لأهل مدين، وسلط الله عليهم حرًا شديدًا فاحتموا في الغابات فأرسل الله إليهم غمامة أظلتهم فألهبت عليهم نارًا فهلكوا في ظلالها، وبعد ذلك بفترة توفي شعيب (عليه السلام)، والله أعلم بالحقيقة[١].

موسى كليم الله وهارون الوزير

موسى بن عمران بن يصير بن واهب بن لاوي بن يعقوب، وأخوه هارون بن عمران (عليه السلام) وأمهما أناحية من أبناء لاوي بن يعقوب، وبرواية التوراة هي يوخابد، واسم أخت موسى مريم، ومريم هذه هى زوجة كالوين بن يوقيا بن يهودا بن يعقوب، وزوجة موسى (عليه السلام) هى صفورا بنت شعيب عليه السلام، وفرعون موسى من عماليق الشام واسمه الوليد بن مصعب وكنيته أبو مرة[٢]، وقد ملك فرعون أربعمائة عام، وكان للضحاك ملك بابل، وكان فرعون في شبابه صحيحا سالمًا، لم يكن يعانى تعبا أو ألمًا، وتصادق بنو إسرائيل مع فرعون بعد يوسف (عليه السلام)، ولكن القليل منهم ظل على دين إبراهيم، وملَّك الحق تبارك وتعالى عليهم فرعون، ورأى في المنام أن ملكه سوف ينهار على يد واحد من بنى إسرائيل، ففرق بين الرجال والنساء، وقتل الأبناء، وأخفى الحق- تبارك وتعالى- حمل أم موسى بأستار

---

(١) يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ سورة الشعراء ١٨٩ (المترجم).

(٢) هو الوليد بن مصعب بن معاوية بن أبى نمير بن أبي الهلواس بن ليث بن هران بن عمرو بن عملاق، وهو الرابع من فراعنة مصر (المسعودى: مروج الذهب، جـ ١، طبعة القاهرة ١٩٦٦م)، ولكن أحدا من المتخصصين في هذه الحقبة لم يقر مضمون هذا الكلام؛ إذ يذكرون أن منبتاح هو فرعون الخروج؛ أي فرعون الذي غرق في البحر. (المترجم).

عصمته، فوضعته بعد ولادته في تابوت، وقذفته في النيل ، فأمرت آسيا أن يخرجوه حتى يتربى في أحضان فرعون، وحينما كبر قتل قبطيا، فأمر فرعون أن يتعقبوه فأخبر حزقيل بن حايل الذى كان في القصر وكان يكتم إيمانه موسى بن عمران فخرج موسي من مصر إلى مدين، وظل عشرة أعوام راعى غنم عند نبى الله شعيب، وتزوج ابنته، وأتاه الوحى، وأرسله الله سبحانه وتعالى إلى فرعون، وأعطاه معجزتين اليد البيضاء، والعصا، وكذبه فرعون، وآمن به سحرة فرعون، وأخرجه الله- سبحانه وتعالى- مع بنى إسرائيل من مصر، وتعقبه فرعون حتى شاطئ بحر القلزم، وأعطى الله- تبارك وتعالى- سيدنا موسى طريقا في البحر (وسار فرعون خلفه في البحر)[1]، فغرق وكان قارون ابن عم موسى- عليه السلام- وكان لديه مال كثير ينوء بحمل مفاتيح كنوزه أربعون رجلاً، واختلف مع سيدنا موسى، وبدعاء سيدنا موسى ابتلعته الأرض، وأمر الله موسى بالتوجه إلى الشام، وبدعاء بلعم باعور ظل في التيه وظهرت معجزات كثيرة في التيه، حيث ظل بنو إسرائيل بها أربعين عامًا، مثل العصا والتوراة والمن والسلوى، وتفجر الاثنتي عشرة عينا من الحجر، والبقرة، وقتل عاج بن عوج بن عنق، وعبادة العجل، كل هذه الأشياء كانت في التيه، وكان هارون قد توفي قبل موسى بثلاثة أعوام، وكان عمره مائة وثمانية عشر عامًا، وكان أكبر من سيدنا موسى بعام واحد، وتوفي موسى إلى رحمة ربه وعمره مائة وعشرون عامًا.

([1]) أضفنا الجملة التى بين القوسين حتى يستقيم النص (المترجم).

وخلفه يوشع بن نون على بني إسرانيل، وفي إحدى الروايات: إن موسى ويوشع وكالو وتوساقان بن حزقيل كلهم كانوا في ملك الضحاك، وفي رواية أخرى: بعد الضحاك بخمسمائة عام، في ملك منوچهر، وفي رواية أخرى: في عهد بهمن، وكانت معجزات سيدنا موسى هي انتفاء السحر والكهانة، ووقوع الحق أمام فرعون، وبطلان ما كانوا يأفكون، الثانية عصاه صارت ثعبانًا، الثالثة بطلان السحر، الرابعة حينما يخرج يده كانت تضيء كأنها الشمس، الخامسة الجراد والقمل والضفدع وتحول مياه القبط إلى دم، والطوفان، وشق البحر، الحادية عشرة عيون الماء تنشق من الحجر بضرب العصا، الثانية عشرة تظله الغمامة في التيه، الثالثة عشرة نزول المن والسلوى على بني إسرائيل، ويوجد معجزات أخرى غير هذه المعجزات، ومات وعمره مائة وعشرون عامًا.

يوشـــــــــع

يوشع بن نون بن أفراهيم[1] بن يوسف، هو خليفة موسى على بني إسرانيل، وبرواية الحسن: أنه صار نبيا أثناء حياة موسى (عليه السلام)، وحينما رأى موسى فيه حمية وحماسًا طلب الموت، وفي رواية بعض أبناء أخت سيدنا موسى أن يوشع هو ذو الكفل، وكان مصاحبا لموسى في طلب الخضر، وحينما توفي موسى وهارون إلى رحمة ربهما في التيه، سار هو مع بني إسرائيل، وأخرج مدينة بلغا من أيدي جبابرة العماليق وقتلهم جميعًا، وقتل

(١) هو يوشع بن نون بن أفرانيم بن يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم (المسعودي: مروج الذهب ص ٣٧ الجزء الأول طبعة دار المعارف) (المترجم).

واحدا وثلاثين ملكا كانوا في بلاد الشام، وظل نبيا أربعين عاما، وحينما توفي، ذهب ملكه إلى كانو بن نوقيا ابن أخت موسى وصار خليفة على بني إسرائيل.

وحينما بلغ كانو الأربعين جعل ابنه يوسافاس خليفة، ويوسافاس كان في الجمال مثل يوسف، وظل أربعين عامًا بعد أبيه.

حزقيـــــــــــل

حزقيل بن حايل بن نوايم بن عربا بن مواصا بن وراس بن أحراما بن يوساقط بن ساسان بن راحيم بن سليمان بن داود (عليه السلام)، وقيل حزقيل بن نورا[١]، وكانت والدته تدعى نحتة، وكان نبيًا لقومه وكانوا أكثر من ثلاثين ألف رجل، وقد التحقوا بالعدو فأمر الحق- سبحانه وتعالى- أن تقبض أرواحهم جميعًا، ولكن النبي حزقيل دعا أن ترد لهم الحياة ثانية.

أشمـــــــــــويل

ابن هلقاشا وكان نبيا لبني إسرائيل. وقد قال له قومه: يجب أن يكون لنا ملك نستطيع بقوته أن نجاهد العمالقة فملك الحق- تبارك وتعالى- عليهم طالوت[٢]. فأحضروا التابوت الذي كان به عصا موسى وهارون ورضاضة

---

(١) حزقيل بن أجام (المسعودى، جـ ١ ، ص ٤٣ طبعة دار المعارف) (المترجم).

(٢) اسم طالوت بالسريانية شاول بن قيس بن أبيال بن ضرار بن بحرت بن أفيح بن أيش بن بنيامين بن يعقوب بن إبراهيم (المترجم).

لألواح موسى وطاووس ذهبي وسكينة[1] وصورة على هيئة فيلسوف من بني إسرائيل، وكان المشركون قد أخذوا هذه الأشياء ثم أعادوها، وفي المعركة قتل طالوت جالوت وطالوت هذا من سبط سام. والله أعلم.

الخضـــــــــر

خضر بن إيليا بن ملكا بن قالع بن عابر بن أرفخشد بن سام بن نوح (عليه السلام)، وكان والده ملكًا ويقول البعض: خضر بن عاميل من أبناء إبراهيم (عليه السلام) ، وبرواية أبي حذيفة: إنَّ أرميا كان اسمًا للخضر، وقد بعثه الحق- تبارك وتعالى- بالنبوة، في آخر عهد الملك باستانية، وقبل أن يخرب بخت نصر بيت المقدس. وفي أكثر الروايات أنه كان ابن خالة ذي القرنين وكان وزيره، ويقول ابن عباس: إن اسمه اليسر، ولهذا أسموه الخضر، وبموافقة الإسكندر ذهب في الظلمات وشرب ماء الحياة، وبعد ذلك كان كل مكان تطؤه قدمه يخضر، وهو الموكل بالريح وسوف يظل حيا حتى ينفخ في الصور. والله أعلم.

إليـــــــــاس

إلياس بن عاروق من ولد هارون، وقيل: إلياس بن سيسي بن محاس بن الغيوار بن هارون، ويسمونه أيضًا الياسين، وبعد حزقيل أرسله الحق تعالى لملك

---

(1) يقول الطبرى: السكينة طست من ذهب يغسل فيه قلوب الأنبياء أعطاها الله موسى وفيها وضع الألواح، وكانت الألواح فيما بلغنا من در وياقوت وزبرجد، وأما البقية فإنها عصا موسى ورضاضة الألواح. (الطبري جـ1 ص ٤٦٨ طبعة القاهرة تحقيق محي الدين عبد الحميد) قال تعالى: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَـٰرُونَ﴾ سورة البقرة آية (٢٤٨) (المترجم).

بعلبك، وكان اسم هذا الملك سون، وفي رواية أخرى: أنه هو أورماين وذو الكفل، وكان لهذا الملك زوجة تدعى أرنيل، وكانوا كفارًا وعبدة للأصنام، فكذبوا إلياس فأمسك الحق- تبارك وتعالى- الأمطار عنهم، فطلبوا إلياس فأرسل إليهم اليسع بن أخطوب تلميذ إلياس فأمنوا فأمطرت الأمطار، ثم كفروا بعد ذلك، فابتلاهم الله- سبحانه وتعالى- بالقحط؛ فهلكوا جميعًا بدعاء إلياس ومنح الحق- تبارك وتعالى- إلياس الحياة مع الخضر، وهما يشربان ماء الحياة حتى ينفخ في الصور. والله أعلم بما في الصدور والسلام.

داود النبي عليه السلام

داود (عليه السلام) هو ابن أنسا بن عويد بن بعر بن سليمان بن فحنوق بن عمي ماذان بن إرم بن خضر بن برص بن يهودا، وكان لوالد داود أربعة أبناء، وفي رواية أخرى: سبعة، وفي رواية: ثلاثة عشر ولدا.

وجاء في قصص نابى: أن داود عليه السلام كان أصغرهم، وكان قصير الأرجل، أخضر العينين نصف رأسه المبارك أصلع، أمره والده أن يرعى الأغنام، حتى أوحى الله- سبحانه وتعالى- إلى أشمويل أن هلاك جالوت سيكون على يد ابن أنسا فاذهب حتى يعرض عليك الأبناء، وله عدة علامات حينما يدخل، وظهرت على داود هذه العلامات، فسأل أشمويل داود: وأنت ألم تر أي علامة؟ قال: كثيرا، إحداها في هذه المدة القريبة ذهبت إلى الصحراء فأتت إليَّ الأحجار وحدثتني أن خذنا وسوف تستخدمنا في قتل جالوت، ولكن حينما أمسكتها قال أحدها: أنا الحجر الهاروني، وقتل بي الملك الكافر فلان، وقال الآخر: أنا الحجر الموسوي وإن فلان الملك الكافر قُتِلَ بي وقال الثالث: إنني أنا حجرك وسوف يُقتل جالوت بي،

ونحن الثلاثة واحد (وهذا الحجر عندي)[1]. فأخبره أشمويل أن استعد لقتل جالوت، وستكون أنت ملك بني إسرائيل ورجع.

ووقعت الحرب بين طالوت الملك المؤمن وجالوت، ونادوا في عسكر طالوت أن من يقتل جالوت ستكون ابنة طالوت زوجة له مع نصف الملك فقدم داود إلى الميدان وطلب جالوت، وكان جالوت يلبس خوذة على رأسه وزنها مائة وعشرون رطلا من الحديد، يعني ثمانية أمنان[2]، فأخرج داود الحجر من طيات ملابسه وقذفه به فسقط وكبروا، وكبرت معه المخلوقات جميعها، ثم طلب الرياح فسرقت خوذة جالوت، وتفتت هذا الحجر إلى ثلاث قطع: جزء ذهب في الميمنة، والثاني في الميسرة، والثالث في المقدمة أمام جالوت، ومر خلف قفاه، وأسقطه من فوق جواده، وأتى داود برأسه إلى طالوت، وانتصر أهل الإيمان، وبعث الحق- تعالى- بالوحي إليه، وكرمه بكتاب الزبور، ومنحه جمال الصوت، وألان له الحديد، وكان يكسب من عمل يديه، واتسع ملكه لدرجة أن ثلاثة وثلاثين ألف رجل كانوا يحرسونه كل ليلة، وظل في الملك ثلاثين عامًا بعد قبول توبته، ثم لحق برحمة الباري سبحانه وتعالى، وصلى عليه أربعون ألف راهب ووراءهم الخلق، وكان عمر نبي الله داود مائة وسبعين عامًا في الأصل، ثم أضيف إليه ثلاثون عامًا أخرى وهبها سيدنا آدم له من عمره يوم الميثاق، وهذا برواية تكملة اللطائف. والله أعلم بالصواب.

([1]) ذكر الأستاذ حبيبي أن هذه الجملة جاءت في الأصل كما يلي: (آن سنگ بزمين است) وترجمتها وهذا الحجر في الأرض، ولكنه ذكر أن الجملة ربما تكون: (آن سنگ نزدمنست وترجمتها وهذا الحجر عندي) وقد رأينا أن هذا هو المتوافق مع سياق الحديث (المترجم).

([2]) أمنان جمع منْ وهو وحدة وزن، والمن يعادل ثلاثة كيلو جرامات. (المترجم).

سليمان النبي عليه السلام ملك الجن والإنس

سليمان بن داود عليه السلام

جعله داود خليفة له، وكان في الثانية عشرة من عمره، وأمه أوريا، وحينما رزق داود بابن من ابنة طالوت أسماه العاصي، ولكنه عندما تاب رجع عن هذا القرار، وكان نبي الله داود يشاور سليمان- عليه السلام- في الأمور الخاصة بالدين والملك، وسبب هذه الحادثة دخول خراف لشخص في زراعة شخص آخر، وألهم الله الحق لسليمان فعمل به[1]. وحينما توفي داود جلس سليمان على عرش الخلافة، وأتم بناء بيت المقدس الذي وضع لبناته داود- عليه السلام، وسخَّر الله لسليمان الطير والرياح والجن والإنس، وأكرمه بفهم لغة الطير، وأمر فنسجوا له بساطا على قدر جيشه طوله فرسخ وعرضه فرسخ، وكانوا يضعون عرشه وسط البساط، ويضعون أربعمائة كرسي على يمين العرش، وأربعمائة على شماله وعلى كراسي اليمين يجلس علماء بني إسرائيل وأشرافهم، وعلى يساره يجلس أكابر الجن والإنس وأشرافهم، أما الآخرون من الشياطين والجن فيتحلقون حولهم، وخلفهم يجلس في حلقة الوحوش والبهائم وفوق هذا العرش تتشابك أجنحة الطيور، ويصير الفرش كأنه تحت مظلة الطيور، وفي الصباح الباكر كانوا يذهبون من بيت المقدس إلى إصطخر في فارس، ويقيم القيلولة هناك، ومسيرة هذا شهر في الطريق، وبعد صلاة العصر

---

(1) وكان من شأنه وشأن أبيه داود الحكم في الغنم التي نفشت في حرث القوم، الذين قص الله في كتابه خبرهم وخبرهما فقال ﴿ وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ الطبري الجزء الأول ص ٤٨٦ طبعة دار المعارف مصر (المترجم).

يصل من هناك إلى حدود كابل[١]، وفي الليل يصل إلى الملتان من فوق جبل سليمان[٢]، حيث يقضي الليل ومسيرة هذا الطريق شهر، ثم يعود إلى القاعدة في إصطخر، ومن هناك يذهب إلى الشام غدوها شهر ورواحها شهر[٣]، وحينما عبر على وادي النمل سمع سيدنا سليمان حديث النمل.

وبرواية الجميع: كان له ملك الدنيا بأسرها، وعلى أصح الروايات: إنه في هذا العهد كان لمنوچهر مُلك بابل، وعادت إصطخر وفارس لحكم سيدنا سليمان، أما مُلك الهند وبلاد كابل فقد كان مفوضا فيه، وهذا السفر كان للنزهة. وكان لبلقيس ملك اليمن، وقد آمنت وقدمت لتتزوجه، وكان سيدنا سليمان متزوجًا من ثلاثمائة امرأة، وله سبعمائة من الجواري والسراري، وحينما أوشكت رحلته على النهاية، قدم إلى بيت المقدس، وتوضأ ووقف للصلاة، ففاضت روحه إلى رب العالمين، وظل واقفا حولا كاملا[٤] حتى علم الإنس والجن أنه توفي، وكان له ابن يدعى رجعيم، وقد جلس على العرش. والله أعلم بخواتيم الأحوال والأعمال والحمد لله على كل حال.

---

(١) كابل هي عاصمة أفغانستان، ويذكر أنها بنيت عام ٧٧٠ ق.م، وقد أصبحت مقرًا رسميًا للملك عام ١٧٧٦م في عهد تيمور شاه بن أحمد شاه بابا. (المترجم).

(٢) جبل سليمان: يطلق هذا الاسم على سلسلة جبال شاهقة الارتفاع تمتد من هضبة پامير في أفغانستان وتتجه جنوبًا، وهي الحد الطبيعي الفاصل بين أفغانستان والپاكستان، وكانت هذه الجبال مرتعًا للمعارك بين الإنجليز والأفغان (المترجم).

(٣) يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ سورة ص آية (٣٦) (المترجم) ويقول تبارك وتعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ﴾ سورة سبأ آية ١٢ (المترجم).

(٤) لم يذكر القرآن الكريم المدة التي وقف فيها سليمان حتى عرفت الجن والإنس أنه توفي ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾ سورة سبأ آية ١٤ (المترجم).

يونس النبي عليه السلام

يونس بن مالك بن متى من أولاد أبشا، وبرواية التوراة: أنه من أولاد يهودا، وقد أرسله الحق تعالى بعد سليمان- عليه السلام- لأهل بديوسي، وكانت تسمى الموصل في هذا الوقت، فكذبوه، فتوعدهم بالعذاب، وخرج من بينهم، وحينما حل عليهم العذاب تضرعوا للحق- سبحانه وتعالى- وتابوا، فقبل توبتهم، وأمر يونس أن يلحق بقومه، وأعلمه بتوبتهم، فصمم على تركهم، وخرج مغاضبًا ليلحق بقوم آخرين، وحينمًا جلس معهم في السفينة، توقفت السفينة عن السيرًا، فاتفقوا جميعا أن بين أهل السفينة رجلا أسيرا لعقاب الله، فأجروا القرعة فأتت باسم يونس فقذفوه في البحر، فأُمِرَ الحوت أن يلتقطه، وظل أربعين يومًا في بطن الحوت، يصلي ويسبح حتى أنجاه الله وضعف جسده المبارك ضعفًا شديدًا، فخلق الحق- تبارك وتعالى- شجرة يقطين لتعيد السلامة والصحة إليه، وأعيدت إليه القوة في ظلها، ورجع إلى قومه، وعلمهم الشرائع وخلفه أشعيا على هؤلاء القوم، وصار ملكًا عليهم، واعتزل يونس القوم واتجه للعبادة حتى آخر عمره، والله أعلم.

أشعيا عليه السلام

أشعيا بن موص، ظل قوم يونس مدة عشرين عامًا على دين الحق- سبحانه وتعالى- حتى انتقل ملكهم الذي كان صديق أشعيا إلى رحمة الله سبحانه وتعالى، فثار القوم على أشعيا وقتلوه، فملك الله- سبحانه وتعالى- عليهم عدوًا قويًا فقتلهم جميعًا. والله أعلم بما لا نعلم وما نعلم.

أرميا عليه السلام

وهو باشيه الملك، ويروي وهب: أن الحق تعالى يروي حكايته: إنه مثل الذي مر على قرية في بيت المقدس خربها بخت نصر، وفي بعض الروايات إن هذه هي قصة عزير[1]. والله أعلم وهو سريع الحساب يوم العقاب والنوائب.

دانيال عليه السلام

دانيال شخصان: أصغر وأكبر، ولقد رأى الأكبر رؤيا في المنام: أن خراب بيت المقدس سيكون على يد شخص والدته سيدة فقيرة من أرض بابل في العراق، وبناءً على ذلك قدم إلى بابل ليتحقق مطلبه، فعرفه بين الأطفال وأعطاه الثياب ولاطفه، وقال له: ستكون ملكا، وأخذ منه خطابا بالأمان له ولأقربائه، ثم رجع وتوفي إلى رحمة الله، وحينما قتل بنو إسرائيل زكريا، كان سنحاريب ملكا على بابل فربى بخت نصر حتى كبر، وأرسله إلى الشام.

وفي رواية أهل العجم: الذي أرسله هو بهمن بن أسفنديار، فقتل سبعين ألف شخص انتقاما لهذا الدم الذي يغلي حتى هدأ الدم، ورجع وأخذ بني إسرائيل أسرى، وكان بين الأسرى أرميا وعزير ودانيال الأصغر من أبناء دانيال الأكبر، ورأى بخت نصر رؤيا مفزعة؛ فطلب دانيال الأصغر، وفي هذا الوقت كان بخت نصر ملكا على بابل ففسرها له، وأظهر له الخطاب الذي أخذه منه دانيال الأكبر، وخلصوا بني إسرائيل بشفاعته ثم ذهب إلى الشام، والله أعلم.

---

(1) في النص كتب عزيز وكتبناها عزير؛ لأن الخطأ فيما يبدو خطأ الناسخ (المترجم).

عزيـــر عليه السلام

حينما نجا عزير بن سارما من بخت نصر، قدم إلى بيت المقدس، وكان معه حماره وسلة بها تين وقدر فيه لبن، ورأى عزير الدمار والخراب، فجال في خاطره: كيف يكون إحياء هذه؟ فأماته الله مائة عام في ظل الشجرة التي كان ينام تحتها، وحينما استيقظ ظن أنه نام يومًا أو بعض يوم فتحيَّر، ولاحظ أن الحمار واللبن والتين إلى جواره، ولكن الحمار كان متناثرًا قطعًا قطعًا فأحياه الله أمامه، وعاد كما كان وقد أملى عليه الحق- تبارك وتعالى- التوراة فكتبها دون نقصان.

زكـــــريا عليه الســـلام

زكريا- عليه السلام- ابن أذن من أبناء نبي الله داود، كان نجارًا، وامرأته أشباع بنت عمران بن ماءان بن أسيم بن يغافيم، وهي أخت مريم بنت عمران، ويحيى- عليه السلام- وعيسى كلاهما أولاد خالة، وزكريا هو نبي بني إسرائيل. كان صاحب أمر في زمانه، وكان حافظًا للتوراة، وكان كافلا لمريم.

وحينما حملت مريم في عيسى- عليه السلام- اتهم اليهود سيدنا زكريا بارتكاب الفاحشة، وأرادوا قتله ففر منهم، وهيأ له الله مكانًا في جوف شجرة، فدل الشيطان اليهود على تلك الشجرة فنشروها وهو فيها، فقطعوه وقطعوها إلى نصفين، وطلب زكريا من الحق- سبحانه وتعالى- أن يهبه غلامًا فاستجاب الله له .

يحيى عليه السلام

يحيى- عليه السلام- بن زكريا حينما تشرفت مريم بكرامة أن يكون لها ابن دون أب طلب زكريا من الحق- سبحانه وتعالى- أن يهبه غلامًا فاستجاب الله لدعائه، وكانت علامة استجابة الدعاء أن جاءه الخطاب:

آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليالٍ سويًّا إلا بإشارة الحق سبحانه وتعالى، وأكرمه الله بيحيى سيدًا وحصورًا، ومع قوته وفحولته فإنه لم يرغب في النساء، ولم ينظر إليهن ولم يرتكب إثمًا، ولم يفكر في ذلك، وفي هذا العهد كان يوجد ملك، وكانت ابنة زوجته جميلة[1] وأصبحت زوجة هذا الملك عجوزا شمطاء، فأرادت أن تحل ابنتها محلها، وتزوجها للملك، فمنع سيدنا يحيى هذا الأمر، ولكن الزوجة زينت البنت، وأسكرت الملك، وأرسلت البنت إليه، وقالت لها ما لم يأت المَلكُ برأس يحيى أمامك فلا تجعليه يَمسَّك، فقطعوا رأس يحيى ففار الدم، وظل يغلي إلى أن قتل بخت نصر سبعين ألف شخص من اليهود حتى هدأت الدماء، وقال بعضهم: قتله أرطاجوس المجوسي، وفي رواية: قتله رزين الإشكاني وهو أحد ملوك الطوائف. والله أعلم بما في الغيب مستور[2].

---

(1) النص الفارسي (در أن عهد ملكي دختري داشت باجمال) وترجمتها: في هذا العهد كان لملك ابنة جميلة وهذا لا يستقيم مع الحديث الذى أتى بعد ذلك ولهذا ترجمناها كانت ابنة زوجته جميلة (المترجم).

(2) هذه العبارة وردت كما يلي (والله أعلم بما في الغيبة مستور) وذكر الأستاذ حبيبى أن هذه الكلمة أى الغيبة لم يستطع قراءتها لتلفها بسبب الرطوبة ثم ذكر لها عدة معان، وقال من الجائز أن تكون غيبة ومن الجائز أن تكون عيبة وهى صندوق أو حافظة من الجلد لحفظ الملابس والأسلحة، في حين أن الكلمة واضحة تبعًا للكلمة التى بعدها وقد كتبناها الغيب وبها يستقيم الكلام (المترجم).

عيسى عليه السلام ابن مريم

عيسى- عليه السلام- ابن مريم بنت عمران بن ماثان بن أشم بن مأمون بن يعاقيم بن وليد بن داود عليه السلام.

واسم والدة مريم حنة بنت قاقور، وحينما كانت والدة مريم حاملا نذرت أن من تنجبه سوف توقفه لخدمة الله تعالى، وحينما أنجبت بنتًا ألحقتها بخدمة زكريا[1]. وحينما بلغت مريم، وفي وقت تطهرها نصبت سترًا، وانتحت جانبا شرقيًا واغتسلت، وبأمر من رب العزة- سبحانه وتعالى- نفخ جبرائيل- عليه السلام- في جيبها، وبقول الحسن البصري: إنها حملت سبع ساعات، وفي قول: إنها حملت نصف يوم، وإنها وضعت على الأرض في طريق الدهن، وهذا الوضع كان في بيت اللحم، وفي ظلال نخيل البلح الجاف، وكان هذا في وقت الملك هرداس، وكان يوسف النجار ابن خال مريم- وبأمر زكريا- يخدم المحراب، وخوفا من هرداس هربوه وأتوا به إلى بيت اللحم.

حينما ولد سيدنا عيسى صار البلح الذي كان جافا نضيرًا، وأورقت الأشجار وحملت ثمار الفاكهة، وحينما جاء القوم يتعقبون مريم وابنها، كانت مريم صامتة وأشارت إلى سيدنا عيسى أن يجيب القوم، فقال سيدنا عيسى ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾[2].

([1]) يقول الحق تبارك وتعالى في هذا الشأن ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ سورة آل عمران أية ٤٤ (المترجم)

([2]) سورة مريم: أية (٣٠ ، ٣١) (المترجم).

وأتاه الوحي وهو في الثالثة عشرة من عمره، وفي سن الثالثة والثلاثين كان نبيًا، وبعد ثلاثة عشر عامًا أخرى أرسله الحق- تبارك وتعالى- إلى ملك نصيبين، وكان اسمه داد وكان يعبد الأصنام، وهذا الزمان كان زمان الطب، وأعطى الله- سبحانه وتعالى- معجزات لسيدنا عيسى من جنس الطب، كانت خارقة للعادة، مثل إحياء الموتى بدعائه، وكان يبرئ الأعمى والأبرص والأكمه، وكان يعلمهم بكل ما أكلوه في الليل من الطعام والشراب، وما وضعوه بأيديهم في الصباح، وآمن به البعض مثل الحواريين، وكان يصنع من الطين طيرًا فينفخ فيطير بإذن الله، وبدعاء من الذين آمنوا به هبطت عليهم مائدة من السماء، ومن لم يؤمن به بعد ذلك سخطه الله خنزيرًا.

وآمن به جالينوس الحكيم، وصمم اليهود على قتل سيدنا عيسى فهرب منهم وذهب إلى مكان، فأرسلوا شخصًا لطلبه ورفع الله نبي الله عيسى إلى السماء. أما الشخص الذي أرسلوه فقد أصبح يشبه سيدنا عيسى وعندما خرج شنقوه، وشغل سيدنا عيسى بالعبادة في السماء الرابعة بأمر الله سبحانه وتعالى، وسوف ينزل آخر الزمان وسيكون على دين محمد- عليه السلام، وسيكون عمره في هذا الوقت ثلاثة وثلاثين عامًا، وحينما ينزل من السماء سوف يعيش أربعين عامًا في الدنيا، وسيكون على دين محمد- صلى الله عليه وسلم- وسوف يتزوج من قبيلة أدن، وسوف ينجب أبناء كثيرين وسوف يؤدي كل واحد منهم الحج والعمرة مع المهدي وأصحاب الكهف، وسوف يضطلع بمهمة الملك والنبوة أربعين عامًا. والله أعلم بالصواب.
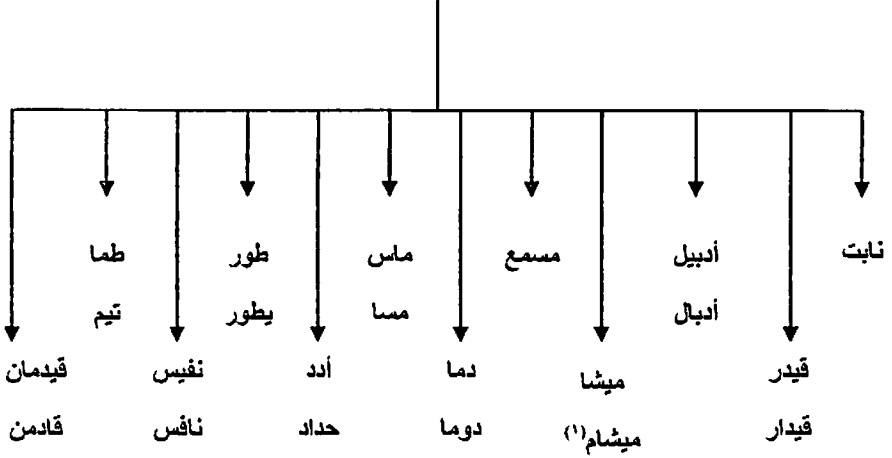
وأم سيدنا إسماعيل هي هاجر، وقد منحها ملك مصر لسارة حينما ظهرت كرامتها، والقصة كما يلي: حينما ذهب إبراهيم إلى مصر من حران كان ملك مصر وفرعونها هو صاروق[2]. وكانوا قد أخبروه بجمال سارة، وأخذوها إليه فأراد أن يضمها فيبست يده؛ فطلب منها أن تدعو له حتى تعود يده إلى صحتها، ومنحها جارية قبطية كانت في قصره، وقال لها: ها أجرك فصار اسم هذه الجارية هاجر، وحينما أتت بها لخدمة إبراهيم- عليه السلام- وهبتها له، وسيدنا إسماعيل ابنها.

---

(1) ميشا = ميشام الطبرى ص ٣١٤ فيما يبدو أن منهاج السراج نقل عن الطبرى أبناء إسماعيل الذبيح وأن أى اختلاف في الأسماء إنما يرجع إلى خطأ الناسخ فيما نظن (المترجم).

(2) لم يذكر الطبري اسم هذا الفرعون. (المترجم).

وسيدنا إسماعيل أكبر من إسحق بثلاثة عشر عامًا، وكان الخليل يحبه حبًا جمًا فتملكت سارة الغيرة، وقالت لسيدنا إبراهيم: انقلها من عندي إلى مكان آخر.

أتى إبراهيم خليل الله- عليه السلام- بهاجر وإسماعيل إلى أرض الحجاز، واستقروا في مكان هو مدينة مكة وذلك بأمر الحق سبحانه وتعالى.

وكان إسماعيل في ذلك الوقت رضيعًا، وفي إحدى الروايات كان: عمره ثلاثة أعوام، وفي رواية أخرى: كان عمره ثلاثة عشر عامًا، ومكث إبراهيم معهم ثلاثة أيام ثم ذهب، وحينما غلبهم العطش أظهر الحق- تبارك وتعالى- لهم بئر زمزم.

وكان مضاض بن عمرو الجرهمي ملك جرهم، وقوم جرهم هم أعراب اليمن، وكان يسكن هناك بسبب الماء. وكبر إسماعيل بينهم، وتعلم اللغة العربية منهم، وكان سيدنا إبراهيم يأتي دائمًا لرؤيتهم، وقد أقام إبراهيم وإسماعيل بناء الكعبة بأمر الحق سبحانه وتعالى من سفوح جبل الطور في سيناء وجبل لبنان وجبل الجودي وجبل حرى، وحينما أقيم البناء علمهم جبرائيل إقامة الحج والمناسك، ولم يذبح، وفي ليلة التروية رأى سيدنا إبراهيم في المنام أن قم واذبح ابنك، وهنا أرسل الحق تبارك وتعالى الفداء له.

ثم تزوج إسماعيل ابنة مضاض بن عمرو، وكانت تدعى سيدة، ورزق منها بأبناء كثيرين، ونفوا العمالقة من ديار مكة والحجاز، وملة الحنيفية هي على شريعة إبراهيم، وكان عمر إسماعيل مائة وسبعة وثلاثين عامًا. وتوفيت

هاجر[1] قبل إسماعيل فدفنها في حجر الكعبة، وحينما توفي إسماعيل- عليه السلام- دفنوه إلى جوار والدته، والله أعلم بأحوال أصحاب القبور.

قيدار بن اسماعيل

أم قيدار هي أم سلمى بنت الحارث بن مضاض بن عمرو بن جرهم، ووهب الله تعالى قيدار سبع خصال لم يختص غيره بها في زمانه، أولاً: اختصه بالخير وقنص الغزلان، ثانيًا: اختصه بالرماية فلم يكن سهمه يخطئ أبدًا، ثالثًا: اختصه بالرؤية عن بعد، رابعًا: كانت له قوة عظيمة، خامسًا: كانت له هيبة شديدة، سادسًا: اختصه بالشجاعة، سابعًا: اختصه بالفحولة فكان يتنقل ليلا ونهارا بين سبعين من زوجاته ولم ينقص هذا من قوته وفحولته ذرة، والله أعلم بالصواب.

نبت[2]

كان اسم نبت سعد، وأمه بنت زيد بن كهلان بن سنا من أولاد قحطان، أما السبب الذي من أجله أسموه نبت؛ كان والده وأمه ذاهبين في الطريق إلى اليمن، فتوفيت والدته وهي تلده، فأخذه أبوه ووضعه في غار في الجبل، فالتفت حوله ثعابين لا حد لها ومات أبوه من شدة الألم وظل الطفل أربعين يومًا في الغار،

---

(1) توفيت هاجر ثم سارة قبل إبراهيم عليه السلام، وتزوج إبراهيم بعد سارة من قطورا بنت يقطن وهى امرأة من الكنعانيين، فولدت له ستة أبناء: يقسان، وزمران، ومديان، ويسبق، وسوح، وبسر، الطبري جـ ١ ص ٣٠٩ طبعة دار المعارف مصر (المترجم).

(2) ورد عند الكثير من المؤرخين بصورة مختلفة مثل نابت وتبت وثابت (المترجم).

حتى مر شخص وأخذه، وأسماه نبت يعني الذي أنبته الله بقدرته جل جلاله وعم نواله وتم أفضاله.

يشخب [١]

اسم والدة يشخب: حظانة بنت علي بن جرهم، وأسموه يشخب؛ لأن أولاد إسحق قتلوا عبده، فأقسم أن يقتل ألفا من أولاد إسحق على قبر عبده، وفعلا طير ألف رأس على قبر هذا العبد. ولهذا السبب أسموه يشخب أي سفاح الدم، والله أعلم.

يعرب

اسم والدة يعرب: بهندة بنت واسع بن اليعربي من العمالقة، وأسموه يعرب؛ لأن أمه ولدته ميتا وأحياه الله، فأطلقوا عليه يعرب، ويقول البعض: إنه ولد حيا، وبرواية أخرى: إن اسمه كان يمن، والله أعلم.

الهميسع

أم الهميسع: حارثة بنت مراعم بن دراعة وأسموه هميسع؛ لأنه كان عظيم الهمة ولم يكن لإنسان يد على أولاد إسحق إلا هو، استولى على ملك الحجاز والشام واليمن، وذهب إلى فسطاط مصر، واستولى على كثير من أرض فارس، وكل من كان يراه كان يسجد له من هيبته وعظمته، والله أعلم.

---

[١] ورد اسمه في الطبري والمسعودي يشجب (المترجم).

أذد [1]

اسم أمه: دحنية بنت قحطان، وكان أذد هذا يتحدث بأربع وعشرين لغة، ويكتب بأربع وعشرين نوعا من الخط، وهو أول واحد من أبناء إسماعيل يكتب والله أعلم.

أد

أم أد: هي سلمى بنت الحارث بن مالك بن جمارة بن لحم، وأسموه أد؛ لأن صوته كان عاليًا، فكان يسمع على بعد اثني عشر ميلا، ولم يكن أحد في مثل حسنه وجماله، والله أعلم.

عـــــدنان

أم عدنان هي: بنت يعرب بن قحطان، وكان عدنان بارع الجمال لدرجة أن العيون كانت تتحير عند رؤيته، وفي نسب المصطفى- صلى الله عليه وسلم- من عدنان حتى إسماعيل اختلافات كثيرة في عدد الرجال، وأيضًا في أسمائهم، وقال رسولنا صلى الله عليه وسلم: "نسبتي إذا بلغتم عدنان فأمسكوا"، يقولون: إن عدنان ذات يوم كان يجلس وحيدًا فأتى في مواجهته ثمانون فارسًا من الأعداء، فتقاتل معهم وقتل جواده فقصد الجبل فأدركوه، وقد طلب الأمان من الله، فظهرت يد من الجبل وأمسكته، ووضعته على قمة الجبل، وأتت ظلمة كثيفة، وهزم الفرسان وهلكوا، وهم يعتبرون هذه من معجزات المصطفى (عليه السلام).

---

(1) ورد اسمه أدد عند بعض المؤرخين. (المترجم).

معـــــــــد

أم معد: بنت يشخب بن يعرب بن قحطان، وفي رواية أخرى يقولون: إن والدته مهدد بنت لحم، وأطلقوا عليه اسم معد؛ لأنه كان دائمًا يمتطي صهوة جواده ولا ينفصل عنه، ويلبس السلاح لحرب بني إسرائيل، والله أعلم بالحقيقة والصواب.

نـــــــــزار

أم نزار هي: معارة بنت شنة بن عوى بن جرهم، وفي رواية أخرى: معاوية بنت جوشن، ويسمونه أب الآباء، وسمي نزار؛ لأن والدته حينما ولدته ذبح والده ألف ناقة وقالت له أشراف العرب "اين سخت نزار است" ، يعنى هذا حقير جدًا، والله أعلم بالصواب.

مضـــــــــر

أم مضر هي: عقيل بنت عرك بن عدنان بن نزار، وفي رواية أخرى: سودة بنت عدنان، والله أعلم بالصواب .

إليـــــــــاس

والدة إلياس: عمقا بنت إياد بن أحاطب بن عمرو بن خمير، وفي رواية أخرى: رباب بنت جدة بن معد، ويقولون إن سبب تسميته بإلياس أنه حينما ولد كانت أمه وأبوه قد يئسًا من الإنجاب لكبرهما الشديد، والله أعلم بالحقيقة.

مدركـــــــــة

أم مدركة هي: حدف بنت عامير بن حارث بن أم القيس بن ثعلبة بن مارب بن أزار بن عوب، وفي رواية أخرى: حنف بنت حلوان بن عمرو بن الحارث بن قضاعة.

خزيمة

أم خزيمة هي: سلمى بنت أسد بن ربيع بن نزار بن معد، وفي رواية أخرى: سلمى بنت الحاق بن قضاعة، وقد أسموه خزيمة؛ لأنه جعل قبيلة يعرب وقحطان يلتقون في نسب واحد، والله أعلم.

كنانة

أم كنانة هي: هند، ويقال: كان اسمها دعوانة، وهي ابنة قيس بن عمرو بن عيدان بن مضر بن نزار، وكان رجلا عالي الهمة عظيمًا قاسي الطبع.

النضر

اسم النضر: قيس، وأمه: برة بنت مرة بن أد بن طلحة بن إلياس بن مضر ويسمونه قريشًا؛ لأنه كانت له الغلبة على كل العرب، وقريش[1] هو حيوان مائي ودائمًا تكون له الغلبة على كل الحيوانات المائية، فشبهوا النضر به وأسموه قريشًا، والله أعلم.

مالك

أم مالك هي: عاتكة بنت عدوان بن عمرو بن قيس بن غتلان، وكان له شقيقان: أحدهما بحلد، والثاني قفلت، ولم يبق من قفلت نسل.

فهر

والدة فهر هي: حيداء بنت عامر بن الحارث بن مضاض بن حددة بن عامر ابن سعد الجرهمي، وكان اسمه عامرًا، وكان رئيس مكة، حارب حسان

([1]) قُريش تصغير قرش وهو سمك القرش المعروف (المترجم).

الحميري ملك اليمن؛ لأنَّ حسانَ؟ أراد أن ينقل أحجار مكة إلى اليمن فحاربه أولاد قريش، وهزموه، وقبضوا عليه، وكان فهر رئيس قادة العرب ومقدمهم، والله أعلم بالصواب.

غـــــالب

أم غالب هي: ليلى بنت الحارث بن سعد بن هزيل بن مدركة بن إلياس بن نزار، وفي رواية أخرى: هي بنت الحارث بن تميم بن سعد الجرهمي، والله أعلم بالصواب.

لـــــؤي

أم لؤي هي: سلمى بنت عمرو بن سعد بن الحارث بن عمرو بن العاص بن حارث الخزاعية، وفي رواية أخرى: أمه عاتكة بنت يخلد.

كـــــعب

أم كعب هي: مارية بنت كعب بن العين، كان له شقيقان: عمامة وأسامة، وبقي منهم نسل كثير، وأمه[1] من أولاد حسن بن يسع الله بن أسد وهم معروفون مشهورون مذكورون بين العرب، والله أعلم.

مـــــرة

وهو جد أبي بكر الصديق وطلحة وعكرمة وسعيد بن المسيب ومحمد المنكدر وأم سلمة، وأم مرة هي: وحشية بنت شيبان بن الحارث بن فهر، ويقول

---

(1) النص الفارسي جاء كما يلي (وبرادرش از أولاد حسن بن يسع الله بن أسد بود) ومعناها: وشقيقه من أولاد حسن بن يسع الله بن أسد. ولكن الأستاذ حبيبي ذكر في الحاشية أن كلمة برادرش جاءت خطأ في النص والأصح ما درش يعني والدته وهذا ما ترجمناه (المترجم).

البعض: أمه محشية، وجميع الصحابة الذين ذكروا كانوا من نسل مرة وسوف نتحدث عن كل واحد في موضعه.

كـــــــلاب

كلاب بن مرة وهو جد عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وأم المصطفى- عليه السلام والتحية، وأم كلاب هي: هند بنت سرير بن ثعلبة بن الحارث بن فهر. وفي رواية أخرى: هي هند بنت حارثة المارية.

قصـــــي

اسم قصي بن كلاب: زيد، وتسميه قريش مجمع القبائل، ولأنه جمع قريشًا كلها في مكة فقد أصبح سيدًا، ومن أجل رئاسة قريش أخذ مفتاح الكعبة من بني خزاعة، وتزوج ابنة خليل بن حبشي الخزاعي، وله من ابنة خليل أربعة أبناء هم: عبد مناف، وعبد الدار، وعبد العزى، والعبد، أما أبناء العبد فقد ذهب جميعهم في البادية، وقتل عبد الدار يوم أحد. وعثمان طلحة الذي أسلم أعطاه الرسول- صلى الله عليه وسلم- مفتاح الكعبة. ثم انتقل بعد ذلك لشقيقه شيبة، وخديجة الكبرى- رضي الله عنها- من أبناء عبد العزى، أما عبد مناف فهو كما نكتب الآن، والله أعلم بالأسرار المشهورة والمكشوفة.

عبد مناف

أم عبد مناف تدعى قمر لحسنها وجمالها، واسم عبد مناف المغيرة، وبعد قصي والده وصلت إليه رئاسة قريش، وأنجب ابنين في بطن واحدة: هاشم

وعبد شمس، كانا ملتصقين من الظهر وفصلهما عبد مناف بالسيف، وهاشم هو جد المصطفى- عليه السلام- وعبد شمس والد أمية وجد معاوية وجد عثمان رضي الله عنه، والله أعلم بالصواب.

هاشم بن عبد مناف

هاشم بن عبد مناف اسمه عمرو، وسموه هاشما؛ لأنه في قحط مكة وضع خبزًا كثيرًا في وعاء الثريد وأعطاه للناس، وهشم الخبر، أي كسره، ولهذا أسموه هاشمًا. وظلت عادة في قريش أن يذهبوا إلى الشام صيفًا، وإلى اليمن شتاء، وأم هاشم هي عاتكة بنت هلال بن فالع بن ذكوان، وقد وصلت إليه رئاسة قريش بعد عبد مناف، ومن أبنائه النسب الذي بقي من أسد بن هاشم وعبد المطلب بن هاشم.

أما الذين من أسد فهو والد فاطمة أم علي بن أبى طالب- كرم الله وجهه، وقد ذهب إلى الشام للتجارة وبعده وصلت الرئاسة إلى ابنه مطلب، وبعده وصلت لعبد المطلب جد المصطفى- صلى الله عليه وسلم، والله أعلم والحمد لله.

عبد المطلب بن هاشم

عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف. اسم عبد المطلب شيبة الحمد، والسبب في اسمه أن هاشمًا حينما ذهب إلى بلاد الشام للتجارة، ثم جاء إلى المدينة تزوج سلمى بنت عمرو النجارية، وكان عبد المطلب في صلبه ثم انتقل إلى رحم أمه، وتوفي هاشم في الشام، فولدت سلمى عبد المطلب، وكبر بين أخواله، وبلغ سن الشباب، ومسك السلاح في يديه، وكان آية في الجمال، وكان

مقدما في الرماية وغيرها من الأسلحة على جميع أخواله، حتى إن ثابت بن المنذر بن حسان بن ثابت[1] شاعر المصطفى- عليه السلام والتحية- جاء إلى المدينة ورأى جمال عبد المطلب ومهارته في الرماية، فذهب إلى مكة وأخبر عمه مُطَّلِبًا، وذهب عمه إلى المدينة لطلب ابن أخيه، وكان مختبئًا حينما خرج شباب المدينة للرماية، وكان شيبة الحمد بينهم، وعرفه مطلب فغلبه البكاء وأظهر نفسه، وأخذه في أحضانه وألبسه ثيابا، وأخذه من والدته، وأركبه خلفه على ظهر بعيره، ولم يكن لديه أولاد، وحينما وصل إلى مكة رآه الناس جميعًا، وقالوا: أتى مطلب وعبده خلفه، فعرف اسمه بعبد المطلب، وحينما توفي مطلب وصلت رئاسة قريش إلى عبد المطلب، والله أعلم.

عبد الله بن عبد المطلب

يذكر أصحاب القصص والتواريخ أن عبد المطلب رأى في المنام أن اذهب واحفر زمزم، وفي ذلك الوقت كان بئر زمزم قد تخرب، وحينما بدأ في حفره تنازعت معه قريش، فذهبوا إلى كاهن في الشام، وفي الطريق غلبهم العطش فأظهر الحق تبارك وتعالى عينا تحت أقدام ابن عبد المطلب، فشرب الجميع الماء، وانتهت المنازعات فيما بينهم، ووافقوا له على حفر زمزم. وفي هذا الوقت لم يكن لعبد المطلب غير ابن واحد هو الحارث بن عبد المطلب، فنذر في نفسه لو وهبه الله عشرة أبناء سوف يذبح واحدا منهم، فوهبه الحق- تبارك وتعالى- عشرة أبناء، وأسماؤهم كما جاءت: الحارث، وضرار، والمقوم، وعبد

---

[1] هذا ما ذكر نصا في الكتاب، وفيما يبدو أن هذا خطأ؛ لأن حسان بن ثابت كان معاصرا للرسول- صلى الله عليه وسلم، ومن المستبعد أن يكون حفيده معاصرًا لجد الرسول- صلى الله عليه وسلم- والراجح أن المؤلف قصد ثابت بن المنذر خال حسان بن ثابت (المترجم).

منـاف، وأبـو طالـب، وحمـزة، والعبـاس، وعبد العزى، وأبـو لهـب، وعبـد الله والـد المصطفى- عليه السلام والتحية- وأخبر أبناءه بقصة النذر فوافقوا جميعا، فأتى إلـى الكعبة وأجرى القرعة أمام هبل، فأتت على عبد الله، وكـان أصغرهم جميعًا، فأراد أن يذبحـه، فثـارت قريش، وقالت: لـن نـدع هذا الأمـر يحـدث فتصـير سـنة، فذهب لعرافة بالحجاز، فقالت العرافة: سوف تجرى القرعة بين الإبل والابن، ونزيـد فيهـا حتى تصل إلى النهاية ووصلت القرعة إلى مائة من الإبل فذبحها جميعًا، وأخذ ابنـه بين أحضـانه، وزوج عبد الله من بنت وهب بـن عبد منـاف، وكانـت تـدعى آمنـة، وهـى والـدة المصـطفى- صـلى الله عليه وسلم، وانتقل المصـطفى- صـلى الله عليـه وسلم- من صـلب أبيه إلى رحم أمه، وكان فـي بطـن أمـه حينمـا تـوفي والـده، وتـوفي عبـد المطلـب، وكـان عمـر الرسـول- صـلى الله عليـه وسـلم- عـدة أعـوام[1] وبقـي المصطفى- صلى الله عليه وسلم- يتيمًا بلا أب ولا أم، والله غالب على أمره.

إمــام الأنبياء وتاج الأصفياء

صـاحب العمامـة والتـاج والقربـة والمعـراج صـلى الله عليـه وعلـى آلـه وأصحابه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين.

طالع مولد النبي محمد صلى الله عليه وسلم[2]:

([1]) ذكرت كتب السيرة أن عبد المطلب توفي والرسول (صلى الله عليه وسلم) قد جاوز الخامسة بشهرين (المترجم)

([2]) السنة الهجرية الشمسية شهورها كالتالى:

الحمل: من ٢١ مارس إلى ٢٠ إبريل **الثور:** من ٢١ إبريل إلى ٢٠ مايو

الجوزاء: من ٢١ إلى ٢٠ يونيه **السرطان:** من ٢١ يونيه إلى ٢٠ يوليه
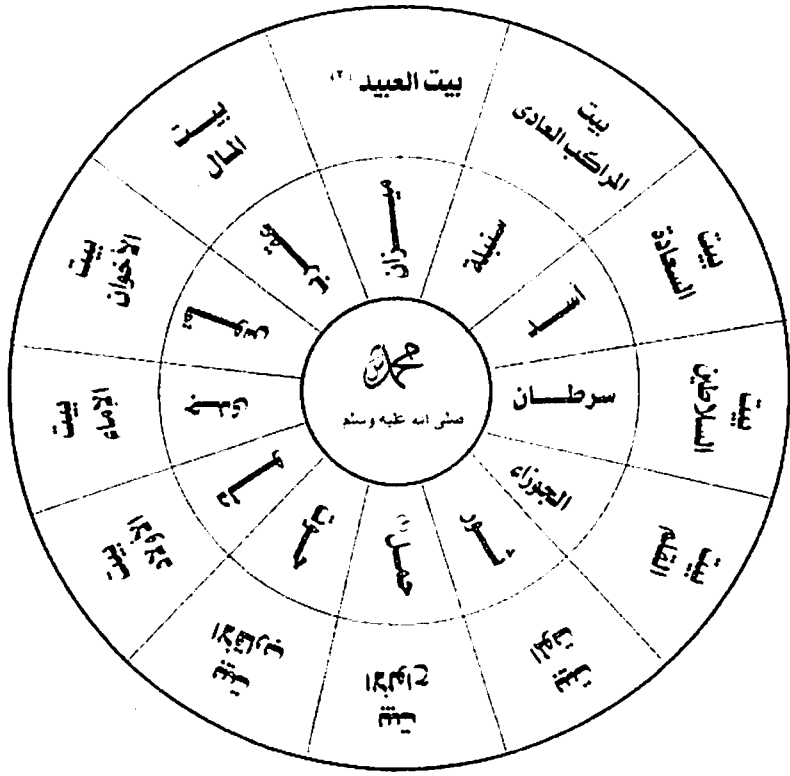
الأسد: من ٢١ يوليه إلى ٢٠ أغسطس   **العذراء**: من ٢١ أغسطس إلى ٢٠ سبتمبر

الميزان: من ٢١ سبتمبر إلى ٢٠ أكتوبر   **العقرب**: من ٢١ أكتوبر إلى ٢٠ نوفمبر

القوس: من ٢١ نوفمبر إلى ٢٠ ديسمبر   **الجدى**: من ٢١ ديسمبر إلى ٢٠ يناير

الدلو: من ٢١ يناير إلى ٢٠ فبراير   **الحوت**: من ٢١ فبراير إلى ٢٠ مارس.

وقد ذكر المحقق أن كلمة "بيت العبيد" لم تكن واضحة في القراءة، وأنه كتبها كذلك، لوجود خانة فيها بيت الإماء، ولأن حرف العين والباء واضحين. (المترجم).

كانت ولادة المصطفى- صلى الله عليه وسلم- يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول، وقد مضى شهران من عام الفيل، ويوم عشرين من شهر نيسان عام ٧٨٩ من عهد ذي القرنين، وأربعون عامًا من ملك نوشيروان، وكانت قد بقي اثنا عشر عامًا من ملك عمرو بن هند ملك الحيرة.

وكانت ولادته في مكة في شعب أبي طالب بمنزل والده عبد الله داخل .. [١] القصوى في دار محمد بن يوسف على الجهة اليسرى عند الدخول من باب الدار، والآن هذه الدار مسجد[٢].

إنني سأورد أحواله- صلى الله عليه وسلم- هنا حتى لا أوردها في باب منفصل.

حينما توفي والد الرسول- صلى الله عليه وسلم- كان الرسول عمره شهران، وكما كانت عادة العرب أعطوا الرسول- صلى الله عليه وسلم- إلى مرضعة، واسم هذه المرضعة حليمة، وكانت من بني سعد بن بكر، وقد أخذ بنو سعد الرسول- صلى الله عليه وسلم- وظل بينهم أربعة أعوام، ثم أتوا به لوالدته؛ فحملته أمه إلى المدينة إلى إخوتها، وحينما رجعت ماتت في الطريق في مكان يسمونه الأبواء بين مكة والمدينة، وأتت به جاريته أم أيمن إلى مكة، وذلك بعد وفاة والدته بخمسة أيام، وبعد ذلك بعام وشهرين وخمسة وعشرين يومًا توفي جده عبد المطلب، وبعد وفاة عبد المطلب بأربعة أعوام ذهب به عمه أبو طالب

---

(١) ذكر الأستاذ حبيبي أن هذه الكلمة لم تقرأ في الأصل (المترجم).

(٢) يذكر أن الخيزران والدة هارون الرشيد هي التي حولتها إلى مسجد . (المترجم).

إلى الشام فرآه بحيرا الراهب، وبعد ذلك بأربعة أعوام وتسعة أشهر وستة أيام اشتغل بالتجارة مع السيدة خديجة، فذهب إلى الشام فرآه أحد الرهبان النساطرة فرجع إلى مكة، وكان آنذاك في الرابعة والعشرين من عمره، وبعد ذلك بشهرين تزوج السيدة خديجة رضوان الله تعالى عليها، وبعد ذلك بعشر سنوات جدد العرب بناء الكعبة، ووقعت الخلافات بين القبائل العربية بشأن وضع الحجر الأسود، وبحكم ما أشار به المصطفى- صلى الله عليه وسلم- تم التراضي بينهم، وعملوا بما أشار به، وبعد ذلك بخمسة أعوام نزل عليه الوحي، وكان سن الرسول- عليه السلام والتحية- في ذلك الوقت أربعين عامًا واثني عشر يومًا، ولقد نزل الوحي يوم الجمعة السابع والعشرين من شهر رجب، وبعد ذلك بخمسة أعوام كان حصار الشعب، وبعد ذلك بأربعة أعوام وشهرين ويومين كان موت أبي طالب، وبعد موت أبي طالب بثلاثة أيام كان موت السيدة خديجة، وبعد موت السيدة خديجة بشهر وستة أيام كان ذهابه إلى الطائف، وأخذ الرسول- صلى الله عليه وسلم- معه زيد بن حارثة، وظل هناك ثمانية وعشرين يومًا، ثم رجع إلى مكة، وبعد ذلك بعام وستة أشهر وستة أيام كانت رحلة المعراج، وبعد ذلك بعام وشهرين ويوم كانت الهجرة من مكة إلى المدينة، وكان الرسول (صلى الله عليه وسلم) في هذا الوقت في الخمسين من عمره، وبين البعث والهجرة اثنا عشر عامًا وتسعة أشهر، وبعد ذلك بأربعة أشهر وأربعة أيام كان عقد قران فاطمة رضي الله عنها، وبعد ذلك بأربعة عشر يوما زفت لعلي كرم الله وجهه، وبعد الهجرة بعام وتسعة أشهر صار الصوم فريضة في شهر رمضان، وبعد ذلك بثلاثة عشر يوما جاء أمر الله بتحويل القبلة من بيت

المقدس إلى الكعبة، وبعد ذلك بشهر ويومين كانت غزوة بدر، وبعد ذلك بشهر كانت غزوة بني سليم، وبعد ذلك بستة أشهر وأربعة أيام كانت ولادة الحسن بن علي كرم الله وجهه ورضي الله عنه، وبعد ذلك بستة أشهر وأحد عشر يوما كان زواج أم سلمة ، وبعد ذلك بشهر وخمسة وعشرين يوما كان زواج زينب، وبعد ذلك بثلاثة أيام كانت غزوة بني غسان، وبعد ذلك بشهر وتسعة أيام كانت غزوة ذي قرد، وبعد ذلك بخمسة أشهر وسبعة وعشرين يومًا كانت غزوة الحديبية، وبعد ذلك بخمسة أشهر وواحد وعشرين يوما كانت غزوة الطائف، وبعدها كانت ولادة إبراهيم ابن المصطفى (صلى الله عليه وسلم) من مارية القبطية، وبعد ذلك بستة أشهر وأحد عشر يومًا كانت غزوة تبوك، وبعد ذلك بخمسة أشهر وخمسة أيام نزلت سورة التوبة. وبعد ذلك بشهرين وثمانية عشر يوما كانت وفاة إبراهيم، وفي هذا اليوم كسفت الشمس لدرجة أنها اسودت، وبعد ذلك بشهر واثني عشر يوما كانت حجة الوداع، وأطلق المصطفى (صلى الله عليه وسلم) سراح عبيده، وبعد ذلك بشهرين وستة أيام مرض الرسول (صلى الله عليه وسلم) وظل مريضا أربعة عشر يومًا، توفي يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول، وقد مضت عشرة أعوام وشهران من الهجرة، يوم الخامس والعشرين من شهر آبان عام تسعمائة وأربعة وأربعين يومًا من أيام ذي القرنين، اليوم التاسع من شهر أسفنديار عام ألف وثلاثمائة من أيام بخت نصر. صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الطيبين والطاهرين. والله أعلم بالصواب.

الصفات المتميزة والأخلاق المحمودة

للرسول صلى الله عليه وسلم

يروى عن علي بن أبى طالب- كرم الله وجهه- أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- كانت له هيبة، لدرجة أن كل من كان يراه من بعيد كان يخشاه، وحينما يقترب منه يطمئن ويسر، ويتألق وجهه بالبشر، ويشرق بالضياء، كان لقامته بعدين بحيث إذا سار معه شخص طويل القامة فإنه يبدو أقل منه طولاً، وكان مستدير الرأس أجعد الشعر يصل شعره إلى شحمة أذنيه، وحينما يسدله يصل إلى كتفيه، وحينما يشده يصير كما كان، وكان واسع الجبهة، واسع بين الحاجبين، وبين حاجبيه شريان كان يظهره حينما كان يغضب، كان دقيق الأنف، رقيق الشفتين، أفلج الأسنان، مستدير الوجه خلو الكلام، عذب الصوت، أسود الشعر، أبيض العارض، جميل الرقبة، معتدل القوام، مستقيم الظهر والبطن، فسيح الصدر عريضه، من الصدر حتى السرة نبت خط من الشعر الخفيف الصغير وكأنه نقش بقلم، كان طويل الزندين، عريض الكتفين، دقيق الأنامل، كانت أصابعه طويلة منفرج بينها.

كان طويل الأصابع، وكان ينظر بطرف عينه، وكان نظره إلى الأرض أطول، كان مترنثا دائم البشر، وكان ضحكه تبسما، كان حكمه العدل وحديثه الحكمة، وشيمته السخاء، كان عامر القلب رقيق الحديث، لم يكن غليظ الطبع، لم يكن يجزي السيئة بالسيئة، وكان يعفو عن الذنب، ويتجاوز عنه.

بين كتفيه كان يوجد سواد أقل من الدينار وكأنه ضرب كما يضرب الدينار، وهذا هو خاتم النبوة، كانت تنبعث منه رائحة طيبة مثل رائحة المسك من أمامه ومن خلفه، ولا يتأتى هذا لإنسان مطلقا صلوات الله عليه وعلى آله وأصحابه.

معجزات المصطفى عليه السلام

اعلم أسعدك الله تعالى: أن للرسول- صلى الله عليه وسلم- معجزات كثيرة، أما ما خصه الله تعالى بها هي: أنه جعله سيد أولاد آدم، وقال: آدم ومن جاء بعده من الأنبياء- صلوات الله وسلامه عليهم- كلهم دون علمه، وفي كل مكان يذكر فيه الأنبياء يذكر هو أولا كما يقول عز من قائل تعالى وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾[1].

وسألوا النبي- صلى الله عليه وسلم: متى كنت نبيًا؟ فأجاب: كنت نبيا وآدم بين الماء والطين، ولد صلى الله عليه وسلم من أمه مختونًا مرورًا[2]، وحينما نزل من بطن أمه كانت رأسه في موضع السجود، رافعا إصبعه للشهادة، وحينما كانت تنشغل حاضنته كان المهد يهدهده، وعندما كانت تتأخر

---

(1) سورة الأحزاب: آية (٧).

(2) مختونًا أي مقطوع الختان، ومسرورًا أي مقطوع السرة من بطن أمه. وعن العباس عم النبي، قال: ولد رسول الله مختونًا مسرورًا. (المترجم).

كان يمص إصبعه فيجد فيه لذة اللبن وطعم العسل، لم ير له إنسان مطلقًا بولا أو غائطًا، ولم يحتلم ولم يقع ظله على الأرض، كانت عينه تنام أما قلبه فيظل مستيقظًا لا ينام سواء رأيته قبل النوم، أو بعد النوم، كل من كان يسير معه لو كان طويلا كان يبدو أقل طولا منه، لم يكن يقف عليه البعوض أو الذباب أبدًا، إذا ركب فوق دابة إذا كانت ضعيفة أو هزيلة فإنها تسبق جميع الدواب، لم ينبت له شعر تحت سرته، لو صارع أحدا كان يسقطهًا مهما كان قويا، تنبعث رائحة المسك من طبعه ودمه، ويُسَبِحُ الحجر بين يديه، والحجر والطوب يسلم عليه، البئر الذي كان يتفل فيه تصير مياهه سائغة للشاربين، وتئن أعمدة المنزل من فراقه، وحينما كان يحتضن هذه الأعمدة كانت تسكن وتهدأ، بأمره تقدمت الشجرة إلى الأمام، وحينما قال لها عودي عادت.

في سفره أظلته الغمامة، وتحدثت معه الطيور وآمنت به ، كان الماء يتدفق من بين أصابعه؛ فيشرب منه الجيش ويرتوي، يوم موقعة بدر هزم الكفار بحفنة من تراب، كان يعلم بكل النوايا وحديث الغار وما كان فيه معروف، كان الضب والغزال يتحدثان معه، البراق والمعراج ورؤية سبع سماوات وسبعة أرضين والملكوت والعرش والكرسي والحجب وسدرة المنتهى وشجرة الطوبى وقاب القوسين تمت رؤيته لها في أقل من ثلث الليل، سجدت له أصنام الكعبة، وتحدثت معه الشاه المطبوخة المسمومة، وقالت: لا تأكلني أنا مسمومة، شقوا صدره وأخرجوا قلبه وغسلوه وأعادوه مكانه، وسقطت شرفات قصر كسرى ليلة

ولادته، ويبس نصف مملكة فارس في هذه الليلة[1]، انشق القمر بإشارته، وشهد الطفل الصغير في المهد بنبوته. ولقد أتينا بهذا القدر من المعجزات على سبيل الإيجاز والاختصار.

أسماء المصطفى وتسعة وتسعون اسمًا

محمد، أحمد، مصطفى، حامد، محمود، قاسم، عبد الله، الرسول، النبي، الأمي، البشير، النذير، السراج، المنير، المبشر، المنذر، العزيز، الرءوف، الرحيم، العميد، الطاهر، المطهر، الشاكر، الشكور، الشكر، الماحي، المتقي، الناصر، المنصور، السيد، الصبور، الصابر، الراشد، الرشيد، الشديد، العليم، الحليم، السليم، المنيب، القوي، الفصيح، الوفي، التقي، النقي، العلي، الزكي، المرضي، السخي، الجواد، الميمون، المجتبي، المرتضي، المنتجب، المبارك، المهدي، الصادق، الصالح، الناسخ، المشفق الشفيق، الرفيق، الهادي، الراضي، المهتدى، الطيب، التواب، الأواب، العابد، المجتهد، الخاضع، الخاشع، الساجد، الراكع، الآمر، الناهي، الزاجر، طه، يس، مزمل، مدثر، شاهد، شهيد، فتاح، عريف، عطوف، مكي، مدني، البطحي، التهامي، الحجازي، الهاشمي، العربي، نور، بشار، رحمة، مجيد، سعيد، كريم، ودود.

إشراق في التوراة، وفي الإنجيل طاب، وفي الزبور فارقليطا، في صحف إبراهيم حاشر وفي صحف إدريس عاقب، وفي الصحف طيلشاه.

---

(1) كما هو معروف أن بحيرة ساوه في فارس جفت حينما ولد الرسول صلى الله عليه وسلم. (المترجم).

في السماء الأولى عبد الله، وفي السماء الثانية عبد الملك، وفي السماء الثالثة عبد القدوس، وفي السماء الرابعة عبد السلام، وفي السماء الخامسة عبد المؤمن، وفي السماء السادسة عبد المهيمن، وفي السماء السابعة عبد الخالق، وفي الشمس عبد الرازق، وفي القمر عبد الجبار، وفي النجوم عبد النور، في النهار عبد الحكيم، وفي الليالي عبد الودود، مع الملائكة عبد الرحمن، مع الجن عبد الغفار، ومع الروحانيين عبد الجليل، مع المقربين عبد الحميد، مع الحفظة عبد المنعم، مع حملة العرش عبد الغني، وفي العرش عبد المغني، مع الكرسي عبد الرافع، في الطوبى عبد القاهر، مع السفرة عبد الوهاب، مع البررة عبد المجيد، في اللوح عبد الباعث، في القلم عبد الكريم، مع حور العين عبد الغفور، وفي الرضوان عبد الشكور، وفي الجنة عبد الباري، في البيت المعمور عبد الفتاح، مع الحيوانات عبد المصور، مع الرياح عبد القاهر، مع النار عبد القادر، مع الملائكة عبد الحي، في الأرض عبد الباري، مع جهنم عبد الغالب، مع الملك عبد المحسن، مع الأشجار عبد الباقي، مع النبات عبد الرازق، مع التراب عبد الحليم، مع الأحجار عبد الحكيم، مع الجبال عبد الصمد، مع البحار عبد الصبور، مع الطيور عبد الجليل، مع الوحوش عبد الحميد، مع المؤمنين رسول الله، مع المتقين صفي الله، مع الزهاد خير الله، مع الأبدال صفوة الله، مع التائبين حبيب الله (صلى الله عليه وسلم).

ألقاب الرسول صلى الله عليه وسلم

رسول الرحمة، رسول البشارة، رسول الملحمة، رسول الثقلين، نبي الحرمين، سيد العالمين، صاحب الحشر، صاحب العجائب، صاحب الآيات،

المبعوث بالبينات، خطيب القيامة، شفيع الأمة، سيد ولد آدم، سيد المرسلين، خاتم النبيين، رسول رب العالمين، إمام المتقين، قائد الغر المحجلين، القمر الساطع، الحجة القاطعة، الشمس الطالعة، البحر الزاخر، النجم الزاهر، الفلك الدائر، رحمة للمؤمنين، حجة على الكافرين، المرسل بالرحمة، المؤيد بالنصر، الرحيم على الأمة، المعصوم من الذنوب، المطهر من العيوب، مدينة العلم، مذكر الحلم، معدن الزهد، موطن النقى والزها، صاحب المقام المحمود والحوض المورود، وصاحب التاج والمنبر، والبراق والكوثر، والشفاعة والقربة والخطابة والقبلة، والزلفة والشريعة، أسرع الناس خروجًا إذا بعثوا، سيدهم إذا حشروا، خطيبهم إذا أنصتوا، شفيعهم إذا حسبوا، مبشرهم، مفتاح الجنة بيده، اصطفاه الله خليلا وكليمًا ومحبا، بعثه نبيًا ، سماه صفيا، فتح له الكرامات، وأيده بالنصر والآيات، وأكبره بالبراهين والمعجزات، وعرض له السماوات بملكوتها، والأرض بأطرافها وبأكنافها، والبحار بعجائبها وحيتانها، والجبال بنواحيها، والجنة بنعيمها ودرجاتها، والنار بأبوابها ودركاتها، وقرن اسمه وجعله واسطة بين خلقه، شرح صدره وغفر ذنبه، ورفع ذكره، صلوات الله عليه وعلى آله.

وهذه الفصول من التاريخ المجدول ذكرت في الديباجة نقلناها دون زيادة أو نقصان، أما ما استخرجه علماء القصص- رضي الله عنهم أجمعين- من الكتاب الكريم والكلام القديم خصوصا صاحب القصص نابي أبا الحسن بن الهيصم- رحمه الله- فهي أربعون اسما: كل اسمين منها يتضمنان فائدتين: اسمان منهما مصرح بهما محمد وأحمد، قال تعالى:﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ﴾ ، ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ ، اسمان للتعظيم: الأمي والرسول، اسمان للشفقة

والرحمة: الرءوف والرحيم، اسمان بشارة للمؤمنين: البشير والمبشر، اسمان لتخويف الكافرين: النذير والمنذر، اسمان للدعوة: الداعي والهادي، اسمان لاقتداء الأمة: النور والمبين، اسمان للنعمة: السراج والمنير، اسمان لوعظ البرية: الذاكر والمذكر، اسمان لمؤمني الأمة: المؤمن والحنيف، اسمان لتصديق الرسل والموافقة: المصدق والمكتوب، اسمان لظهور البيانات: البرهان والبينة، اسمان للعون والنصر: الولي والنصير، اسمان للشرف والأصالة: أول المسلمين وخاتم النبيين، اسمان لإكمال النصيحة: الرحمة والحريص، اسمان للاختصاص والقرب: العبد والكريم ، اسمان لانبساط الحالة: المزمل والمدثر، اسمان لإلزام الأمم الكافرة: البشير والأمي، اسمان للأمن والكفاية: طه وياسين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الطاهرين الطيبين أجمعين وسلم تسليمًا كثيرًا.

يقول السيد حسن الغزنوي[١]عليه الرحمة:

سلام كألطاف الإله الممجد ـــ سلام كأصداق النبي المؤيد

على من تلقى عزة أي عزة ـــ على من ترقى مصعدا أي مصعد

وللداعي منهاج السراج[٢]:

---

(١) السيد حسن الغزنوي (ت ٥٥٧هـ): هو أشرف الدين أبو محمد حسن بن محمد الحسيني الغزنوي الملقب بأشرف، وهو من شعراء القرن السادس الهجري، كان معاصرًا ومداحًا للسلطان بهرامشاه الغزنوي، ورافقه في أسفاره في الهند، وقد مدح كثيرًا من عظماء السلاجقة، ويحتوي ديوانه على أربعة آلاف بيت من الشعر تشمل القصيدة، والغزل والترجيعات (المترجم). .

(٢) منهاج السراج هو مؤلف هذا الكتاب (المترجم).

يا من فمك الضيق مخزن للسكر،

وأغصان نباتك معلقة على عيدان السكر.

حينما سلب السكر الرائحة من عين الحياة،

فإن ألوانك وأشكالك أخجلت السكر.

لن يصل إنسان مطلقًا إلى حلاوة شفتيك الجميلتين،

ولو سيقطع السكر آلاف الفراسخ.

إذا كانوا يستسيغون اللون الأحمر من أجل الشهد،

فانظر ففي طريق الطعن سوف يُقذف السكر بالأحجار.

ادعى الذوق، ولكنه حينما رأى شفتيك فإن السكر من الخجل حاربني كثيرًا.

حينما انتشر أمر شفتك الجميلة فإن سكرها محا عن اسمي العار كثيرًا.

أيها المنهاج المستقيم إن عرصة مُلك الكلام واسعة،

ومن نعتك وصفاتك في فمه مخازن السكر[1].

---

[1] أى مردهان تنگ ترا تنگها شكـــــر — شاخ نبات تست بر آونگها شكـر

تابوى برد شكر از آن چشمه حيـــاة — آورده از خجالت أن رنگها شكـــر

هرگز كجار رسد بلب با حـــلاونت — گر قطع كرد خواهد فرسنگها شكر

بالعل ارمزه كند از بهرهر جـــلاب — ازراه طعنه بين كه خورد سنگها شكر

دعوى ذوق كرد مگر چون لبت بديد — با خود زشرم كرد بسي جنگها شكر

چون گشت لذت لب نوشينت منتشر — ازنام خود كشيده بسى ننگها شكـــر

(منهاج) راست عرصة ملك سخن فراخ

كز نعت تست در دهنش تنگها شكـــر

السنة الأولى من الهجرة

يقول صاحب تاريخ المقدسي: إن المصطفى- عليه الصلاة والسلام- حينما هاجر من مكة ظل في الطريق خمسة عشر يومًا، ووصل إلى قباء يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول وقت الضحى، وكان أبو بكر في معيته، ونزل الرسول- صلى الله عليه وسلم- في ظل نخلة، وحينما عرف أهل المدينة توجهوا جميعًا لخدمته، منهم جماعة رأته فكانت تعرف جماله المبارك وطلعته البهية، أما الجماعة التي لم يدركها المثول بين يديه لم تعرف من هو الرسول- صلى الله عليه وسلم- ومن هو أبو بكر، إلى أن اشتدت الحرارة وأظل أبو بكر الرسول بردائه فعرف الجميع أن هذا سلطان عرش الرسالة، أما أبو بكر فهو صاحبه وظله رضي الله تعالى عنه.

ثم بعد ذلك ذهب إلى منزل كلثوم بن هِدْم[1]، وفي رواية أخرى: عند سعد الخيثمي[2]، وظل الرسول- صلى الله عليه وسلم- هناك يوم الثلاثاء والأربعاء والخميس، وأمر بأن تحطم الأوثان، وبنى مسجد قباء، ويوم الجمعة نزل عند بني سالم بن عوف، وصلى الجمعة في بطن الوادي، وكانت هذه أول جمعة في الإسلام، ثم قدم إلى المدينة وحتى ذلك اليوم لم يكن هناك سور للمدينة، كان هناك منازل وبساتين، وكل شخص كان يدعو الرسول- صلى الله عليه وسلم- أن ينزل عنده، فقال لهم: دعوا ناقتي فهي مأمورة، وسوف تعرف المكان الذي ستحط الرحال فيه، وأي موضع ستحط فيه سيكون هو المكان،

---

(1) ذكر الطبري اسمه كلثوم بن هِدْم في ص ٣٨٢ جـ ٢ وفي ص ٣٩٧ كتبه كلثوم بن اليدم جـ٢ . (المترجم).

(2) سعد بن خيثمة، الطبري، ص ٣٨٢، جـ ٢ (المترجم).

وسارت الناقة حتى منزل أبي أيوب الأنصاري فأناخت وجلست، وظل الرسول- صلى الله عليه وسلم- سبعة أشهر في منزله حتى أقام مسجد المدينة وبنى المنازل إلى جواره، وانتقل الرسول- صلى الله عليه وسلم- من منزل أبى أيوب الأنصاري، ثم أمر أن يحضروا أبا رافع وزيد بن حارثة، وأن يحضروا أبناءه من مكة إلى المدينة وكذلك أولاد أبي بكر، وبعد الهجرة بشهر أصبحت صلاة الحضر ركعتين[1] وصلاة السفر ركعتين، وعندما دخل شهر رمضان أرسل عمه حمزة بلواء أبيض مع عشرين أو ثلاثين فارسًا لضرب قافلة قريش، وهذه أول راية وأول جيش في الإسلام[2] وفي هذا العام تزوج رسول الله- صلى الله عليه وسلم- السيدة عائشة، وكانت ولادة النعمان بن بشير في هذا العام[3] والله أعلم.

السنة الثانية من الهجرة

ويسمى هذا العام عام الأمر بالقتال، عندما انتهى محرم ودخل صفر جهز المصطفى- صلى الله عليه وسلم- جيشًا إلى بواطا. ودخل في ربيع الأول وفي آخر جمادى الآخر أرسل رسول الله- صلى الله عليه وسلم- عبد الله بن

---

(1) ذكر الطبري ص ٤٠٠، جـ٢ (وفي هذه السنة زيد في صلاة الحضر- فيما قيل- ركعتان وكانت صلاة الحضر والسفر ركعتين وذلك بعد مقدم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المدينة بشهر، في ربيع الآخر (المترجم).

(2) كانت راية حمزة أول راية عقدها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لأحد من المسلمين، الطبري ص ٤٠٥ ، جـ ٢(المترجم).

(3) إنه أول مولود ولد للأنصار بعد هجرة النبي (صلى الله عليه وسلم) إليهم، الطبري، ص٤٠١، جـ٢(المترجم).

جحش لضرب قافلة قريش مع ثمانية من الصحابة، وقتلوا عددًا من الكفار، وأسروا عددًا آخر، وهذه أول غنيمة في الإسلام، وحينما انتصف شهر شعبان تحولت القبلة من بيت المقدس، ورأى عبد الله بن زيد الأنصاري الأذان في رؤيا، وحينما دخل رمضان فرض الصوم فيه، وفي فجر السابع عشر من شهر رمضان كان يوم فتح بدر، وفي هذا اليوم كان جمع المشركين خمسمائة وخمسين رجلاً، وكلهم من أشراف قريش ومشاهير العرب، وكان مع المصطفى- صلى الله عليه وسلم- ثلاثمائة وأربعة عشر رجلا وسبعين بعيرًا وجوادًا واحدًا كان يملكه المقداد بن الأسود، وثمانين سيفا، ونزل جمع المشركين بالعدوة القصوى[1]، وكان الصحابة رضوان الله عليهم مع المصطفى في العدوة الدنيا، فأمر الرسول- صلى الله عليه وسلم- الصحابة أن يقيموا أحواضًا ويملؤوها بالماء ويملؤوا كل المواضع الأخرى، وأقاموا للرسول- صلى الله عليه وسلم- عريشة، وقال المصطفى- صلى الله عليه وسلم- للصحابة: أيها الصحابة هذه مكة قد ألقت إليكم بفلذات أكبادها من الأشراف، فماذا أنتم فاعلون؟ فأسهب المهاجرون والأنصار في الحديث عن التضحية والفداء وبذل الروح، وقالوا: يجب أن تكون أرواحنا في المعركة فداء للحق والنبوة، فقال المصطفى- صلى الله عليه وسلم: لقد وعدني الحق تعالى بالنصر، وحينما بدأت المعركة أقسم الأسود بن عبد الأسد المخزومي بين المشركين

---

(١) يقول سبحانه وتعالى في سورة الأنفال آية (٤٣): ﴿ إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ ﴾. (المترجم).

لأخربن حوض المؤمنين، أو لأشبرن منه، أو لأموتن دونه، وخرج واتجه نحو الحوض، فضربه أسد الله حمزة بالسيف على أرجله فأوقعه وطرحه على وجهه، فأخذ يزحف ناحية الحوض ليبر بقسمه، فرجع حمزة وقتله في الحوض، وفي هذه اللحظة خرج عتبة وشيبة أبناء ربيعة والوليد بن عتبة وطلبوا المبارزة من بني أعمامهم.

فتصدى لهم عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب وحمزة وعلي، وجرح عبيدة، وساعده حمزة وعلي، وقتلوا المشركين الثلاثة، ورشق المشركون مهجع بن عبد الله[1] بالسهام واستشهد، ثم خرج أبو جهل وحينما رآه المصطفى- صلى الله عليه وسلم- غضب للحق وللنبوة، وقال: يا أبا بكر لقد قدم جبرائيل ورفاقه، ودخل المصطفى- صلى الله عليه وسلم- بين الصفوف، وأخذ حفنة من التراب، ونثرها في وجه الكفار، وقال: شاهت الوجوه، ثم أخذ حفنة من الحصباء ورماها في اتجاه المشركين فهزموا، وأسر المسلمون اثنين وأربعين من أشرافهم، وأوردوا خمسين من نجبائهم الهلاك وأسروا خمسة من بني هاشم: عقيل بن أبى طالب، ونوفل بن الحارث، وعثمان وعمر[2]، وسليت بن عدي، وصهر المصطفى أبو العاص زوج زينب من بنى أمية.

---

(1) مهجع مولى عمر بن الخطاب الطبرى جـ ٢ ص ٤٤٨ (المترجم).

(2) ذكر المؤلف هنا أسماء عثمان وعمر وهذا خطأ، لأنهما كانا يحاربان فى بدر، ولم يكونا ضمن الأسرى (المترجم).

وجاء معاذ بن عمر، وأثخن أبا جهل بالجراح، وظل مطروحًا حتى أتى عبد الله بن مسعود وقطع رأسه، وهزم المشركون وكان مقتل عصماء في هذا العام[١]، وكذلك مقتل أبي عفك [٢]، وفي هذا العام في شوال كانت غزوة بنى قينقاع، وغزوة سويق كانت في هذا العام أيضًا، حيث تعقب المسلمون أبا سفيان، وفي ذي الحجة يوم عيد الأضحى ذبح المصطفى بيديه خروفين، والله أعلم بأمور تتعلق بعلمه.

السنة الثالثة من الهجرة

يسمون هذا العام : عام الرمض، فبعد أن رجع المصطفى- عليه الصلاة والسلام- من بدر نقض كعب بن الأشرف اليهودي عهد الرسول- صلى الله عليه وسلم- وركب البعير وذهب إلى مكة وقدم العزاء للمشركين، فأرسل المصطفى- صلى الله عليه وسلم- محمدًا بن مسلمة، وسلكان بن سلامة بن وقش[٣] مع فوج، وفي الليل قدما إلى أسفل الحصن الذي يعيش فيه، ونادوا عليه، وقال سلكان: لقد أتيت لطلب قرض؛ لأن محمدًا يريد منا الزكاة، فنزل كعب فأمسكه سلكان تحت ذراعه، وقتله محمد بن مسلمة.

---

(١) عصماء بنت مروان من بني أمية وكانت تهجو المسلمين، وقد قتلها عمير بن عوف بأمر الرسول (صلى الله عليه وسلم) (المترجم).

(٢) أبو عفك: يهودي كان يهجو المسلمين، وهو من قبيلة بنى عمر بن عوف، وقد قتله سالم بن عمير (المترجم).

(٣) كتبهما مؤلف طبقات ناصري محمد سلمة وسلكان سلامي، وقد نقلنا الأسماء التى كتبناها من الطبري (المترجم).

وفي السادس والعشرين من شهر شوال يوم الجمعة خرج المصطفى- صلى الله عليه وسلم- من المدينة، وفي يوم السبت كانت غزوة أحد. فحينما أدى صلاة الجمعة ارتدى سلاحه، وخرج مع ألف رجل من المدينة، وكان المشركون أكثر، فقد كانوا ثلاثين ألف رجل، وكان أبو سفيان على رأسهم، وكانت معه زوجته هند بنت عتبة، وأقسمت أن تأكل كبد حمزة بن عبد المطلب؛ لأن حمزة قتل أخاها في غزوة بدر، وكان المؤمنون يلتفون حول سيد العالمين، وحينما ابتعدوا مقدار ميل عن المدينة رجع عبد الله بن أبى رأس المنافقين بثلث من كانوا حول الرسول- صلى الله عليه وسلم، وسار الرسول- صلى الله عليه وسلم- حتى قدم إلى شِعْب أُحُد، وأوقف عبد الله بن جبير الذي كان أمير الرماة على مدخل الوادي، وقال له: قف هنا يا أخي حتى لا يحضر المشركون في أعقابنا، وأعطى الرسول- صلى الله عليه وسلم- لواء الإسلام إلى ابن عمه مصعب بن عمير بن هاشم[1]، وتواجه الفريقان للحرب، وطلبت هند زوجة أبي سفيان غلام جبير بن مطعم وكان يدعى وحشي، وقالت له: إن تقتل حمزة سوف أعطيك الحلي والجواهر من أذني ورقبتي ويديَّ وأرجلي، أما جبير بن مطعم مالك وحشي فقد قال له: إن عمه قد قتل يوم بدر بأيدي المسلمين وتحت أرجلهم، فإذا قتلت حمزة فأنت حر طليق.

وعندئذ استشهد مصعب بن عمير الذي كان بيرق المصطفى في يده، فأعطى المصطفى البيرق لعلي بن أبى طالب ومنّ الله تعالى بالنصر، وهُزم المشركون، وعندئذ ترك الرماة مدخل الوادي للحصول على الغنائم، فتعقبهم

---

(1) ذكر الطبري في هذا الصدد: (وأعطى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) اللواء رجلا من قريش يقال له مصعب بن عمير) (المترجم).

خالد بن الوليد بمائة فارس، واستشهد عبد الله بن جبير أمير الرماة، ونهض الكفار من أكمنتهم وقتلوا حمزة، ووقعت الهزيمة للمسلمين، ورمى الكفار وجه الرسول المبارك بالحجارة وكسرت أسنانه المباركة، وسال الدم من وجهه، وسقط في حفرة وأمسك علي وطلحة بيده المباركة وأخرجوه، ونادى الشيطان من أعلى الجبل: الآن قُتل محمد، ومثلت هند ونساء المشركين بقتلى المسلمين، واستشهد سبعون من المسلمين، وقتل اثنان وعشرون من المشركين، وذهبوا إلى النار وبئس المصير، ورجع المصطفى- صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة. وفي هذا العام ولد الحسن بن علي، وتزوج المصطفى- صلى الله عليه وسلم- بزينب بنت خزيمة، وزوج أم كلثوم لعثمان بن عفان- رضي الله عنه، والله أعلم بالصواب.

السنة الرابعة من الهجرة

يسمون هذا العام عام الترقية، ويروي محمد بن إسحاق: حينما رجع الرسول- صلى الله عليه وسلم- من أحد، قدم قوم من قبيلة عَضَل والقارة، وطلبوا معلمين يفقهونهم في الدين، فعين لهم الرسول- صلى الله عليه وسلم- ستة من أصحابه: مرثد[1] بن أبى مرثد الغنوي حليف حمزة بن عبد المطلب، وخالد بن البكير حليف بني عدي بن كعب، وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح أخا بني عمرو بن عوف، وخُبَيْب بن عدي أخا بني جَحْجَبى بن كُلفة بن عمرو بن

([1]) أخذنا الأسماء التى بين القوسين من الطبري جـ ٢، ص ٥٣٨ لأن منهاج السراج ذكر أربعة فقط وليس ستة كما قال، هذا علاوة على الخطأ في أسمائهم، ويبدو أن هذا الخطأ من الناسخ ولهذا وجب تصحيح أسماء هؤلاء الستة الذين بعثهم الرسول- صلى الله عليه وسلم- وسوف أذكر الأسماء مصححة في بقية الكلام (المترجم).

عوف، وزيد بن الدثنة أخا بني بياضة بن عامر، وعبيد الله بن طارق حليفا لبني ظفر بن بَلي، وحينما وصلوا مع القوم إلى الرجيع[1]، هؤلاء القوم غدروا بالستة، وجردوا سيوفهم، وحملوا عليهم فاستشهد ثلاثة هم: (عاصم بن ثابت، ومرثد، وخالد بن البكير[2] وأسر خُبيب[3]، ثم شنقوه وفي هذه اللحظة دعا الله- سبحانه وتعالى- أن يريه طلعة المصطفى- صلى الله عليه وسلم- فرفعت الأستار والحجب، وظهر له الحبيب المصطفى في المدينة، فرأى طلعته البهية وجماله المبارك، ثم فاضت روحه رضي الله تعالى عنه، ونزلت هذه الآية بشأنهم ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾[4].

ثم وقعت حادثة بئر معونة، وهي أن المصطفى- صلى الله عليه وسلم- بعث المنذر بن عمرو الأنصاري مع أربعين رجلا من أصحابه من خيار المسلمين إلى نجد، ليدعوهم للإسلام، وحينما وصلوا إلى بئر معونة حمل عليهم عامر بن الطفيل مع جماعته وضربوهم، واستشهدوا جميعًا، ولكنه أطلق عمرو بن أمية الضمري الذي كانوا قد أسروه فداء القسم، وحينما طفق عمرو راجعا

---

(1) هو ماء لهذيل بناحية الحجاز، الطبري، جـ ٢، ص ٥٣٨. (المترجم).

(2) ذكر منهاج السراج اسم عاصم وثابت فقط، فقال: (عاصم وثابت وسه يار شهيد شدند). وترجمتها، واستشهد عاصم وثابت وثلاثة من الصحابة وكأنه جعل عاصمًا شخصًا وثابتًا شخصًا، وهذا فيما يبدو خطأ الناسخ (المترجم).

(3) ذكر اسمه حبيب في النص الفارسي وهذا خطأ الناسخ أيضًا (المترجم).

(4) سورة البقرة: آية (١٠٦).

إلى المدينة، كان اثنان من بني عامر قد ذهبا إلى المدينة وأسلما وأخذا العهد من النبي- صلى الله عليه وسلم، ولكن عمرو أدركهما في الطريق وقتلهما، وحينما عرف الرسول- صلى الله عليه وسلم- قال له: لقد فعلت فعلة شنعاء وغدرت بالرجلين، فأخذ يدعو ويتضرع ويتوب أربعين يومًا، ولم يعرف إنسان قط في دولة الإسلام حادثة للغدر بهذا السوء والقبح، وفي هذا العام كانت غزوة ذات الرقاع، وغزوة بدر الثانية وتزوج المصطفى- عليه السلام والتحية- في هذا العام من أم سلمة، والله أعلم بالصواب.

السنة الخامسة من الهجرة

يطلقون على هذا العام عام الزلزال، ولقد ذهب المصطفى- صلى الله عليه وسلم- إلى دومة الجندل من ناحية حدود بلاد الروم، وفي هذا العام كانت غزوة بني المصطلق، ولقد وقع حديث الإفك في هذا العام، وكانت السيدة عائشة- رضي الله تعالى عنها- ترافق المصطفى- صلى الله عليه وسلم- في هذا السفر، وفي وقت الرحيل خرجت من الهودج لتجدد وضوءها، وحينما انتهت من وضوئها ورجعت، كان الصحابة قد غادروا المكان، فظلت هناك متلفلفة في ثيابها، وكان صفوان[١] قد توقف لأنه كان على ساقة[٢] الجيش، فأركب السيدة عائشة في الهودج خلفه، وكان الجيش قد نزل منزلا، وحينما رأى المنافقون صفوان تحدث كل شخص بكلمة، وحينما وصلوا إلى المدينة استأذنت عائشة- رضي الله عنها- وذهبت إلى منزل والدها، ومضى شهر كامل، وعلمت عائشة بهذه التهمة فظلت تبكي ليل نهار، وفجأة دخل الرسول- صلى الله عليه وسلم-

---

(١) اسمه صفوان بن المعطل السلمي، الطبري، جـ ٢، ص ٦٢١.

(٢) الذي يقوم على ساقة الجيش يلتقط ما سقط من متاع المسلمين حتى يأتيهم به، وقيل في تخلف صفوان أمر آخر: وهو أنه كان ثقيل النوم لا يستيقظ حتى يرحل الناس الطبري، جـ ٢، ص٦١٢.

إلى منزل أبي بكر رضي الله عنه، حيث نزل الوحي ست عشرة آية في براءة عائشة- رضي الله تعالى عنها، وأقيم الحد على مصطفى بن ثابت[١]، ومسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش، وعبد الله بن أبي[٢].

وفي شهر ذي القعدة كانت غزوة الخندق، والسبب في ذلك أن يهود بني قريظة نقضوا عهد المصطفى عليه السلام، وحرضوا المشركين في مكة على قتل محمد- صلى الله عليه وسلم، وكان على رأسهم حيييٌ بن أخطب، وسلام بن أبي الحقيق، أما غطفان فكان على رأسهم عتبة بن الحصين الفزاري وقدم أبو سفيان وقادة قريش وجملتهم عشرة آلاف على أبواب المدينة، فأمر الرسول- صلى عليه وسلم- بمشورة سلمان الفارسي بحفر خندق حول المدينة، وخرج مع ثلاثة آلاف رجل، واستمرت الحرب واحدًا وعشرين يومًا، وفي النهاية دخل مبارزو المشركين عمرو بن عبد ود مبارز العرب وعكرمة بن أبي جهل وآخرون للمبارزة، وضرب علي بن أبي طالب- كرم الله وجهه- عمرو بن عبد ود وقتله، وأرسله إلى الجحيم وبئس المصير، وخرج الآخرون من الخندق مهزومين، وفكر نُعيم بن مسعود بن عامر الأشجعي[٣]- رضي الله عنه- في الحيلة والتدبير والمكر بإذن المصطفى- صلى الله عليه وسلم- وقال لليهود ليلاً: إنني صديقكم فاسمعوا نصيحتي خذوا من قريش رهائن، وعندئذ قاتلوا محمدًا، فقبلوا ثم جاء إلى قريش، وقال:

لا تركنوا لهؤلاء اليهود، فإنهم يريدون أن يأخذوا منكم رهائن، ويعطون مائة رجل لمحمد، ثم أتى للمصطفى- صلى الله عليه وسلم- وقال: لقد أثرت كلا الفريقين وفي اليوم التالي طلبت قريش المدد من اليهود، فطلب اليهود

---

(١) الأصح: حسان بن ثابت (المترجم).

(٢) لم يقم الحد على عبد الله بن أبي مع أنه رأس النفاق (المترجم).

(٣) صححنا الاسم كما ذكره الطبري (المترجم).

الرهائن من قريش وعندئذ صدقوا حديث نُعيم، وكلا الفريقين فقد الثقة في الآخر، وفي الليل أرسل الحق تعالى ملائكة اقتلعت خيامهم.

واشتدت البرودة عليهم، فرجعوا جميعا خائبين خاسرين، وأتى المصطفى- صلى الله عليه وسلم- بجيش إلى حصون بني قريظة وحاصرهم خمسة وعشرين يومًا، وبعد ذلك نزلوا على حكم سعد بن معاذ، فحكم بقتل رجالهم وأسر أبنائهم، فأمر الرسول- صلى الله عليه وسلم- فقتلوا سبعمائة من رجالهم وسبا النساء والأبناء، وفي هذه الحرب استشهد سبعة من المسلمين رضي الله عنهم.

السنة السادسة من الهجرة

يطلقون على هذا العام عام الاستئناس؛ ففي هذا العام أرسل الرسول- صلى الله عليه وسلم- خمس عشرة سرية إلى الأطراف، وسرية عرنين كانت في هذا العام أيضًا، فلقد قدم رجال هذه القبيلة وأعلنوا إسلامهم، ولكن أجواء المدينة لم تكن ملائمة لهم، فمرضوا فأرسلهم الرسول- صلى الله عليه وسلم- فوق الإبل ليستشفوا في هواء البادية فقتلوا الذين كانوا يسوقون لهم الإبل، وسرقوا الإبل، فأرسل الرسول- صلى الله عليه وسلم) كرز[1] بن جابر الفهري في أعقابهم فقبض عليهم وأمسكهم، وقطع أيديهم وأرجلهم، وفقأ أعينهم وتركهم في الشمس الحارقة حتى قتلتهم حرارة الشمس، وذهبوا إلى النار وبئس المصير، ثم كانت غزوة ذي قرد[2]، وفيها تعقب المسلمون الإبل التي كان عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري[3] أغار عليها واستردوها، ثم كانت

([1]) ورد الاسم: كور بن جابر وفيما يبدو أن هذا خطأ الناسخ؛ لذا لزم التصحيح (المترجم).

([2]) ماء في المدينة مما يلي بلاد غطفان (المترجم).

([3]) ذكر اسمه في طبقات ناصري عتبة حصين فراوى وقد قمنا بتصحيح الاسم من الطبرى (المترجم).

غزوة الحديبية في شهر ذي القعدة، فقد رأى المصطفى (صلى الله عليه وسلم) في الرؤيا أنه قدم إلى مكة، فأمر الصحابة أن يحرموا للعمرة، واتجه مع سبعمائة من الصحابة من المدينة إلى مكة، وساقوا معهم الهدى وحينما وصلوا إلى عُسفان[1] قدم بشر بن سفيان الكعبي إلى المصطفى- صلى الله عليه وسلم، وقال له: إن أهل مكة مستعدون لمنعك، ولقد قدم خالد بن الوليد إلى كراع تميم[2]، ولكن المصطفى- صلى الله عليه وسلم- اتخذ جانب السلم، وأرسل عثمان بن عفان- رضي الله تعالى عنه- إلى أهل مكة يقول لهم: لقد جئنا للعمرة فحبسه أهل مكة.

ووصل الخبر إلى الرسول- صلى الله عليه وسلم- بأن عثمان استشهد فأمر الرسول- صلى الله عليه وسلم- أن يحبسوا سعدا، واستعدوا لقتال قريش، فأرسلت قريش سهيل بن عمرو إلى الرسول- صلى الله عليه وسلم- وأخبره بأن عثمان حي، ولم يستشهد، وأن على المسلمين أن يرجعوا هذا العام، وفي العام القادم في مثل هذا اليوم سوف تخلى قريش مكة ليحضر الرسول- صلى الله عليه وسلم- هو وأصحابه لأداء العمرة، ويستمر الصلح عشرة أعوام، وكل من يذهب إلى المدينة من قريش يرده المسلمون، ومن يذهب من المدينة إلى مكة لا يردوه[3]، ولكل من القبائل إرادته وحريته في أن يدخل في اتفاق محمد- صلى الله عليه وسلم- أو يدخل في اتفاق قريش، وعقدت المعاهدة وذبح المصطفى-

---

(1) غسفان: بضم العين وسكون السين هى بلد على مسافة ثمانين كيلو مترا من مكة شمالا طريق المدينة (المترجم).

(2) على بعد ثمانية أميال من غسفان (المترجم).

(3) ذكر منهاج السراج في الجملة الفارسية: "وهركه ازمدينة بمكة آيد، باز دهند"، ومعناها وكل من يذهب من المدينة إلى مكة يردوه ، وهذا القول غير صحيح وفيما يبدوا أن الفعل كانت تسبقه نون النفي ولكنها سقطت في السياق، لأن نصوص المعاهدة كانت تقضى بالذى ذكرناه فى الترجمة (المترجم).

صلى الله عليه وسلم-) الهدي وفي الطريق نزلت الآية ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

السنة السابعة من الهجرة

يسمون هذا العام عام الاستدلال، يقول الراوي: إن المصطفى- صلى الله عليه وسلم- اتجه إلى خيبر بألف وأربعمائة من الصحابة، وكان لهذه البلاد عدة حصون ففتح واحدا واحدا حتى وصلوا إلى حصن الوطيح والسُّلالم، وحاصر الرسول- صلى الله عليه وسلم- هذا الحصن عشرة أيام بلياليهم حتى خرج مرحب مبارز اليهود وأكثرهم شجاعة مرتديا سلاحه، وأراد المبارزة، فخرج إليه محمد بن مسلمة في الميدان، وكانت بينهما شجرة وكان كلاهما يرد ضربة خصمه بها، حتى قطعت هذه الشجرة بضرب السيوف وعندئذ ضربه محمد بن مسلمة وقتله وأرسله إلى النار وبئس المصير.

وفي رواية أخرى للشيعة: إنَّ عليا- رضي الله عنه- هو الذي قتل مرحبًا، وأرسل محمد- صلى الله عليه وسلم- أبا بكر- رضي الله عنه- مع فوج من الصحابة إلى حصن من حصون خيبر، وحينما وصل إلى هناك قاتل قتالا مريرًا ولكنه لم يفتحه، فرجع فاستدعى المصطفى- عليه السلام والتحية- في اليوم التالي عليًا، وكان علي أرمد العين فتفل الرسول- صلى الله عليه وسلم- بماء فمه المبارك في عينيه وأعطاه الراية، وأرسله إلى تلك القلعة، وفي الحال صحت عينه المباركة، واتجه صوب تلك القلعة وشرع في القتال، فخرج المبارزون اليهود وانضموا للقتال، وفجأة ضرب أحد المبارزين اليهود درع علي- رضي الله عنه- فسقط الدرع من يده، فرأى بابًا بالقرب من القلعة فأخذه

على وتترس به، ظل يقاتل حتى فتح القلعة، ويقول سلمة بن الأكوع- رضي الله عنه: بعد الفتح ذهبت مع سبعة من الصحابة لنحرك الباب ومهما اجتهدنا لم نستطع أن نحركه من ناحية إلى أخرى، ومن الروايات الصحيحة التي كانت في تلك الغزوة: إن امرأة سلام بن مشكم طفح كيدها، وعبأت بالسم شاة مشوية وأتت بها إلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فقال رسول الله- صلى عليه وسلم: إن هذه الشاة تخبرني أنها مسمومة فأخرجوا الخوان الذي عليه هذه الشاة المسمومة. وقدم جعفر الطيار من الحبشة، وفي ذلك اليوم فتحت جميع القلاع، وفي هذا العام أمر الرسول- صلى الله عليه وسلم- فصنعوا له خاتمًا، وكتبوا على الخاتم محمدًا، وبعثوا الرسل إلى ملوك البلاد من العرب والعجم والروم، والله أعلم بالصواب.

السنة الثامنة من الهجرة

يسمون هذا العام عام الاستواء، وكانت غزوة مؤتة في هذا العام. ففي هذا العام يقول الراوي: إن المصطفى- صلى الله عليه وسلم- أرسل الحارث بن عمرو- رضي الله عنه- إلى شرحبيل بن عمرو، وكان عامل هرقل في الشام؛ فقتل شرحبيل رسول المصطفى- عليه السلام، فأرسل المصطفى ثلاثة آلاف رجل إلى هذه الأنحاء، وجعل زيدًا بن حارثة أميرًا عليهم، وأمر إذا استشهد زيد فجعفر بن أبي طالب أميرًا، وإذا استشهد فعبد الله بن رواحة أميرًا، وذهب الجيش، وحينما وصلوا إلى مؤتة وهو موضع من حدود الشام، وكان هرقل مع عشرين ألف رجل في أرض بلقا، والتحم جيش هرقل بجيش المسلمين، وحينما احتدم القتال استشهد زيد بن حارثة، فأمسك الراية جعفر، وترجل فقطعوا يده

اليمنى، فأمسك الراية بيده اليسرى فقطعت اليسرى أيضًا، فأمسك الراية بصدره ثم استشهد، وكان عمره ستة وثلاثين عامًا، وعوضه الحق تبارك وتعالى بدلا عن يديه جناحين ليطير بهما في الجنة، وأمسك عبد الله بن رواحة الراية واستشهد، فأمر الجيش عليهم خالد بن الوليد ورجعوا- رضي الله عنهم.

وحينما دخل شهر رمضان عقد بنو بكر وقريش عهدًا مع المصطفى- صلى الله عليه وسلم، ثم نقضوه؛ فأمر المصطفى- عليه الصلاة والسلام- واستعد الصحابة بعشرة آلاف رجل، وساروا إلى مكة، وحينما وصلوا بالقرب منها أمر بأن يشعل كل رجل نارين إلى أن تصير عشرين ألف نار، وكان العباس بن عبد المطلب يريد أن يبعث برسولٍ إلى قريش؛ لأن قريشًا لم يكن لديها الخبر عن جيش الصحابة، فقدم أبو سفيان ابن حرب وبديل بن ورقاء من مكة ليتفحصوا الأمر، وفي الليل المظلم قالوا لبعضهم البعض: إننا لم نر جيشا بهذه الكثرة مطلقًا، وفطن العباس لكلامه؛ فصاح: يا أبا سفيان، واه لقريش فرمى أبو سفيان نفسه في أحضان العباس، وفي اليوم التالي في الصباح الباكر قدم أمام المصطفى- صلى الله عليه وسلم- وأعلن إسلامه. ودخل النبي مكة مع عشرة أفواج من الفرسان، وكل فوج ألف رجل مدججين بالسلاح، بحيث لم يظهر منهم شيء سوى الأعين والآذان والشفاة، وتفرق الخلق، وقدم الرسول إلى المسجد، وطاف وكان يشير بالسوط إلى الأصنام فكانت تنكفئ على الأرض، ظل خمسة عشر يوما في مكة، ثم ذهب إلى حنين، وكانت هوازن وثقيف بين مكة والطائف، وكان رئيسهم عوف بن مالك[1]، وحينما وصل المصطفى مع اثني عشر ألف رجل من

([1]) جاء اسمه في الطبري مالك بن عوف، ص ٥٤٢، جـ ٢، طبعة بيروت. (المترجم).

المهاجرين والأنصار، وألفين من أهل مكة إلى حنين، اندلع القتال، وهزم المشركون، وأسروا منهم ألف رجل وظفر المسلمون بمواش وأموال كثيرة لا تعد ولا تحصى، وذهب بقية المشركين إلى الطائف وتحصنوا بقلعة، ففتح المسلمون تلك القلعة، ورجع المصطفى ودخل إلى المدينة، وكانت ولادة إبراهيم ابن المصطفى في هذا العام، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

السنة التاسعة من الهجرة

يسمون هذا العام عام البراءة، وغزوة تبوك كانت في هذا العام، فقد استعد هرقل ملك الروم لها بنفسه، مبيئًا سوء القصد للرسالة المحمدية، وأن يأتي للمدينة من أجل استئصال شأفة جيوش الإسلام، وحينما انتشر الأمر أعلموا سيد الكونين بهذا الموضوع، فأمر أصحابه- رضي الله عنهم- أن استعدوا للذهاب إلى الروم، وفي عموم الأحوال وجميع الأوقات الأخرى وفي كل آن وزمان، كان سيد المرسلين يصمم على الغزو كان يخفيه، ويتظاهر بأنه متجه لجهة أخرى حتى لا يعلم الخصوم في أي مكان سوف يتجه، ولكن في هذا السفر كشف سيد المرسلين الرسول- صلى الله عليه وسلم- وجهته، وأعلم الصحابة: إنكم سوف تتوجهون إلى بلاد الروم بناء على رأي النبوة.

والسبب في ذلك أن الوقت كان صيفًا، وكان موسم الحر القائظ في الحجاز، وكان جيش الإسلام كثيرًا وعددهم لا يحصى، وكان القحط في أطراف الشام والروم وأكنافهما، ومن المدينة حتى تبوك التي كانت هي الطرف المقصود تسعون فرسخًا، وحينما استعد الصحابة خرج سيد الأنبياء- عليه الصلاة والسلام- من المدينة مع ثلاثين ألف من الصحابة، عشرة آلاف فارس

يمتطون الجياد، وعشرة آلاف فارس يمتطون الإبل وعشرة آلاف من المشاة، وأخلف عليًا بن أبي طالب- رضي الله عنه- في المدينة، ثم سار الرسول- صلى الله عليه وسلم- إلى تبوك، وحينما وصل إلى هذا الموضع تفرق جيش هرقل الروم، ومن تبوك أرسل الرسول- صلى الله عليه وسلم- خالد بن الوليد إلى دومة الجندل، وكان أميرهم أكيدر الكندي، وقال المصطفى لخالد بن الوليد: إنك سوف تجده في المصطاد، فوصل إليه خالد في الليل وقبض عليه وأحضره أمام المصطفى- صلى الله عليه وسلم، وحينما عفا عنه قبل الجزية، ورجع ونزلت سورة ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ في هذا العام، وأرسل أبا بكر وعليًا- رضي الله تعالى عنهما- إلى مكة ليعلمهم بقافلة المشركين، والله أعلم، اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد وبارك وسلم.

السنة العاشرة من الهجرة

يسمون هذا العام عام حجة الوداع؛ ففي هذا العام أرسل المصطفى- عليه السلام والتحية- أسامة بن زيد إلى أرض فلسطين؛ ليطلب ثأر والده زيد بن حارثة، وحينما وصل إلى هناك استولى على هذه البلاد وقتل الكثير من المشركين، وأحرق أماكنهم، وفي هذا العام أتت الأفواج من كثير من قبائل العرب معلنين إسلامهم، وفي الخامس والعشرين من ذي القعدة خرج الرسول- صلى الله عليه وسلم- من المدينة مع زوجاته أمهات المؤمنين؛ وذلك ليحج مع جميع أهل بيته، وساق الهدي وودع الكعبة، وألقى خطبة الوداع، وحينما دخل العام الحادي عشر اشتد المرض على ذاته المباركة ومرض اثني عشر يومًا،

ويوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة وقت الظهيرة رحل رسول الله- صلى الله عليه وسلم- من دار الفناء إلى دار البقاء، وقيل: إن مدة مرضه كانت أربعة عشر يومًا، وقد أوصى أن يغسله علي بن أبي طالب والعباس وأبناء العباس: الفضل، وقُثَم، وأن يكون معهم أسامة بن زيد- رضي الله عنهم- وشقران مولى الرسول-صلى الله عليه وسلم، وأن يكون معهم أوس بن خَوْلي الأنصاري، وقد كفنوه في ثلاثة أثواب بيض، وصلى عليه الصحابة كلّ على حدة بلا جماعة أو إمام ودفنوه في حجرة عائشة- رضي الله عنها.

صلى الله عليه وسلم وعلى آلة وأصحابه وذريته إلى يوم الدين.

الطبـــــقة الثانية

طبقة الخلفــاء الراشـدين

الأول: أبو بكـــــر

أبـو بكـر الصـديق (رضـي الله عنـه) هـو خليفـة الرسـول (صـلى الله عليـه وسلم)، اسمه: أبو بكر عتيق بن أبى قحافة، وأبو قحافة: هو عثمان بن عامر بن عمر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، وأبـو بكـر (رضـي الله عنـه) كـان رجـلا طويل القامة، أبيض الوجه، أحمر البشرة، ملفوف القوام، كثيف الشعر، تظهر الشـرايين في وجهه المبارك، كان بارز الجبهـة، غـائر العينين يعتبـر مـن جملـة أغنيـاء قـريش، كـان يذهب إلـى الشـام للتجـارة، وقبـل ظهـور الإسـلام، أوصـاه راهب، وقال له: انتظر نبي آخر الزمان. وقالوا: إنه رأى رؤيا، وحينمـا استيقظ سمع الخبـر عـن المصـطفى (صـلى الله عليـه وسـلم) فأسلم، ودعـا أقربـاءه إلـى الإسلام، وبدعوته أسلم عثمان بن عفان، والزبير بـن العـوام، وطلحـة وسـعد بـن أبى وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، كان أبو بكر فـي الثلاثين مـن عمـره حين أسـلم، وكـان لـه سـتة مـن الأولاد: عبـد الله، وعبـد الـرحمن، ومحمـد، وعائشـة، وأسماء، وأم كلثوم، وقد هاجر مـع المصـطفى (صـلى الله عليـه وسلم وعلـى آلـه وصحبه وأزواجه وأمهاته). وجعل أبو بكر مالـه وأبنـاءه فداء للمصطفى، وقد جعله الرسول (عليه السلام) فـي آخـر حياتـه إمامًـا، وبعد المصـطفى (صـلى الله عليه وسلم) بإجماع الصحابة تولى الخلافة، وقتل كل من ارتد من العرب، وفـي

أيام خلافته فتح البحرين و...... بحر[١]، وفتح ما حول العراق من بوادي العرب، وفتح أجزاء من الشام، وفتح حمص وأجنادين من أرض فلسطين، وقتل مسيلمة الكذاب، والأسود بن كعب الكذاب، وفي أخر عمره مرض خمسة عشر يومًا، وتوفي عام ثلاثة عشر من الهجرة، ودفنوه إلى جوار المصطفى (صلى الله عليه وسلم) في حجرة عائشة (رضي الله عنها) وكانت مدة خلافته عامين وثلاثة أشهر وعشرة أيام، والله أعلم بالصواب.

الثاني: عمر الفاروق (رضي الله عنه)

عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) اسم والده ابن نفيل بن عبد العزى بن قرط بن رباح بن عبد الله بن رواح بن عدى بن كعب بن لؤي، وهو يلتقي في الجد الثامن مع محمد المصطفى (صلى الله عليه وسلم)، وكنيته: أبو حفص، وأمه حيثمى بنت هاشم بن المغير المخزومي[٢] وحسب رواية أهل الحجاز: كان عمر أبيض شديد البياض، طويل القامة، أصلع الرأس، أحمر الوجه، وحسب رواية أهل العراق: كان أسود اللون، ويداه قويتان، وكان يستطيع أن يصيد بكلتا يديه، كان في الخامسة والعشرين من عمره حينما أسلم، وفي العام السادس من الهجرة دعا المصطفى (صلى الله عليه وسلم) وقال: اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين: عمرو بن هشام، أو عمر بن الخطاب[٣] واستجيبت الدعوة لعمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، كان عمر رجلا عظيمًا، صلبا قويا، كانت أخته فاطمة زوجة سعيد بن زيد بن عمر بن نفيل، وكان زيد والخطاب شقيقين،

---

(١) ذكر الأستاذ حبيبي في حاشيته أن هذه الكلمات لم تقرأ في أصل المخطوط. (المترجم).

(٢) أمه حنتمة بنت هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم. المسعودي، ص ٣٠٥ جـ١، دار الأندلس، طبعة بيروت (المترجم).

(٣) وردت في طبقات ناصري: اللهم أعز الإسلام بأبي جهل بن هشام أو بعمر بن الخطاب، ولكن في الوقت الذي دعا الرسول فيه بهذه الدعوة لم يكن عمرو بن هشام قد لقب بأبي جهل، ولهذا قمنا بالتصحيح الذي ورد في الترجمة (المترجم).

وسعيد هذا هو ابن عم عمر، وكان الخباب بن أرت يعلم أخته وصهره القرآن الكريم، وكانا قد أسلما، وكانت قريش تذكر المصطفى- صلى الله عليه وسلم- على أبواب الكعبة، ويقولون إنه: خالف دين آبائنا.

فنهض عمر بن الخطاب وجرد حسامه من غمده وذهب ليقتل المصطفى (صلى الله عليه وسلم)، وفي الطريق قال له نعيم بن عبد الله النحام: يا عمر إن أبناء عبد مناف لن يتركوك تقتل محمدًا، اقتل أختك وصهرك أولاً، فقدم إلى منزل أخته، فسمع صوت قراءة القرآن، فقد كانا يقرآن سورة طه، وحينما سمعها أمسك المصحف، وقرأ بعد أن اغتسل، فحل الإسلام في فؤاده، وكان المصطفى (صلى الله عليه وسلم) في دار الأرقم بن الأرقم، فذهب إلى هناك وأسلم، وكانوا تسعة وثلاثين شخصًا، وكان عمر الأربعين، فأقسم: إنني لن أعبد الله سرًا، وخرج شاهرًا السيف وجهر باعتناقه الإسلام، وبعد أبي بكر صار هو الخليفة، وأصبح يُدعى أمير المؤمنين، وداوم على صلاة الجماعة وصلاة التراويح وأنار المساجد، وفتح كثيرًا من الفتوحات وقت خلافته، مثل الشام ومصر والجزيرة والعراق وجبال أرمينية والأهواز وفارس وإصطخر والري وآذربيجان وأصفهان وبيت المقدس ونهاوند، وهو أول من وضع التأريخ، وهو الذي دون ديوانًا لمعاملة جيوش الإسلام ومواجبهم في العام السابع لخلافته.

ولقد حج في مدة خلافته عشر حجج متتالية، وكانت خلافته عشرة أعوام وخمسة أشهر وستة أيام، واستشهد سنة ثلاث وعشرين للهجرة على يد أبي لؤلؤة المجوسي، ودفن في حجرة عائشة إلى جوار المصطفى- صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وأزواجه أمهات المؤمنين، وأبي بكر رضي الله عنهم. وأبناء

عمر هم: عبد الله، وعبيد الله، وعاصم، وزيد، ومحيرا وأبو شحمة[1] رضي الله عنهم أجمعين .

الثالث: عثمان ذو النورين رضي الله عنه

عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، وعفان: هو ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وكنيته: أبو عمرو، كان صهر المصطفى- صلى الله عليه وسلم- في ابنتيه رقية وأم كلثوم، وأم عثمان هي: أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس. كان عثمان- رضي الله عنه- متوسط الطول، جميل الوجه، رقيق البشرة، غض القوام، قمحي اللون، طويل اللحية، عظيم المنكبين، يلبس تلبيسات ذهبية على أسنانه، ويذكرون أنه كان قادمًا بتجارته من الشام وفي وسط الطريق نزل بمنزل رزفي ومعان[2] وبين اليقظة والمنام سمع صوتًا يقول: أيها النائمون استيقظوا واستعدوا فقد بعث أحمد، وحينما قدم إلى مكة ذهب إلى المصطفى- صلى الله عليه وسلم- وأعلن إسلامه، وحينما علم عمه الحكم بن أبي العاص بإسلامه، قيده حتى يترك الإسلام، ولا يتحول عن دين آبائه، وأقسمت والدته ألا تطعمه، ولكنه لم يتحول عن دين الإسلام مع أنه رأى الذل ونفض الجميع أيديهم عنه، وحينما استشهد عمر بايعوا عثمان

---

(1) أورد المؤلف منهاج السراج أسماء أولاد عمر رضي الله عنه في مبحث العشرة المبشرين بشكل آخر وروايات المؤرخين مختلفة في هذا الشأن، واسم محيرا لم يوجد في كتاب آخر. (المترجم).

(2) رزفي ومعان هي مدن بالشام كان يقطن فيها بنو أمية (المترجم).

بالخلافة وأعطوه خاتم المصطفى- صلى الله عليه وسلم، وفي أيامه كثرت الفتوح فقد فتحت البصرة وما تبقى من حدود أصفهان والري وإصطخر وفارس ودارابجرد وكرمان وسجستان وطبرستان وخراسان، وإيران ونيشاپور وهرات[1] ومرو شاهجان[2] وهري رود وبلخ[3] وطخارستان وأرمينية وأرض الروم وكندرية وطرابلس وقبرص. كانت له مناقب كثيرة: فقد جمع القرآن الكريم في المصحف الذي كان أبو بكر كتبه بخط زيد بن ثابت بمشورة عمر- رضي الله عنهما- ووضعه في بيت المال فأمر عثمان فكتبوا منه عدة نسخ، وأرسل إحداها إلى مكة وأخرى إلى المدينة وثالثة إلى الشام، ورابعة إلى العراق، وأخرج من أيدي الجميع النسخ التي كانت مخالفة لهذه النسخة، وجمع الجميع على مصحف واحد، وحينما دخلت سنة خمس وثلاثين من الهجرة ثار

---

(1) هرات = هَرات = هراة = هَراة تكتب وتقرأ بكسر الهاء وفتحها ، وفتح التاء وضمها، وهى إحدى مدن أفغانستان التاريخية العظيمة، وتقع في الشمال الغربي، وهى عاصمة محافظة هرات، وأقرب المدن للحدود الإيرانية، وترتفع تسعمائة وعشرين مترًا فوق سطح البحر، وتبعد عن كابل العاصمة ألف كيلو متر، وكانت هرات عاصمة المشرق الإسلامى إبان حكم التيموريين في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين (المترجم).

(2) مدينة مرو تنقسم إلى قسمين: مرو روذ، ومرو شاهجان، أما مرو روذ فهو اسم لمنطقة ومدينة تاريخية مهمة في وادي مرغاب بأفغانستان، وقد بنى فيها الأحنف بن قيس قصره المشهور. وكان الخليفة المأمون يقيم في مرو حينما كان واليًا على خراسان من قبل والده هارون الرشيد. أما مرو شاهجان فهي في آسيا الوسطى، وكانت قاعدة للجيوش الإسلامية في القرنين الأول والثاني الهجريين. وكانت مرو شاهجان ومرو روذ منطقة واحدة. (المترجم).

(3) بلخ: أهم المدن التى تقع شمال أفغانستان، وهي على شاطئ نهر جيحون، وينسب النهر إليها فيقال: نهر بلخ، وتلقب بلخ بأم المدائن أو بلخ البهية، وبها كثير من الآثار القديمة والإسلامية، وترتفع أربعة آلاف متر عن سطح البحر. (المترجم).

جماعة من الصحابة وحاصروه في منزله، وظل في هذا الحصار عشرين يومًا، ثم أحدثوا ثغرة في جدار المنزل ودخلوا وطعنه عمرو بن بديل في حلقه، وكان المصحف بين يديه، وقد استشهد- رضي الله عنه- على يد دينار بن عياض يوم الأربعاء، وظل في المنزل حتى يوم السبت ثم دفنوه بعد ذلك[١]، كان لعثمان- رضي الله عنه- عشرة من البنين وأربع من البنات، أما البنون فهم: عبد الله الأكبر، وعبد الله الأصغر، وخالد، وأبان، وعمرو، وسعيد، والمغيرة، وعبد الملك، وعمر[٢]، أما البنات فهن: أم إمارة[٣]، وعمرة، وأم سعيد، وعائشة. وقد حج عثمان بنفسه عشر حجج، ومدة خلافته اثنا عشر عامًا إلا عشرة أيام، وكان عمره ثمانية وثمانين عامًا، وبعضهم قال: تسعين عامًا، والله أعلم.

الرابع: علي المرتضى كرم الله وجهه

علي- كرم الله وجهه- بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هشام، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم، وهو أول شخص أبوه وأمه من بني هاشم، وكانت كنية علي- رضي الله عنه- أبا الحسن، وحسب رواية الواقدي: كان- رضي الله عنه- شديد السمرة، ذا بطن كبير، وواسع العينين، أصلع الرأس، قصير القامة.

---

(١) ذكر عن هشام بن الكلبي أنه قال: قتل عثمان- رضي الله عنه- صبيحة الجمعة لثماني عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، وقيل: ست وثلاثين. الطبري، جـ ٤، ص ١٤٢ طبعة بيروت (المترجم).

(٢) ذكر منهاج السراج أن أولاد عثمان بن عفان عشرة من البنين وذكر تسعة فقط (المترجم).

(٣) نظن أن هذا الاسم هو: أم عمارة، وأن هذا خطأ من الناسخ (المترجم).

وبرواية محمد بن إسحق: توفي وعمره ثلاثة وستون عامًا. كان علي في العاشرة من عمره حينما أسلم، وقبل الوحي كان علي يعيش في منزل المصطفى- صلى الله عليه وسلم- ويذكر الواقدي: ذات يوم دخل علي لخدمة المصطفى- صلى الله عليه وسلم- فرآه يصلي مع خديجة فسأله: ما هذا يا محمد؟ فرد الرسول- صلى الله عليه وسلم- هذا دين الله اصطفاه للناس أجمعين ليعبدوه، وأدعوك يا علي أن تقبل هذا الدين، فقال علي: إنني لم أسمع عن هذا الدين، وسوف أخبر أبي أبا طالب، فأجابه المصطفى: إذا لم تقبل هذا الدين فلا تفش سرنا لأحد، فذهب علي إلى المنزل، وظل يفكر طوال الليل وأنار الحق- تبارك وتعالى- بالإسلام قلبه، وفي الصباح الباكر قدم إلى المصطفى- صلى الله عليه وسلم- وأسلم، فعلمت والدته، وأخبرت أباه، وخرج المصطفى- صلى الله عليه وسلم- وخديجة وعلي من مكة، وكانوا يصلون في شعاب جبال مكة وأغوارها، وخرج أبو طالب يبحث عنهم فرآهم وسأل النبي- صلى الله عليه وسلم: ما هذا يا ابن أخي؟.

فأجاب الرسول- صلى الله عليه وسلم: يا عم هذا دين الله اصطفاه لنفسه، وبعث به رسله وأنبياءه، وأنت يا عم أولى بقبول هذا الدين من الآخرين. فأجاب أبو طالب: إنني لا أستطيع أن أترك دين آبائي، ولكن امض في أمرك، ولن أتركك ولن يصيبك مكروه من إنسان. وقال لعلي: لازم محمدًا فهو لا يريد لك إلا الخير.

وفي رواية أخرى: كان علي- رضي الله عنه- في السادسة من عمره حينما أسلم. وحينما استشهد عثمان- رضي الله عنه- بايع أهل بدر جميعهم عليًا على الخلافة، وأمر علي فحطموا أبواب بيت المال، وقسموا الأموال على جميع الخلق، وبايعه طلحة والزبير بعد ذلك، ثم نقضوا العهد، وذهبا إلى عائشة رضي الله عنها، وظل علي أربعة أعوام في المدينة، ثم ذهب إلى العراق، وقامت الحرب بينه وبين عائشة وطلحة والزبير ومعاوية في البصرة، وفي رواية: قتل ثمانية عشر ألف شخص، وفي عام سبعة وثلاثين للهجرة اتجه معاوية إلى الشام، ولم يأت للبيعة، من الشام اتجه إلى علي والتقيا في صفين واستعرت الحرب بينهما أربعين يومًا بلياليها.

وكان مع علي تسعون ألف رجل، وكان مع معاوية ثلاثة وثمانون ألف رجل وقتل في الحرب بينهما سبعون ألف رجل؛ خمس وعشرون ألفا من العراق، وخمس وأربعون ألفا من الشام، وقيل: إن الحرب استمرت مائة يوم وعشرة، ودامت المعركة تسعين يومًا حتى عملوا التحكيم، ورجعوا، وخرج الخوارج على علي. وكانت مدة خلافة علي- رضي الله عنه- أربعة أعوام وتسعة أشهر وعدة أيام، وظل علي- رضي الله تعالى عنه- فترة مشغولا بهذا القتال ولم يحج، وأرسل الخوارج عبد الرحمن بن ملجم لقتل علي، وأثناء الصلاة طعن عليًا- كرم الله وجهه- بخنجر مسموم، وظل بعد هذه الطعنة ثلاثة أيام على قيد الحياة، ثم توفي إلى رحمة الله تعالى يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان سنة أربعين من هجرة النبي (عليه السلام).

الحسن بن علي رضي الله عنه

هو أكبر أبناء عَلِيّ، وكنيته: أبو محمد، وأمه سيدة نساء العالمين يوم القيامة: فاطمة الزهراء بنت محمد- صلى الله عليه وسلم، ورضي الله عنها، وكان الحسن أكثر شبهًا من الجميع بجده المصطفى- صلى الله عليه وسلم- في كل شيء، كان يتزوج كثيرًا، ويروى أن مائتي امرأة حرة تزاحمت للزواج منه، وكان له سبعة أبناء، خمسة أولاد: حسن وحسين، وزيد، وعمر، وطلحة. وبنتان: أم عبد الله، وأم حسن. كان الحسن بن علي عمره سبعة أعوام حينما توفي المصطفى- صلى الله عليه وسلم، وحينما استشهد سيدنا علي بالكوفة بايعه أهل الكوفة في ذلك اليوم بالخلافة، وحينما وصل الخبر إلى الشام، بايع أهل الشام معاوية في بيت المقدس، وخرج الحسن بن علي مع أربعين ألف رجل من الكوفة، ثم اتجه إلى الشام في شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين هجرية، واتجه معاوية إلى العراق، وقدم إلى الكوفة في عشرة أيام، واشتبك مع جيش الحسن بن علي- رضي الله عنه- على أرض المدائن، وحينما رأى الحسن بن علي أن دماء المسلمين سوف تراق تصالح مع معاوية، وسلم له بالخلافة في جمادى الأولى، وكانت مدة خلافة الحسن بن علي سبعة أشهر وخمسة عشر يومًا، وقيل: ستة أشهر وخمسة أيام، وذهب الحسن- رضي الله عنه- إلى المدينة وأعطاه معاوية مالا كثيرًا وتفانى في خدمته، وقيل: إنّ زوجة الحسن- رضي الله تعالى عنه- جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي أعطته سما بطريقة غير معلومة، وتوفي

في شهر ربيع الأول سنة خمسين هجرية، وكان عمره سبعة وأربعين عامًا. والله أعلم بالصواب.

الحسين بن علي رضي الله عنه

كنيته: أبو عبد الله، وأمه أم أخيه[1]، وهو أصغر من الحسن بعشرة أشهر وعشرين يومًا، وكان له أربعة أبناء: علي الأكبر، وعلي الأصغر، وفاطمة، وسكينة[2] وحينما ذهب معاوية إلى الشام توفي، وكان والي المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وأما والي العراق فكان عبيد الله بن زياد، وقال مروان بن الحكم للوليد: خذ البيعة ليزيد بالخلافة من الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير، فإذا لم يبايعوا اقتلهم، فطلب البيعة منهما فقالا: نفكر في الصباح، وخرجا من هناك ثم اختفيا، وحينما وصل الخبر إلى الكوفة بأن الحسين (رضي الله عنه) لم يأت للبيعة أرسلوا لطلبه بعيرا ورسالة، واتجه الحسين إلى الكوفة وأرسل مسلم بن عقيل ابن عمه قبل أن يصل ليأخذ بيعة أهل الكوفة، فوصل الخبر إلى عبيد الله بن زياد فاتجه إلى الكوفة، ودخلها ليلاً وذهب إلى قصر الإمارة، وبدأ شيعة الحسين يقابلونه، وحينما حل المساء، تفرق النناس، وفجأة قبض عبيد الله على مسلم بن عقيل وقتله، ووصل الخبر إلى الحسين فرجع من الطريق إلى المدينة، وحينما وصل إلى أرض

---

(1) يقصد فاطمة الزهراء رضي الله عنها. (المترجم).

(2) بعد أن ذكر المؤلف هذه الأسماء كتب جملة أخرى، وقال: وأولاد الحسين رضي الله عنهم، ثم لم يذكر شيئا، وفيما يبدو أن هذا خطأ من الناسخ (المترجم).

كربلاء في مكان يقال له العارضية[1] نزل هناك، وكان ذلك يوم الخميس الثاني من محرم سنة إحدى وستين هجرية، ويوم الجمعة وصل إليه عمر بن سعد بن أبي وقاص مع أربعين ألف فارس، ووقعت الحرب بينهما حتى الجمعة التالية، وفي هذه المدة منعوا الماء عن أهل بيت رسول الله، وكان مع الحسين تسعة عشر من أهل بيت المصطفى- صلى الله عليه وسلم، واستشهد الحسين في العاشر من شهر محرم سنة إحدى وستين هجرية مع سبعة من أبناء علي- رضي الله عنه- وثلاثة من أبناء الحسين، واستشهد من أصدقائه ثمانون شخصًا، تركوا عليّ الأصغر بن الحسين حيا؛ لأنه كان صغيرا ومريضًا، ولقد ضرب الحصين بن شبر حلق الحسين- رضي الله عنه- بالسهم، ثم ضربه زرعة بن شبر بالسيف[2]، وضربه سنان بن أنس النخعي[3] بالحربة فمات، ثم قطعوا رأسه المباركة، وكان عمره ثمانية وخمسين عامًا رضي الله عنه ولعنة الله على قاتليه.

عبد الله بن الزبير رضي الله عنه

عبد الله بن الزبير بن العوام، أمه زوجة العوام هي صفية عمة المصطفى، عليه الصلاة والسلام، وكان أول مولود يولد بالمدينة بعد ظهور الإسلام، وحينما ذهب الحسين من مكة إلى الكوفة، بقي عبد الله بن الزبير في مكة، وأتى إلى الكعبة، واجتمع حوله خلق كثير، ولعن اليزيد، وبايعه الناس، وكتب رسالة لأهل المدينة أن يخرجوا بني أمية من المدينة، وبدأ بالزهد والصلاة والصيام، وأحبه

---

(1) ذكرها الطبري الغاضرية، وهو اسم قرية من نواحي الكوفة قريبة من كربلاء، الطبري، جـ٤، ص ٦١٠ (المترجم).

(2) زرعة بن شريك التميمي الطبري، جـ٤، ص ٦٤٨، طبعة بيروت (المترجم).

(3) سنان بن أنس بن عمرو النخعي، الطبري، جـ٤، ص ٦٤٨، طبعة بيروت (المترجم).

خلق كثير، وحينما وصل الخبر إلى يزيد، أرسل مسلم بن عقبة بجيش عظيم إلى المدينة، فقتل من أهل المدينة أربعة آلاف، واستشهد من الأنصار سبعون رجلاً، واتجه مسلم بن عقبة من المدينة إلى مكة، وقتل في الطريق، فأرسل يزيد حصينًا بن نمير على رأس جيش إلى مكة، وحينما وصل إلى مكة، دخل عبد الله بن الزبير الكعبة، فضرب جيش يزيد الكعبة بالمنجنيق، وخربوا ركنا منها، فأرسل عليهم الحق- تبارك وتعالى- صاعقة؛ فاحترق سبعة عشر شخصًا، فقدم مختار بن أبي عبيد الثقفي بجيش، وأخرجهم من مكة، وفجأة وصل خبر موت يزيد، فذهبوا إلى الشام، وارتفع أمر عبد الله بن الزبير في الحرم، وأعلن نفسه خليفة، وضبط الحجاز والعراق وخراسان واليمن ومصر والشام والأماكن الأخرى، وظلت الخلافة والأمر له حتى عهد عبد الملك بن مروان، فعين عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف فقدم إلى مكة، وحاصرها مدة، ورمى ابن الزبير بالمنجنيق فقضى عليه وسلخه وملأ جلده بالتبن وعلقه، وكان عُمْر ابن الزبير اثنين وسبعين عامًا، ومدة خلافته ثلاثة عشر عامًا.

محمد بن الحنفية رضي الله عنه

وهو محمد بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ورضي الله عنه، وأمه: خولة بنت أناس بن جعفر الحنفي[1] وعرف بالحنفية نسبة لوالدته، وكان شديد السمرة، وكان عالمًا، وفاضلا وشجاعًا وسخيا وكريمًا، وكان يسكن الطائف، وكانت وفاته في زمن الحجاج بن يوسف، وحينما اقتربت وفاته ذهب إلى الشام، وأوصى لمحمد بن علي بن عبد الله بن العباس والد خلفاء بني العباس،

---

(1) هي خولة بنت إياس، ولكن فيما يبدو أن كلمة أناس جاءت خطأ من الناسخ (المترجم).

وقال لـه: إن الخلافـة ستصـل إلـى أبنائـك، وحينمـا خلعـه معاويـة بـن يزيـد مـن الخلافة، أعلن عبد الله بن الزبير الخلافة، وكـان مختـار الكذاب أبـو عبيـد رجـلاً محتالاً، ولكنـه كـان فـي غايـة الشـجاعة والرجولـة، وكـان فـي بيعـة ابـن الزبيـر، وكان يطمع في الإمارة، وحينما رأى ابن الزبير الفسـاد والعداء فـي فطرتـه، لم يعطـه الإمـارة فأستأذن منـه، وذهـب إلـى الطـائف، وظـل فـي خدمـة محمـد بـن الحنفية، وذات يوم قال لمحمد بن الحنفية: لماذا لا تثأر لدم الحسين؟ فقال محمد: مـن ينصـرني؟ فقـال: فـإذا ثـأر لـه شـخص فهل ترضـى؟ ثـم قـال: أنـا أثـأر لـدم الحسين، ثم طلب من محمد بن الحنفيـة مكتوبًا وأن يرسله إلـى أشـراف الكوفـة، وأن يكتب لهم فيه: إن المختار صاحب مهمة فانصروه، فكتب له هذه المكاتبات وذهب إلى الكوفة، وأظهر لأهل الكوفة أن هذا بغرض الانتقام لدماء الحسين-رضـي الله عنـه-، وقـال لهـم: إننـي أنـا رسـول محمـد بـن الحنفيـة، وهـو الخليفـة والإمام المنتظر؛ لأنـه مـن آل البيـت، وبنـاءً علـى هذا الكلام أخذ البيعـة مـن أهـل الكوفـة؛ فخـرج علـى عبـد الله بـن مطيـع العدوي والـي الكوفـة مـن قبـل ابـن الزبيـر، وقبض على قاتلي الحسين، وقتل عمرو بن سـعد وشـمر بـن ذي الجوشـن وكـل مـن كان في جيش عمرو بن سعد يوم كربلاء وبعد ذلك ادعى النبوة.

وقدم عبيد الله بـن زيـاد مـن الشـام بجيش قوامـه خمسـون ألـف فـارس وحاربـه، فهزم جيش عبيد الله بـن زيـاد وقتلهم جميعًـا، واستبد المختـار بأهل الكوفـة، وظلمهم، فكتبوا بأحوالهم إلى عبد الله بن الزبير، فأمر شقيقه مصعب بن الزبير أن يـأتي بجيش

من البصرة وقتل مختار الكذاب سنة سبع وستين، وكان خروجه عام ستين، والله أعلم بالصواب.

شجرة نسب العشرة المبشرين

والمتصلين بنسب النبي عليه السلام

رووا عن المصطفى عليه السلام: أن هؤلاء العشرة من الصحابة هم من أهل الجنة دون شك أو شبهة، وهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح- رضي الله عنهم جميعًا.

وهؤلاء العشرة من شجرة المصطفى- صلى الله عليه وسلم، وقد ثبت بهذه الصورة أن كل واحد منهم يتصل بالمصطفى- صلى الله عليه وسلم- بعدد من آبائه. وفي آخر هذه الشجرة كتبنا شيئًا عن مناقب كل واحد وولادته وشيمه وصفاته وأخلاقه، ومدة حياته، ووفاته، وأولاده، وفضائله، وروايته للحديث حتى يستفيد القراء ويدعوا للمؤلف بالخير، ويذكروا ملك الزمان وسلطان العصر بدعاء الخير، والله أعلم بالصواب.

شجرة العشرة المبشرين رضي الله عنهم[1]

شجرۂ عشرۂ مبشرہ رضی اللہ عنہم (۵)

محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد المناف بن قصي بن كلاب بن مره بن كعب بن لوي بن غالب بن فهر بن مالك

(۱) علی بن ابی طالب بن

(۲) عثمان بن عفان بن ابی العاص بن امیه بن عبد الشمس بن

(۳) زبیر بن العوام بن خویلد بن اسد بن عبد العزی بن

(۴) سعد بن ابی وقاص بن مالک بن وهیب بن عبد مناف بن

(۵) عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهره بن

(۶) طلحه بن عبید الله بن

(۷) ابو بکر ابن ابی قحافه عثمان بن عامر بن عمرو بن کعب بن سعد بن تیم بن

(۸) عمر بن الخطاب بن نفیل بن عبد العزی بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدی بن

(۹) سعید بن زید بن عمرو بن نفیل

(۱۰) ابو عبیده عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن اهیب بن ضبه بن الحارث بن

---

(1) ذكر الأستاذ عبد الحي حبيبي محقق طبقات ناصري أن أسماء العشرة المبشرين بالجنة لم تكن واضحة في جميع مخطوطات الكتاب التي رجع إليها، ولذلك اضطر إلى الاستعانة بكتب أخرى حتى أخرجها بهذه الصورة. (المترجم).

الأول: أبو بكر الصديق رضي الله عنه

أبو بكر الصديق رضي الله عنه: اسمه عبد الله، واسم أبيه: عثمان، وكنيته: أبو قحافة، وكانت ولادته بعد عام الفيل بثلاثة أعوام، وهو أول من أسلم، وقد روى عن المصطفى- صلى الله عليه وسلم- مائة وأربعين حديثا، وكان رفيق المصطفى في الغار، ويقول عنه الحق تبارك وتعالى إنه صاحب محمد، وذلك في قوله: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾[1].

أفضاله ومناقبه كثيرة وذكرت بعض أحواله في خلافته، وتوفي في السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة هجرية وعمره ثلاثة وستون عامًا، وأسماء أبنائه: عبد الله، وعبد الرحمن، ومحمد، وعائشة، وأم كلثوم. وأسماء والدة عبد الله بن الزبير رضي الله عنهم، والله أعلم .

الثاني: عمر بن الخطاب رضي الله عنه

أمه حيثمة بنت هاشم المخزومي، وكانت ولادته قبل الفجار الأعظم بأربعة أعوام، وهي حرب كانت بين العرب في الشهر الحرام في الجاهلية، ووقعت في هذه الحرب الكثير من الفواحش والفجور، وأسلم عمر بن الخطاب بعد خمسة أعوام من ظهور النبوة، وحينما أسلم تسعة وثلاثون شخصًا، كان عمر الأربعين، وجهروا بالإسلام، وقد روى عن المصطفى (صلى الله عليه وسلم) خمسمائة وسبعة وثلاثين حديثا، وأسماء أولاده: أبو عبد الله، وعاصم،

---

(١) سورة التوبة: آية (٤٠).

وزيد الأكبر، وزيد الأصغر، وعبد الله وعبد الرحمن الأكبر، وعبد الرحمن الأصغر، وكنيته: أبو شحمة، وبناته خمس بنات، واستشهد آخر ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين للهجرة.

الثالث: عثمان بن عفان رضي الله عنه

عثمان بن عفان- رضي الله عنه- أمه هي: أروى بنت كريز، وكانت ولادته بعد ميلاد المصطفى- عليه السلام- بقليل، وكان زوجًا لابنتين من بنات المصطفى صلى الله عليه وسلم: الأولى رقية، والثانية أم كلثوم، لهذا يسمى ذا النورين، ولم يكن لأحد هذا الشرف بأن يتزوج ابنتين من بنات الرسول- صلى الله عليه وسلم، وهو الذي جمع المصاحف في مصحف واحد، وهى المصاحف التي جمعها أبو بكر وعمر بخط زيد بن ثابت، وقد روى عن المصطفى مائة وستة وأربعين حديثًا.

أسماء أولاده: عبد الله الأكبر، وعبد الله الأصغر، وعمرو، وخالد، وأبان، ووليد، وسعيد، وعبد الملك، وبناته ثمانية، والله أعلم بالصواب.

الرابع: علي المرتضى رضي الله عنه

اسم والدته: فاطمة بنت أسد بن هاشم، وأول شخص والدته وأبوه كلاهما هاشمي هو علي- رضي الله عنه، وكانت ولادته عام ثلاثة وثلاثين من عام الفيل، وله فضائل ومناقب كثيرة: فهو ابن عم النبي، وهو زوج السيدة فاطمة الزهراء، ووالد السبطين الحسن والحسين، وكان للمصطفى- صلى الله عليه

وسلم- كما كان هارون لموسى، وهو الذي نشر علوم الإسلام، وهو أسد الله وأسد رسول الله، وقد روى عن الرسول- صلى الله عليه وسلم- خمسمائة وسبعة وثلاثين حديثًا. وأسماء أولاده: الحسن، والحسين، ومحسن، وابن الحنفية الذي كانوا يسمونه محمد الأكبر، ثم محمد الأوسط، ومحمد الأصغر، وأبو بكر، وعمر الأكبر، وعمر الأصغر، ويحيى، وعثمان، وعباس الأكبر الذي يسمونه السقاء، وجعفر الأكبر، وعبد الله الأكبر، وعبد الله الأصغر، وعون، وبناته ثمانية رضي الله عنهم.

الخامس: طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه

طلحة بن عبيد الله بن عثمان هو ابن شقيق أبي بكر الصديق- رضي الله عنه، وكنيته: أبو محمد، وأمه: صفية شقيقة علاء الحضرمي، ويوم معركة أحد أطلق عليه المصطفى- صلى الله عليه وسلم- طلحة الخير ولكثرة جوده وعطائه أطلق عليه يوم حنين طلحة الجود، وأيضًا أطلقوا عليه طلحة الطلحات، ويوم أحد جعل نفسه درعًا للمصطفى- عليه الصلاة والسلام، وجرح خمسة وسبعين جرحًا بالحربة والسهم والسيف، وقد أصاب سهم إصبعه فتوقف هذا الإصبع عن الحركة. كان أبيض البشرة، أحمر اللون، متوسط الطول، واسع الصدر، عريض الكتفين، مفتول الساقين. كان ثريا صاحب مال كثير، وكان كثير البذل والسخاء، شارك في موقعة الجمل، ضربه مروان بن الحكم بسهم في صدره فاستشهد، وكان عمره ثلاثة وستين عامًا، وبعد ثلاثة أعوام من وفاته أخرجته ابنته من مقبرته، وكانت على شاطئ نهر ونقلته إلى البصرة، ودفن هناك، وكانت جثته لا تزال نضيرة.

وأسماء أولاده: إسماعيل، وموسى، وعمران، وإسحق ، ويعقوب، ويوسف، وزكريا، ويحيى، وعيسى، وعثمان، وصالح، وكان له أربع من البنات، والله أعلم بالصواب.

السادس: الزبير بن العوام رضي الله عنه

الزبير بن العوام- رضي الله عنه- أمه: عمة المصطفى- عليه الصلاة والسلام- صفية بنت عبد المطلب، وكانت سنه ستة عشر عامًا حين أسلم، وأدى الصلاة على القبلتين، ولم يترك أي غزوة في معية الرسول- صلى الله عليه وسلم، وهو أول شخص جرد سيفه في سبيل الله، ويوم معركة بدر ربط عمامة صفراء على رأسه، ونزلت الملائكة بهذا الشكل، وقد روى ثمانية وثلاثين حديثا عن الرسول- صلى الله عليه وسلم، استشهد وعمره يزيد عن الخمسين قليلاً.

أسماء أولاده: عبد الله، وعروة، ومنذر، وعاصم، ومهاجر، وخالد، وعمر، ومصعب، وعبيد، وجعفر. وكان له عشر بنات، رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

السابع: سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

سعد بن أبي وقاص، كُني بأبي عبد الله وأبى إسحق، والده: سعد بن مالك، وأبو وقاص كنية والده، وأمه هي: عمية بنت سفيان بن أمية، ويقول في هذا الصدد: أنا ثالث شخص أسلم من هذه القبيلة. وكان عمره في هذا الوقت تسعة عشر عامًا، حضر جميع الغزوات مع المصطفى- صلى الله عليه وسلم، وهو أول شخص أطلق سهمًا في سبيل الله. ويوم أحد أمره المصطفى- صلى الله عليه وسلم- أن أطلق السهام؛ فرد عليه: فداؤك أبي وأمي يا رسول الله.

كان أسمر اللون، طويل القامة، مجعد الشعر، وكف بصره في آخر عمره، وقد فتح بلاد السواد والقادسية في خلافة عمر- رضي الله عنه، وبعد شهادة عثمان ذهب إلى عقيق، على بعد منزلين من المدينة، ولم يفعل شيئا وفي عام خمسة وخمسين في عهد معاوية رحل من دار الفناء إلى دار البقاء وعمره سبعة وثمانون عامًا، وهو آخر شخص توفي من العشرة المبشرين بالجنة، وروى عن المصطفى واحدًا وثمانين حديثًا.

وأسماء أولاده: محمد، وإبراهيم، وإسحق الأكبر، وإسحق الأصغر، وعبد الرحمن، وعمرو. وكان له ثماني عشرة من البنات، رضي الله عنهم جميعًا.

الثامن: سعيد بن زيد رضي الله عنه

سعيد بن زيد بن نفيل، كنيته: أبو الأعور، وهو ابن عم عمر- رضي الله عنهما، وأمه: فاطمة بنت نعجة الخزاعية، وقد أسلم قبل عُمر- رضي الله عنهما، كان أسمر اللون، طويل القامة، غزير الشعر، ووالده زيد، كان باحثا عن الحقيقة قبل ظهور الإسلام، واختار الانفصال عن المشركين في الجاهلية. وعاش سعيد حتى عهد معاوية، وروى عن المصطفى ثمانية وأربعين حديثا، كانت وفاته بعقيق أيضا، ثم أتوا به إلى المدينة، حيث دفن هناك، وكان عمره ثمانيَ وسبعين سنة، وكانت وفاته عام واحد وخمسين هجرية، وأسماء أولاده: عبد الرحمن الأكبر وكان شاعرًا، وعبد الرحمن الأصغر، وعبد الله الأكبر، وعبد الله الأصغر، وعفو الأكبر، وإبراهيم الأكبر، وإبراهيم الأصغر، وزيد، وخالد، والأسود، وكان له ثماني عشرة بنتا، رضي الله عنه.

التاسع: عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه

كنيته: أبو زيد، وأمه: شفاء، وفي رواية أخرى يقال: عنقاء بنت عوف بن زهرة، وهو واحد من جملة أثرياء قريش، كان رجلا طويل القامة، جميل الطلعة، رقيق البشرة، أبيض اللون، واسع العينين، مجعد الشعر، وكان من كبار الصحابة، وقد صلى علي القبلتين، وهاجر الهجرتين، ولم يغب عن أي غزو، وكان في معية المصطفى- صلى الله عليه وسلم، وفي غزوة أحد جرح ثمانية جراح في جسده، واقتدى به المصطفى في غزوة تبوك، وكانت له فضائل كثيرة، وروى عن الرسول- صلى الله عليه وسلم- خمسة وستين حديثا، وكان عمره خمسة وستين سنة حينما توفي، وكان ذلك في عام تسعة وعشرين للهجرة في سادس سنة لخلافة عثمان- رضي الله عنه، كان له ثمانية عشر ابنا، وكان له أربع نساء، وكان ثُمْن ماله الذي هو نصيب النساء ثلاثمائة وأربعة وعشرين ألف درهم من الفضة، وأوصى أن يُنْفق خمسون ألف درهم في الخير، وأسماء أولاده: محمد، وإبراهيم، وإسماعيل، ويحيى، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعبد الله الأكبر، وعبد الله الأصغر، وسالم الأكبر، وسالم الأصغر، وعروة الأكبر، وعروة الأصغر، وجميل، ومصعب، ومعف، وزيد ، وسهيل، وأبو الأبيض، وبلال، ومستور، وكانت بناته سبع بنات، رضي الله عنهم أجمعين، والله أعلم بالصواب.

العاشر: أبو عبيدة الجراح رضي الله عنه

اسمه: عامر، واسم والدته: أم غميم بنت جابر، وبرواية الجميع: اسم أبيه عبد الله، وكان يُلقب باسم جده، والجراح هو اسم جده، كان رجلاً جميل الوجه، رقيق البشرة، طويلا، رشيق القوام، تظهر شرايينه على وجهه، أسنانه الأمامية مكسورة والسبب في ذلك يوم معركة أحد أنه أخرج بأسنانه حلقتين من درع رشق في جبهة المصطفى- صلى الله عليه وسلم- فكسرت سنتان من أسنانه، وفي رواية أخرى: أن أسنانه لم تكسر، ولم يكن هناك من هو أكثر منه فصاحة، أو أكثر بلاغة، وقد أدرك غزوة بدر، كان في الحادية والأربعين من عمره حين لقبه المصطفى- صلى الله عليه وسلم- بأمين الأمة.

أرسله المصطفى- صلى الله عليه وسلم- إلى اليمن ليعلم أهل اليمن الشريعة والقرآن الكريم، وأرسله أبو بكر إلى الشام ليفتحها، وقد روى عن المصطفى- صلى الله عليه وسلم- أربعة عشر حديثا، كان عمره ثماني وخمسين سنة حينما أصيب بالطاعون وتوفي في عمواس بالشام.

أسماء أولاده: أبو يزيد، وعمير، رضي الله عنهما. اللهم شفعهم فينا وفي بقاء دولة سلطان الزمان.

الطبـــقة الثـــالثة

بنـوأميـة

أولهــــم: معــــاوية

ابن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وقال له المصطفى- عليه السلام: لو وليت هذه الأمة فاعدل فيهم. وهذا الحديث ظل في نفسه ولم يبايع أمير المؤمنين عليًا- رضي الله عنه، واجتهد وأول الحديث في عهده، وأطلقه بعد علي- رضي الله عنه، فأوقعه هذا في الخطأ.

كنيته: أبو عبد الله، وقد أسلم في العام الخامس من الهجرة، وكانت ولادته قبل بعثة المصطفى- عليه السلام- بخمسة أعوام، وكانت الحرب بينه وبين على طويلة دامت أكثر من مائة يوم في تسعين معركة، وحينما وصل الأمر لاختيار حكمين حُكم عمرو بن العاص من طرف معاوية، وأبو موسى الأشعري من طرف علي- كرم الله وجهه، وخدع عمرو بن العاص أبا موسى الأشعري، فخلع عليًا من الخلافة على أساس أنه سوف يخلع معاوية أيضًا.

ولكن عمرو بن العاص ثَبَّته وذلك على خلاف ما كان مقررًا، فنهض علي - رضي الله عنه- بعسكره وبجميع من كانوا معه، ونهض معاوية أيضًا وخمدت الحرب وذهب معاوية إلى الشام، ورجع علي- كرم الله وجهه- إلى العراق، وانشغل بالحرب ضد الخوارج، وأهل النهروان، وحينما توفي علي- كرم الله وجهه- بالعراق صفت الدنيا لمعاوية، وقبل ذلك بعشرين عامًا، وفي عهدي عمر وعثمان- رضي الله عنهما- كانت إمارة الشام مع معاوية، وبعد ذلك

دام له الملك عشرين عامًا أخرى، وحينما تصالح معه الحسن- رضي الله عنه- وسلمه الإمارة أعطى الكوفة للمغيرة بن شعبة، وأعطى البصرة والعراق وخراسان لعبيد الله بن عامر؛ ففتح جبال الغور، ثم رجع وتوفي في مرو.

ثم أعطى خراسان لعبيد الله بن زياد، فغزا بلاد ما وراء النهر وطخارستان، وفي عهد معاوية فتحوا بلاد الروم وبلاد الروس، وظلت الجيوش الإسلامية هناك سبعة أعوام، ومن بلاد إيران فتحت بلخ وكِشْ ونخشب وسمرقند، وأخذ البيعة ليزيد وكانت وفاة معاوية بدمشق عام ستين هجرية، وكان رجلاً طويل القامة، ضخم الجسم، أبيض اللون، حينما كان يضحك كانت شفته السفلى تغطي أسنانه، كان له ثلاثة أبناء: يزيد، وعبد الرحمن، وعبد الله، وكانت مدة عمره ثمانية وسبعين عامًا، وفي رواية: أخرى خمسة وثمانين عامًا, والله أعلم بأفعاله وأحواله خيرها وشرها رضي الله عنه.

الثاني: يزيد بن معاوية

يزيد بن معاوية لعنه الله، ولد سنة ست وعشرين هجرية، وحينما نظر المصطفى- عليه السلام- إليه نظر إليه بغضب[1]، وحينما وصلت الولاية إليه طلب البيعة من الحسين- رضي الله عنه، ولم يأت الحسين لبيعته، وانتقل الحسين من المدينة إلى الكوفة، وغدر به أهل الكوفة، وقتل عبيد الله بن زياد مسلم بن عقيل، وقتلوا الحسين- رضي الله عنه- في صحراء كربلاء، ولهذا

---

(1) الرسول- صلى الله عليه وسلم- توفي سنة إحدى عشرة هجرية (المترجم).

السبب أطلقوا على يزيد: الملعون، وجعل يزيد بن سلم[1] بن زياد أميرًا على خراسان، فذهب لغزو بلاد ما وراء النهر، وفي عهد يزيد استولى الخونة على عاصمة الحسين، وفي إحدى الروايات: أن يزيد شرب خمرًا ذات ليلة ورقص فسقط على الأرض فكسرت رأسه، وخرج مخه، فمات وذهب إلى النار وبئس المصير، كانت ولادته في ماطرون[2] وكانت وفاته في حوران[3] في الرابع عشر من شهر ربيع الأول عام أربعة وستين، وعمره ثمان وثلاثون سنة، وكان ملكه ثلاثة أعوام وثمانية أشهر بهذه المدة القصيرة كان أجله ومدة ملكه، ولكنه ترك اللعنة الدائمة عليه، وذهب إلى النار وبئس المصير، والله أعلم.

الثالث: معاوية بن يزيد

بايعوا معاوية بن يزيد بعد وفاة والده، وظل أربعة أشهر في الإمارة، وقيل: أربعين يومًا، وبعد ذلك صعد المنبر وخطب، وقال:

أيها الناس إنما أنا لحم ودم، ولا صبر لي على نار جهنم، فولوا أمركم من شئتم، فإن أبي وجدي غدروا بأسرة عَليٍّ، وكانت الولاية لأبناء علي- كرم الله وجهه، ولكنهم قتلوا الحسين ظلمًا، ولا قدر الله أن أفعل ما فعلوا، ولذا أنا أخلع نفسي من الولاية، ونزل من فوق المنبر وذهب إلى منزله، وأغلق بابه، وتوفي

([1]) ذكره صاحب طبقات ناصري: سلام بن زياد، وقد كتبناه بناء على رواية الطبري (المترجم).
([2]) موضع بالشام قرب دمشق (المترجم).
([3]) مكان بالشام وهو كور من أعمال دمشق (المترجم).

بالطاعون، وكان عمره عشرين عامًا، وكانت ولادته عام أربعة وأربعين، وكانت وفاته في ربيع الآخر سنة أربع وستين عليه الرحمة، وحينما توفي ظهرت فتنة في بلاد الشام، وطلب الخلافة ستة أشخاص: مروان بن الحكم، والضحاك بن قيس الفهري وكان في الشام، وعبد الله بن الزبير في مكة، ومختار الكذاب في الكوفة من طرف محمد بن الحنفية، ونافع الأزرق الخارجي في نجد، وعامر الخارجي في العراق، عفا الله عنهم.

الرابع: مروان بن الحكم

وكان من الصحابة, واسمه: مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. هو أول شخص استولى على الخلافة بالسيف، كان رجلاً طويل القامة، ملفوف القوام، كانت ولادته في العام الثاني من الهجرة، وقد بايعه أهل الشام في الأردن سنة أربع وستين، وبعضهم بايع الضحاك بن قيس الفهري، ووقعت حروب بين الاثنين في موضع يقال له مرج راهط وقتل الضحاك، فجاء الجميع لمبايعة مروان وتزوج امرأة يزيد بن معاوية، وذات يوم وقع بينه وبين خالد بن يزيد ابن زوجته خلاف، فسب مروان خالدا بأمه، ولهذا أضمر الحقد على مروان، ودس له السم، ولكنه لم يؤثر فيه، فتحين فرصة بالليل ووضع الوسادة على فمه، فلم تمض مدة قصيرة إلا ومات مروان, وكان ذلك سنة خمس وستين للهجرة.

ومدة ولايته تسعة أشهر، ومدة عمره ثلاثة وستون عامًا, وكان له كثير من الأبناء: عبد الملك، وبشر، ومحمد، وعبد العزيز. والله أعلم.

الخامس: عبد الملك بن مروان

كنيته: أبو الوليد، ويلقبه خصومه: أبا الذباب؛ لأن فمه كانت له رائحة كريهة يجتمع حولها ذباب كثير، كانت ولادته عام ستة وعشرين للهجرة، وكان رجلاً عاقلاً وعالمًا وشجاعًا، ولكنه كان بخيلاً, لهذا السبب أطلقوا عليه لقب رشح الحجر. وقد جعلوه عاملاً على ديوان المدينة وأمره مروان أن يكون ممسكا في معاملاته مثل الحجر.

وبعد ذلك وفي عام خمسة وستين للهجرة جعله وليًا للعهد في الشام، وبسبب خروج عبد الله بن الزبير في عهد عبد الملك وقعت الفتنة بين الخلق جميعًا، وأتى عبد الملك بجيش من الشام إلى العراق، وقتل مصعب بن الزبير سنة سبعين هجرية، ثم أرسل الحجاج لحرب عبد الله بن الزبير وقتله، وخرب الكعبة، وأعطى عبد الملك بن مروان ولاية العراق وخراسان للحجاج.

ثم أعطى خراسان للمهلب بن أبي صفرة، ثم أرسل ابنه مسلمة بن عبد الملك إلى بلاد الروم ففتح الكثير من القلاع والحصون، ودخل إلى القسطنطينية قصبة الروم. وفتح عبد الملك فتوحات كثيرة في المغرب، وكثرت الفتوحات في عهده. وكانت مدة ولايته من أول العهد عشرين عامًا. وبعد قتل عبد الله بن الزبير ظل ثلاثة عشر عامًا وثمانية عشر يومًا. وأبناؤه هم: الوليد، وسليمان، وهشام، ومسلمة، وأبو بكر.

السادس: الوليد بن عبد الملك

الوليد بن عبد الملك, وكنيته: أبو العباس، كان رجلاً فحاشًا في القول، نجسًا، خبيث الفعل، في عهده ذهب قتيبة بن مسلم إلى بلاد ما وراء النهر، وفتح فرغانة وحارب طرخان التركستان، وقتله ثم ذهب إلى خوارزم، وحصل أهل الإسلام من غنائم تلك الفتوح على مائة ألف من الجواري والغلمان، ومرض الحجاج في آخر أيام الوليد بالسل والأرق، فحينما قتل الحجاج سعيد بن المسيب وهو من كبار الصحابة طار النوم من عينيه، ومات بعد أربعين يومًا بهذه العلة، الحجاج هذا قتل مائة وعشرين ألف شخص من أشراف الخلق وأبطال الحرب. ولقد بنى الوليد المسجد الجامع في دمشق، وفي عهده تم فتح بلاد الروم والأندلس وغيرها من القلاع، وفتح من بلاد الهندوستان حتى الملتان والمنصورية، وكانت مدة إمارته تسعة أعوام وسبعة أشهر، وكانت وفاته في جمادى الآخرة سنة ست وتسعين, والله أعلم بحقائق الأمور.

السابع: سليمان بن عبد الملك

سليمان بن عبد الملك, كنيته: أبو أيوب، كان رجلا جميل الوجه فصيحًا أبيض البشرة حلو الطبع، افتتحت واختتمت دولته بالخير، فقد رد المظالم وجعل عمر بن عبد العزيز وليا لعهده، وأعطى يزيد بن المهلب ولاية خراسان، وفي عهده فتح گرگان وفتح شقيقه مسلمة القسطنطينية، وهدم سليمان سجون الحجاج. وبقيت من سليمان الكثير من الآثار الخيرة، وكانت ولادته عام أربعة وخمسين هجرية، وكانت ولايته عامين وثمانية أشهر، وكانت وفاته يوم الجمعة في العاشر

من شهر صفر سنة تسع وتسعين، وكان عمره خمسة وأربعين عامًا عليه الرحمة، والسلام على من اتبع الهدى.

الثامن: عمر بن عبد العزيز

عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم، وأمه: أم عاصم بنت عمر بن الخطاب، وكنيته: أبو حفص، وكان له شقيق يدعى الأضبح، وقد قرأ كتب الأوائل, وكان يعرف علم الحوادث جيدًا. وذات يوم جرح جواد جبهة عمر فكسرت، وحينما رآه شقيقه الأضبح، قال: الله أكبر هذا أشج بني أمية الذي يملأ الأرض عدلاً، وفي كتاب دانيال النبي اسمه الأشج[1].

كان عمر رجلا حسن السيرة عاقلا عادلاً ومنصفًا وخيرًا. سيَّر الأحوال على سنة المصطفى- عليه السلام- وسيرة الخلفاء الراشدين، وأبطل اللعنة على أهل بيت المصطفى، وسار بالأعمال على طريق العدل، وسجن يزيد بن المهلب، وولى على خراسان عبد الله بن نُعَيم، ولم تكن أموال خراسان والعراق في أي وقت أكثر مما كانت عليه في عهده، ويجمع العلماء أنه مهدي آخر الزمان، ورد للناس كل الأموال والضياع والأملاك التي كان ولاة بني أمية قد اغتصبوها ظلمًا، وفي عهده قدم خاقان تركستان الصين للحرب بثلاثمائة ألف من الفرسان والمشاة؛ فذهب إليه الجراح بن عبد الله الحكمي من خراسان

([1]) أخرج الترمذي في صحيحه: كان عمر بن الخطاب يقول: من ولدي رجل بوجهه شجة يملأ الأرض عدلا. وصدق ذلك بعمر بن عبد العزيز (المترجم).

بخمسة وعشرين ألف فارس، واستعرت الحرب بينهما شهرًا بين بخارى وسمرقند.

كانت ولادة عمر سنة اثنتين وستين، وبقيت منه آثار خير عظيمة، وكانت وفاته بدير سمعان[1] وكان عمره تسعة وثلاثين عامًا، وكانت وفاته يوم الجمعة في الخامس والعشرين من شهر رجب سنة إحدى ومائة، وكانت مدة خلافته عامين وخمسة أشهر- رضي الله عنه وعن أعوانه وأنصاره- والسلام على من اتبع الهدى.

التاسع: يزيد بن عبد الملك

كنيته: أبو خالد، ويسمونه عاشق بني أمية، كان دائمًا مشغولاً باللهو والطرب، وكانت ولادته سنة تسع وستين، وفي أيامه خرج يزيد بن المهلب في البصرة؛ فأرسل يزيد بن عبد الملك شقيقه مسلمة بن عبد الملك حتى قتله سنة اثنتين ومائة وأعطى ولاية خراسان لسعد[2] بن عبد العزيز، وأعطاها من بعده لسعيد بن الحارث، وبعده أعطاها لابن هبيرة. وكانت مدة ولاية يزيد بن عبد الملك أربعة أعوام وشهرًا، وعمره ستًا وثلاثين سنة، وكانت وفاته في الخامس والعشرين من شهر شعبان سنة خمس ومائة والسبب في ذلك: كانت له معشوقة اسمها حبابة، وذات يوم كان يزيد مشغولاً باللهو, وأمر ألا يأتي إليه أحد من الخدم، فشق رمانة ورماها إلى حبابة فأكلت حبابة حبة منها وفي الحال ماتت،

---

(1) دير سمعان من أعمال حمص. (المترجم).

(2) ذكر عند المؤرخين سعيد بن عبد العزيز، وربما يكون الخطأ من الناسخ (المترجم).

ومهما نادى لم يأت شخص إليه؛ لأنه كان أعطى أمرا بذلك، فظل في حجرة الميتة حتى دخل الليل، وبعد ذلك دخل الخدم فرأوا هذه الحال؛ فأعدوا العدة للتجهيز والتكفين، وحمل يزيد نعش جنازتها على كتفه، وبعد أن دفنوها، عاش بعدها عشرين يومًا ثم توفي.

العاشر: هشام بن عبد الملك

هشام بن عبد الملك، وكنيته: أبو الوليد، جلس على كرسي الخلافة في شهر رمضان سنة تسع وستين[1]، وفي أيامه خرج زيد بن علي بن الحسين، وبايعه أربعة عشر ألف رجل من الشيعة، ثم اختلفوا، ومن جملة هؤلاء بقي معه أربعة عشر شخصًا فقط، وأرسل هشام بن عبد الملك، يوسف بن عمر والي العراق ليبحث عن زيد بن علي ويحاربه، فأدركه فجأة، واستعر القتال بينهما؛ فأصاب سهم دماغ زيد واستشهد، فدفنوه، ثم أخرجوه من التراب وعلقوه، ثم أرسل هشام رسالة إلى ابن عمر أن يحرق زيدًا، رضي الله عن زيد، وهرب من هناك ابن زيد بن علي وكان يدعى يحيى، وذهب إلى بلخ- عليه الرحمة، وأسند هشام ولاية خراسان إلى الجنيد بن عبد الرحمن الغطفاني، وفي عام مائة واثنا عشر هجرية خرج الخاقان ملك التركستان وحارب الجنيد بين سمرقند وفرغانة، وفي العام التالي قامت الحرب بينهما أيضًا، وفي الكرتين كان النصر لجيوش الإسلام، وعلى الرغم من أن جيش التركستان كان كثير العدد، فإن خلقا

---

(1) وردت هكذا ولكن جمهور المؤرخين ذكروا أنه ولي الخلافة عام ١٠٥هـ، وهذا هو الأصح؛ لأن يزيد بن عبد الملك توفي في الخامس والعشرين من شهر شعبان عام خمسة ومائة حسبما ذكر الجوزجاني نفسه، ويبدو أن هذا الخطأ من الناسخ. (المترجم).

كثيرًا منهم اندحروا وماتوا وذهبوا إلى النار وبئس المصير، كما أسر الكثير منهم، وفي رواية: كان هذا الفتح لمسلمة شقيق هشام، ولكن هذا الفتح كان للجنيد وبنى في مُلك الخزر مدينة باب الأبواب[1]. كانت ولاية هشام تسعة عشر عامًا وثمانية أشهر ونصف، وفي قول آخر: وأحد عشر شهرًا، وكانت وفاته بأرض الشام في موضع يقال له: الرصافة، وكانت عاصمة ملكه، وكان عمره ستًا وخمسين سنة، وكانت وفاته في السادس من شهر ربيع الأول سنة خمس وعشرين ومائة.

الحادي عشر: الوليد بن يزيد بن عبد الملك

يسمونه الخليفة ابن العاشق، كنيته: أبو العباس، كان رجلاً عديم الإيمان سيئ السريرة محبًا لهواه، كانت ولادته عام سبعين أو عام ثمانين، يقولون: إن المصحف وقع من يده حينما وصل إلى الآية ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ فجعل المصحف هدفا، يرميه بالسهم، ويقول: ها أنا ذا الجبار العنيد، لعنه الله بهذا الاعتقاد، ثم أعطى ولاية خراسان لنصر بن سيار وقتل نصر بن سيار، يحيى بن زيد[2] الذي كان قد هرب إلى أطراف خراسان وبلخ، وأدركه في

([1]) يقول ياقوت: باب الأبواب وهو الدربندشروان على بحر طبرستان وهو بحر الخزر (المترجم).

([2]) الإمام يحيى بن زيد مدفون في شرق مدينة سرپل شمال أفغانستان بين بلخ وميمنة، ويسمون المدينة أيضا فراغو، وقد كتب على القبر الذي يشبه بناؤه الفن المعماري السلجوقي: هذا قبر السيد يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن أبي طالب- رضوان الله عليه- وقتل بأرغوي في يوم الجمعة في شهر شعبان المعظم سنة خمس وعشرين ومائة، وقتله سلم بن أحوز في ولاية نصر بن سيار في أيام الوليد بن يزيد لعنهم الله. (المترجم).

مدينة طالقان[1] فقتله ثم علقه، وظل معلقًا حتى أنزله أبو مسلم المروزي. وحينما مضى عام وشهران من ولاية الوليد بن يزيد علم الخلق بخبث اعتقاده فعزلوه، وصار اسمه خليفة بني مروان، وقتل يوم الخميس الثامن من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة. الحمد الله على ذلك.

الثاني عشر: يزيد بن الوليد

كنيته: أبو خالد، ولد عام ستة وثمانين، وأسموه الناقص؛ لأنه أنقص أرزاق الحشم، ولكنه كان رجلاً حسن السيرة طاهر الاعتقاد، نير القلب مستضاء الفؤاد عاقلاً، رد المظالم، أمه: شاه بري بنت فيروز بن كسرى بن يزدجرد بن شهريار، جاء ذكره في كتب القدماء على هذا النحو: يا ناثر[2] الكنوز ويا ساجدا بالأسحار، كانت ولايتك رحمتي، ووفاتك فتنة فنبشوك وصلبوك، وكانت مدة عمره أربعين عامًا، وكانت وفاته في العشرين من ذي الحجة سنة ست وعشرين ومائة، وكانت ولايته اثنين وخمسين يومًا، وحينما تولى الإمارة مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الذي يسمونه مروان الحمار[3]، أخرجوا يزيد بن الوليد من القبر وعلقوه. عليه الرحمة والغفران، السلام على من اتبع الهدى.

---

(1) طالقان: إحدى مدن شمال أفغانستان بالقرب من بلخ. (المترجم).

(2) هذه العبارات وردت باللغة العربية؛ فنقلناها بنصها، إلا أن الأستاذ حبيبي وضع نقاطا قبل كلمة الكنوز، وقال لم تقرأ في جميع المخطوطات، ولكن منهاج السراج أتبع الكلمات العربية بترجمة فارسية وقبل كلمة الكنوز قال: أي پراگنده كننده گنجها، ومعناها: (يا ناثر الكنوز) وهي التي كتبناها (المترجم).

(3) مروان الحمار: سوف يفسر صاحب طبقات ناصري في الحديث عن مروان بن محمد لماذا لقب بمروان الحمار (المترجم).

الثالث عشر: إبراهيم بن الوليد

كنيته: أبو إسحق، وبايعوه في اليوم الذي توفي فيه أخوه، ثم بايعوا بعده شقيقه ثم عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك، ثم مروان بن محمد بن مروان بن الحكم، وكان مروان واليًا على بلاد الجزيرة، وكان يدعو للخلافة، فجاء بجيش إلى غوطة دمشق وحارب سليمان بن هشام بن عبد الملك الذي كان قائدًا من طرف إبراهيم فقتله مروان؛ فخلع إبراهيم بن الوليد نفسه من الولاية، ودخل في البيعة لمروان، وكانت مدة خلافة إبراهيم سبعة أيام، وفي رواية أخرى: سبعين يومًا، وظل أمر الخلافة مضطربًا ثلاثة أشهر حتى استقر الأمر لمروان، وغرق إبراهيم في فيضان حل ببلاد الجزيرة في صفر عام اثنين وثلاثين ومائة.

الرابع عشر: مروان بن محمد بن مروان بن الحكم

وكان يكنى بأبي عبد الله، وكانت أمه كردية، ولد عام خمسة وستين، وفي رواية أخرى: عام سبعين، وفي رواية ثالثة: عام أربعة وستين، كانت بيعته عام سبع وعشرين ومائة وكانوا يسمونه حمار الجزيرة، والسبب في ذلك أن العرب أطلقت على العام المائة في كل مائة عام الحمار، بدليل قول الله تعالى في قصة عزير: ﴿بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾[1]، ومُلك بني أمية كان يقرب من المائة عام حينما وصل مروان بن محمد إلى الخلافة، ولهذا السبب أطلقوا عليه الحمار، ومسطور في كتب بني

---

(١) سورة البقرة: آية ٢٥٩.

أمية أن زوال ملكهم سيتم حينما يصل أحدهم إلى الخلافة وتكون أمه جارية، ومروان بن محمد هو آخر خليفة من بني أمية، ولقد وقعت المنازعات في عهده بين نصر بن سيار وبين قادته في خراسان، وفي هذا الوقت خرج أبو مسلم المروزي، وخرج الضحاك بن قيس الفهري الخارجي من شهرزور[١] على مروان، ووقع القتال بينهم في نواحي الكوفة، وفي عام ثمانية وعشرين ومائة قتل مروان بن محمد الضحاك، وكانت ولاية مروان خمسة أعوام وشهرين قتلوه[٢] في أبو صير وهي قرية من قرى مصر[٣]، وانتهت دولة بني أمية وبني مروان وقوي سلطان بني العباس. فليمدد الحق- تعالى- ظلال مظلة ملك الزمان بعواطف الأمن والأمان[٤]، والله أعلم بالصواب.

(١) كورة واسعة في الجبال بين اربل وهمدان أحدثها زور بن الضحاك، وأهل هذه النواحي كلهم أكراد (المترجم).

(٢) منهم من زعم أنه قتل وهو ابن سبعين سنة، ومنهم من قال: ابن تسع وستين، ومنهم من قال: ثمان وخمسين. المسعودي مروج الذهب، جـ٣، ص ٤٣٣، طبعة دار الأندلس بيروت (المترجم).

(٣) قرية من قرى محافظة بني سويف بصعيد مصر (المترجم).

(٤) هذه الدعوات تخص السلطان أبا المظفر محمود بن ألتتمش الذي كان صاحب كتاب طبقات ناصري يعيش في كنفه في الهند. (المترجم).

الطبقة الرابعة

خلفاء بني العباس

إخبار المصطفى (صلى الله عليه وسلم) بخلافة أبناء العبـــــــــاس

يروي أصحاب التواريخ ونقلة الآثار أن المصطفى- صلى الله عليه وسلم- أعلم عمه العباس بخلافة أبنائه بعد بني أمية، وكان العباس- رضي الله عنه- أسَنُّ من الرسول- صلى الله عليه وسلم- بثلاثة أعوام، وكان له أربعة أبناء: عبد الله، وعبيد الله، والفضل، وقُثم، وتوفي العباس وعمره ثلاث وثمانون سنة في المدينة المنورة أثناء خلافة عثمان- رضي الله عنه، وكف بصره في آخر عمره، وتوفي ابنه الفضل في الشام، وعبيد الله بالمدينة، وقُثم بسمرقند، وكان عبد الله بن العباس- رضي الله تعالى عنه- في الخامسة عشرة من عمره حينما توفي المصطفى- عليه الصلاة والسلام، وفي آخر عمره كف بصره وتوفي بالطائف وعمره ثلاث وسبعون سنة أثناء فتنة عبد الله بن الزبير، كان له ثمانية أبناء أحدهم هو علي بن عبد الله بن العباس- رضي الله عنهم، وهو أبو الخلفاء، وحينما ولد عَليٌّ هذا مسح علي بن أبي طالب- كرم الله وجهه- سقف فمه وأسماه عليًا، وقال لوالده: هذا أبو الخلفاء، وحينما كبر كان يتعبد كثيرًا، وكان له بستان به خمسمائة شجرة كان يصلي فيه كل يوم ركعتين تحت كل شجرة، ولقد أمر الوليد بن عبد الملك بن مروان بجلد علي بن عبد الله هذا بالسياط مرتين: المرة الأولى، لأنه تزوج مطلقة الوليد، والمرة الثانية؛ لأنهم نقلوا عنه

أنه قال: إن هذا الأمر سيكون في ولدي، وسريعًا ستتصل الخلافة إلى أبنائي؛ فضربه سبع عشرة جلدة، وقد منع بنو أمية أبناء العباس أن يتزوجوا من بني الحارث بسبب أنهم قالوا: ستتصل الخلافة من بني أمية إلى رجل والده العباس وأمه حارثية، وعلي بن عبد الله- رضي الله عنه- هذا حينما بلغ الرابعة عشرة من عمره ولد له ابن أسماه محمدًا فكان أبا الخلفاء، ومحمد هذا في زمان خلافة عمر بن عبد العزيز- رضي الله عنهما- استأذن وتزوج رايطة بنت عبيد الله بن الحارث، ووهبه الحق- تعالى- ابنًا من هذه المرأة هو أبو العباس السفاح، وكان له منها بنات وأبناء آخرون هم: إبراهيم، وأبو جعفر، وعلى، وحسن.

ويروي الرواة: إن ابن محمد بن الحنيفة الذي كان يسمى أبا هاشم، وكان له في العالم قدر وجلال كبير، حينما حضرته الوفاة وكان في العام المائة من الهجرة أوصى محمدًا بن على بن عبد الله أن أرسل دعاتك إلى أطراف الممالك يدعون بالخلافة لك، وبحكم هذه الوصية، وحينما انقضت مائة عام كاملة من الهجرة بدأت الدعوة لمحمد الإمام، واستجاب له أربعة أشخاص من أهل الكوفة، منذر الهمداني، وأبو النبال، وأبو عمرو البزاز، ومصقلة الطحان، وأرسل دعاة آخرين إلى أطراف خراسان، وفي عام أربعة ومائة هجرية ولد أبو العباس السفاح من الحارثية، فلفه والده في خرقة وأتى به إلى نقباء خراسان، وقال: سيكون هذا إمامكم، وهذا الأمر كان في ولاية عبد الملك.

وحينما حلَّ عام خمسة وعشرين ومائة قدم نقباء خراسان من أهل الدعوة إلى الكوفة، وكان أبو مسلم المروزي- رحمة الله عليه- طفلاً، وفهم حديث

الدعوة، وكان في خدمة يوسف بن أبي سفيان الباهلي، وكان النقباء يرون علامات المجد والدولة على ناصيته، وحينما قدموا من الكوفة إلى مكة لخدمة محمد بن عبد الله بن العباس، وأدوا إليه أموال خراسان، ذكروا له خبر أبي مسلم؛ فقال لهم: إن كان حرًا فأتوا به، وإن كان عبدًا فاشتروه، وحسبما أمرهم الإمام أتوا به ليكون معه، فأمره أن يلزمه، وحينما توفي الإمام محمد الأب حل محله ابنه الأكبر إبراهيم، فأرسل أبا مسلم إلى خراسان فتحين الفرصة، وخندق مدينة مرو، وجمع خلقا كثيرًا، وحينما أظهر الدعوة لبني العباس، جعل هذا اليوم عيدًا، وأدوا الصلاة، وخرج في رمضان سنة تسع عشرة ومائة، ونفى أتباع بني أمية من خراسان، وكان يدعو لآل محمد، ويظهر في السر اسم أبي العباس، وهرب نصر بن سيار منه إلى نيسابور، وتوفي حينما وصل إلى ساوة، واستقرت الأمور في بلاد العجم لأبى مسلم المروزي، فأرسل المال والذهب إلى إبراهيم الإمام، وحج إبراهيم الإمام مع إخوته: أبي العباس، وأبى جعفر، والأبناء والخدم، وحينما وصل إلى مروان خروج أبي مسلم، والدعوة لإبراهيم الإمام، أمر أمير دمشق، أن يقطع الطريق عليهم، وفي هذا الوقت قبض على إبراهيم الإمام، ووضعه مقيدًا في سجن حرّان، وظل في محبسه مقيدًا حتى توفي، وقدم أبو جعفر مع عميه وأبناء عمه إلى الكوفة متخفين، وكان أبو مسلم في نواحي العراق بجيشه وسار ملقبًا بأمير آل محمد، وأنزل زيدًا العلوي الذي ظل مصلوبا أعواما، وأمر جميع الناس فقدموا فيه العزاء، واتشحوا بالسواد وأظهر للخلق أن السبب في تعزية آل محمد هو: الحزن على الذين استشهدوا على يد بني أمية، وهم لهذا يتشحون بالسواد، ولكن في السر أعلن أبو العباس: أن لبس السواد سيكون شعار

الدولة العباسية، وحينما تحول رأي أبي مسلم في هذا الوقت عن بني العباس، وأراد أن يكون الإمام من العلويين، أرسل جلال الوزير- وكان يسمى محمد- إلى ثلاثة من أولاد علي- رضي الله عنهم، وهم: جعفر الصادق، وعبد الله بن الحسن بن علي، وعمر بن علي بن الحسين بن علي، فلم يقبلوا جميعًا، وقبل أن يصل الجواب إلى أبي مسلم كانت رسل أبي مسلم الخرسانيون قد قدموا إلى الكوفة، وأثاروا ضجة بسبب الإمام، وأخفى أبو مسلم مجيء العباسيين إلى الكوفة، وكان لأبي مسلم غلام يدعى أبا حميد السمرقندي، وكان اسمه في السابق الخوارزمي، وكانت أحوال الإمام معروفة لهذا الغلام، وبطريقة مخفية ذهب إلى مكانه وقدم إلى خدمته، وحينما وصل إلى خدمته سأل: أيكم ابن الحارثية؟ فأشاروا إلى أبي العباس، وفي الحال قبل الأرض أمامه، وبارك له بالخلافة وأعلم الآخرين، فاجتمع خلق كثير، واتشحوا بالسواد وأخذوا أهبة الاستعداد الكامل للخدمة، كما أرسلهم أبو مسلم، وخرج أبو العباس يوم الجمعة الثاني عشر من ربيع الأول سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وأقاموا صلاة المغرب جماعة، ثم بايعوه في الجمعة التالية بالمسجد الجامع- رضي الله عنه- بعد ذلك سوف نذكر أبا مسلم صاحب الدعوة، والله أعلم.

ذكر صاحب الدعوة أبي مسلم المروزي

يقول صاحب تاريخ المقدسي: يوجد خلاف في اسمه ونسبه، فبعضهم يقول: إنه من العرب، وكانت ولادته في أصفهان، وتربى بين أبناء إدريس بن عيسى العجلي، وحفظ القرآن الكريم معهم في المدرسة، وحفظ اللغة والأشعار، ولكن أكثر أهل التاريخ يجمعون على أنه كان أعجمي الأصل، وكان فاضلا، وحافظا للقرآن الكريم وكان تقيًا، كان قصير القامة، قمحي اللون، ناعم البشرة، جميل المنظر، طويل الظهر، قصير الساقين لم يره أحد يضحك أو يمزح مطلقًا، لم يكن يهش لفتح جديد، أو يغضب لنكبة، كان غليظ القلب، عظيم الغضب، ولم يكن يرحم أحدًا، كان سوطه السيف، فقتل جميع المتملقين الذين ركنوا لبني أمية، وشبوا وترعرعوا في دولة بني مروان، من خرسان واليمن وربيعة، ومن الزهاد والعباد والقضاة، والحكام والدهاقين والمجوس والنصارى واليهود وغير هؤلاء الجماعات قتلهم جميعًا، ويذكرون أنه دون حرب أو حصار قتل ثلاثمائة وستين ألف رجل لأمور العقاب، وأخلى الدنيا من خوارج بني أمية، أوصل الحكم إلى العباسيين بتأييد الله ونصره.

كان له ثلاث نساء، وكان غيورًا على زوجاته، وكان أحيانا يظل عامًا ولا يذهب إلى فراش أزواجه، كان رجلا عظيم المروءة دون طمع، ولم يطمع في شخص أبدا، بل لم يرغب في ذلك، ولم يأخذ شيئًا من أحد، كان له ألف طباخ وكل يوم كانوا يطبخون في مطبخه ثلاثة آلاف مَنّ من الطعام، ويذبحون مائة وثلاثين خروفا غير الأبقار والدجاج، حيث كان ينفقها. وحمل معه في العام الذي ذهب فيه إلى الحج ألفًا ومائتي حمل من آلات المطبخ، ونادى: إن كل من يشعل نارًا ليعد طعامًا في القافلة سأكون في حل من دمه؛ لأنه يجب أن يكون

عندي كل ما يحتاجه أهل القافلة من طعام وشراب، وفي ذهابه وعودته رحل جميع أعراب البادية من أطراف الطرق وجوانبها خوفا منه، حيث ذهبوا إلى مواضع أخرى، وحينما وصل إلى مكة نزل بركائبه على مشارف الحرم، وذهب حافي القدمين ليؤدي صلاة الظهر، ثم أدى واجبات الحج وفرائضه وآدابه وشرائطه رحمة الله عليه، كانت ولادته عام اثنين ومائة، واستشهد على يد الخليفة أبي جعفر المنصور ثاني الخلفاء العباسيين وعمره خمسة وثلاثون عامًا عليه الرحمة والغفران، لُقب بلقب شهنشاه؛ أي ملك الملوك وهو الذي عين حراسا على الأطراف الأربعة لمدينة مرو بخراسان، وظلت هكذا حتى عام سبعة عشر وستمائة حتى خرج چنگيزخان الملعون، ولقد وضع جوادا للحراسة على أبواب القصر الذي بناه وتملكه في مرو شاهجان[1] بخراسان أدعو الله أن يشمله الحق- تبارك وتعالى- هو وجميع خلفاء بني العباس بفيض رحمته ورضوانه.

---

(١) كانت قاعدة للجيوش الإسلامية في القرنين الأول والثاني الهجريين، وينسب بناؤها الأول إلى الملك طهمورث، وهي في آسيا الوسطى الآن. (المترجم).

الموفق طلحه
المعتضد بالله احمد
المکتفی بالله علی ابو محمد
المقتدر بالله ابوالفضل جعفر
القاهر بالله ابو منصور محمد
المستکفی بالله عبدالله
اسحاق
(۲۰) الراضی بالله ابوالعباس محمد
(۲۱) المتقی بالله ابراہیم
المطیع بالله ابوالقاسم
الطائع لله ابوبکر
القادر بالله احمد
القائم بامرالله ابوجعفر عبدالله
محمد
المقتدی بالله ابوالقاسم عبدالله
المستظہر بالله احمد
المسترشد بالله ابو منصور الفضل
الراشد بالله منصور
المقتفی لامرالله محمد
المستنجد بالله یوسف
المستضیئ بالله الحسن
الناصر لدین الله احمد
الظاہر بامرالله ابونصر محمد
المستنصر بالله منصور
المستعصم بالله ابواحمد عبدالله

أبو العباس السفاح رضي الله عنه

اسمه: عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس رضي الله عنهم أجمعين، ولد عام خمسة ومائة هجرية، وقيل: سنة ثلاث ومائة، وأمه: رايطة بنت عبيد الله الحارثية، وكانت بيعته يوم الجمعة الثالث عشر من شهر ربيع الأول سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وأول شخص بايعه عمه داود بن علي بن عبد الله بن العباس، وبعده شقيقه أبو جعفر المنصور، وبايعه الناس من فجر الجمعة حتى صلاة العصر، ثم خطب أبو العباس الخطبة وأقام الصلاة، وبعد الصلاة ذهب إلى معسكر أبي سلمة الخلال[1].

وقدم الجند جميعهم لبيعته، وعين أبو العباس عمه عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس لقتال مروان، وتقهقر مروان أمام عبد الله مهزومًا حتى قتل، وفتح عبد الله بن علي دمشق وخرب حصونها، وفتح قبور بني أمية وأخرجهم جميعًا وأحرقهم، وفي قبر معاوية كان يوجد طين مثل الرماد، وفي قبر يزيد كانت توجد أختام متناثرة خلف ظهره، وقتل كل من وجده من أقربائهم وأتباعهم، وأرسل رءوسهم إلى أبي العباس وكذلك رأس مروان، وأرسل أبو العباس هذه الرأس إلى خراسان فذهبوا بها إلى سمرقند.

كانت ولاية أبي العباس أربعة أعوام وعشرة أشهر، وكانت وفاته في ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة للهجرة النبوية، اللهم اغفر له، والله أعلم بالصواب.

---

(1) هو أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال وزير السفاح وكاتبه (المترجم).

أبو جعفر الدوانقي

اسمه: عبد الله بن محمد، وكان للشقيقين اسم واحد، وكان أكبر من أبي العباس وكان ولي العهد لشقيقه، وكانت والدته تدعى سلامة، وفي رواية: أ نها سلامة بنت زيد الحميري، وكانوا يسمونه عبد الملك الطويل. كانت ولادة أبي جعفر بالشام في مكان يسمى الشراة[1] عام خمسة وتسعين، وكان في الثانية والأربعين من عمره حينما بايع الناس أخاه بالخلافة، وكان أبو جعفر قد أرسل مع أبي مسلم في خراسان، وكان أبو مسلم يخاف من أبي جعفر، واستقرت الكراهية في قلبه، وفي آخر عهد أبي العباس ذهب أبو مسلم مع أبي جعفر للحج، وحينما أديا فريضة الحج وأثناء عودتهما وفي الطريق وصل إليهما خبر وفاة أبي العباس، فرجع أبو مسلم ناحية الجزيرة، ولكن أبا جعفر أعاده إلى الطريق وأقام عليه حججًا وأسبابًا كثيرة ثم قتله، وسلمت لأبي جعفر الخلافة، وخرج عليه عمه وأدعى الخلافة، فقدم أهل الشام لبيعته والسبب في ذلك أن أبا العباس وضع سيفا أمامه، وقال: إن كل من يرفع السيف ويقتل مروان، فإن الخلافة ستكون له من بعدي فأمسك عبد الله بن علي عمه ذلك السيف، وفي هذا الوقت نصر أبو مسلم أبا جعفر وقبض على عبد الله، وأرسله إلى أبي جعفر، فوضعه في المحبس حتى مات. وقدم أبو جعفر إلى موضع يسمى بغداد وبنى مدينة بغداد، وأطلق عليها مدينة السلام، وكانت ولايته اثنين وعشرين عامًا تنقص ثلاثة أيام، وكانت وفاته بمكة عام ثمانية وخمسين ومائة قبل التروية بثلاثة أيام، وقد دفن في حجون[2] وكانت مدة عمر أبي جعفر ثلاثة وستين عامًا.

---

(1) الشراة: صقع بالشام بين دمشق والمدينة. (المترجم).

(2) حجون: جبل بأعلى مكة وعنده مدافن (المترجم).

المهدي محمد بن أبي جعفر المنصور

كنيته: أبو عبد الله، ولد سنة إحدى وعشرين ومائة، وهو أكبر أبناء المنصور، وأمه: أم موسى بنت منصور الحميري، وقد توفي المنصور قبل التروية بيوم واحد[١]، وبايعوا المهدي يوم التروية سنة ثمان وخمسين ومائة وعمره ثمانية وثلاثون عامًا، كانت له كثير من الخلال الحميدة، فقد رد المظالم وكان يحضر صلاة الجماعة في الصلوات الخمس، وجميع الخزائن التي جمعها المنصور والده وزعها كلها في الخيرات، ووسع المسجد الحرام، وزاد في ساحة هذه البقعة المباركة، وفي العام الذي كان يحج فيه كان ينفق ثمانين ألف درهم من الفضة، وأنفق بيمن ويسار، وبنى المستشفيات للمرضى والمعلولين، وأرسل ابنه الهادي بن المهدي إلى بلاد الروم مع مائة ألف فارس بالمؤونة والنفقات والأتباع والخدم، وقتل من كفار الروم خمسة وأربعين ألف رجل وأرسلهم إلى جهنم وبئس المصير، وغنم كثيرًا من الغنائم لدرجة أن الجواد صار بدرهم والدرع بدرهم وعشرين سيفًا بدرهم، وقرر على أهل الروم كل عام سبعين ألف دينار من الذهب جزية، وفي عهده خرج حكيم (الملقب) بالمقنع، وأظهر مذهب التناسخ وكان بعين واحدة، وكان من ولاية مرو وعين المهدي حشم خراسان لمحاصرة قلعة المقنع؛ فحاصروه على حدود مدينة كِشْ وقتلوه، وأرسلوا رأسه إلى المهدي، وكانت وفاة المهدي في الري يوم الخميس الثاني والعشرين من شهر المحرم سنة تسع وستين ومائة، وكانت مدة ولايته عشرة أعوام وشهرًا وتسعة عشر يومًا. وقيل: أحد عشر عامًا، والله أعلم.

---

(١) ذكر المؤلف أن أبا جعفر توفي قبل التروية بثلاثة أيام. (المترجم).

الهادي أبو محمد موسى بن المهدي

أمه وأم هارون واحدة[1]، ولد بالكوفة، بويع بالخلافة عام تسعة وستين ومائة، وكان في جرجان حينما توفي والده، وتقبل البيعة شقيقه هارون ببغداد، وحينما حضر من جرجان إلى بغداد أراد أن يخلع هارون من ولاية العهد ويجعل ابنه وليا لعهده، وكان هارون وليًا للعهد بعد الهادي حسبما أوصى والده؛ لذا لم يستسلم للخلع، وكان الهادي عاقلاً لبيبًا عظيم النفس جليل السجايا، عالي الهمة.

وفي ليلة واحدة منح عيسى بن داب ثلاثين ألف دينار نيشاپوري، وكانت ولادة الهادي سنة خمس وعشرين ومائة، ومدة عمره خمسًا وأربعين سنة، وكانت وفاته بالعراق ليلة الجمعة السابع عشر من شهر ربيع الأول عام سبعين ومائة، وكانت مدة خلافته عامًا وأربعة أشهر، وفي رواية أخرى: وثلاثة أشهر، والله الباقي والدائم وهو على كل شيء قدير.

الرشيد أبو جعفر هارون بن المهدي

كانت بيعته في ربيع الأول سنة سبعين ومائة، ويقول المؤرخون: لم تأت ليلة مثل ليلة البيعة مطلقًا، وذلك لأن هذه الليلة تصادف فيها موت الهادي وبيعة هارون وولادة المأمون، وكان مولد هارون عام ثمانية وأربعين ومائة[2].

---

(1) والدتهما الخيزران بنت عطاء أم ولد الحارثية (المترجم).
(2) كان عمر هارون اثنين وعشرين عامًا حينما تولى الخلافة. (المترجم).

وحينما وصل هارون إلى الخلافة استوزر يحيى بن خالد البرمكي، وجعل ولاية خراسان لجعفر بن محمد بن الأشعث، وأعطى الأمان لجميع أبناء أبي طالب، وجعل لبني هاشم الخمس من الأموال، وأعطى قضاء الممالك ليوسف القاضي، ثم جعل قضاء الري والمغرب لمحمد بن الحسن الشيباني، ووصل البرامكة في عهده إلى أعلى درجات المناصب ثم سقطوا، والسبب في ذلك: أن هارون كانت له أخت تدعى العباسة، وكان يحبها حبا شديدًا، وكان يحب جعفر بن يحيى حبا شديدًا أيضًا، ولما كان لا يصبر على فراق أحدهما، ولكي يحضرا مجلسه، عقد قرانهما، حتى يكون نظر كلاهما للآخر حلالاً على شريطة ألا يدخل بها، وحينما عقد قرانهما كان يجمعهما معه، فمال قلب كل منهما للآخر، واجتمعا في الفراش سرا، وظهر الحمل عليها وولدت ابنا، فعلم هارون، وقتل جعفرًا، ثم سجن الفضل ووالده حتى ماتا في السجن، واستأصل شأفة الأسرة تمامًا، ووضع أخته في صندوق ورماها في البئر، ثم ندم هارون، وكانت عادة هارون أن يحج عامًا، ويغزو عامًا، كانت مدة خلافته ثلاثا وعشرين سنة. والسلام على من اتبع الهدى.

الأمين محمد بن هارون

كنيته: أبو عبد الله ، وأمه: زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور، وقد جعله هارون وليا لعهده، ثم جعل بعده المأمون، وقد بايعوا الأمين بطوس، وكانت ولادته في شهر شوال في سنة إحدى وسبعين ومائة، وقد جعله والده

وليا لعهده، وجعل بعده المـأمون، وجعل بعد المـأمون المؤتمن[1] وكـان الأمـين فاضـلا وعالمًـا وكريمًـا، ولكنـه كـان مشـغولاً بـاللهو والطـرب؛ لأنـه كـان شـابًا مدللا، وكان يمثل في البلاط كل شهر مرة، وأعطى الوزارة للفصل بن الربيع، ثم جعل الأمين ولاية العهد من بعده لابنـه موسى[2] بدلاً من المـأمون، وحينمـا سمع الأمين أن المأمون أخرج اسمه من الخطبة والدراهم والدنانير في خراسان أرسل عليّ بن عيسى بن ماهان ليحاربه، وأرسل المـأمون طـاهرًا بـن الحسـين، وهرثمة بن أعين على رأس جيش كبير إلى بغداد، وحاصروا الأمين مدة عـام، وفـي هذا الوقت خـرج العلويـون مـن كل طـرف، وهزم الأمـين، واستشـهد فـي النهاية في شـهر المحرم سنة ثمان وتسـعين ومائـة وعمـره سـبع وعشـرون سـنة، وكانت خلافته أربعة أعوام.

وبعد الأمين بايعوا إبراهيم المبارك[3] في بغداد، والسبب فـي البيعـة أن آل العباس خبروا في بغداد: أن المأمون أخذ على بن موسى الرضا من المدينة إلـى خراسان وأعطاه الناس ولاية العهد بعد الأمين والمـأمون، فخـاف العباسيون أن تنقل الخلافـة مـن أسـرة العباسـيين فبـايعوا إبـراهيم المبـارك، وفـي ثـورة الأمـين والمأمون استمرت ولاية إبراهيم المبارك وخلافته عامًا وأحد عشر شهرًا، والله الباقي والهادي.

---

(1) كتب المؤتمن في طبقات ناصري مؤمن ولعل هذا الخطأ من الناسخ (المترجم).

(2) كتبه صـاحب الطبقات على بن موسـى الرضـا ولكن هذا خطـأ، ولأن ابن الأمـين كـان يدعى موسـى وكـان غلامًـا صــغيرًا، وأقنـع الفضـل بـن الربيـع الأمـين أن يجعلـه وليًـا للعهـد بـدلاً مـن المـأمون. (المترجم).

(3) إبراهيم بن المهدى، أخو هارون ولقب بالمبارك. (المترجم).

المأمون عبد الله بن هارون

كان مبارك العهد والولاية، كان أبيض الوجه، أحمر البشرة، واسع العينين، جميل قسمات الوجه، طلق المحيا، كثيف الشعر، على خده خال أسود، كانت أمه جارية بادغيسية[1] تدعى مراجل. كان المأمون حسن السيرة، محبا للرعية، نشر العدل، وكان منصفا عادلاً، كان يجلس بنفسه ليقضي بين الناس، ويفض المنازعات، كان يؤدي صلاة الجمعة ويقوم بالخطبة، وقد خلع أخاه المؤتمن من ولاية العهد، وجعل ولاية العهد لأخيه الآخر المعتصم. وأحيا العلوم القديمة، ونقل الفلسفة والحكمة والطب والنجوم من اللغة اليونانية إلى اللغة العربية، وذهب إلى غزو الروم مرات عديدة، وفتح الحصون والقلاع في هذه الديار، وهو الذي أرسل رجاء بن الضحاك فنقل على بن موسى الرضا من المدينة إلى خراسان، وبايعه الناس على ولاية العهد بعد المأمون، وكان ذلك بتدبير وزيره الفضل بن سهل. وقد لقب الفضل بن سهل بصاحب الرياستين، وتضايق العباسيون لهذه البيعة، وبايعوا إبراهيم المهدي. فندم المأمون، وسم علي بن موسى الرضا، وهو الذي أمر فقتلوا الفضل بن سهل في الحمام، ثم أعطى الوزارة للحسن بن سهل، وأعطى طاهرًا قيادة الجيوش ولقبه بذي اليمينين؛ لأنه ضرب عليّ بن عيسى بن ماهان بكلتا يديه وقتله. وبايع الناس المأمون بالخلافة في بغداد، وكانت مدة خلافته- بعد استشهاد الأمين- عشرين

---

(1) تنسب إلى بادغيس، وهي إحدى المدن الكبيرة وهي عاصمة محافظة بادغيس بأفغانستان (المترجم).

عامًا، وعاش ثمانية وأربعين عامًا، وكانت وفاته في بلاد الروم، وبعد ذلك نقل إلى طرسوس[1] ودفنوه هناك عام ثمانية وعشرين ومائتين.

المعتصم بالله أبو إسحاق محمد بن هارون الرشيد

هذه رواية الصوري، أما رواية النسبي[2]؟ اسمه: إبراهيم، ولد في شعبان سنة إحدى وثمانين ومائة، وظل بين أخواله، وحينما كبر تعلم القرآن، وتعلم الخط والأدب، كان محبًا للعلم عادلاً حازمًا كثير العطاء، ولا يوجد أكثر منه شجاعة في خلفاء بني العباس، وكان مع أخيه الأمين في بغداد حينما تولى الخلافة، وحينما استشهد الأمين ذهب من بغداد إلى خراسان عند المأمون وظل في خدمته كثيرًا، حتى إن المأمون حول ولاية العهد له، وفي عهد المأمون خرج بابك الخرمي واعتنق دينه أكثر بلاد آذربايجان؛ فقبض عليه المأمون وأرسله إلى بغداد وصلبه في شهور سنة ثلاث وعشرين ومائتين، وفي مدة عشرين عامًا قتل بابك الخرمي مائتين وخمسين ألفًا من المسلمين. ولقد غزا المعتصم بلاد الروم وفتح عمورية، وبنى مدينة سر من رأى على بعد سبعة فراسخ من بغداد. وكانت مدة خلافته ثمانية أعوام وسبعة أشهر وثمانية أيام، وهو الخليفة الثامن وثامن أبناء العباس، وحينما توفي كان عمره ثمانيَ وأربعين سنة، وكان له ثمانية من البنين وثمان من البنات.

وترك ثمانية آلاف دينار وثمانية آلاف درهم، ولهذا أطلقوا عليه اسم الخليفة المثمن، وكانت وفاته يوم الخميس التاسع عشر من شهر ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومائتين، والحمد الله على كل حال وعلى جميع الأحوال.

---

(1) قرية من قرى الشام (المترجم).

(2) وضع المحقق علامة استفهام للصوري والنسبي. (المترجم).

الواثق بالله أبو جعفر هارون بن المعتصم

اسم والدته: قراطيس وهي رومية، كان- رحمه الله- جاف الأخلاق، سيئ الطبع، اعتنق مذهب المعتزلة وحث علماء الأمة على اعتناق مذهبه، وجلد أحمد بن حنبل ليقول بخلق القرآن، ولكنه لم يقل، وفي عهده كان عبد الله بن طاهر أميرًا على خراسان "وبعد وفاته[1]" أعطى ولاية خراسان لابنه طاهر بن عبد الله.

ويروي ابن الهيصم النابي في القصص ما يلي:

إن الواثق بالله أرسل سلامة الترجمان ليأتيه بالخبر عن سد الإسكندر؛ لأنه رأى في المنام أن سد الإسكندر قد تخرب، وزود سلامة بالمال الكثير، فأرسل معه خمسين ألف رجل[2] فذهبوا من مدينة سر من رأى إلى خراسان، ومن خراسان ذهبوا جميعًا إلى أطراف بحر الخزر، ثم توجهوا إلى مدينة الكرج[3]، وظلوا عامين وسبعة أشهر في هذا السفر، ثم رجعوا وأتوا بجميع الأخبار عن صفة السد وطوله وعرضه وارتفاعه ومفاتيحه والخلق الموكلين عليه من عهد الإسكندر كما هو مسطور ومعروف في القصص. وفي عهد الواثق بالله ظهرت نار من ناحية المشرق وكان لها شهيق وهي تفور ومن الخوف والفزع من ذلك

---

(1) الكلمات التي بين القوسين ليست موجودة في النص الفارسي وأضفناها لتستقيم الترجمة (المترجم).

(2) ذكر ياقوت الحموي وغيره من المؤرخين القدماء أنهم كانوا خمسين رجلا فقط، وهذا هو الأقرب للصواب، وربما تكون هذه الزيادة من الناسخ. (المترجم).

(3) مدينة في گرجستان. (المترجم).

هلك قوم كثير، كانت مدة خلافة الواثق بالله خمسة أعوام وتسعة أشهر، وكان عمره ثمانيَ وثلاثين سنة حينما توفي، وكانت وفاته في ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين بمدينة سر من رأى.

المتوكل على الله جعفر بن المعتصم

والدته أم ولد وتدعى شجاع الطخارية، وفي اليوم الذي توفي أخوه الواثق بالله بايعوه بالخلافة، وكان في السادسة والعشرين من عمره، وكان المتوكل رجلاً كريمًا متميز الأخلاق، وكان صلبًا في مذهب السنة والجماعة، ولقد قتل ابن عباس بن موسى رأس الطريقة الجهمية(١) في ذلك العصر، وكان يقول بخلق القرآن، وأمر البلاد الإسلامية ألا يقول أحد بخلق القرآن، وخلص أحمد بن حنبل من محبسه، وفجأة وفي عام سبعة وأربعين ومائتين كان مشغولاً باللهو والطرب، فدخل عليه الأتراك وقتلوه وكان عمره أربعين عامًا، وكانت مدة خلافته أربعة عشر عامًا وعشرة أيام. وبعد استشهاده ذهب رونق البلاط العباسي حتى عهد أمير المؤمنين المستنصر بالله والله أعلم.

المنتصر بالله

أبو جعفر محمد بن المتوكل، كانت أمه رومية وتدعى حبشية، وقد بايعوه في الوقت الذي استشهد فيه والده، ولقد خلع المعتز والمؤيد إخوته وكان والدهما قد جعلهما متعاقبين في ولاية العهد بعد المنتصر بالله، وقد اتهمه البعض بأنه كان شريكًا في قتل أبيه، ولقد بقي ستة أشهر في الخلافة ثم توفي، مثل شبرويه ابن كسرى؛ فقد قتل أباه وظل بعده ستة أشهر يدير دفة الملك ثم توفي، وفي إحدى

---

(١) هذه الفرقة تنسب لجهم بن صفوان. (المترجم).

الروايات يذكرون أنهم سموا المنتصر بالله، وكانت وفاته يوم الأحد الرابع من شهر ربيع الأول سنة ثمان وأربعين ومائتين للهجرة وكان عمره عشرين عامًا. والسلام على من اتبع الهدى.

المستعين بالله

أبو العباس أحمد بن محمد بن المعتصم[1]. وكانت بيعته يوم السبت بعد وفاة المنتصر بيومين[2] وكان رجلا حسن السيرة، وكان في الثامنة والعشرين من عمره حينما بويع بالخلافة، وحينما بايعوه حبس المعتز، وتوفي في هذا العام طاهر بن عبد الله والي خراسان فأعطى لابنه محمد بن طاهر العهد واللواء وأرسله إلى ولاية العجم، وفي عهده خرج الحسن بن زيد العلوي في طبرستان، فأخرج المعتز من محبسه، وخلعوا المستعين، وكانت مدة خلافته ثلاثة أعوام وتسعة أشهر، وقد ولد عام عشرين ومائتين للهجرة.

ولقد أقصوه عن بغداد بعد خلعه، وتوفي بعد تسعة أشهر ولحق بالرفيق الأعلى. وفي رواية أخرى: أنه غرق، والله يعلم الغيب والشهادة.

المعتز بالله

أبو عبيد الله محمد بن المتوكل، وفي رواية أخرى: كان اسمه الزبير، ولد عام اثنين وثلاثين ومائتين، كانت أمه رومية تدعى فتحة، وكانت بيعته في السادس من

---

(1) أبو العباس أحمد بن المتوكل بن المعتصم. (المترجم).

(2) يذكر المؤلف أن المنتصر بالله توفي يوم الأحد، ثم بويع المستعين بالله يوم السبت فيكون الفارق أسبوعًا إلا يومًا واحدا، وليس يومين كما ذكر. (المترجم).

شهر المحرم سنة اثنتين وخمسين ومائتين، ولم يمسك أحد مقاليد الخلافة أكثر شبابًا منه، وحينما انقضت ثلاثة أعوام من خلافته بدأ الأتراك يتمردون عليه، وجرت بينهما كثير من المراسلات، وفي النهاية خلعوه، واستشهد بعد خلعه بعشرين يومًا، وكانت مدة خلافته أربعة أعوام وستة أشهر، وفي رواية أخرى: ثلاثة أعوام وستة أشهر وعشرين يومًا.

المهتدي بالله

هو أبو عبد الله محمد بن الواثق، حينما خلع الأتراك المعتز كانوا يريدون أن ينقلوا المهتدي بالله من بغداد إلى سر من رأى حتى يبايعوه، ولكنه امتنع، وقال لهم: إنكم يجب أن تمتثلوا لأمري، فقبلوا وبايعوه في رجب سنة خمس وخمسين ومائتين، اتخذ- رحمه الله- الزهد والطاعة والورع مسلكا له، وكان يقال: إن العيب أن بني أمية لم يأت فيهم أحد مثل عمر بن عبد العزيز في الزهد والورع، وكذلك لم يأت مثل المهتدي بالله في بني العباس، بدأ بالعدالة الكاملة والإنصاف، وأراد أن يسترد كل ما في أيدي الأتراك من أموال المسلمين، وما استولوا عليه ظلمًا من أموال الخلفاء كان يسترده ويسلمه لأصحاب المال، فخرج الأتراك عليه ودار القتال بين الخليفة والأتراك فأثخنه الأتراك بجراح شديدة، ثم قبضوا عليه وخلعوه، وتوفي بسبب هذه الجروح. كانت ولادته عام ثمانية عشر ومائتين، رحمة الله عليه، وفي عهده مات المعتز أيضًا، وفي عهده خرج البرقعي في البصرة، فأحكم البصرة وضبطها، وسلمت أموال المسلمين إلى غلمان الزنج، واستمرت فتنته سبعة أعوام، وكان يدعى نسبًا كاذبًا بأهل البيت.

المعتمد على الله

أبو العباس أحمد بن المتوكل، كانت والدته أم ولد وتدعى: فتيان، وقد بايعوه يوم الثلاثاء السادس عشر من رجب سنة ست وخمسين ومائتين، وأتى لبيعته كل أولاد الخلفاء قبله، كان للمعتمد شقيق كان يلقب بالموفق، وهو أبو أحمد بن المتوكل كان في غاية الرجولة والشهامة، وقد جعله المعتمد أميرًا على رأس الجيش، وجرت على يديه أعمال عظيمة، وفي أيام المعتمد تمت أمور عظيمة، مثل أمور أحمد البرقعي في البصرة، فقد قضى عليه نهائيًا، وحتى يفرغ الموفق من أمر هذا الخبيث اتجه إلى البصرة، وحاصره عام خمسة وستين ومائتين وقبض عليه وقتله، وأتى برأسه إلى بغداد وفي عهد المعتمد خرج يعقوب بن الليث من سجستان، وخرج أحمد بن عبد الله الخجستاني في خراسان، واستولى شركب الحمار على مرو وسرخس، ووقعت أحداث كثيرة، وكتب لنصر بن أحمد الساماني بولاية ما وراء النهر، وكانت مدة خلافته ثلاثة وعشرين عامًا، وتوفي فجأة- رحمه الله- في ليلة الاثنين التاسع عشر من شهر رجب سنة تسع وسبعين ومائتين.

المعتضد بالله

أبو العباس أحمد بن الموفق، كان يدعى أحمد ومحمد، وفي رواية أخرى: طلحة بن المتوكل، كان في السابعة والثلاثين حينما تولى الخلافة، وقد ولد في ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين ومائتين، كان رجلا عالمًا حسن السيرة حازمًا، وسد كل خلل في أمور الخلافة بعد الموفق، وفي عصره أفسد الخوارج في بلاد الشام، وذهب المعتضد بنفسه إلى الشام وهزم الخوارج، وعزل رافع بن هرثمة عن ولاية خراسان، وجعل نصر بن أحمد الساماني أميرًا على بلاد ما وراء النهر، وأعطى

عمرو بن الليث ولاية خراسان، وبعد مدة أسر إسماعيل بن أحمد الساماني عمرو بن الليث، وأرسله إلى المعتضد، وتمت له السيطرة على جميع ولاية خراسان، كانت مدة خلافته تسعة أعوام وتسعة أشهر، وفي رواية أخرى: عشرة أعوام وتسعة أشهر، وكانت وفاته في الثاني والعشرين من شهر ربيع الأول سنة تسع وثمانين ومائتين.

المكتفي بالله

أبو محمد علي بن المعتضد، كانت أمه تركية تدعى جيجك، وكانت ولادته في بغداد غرة شهر ربيع الأول سنة أربع وستين ومائتين. وقد بايعوه قبل وفاة أبيه بثلاثة أيام حينما صارت وفاة المعتضد مؤكدة، كان رجلاً كريمًا عاقلاً حسن الأخلاق، وفي أيامه خرج زكرويه الخارجي في سواد الكوفة، وأرسل المكتفي- رضي الله عنه- جيشًا، وبعد حروب كثيرة أتوا به إلى بغداد وصلبوه، ثم أرسلوا رأسه إلى خراسان لإسماعيل بن أحمد الساماني، وفي عهده أيضًا خرج صاحب الشامة القرمطي في الشام ونسب نفسه لأولاد علي، فأرسل أمير المؤمنين المكتفي إليه قاسم بن عبد الله الوزير؛ فقبض عليه وأحرقه، وفي عهده توفي إسماعيل بن أحمد الساماني؛ فأعطى ولاية خراسان لابنه أحمد بن إسماعيل. وكانت مدة خلافته ست سنوات وتسعة أشهر، وكانت وفاته في ذي القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين.

المقتدر بالله

أبو الفضل جعفر بن المعتضد، أمه أم ولد، وكانت تدعى شعب، وقت البيعة كانت سنه ثلاثة عشر عامًا وشهرًا وخمسة وعشرين يومًا، كانت ولادته

في رمضان سنة اثنتين وثمانين ومائتين، وكانت مدة خلافته خمسة وعشرين عامًا، وفي هذه المدة خلعوه من الخلافة مرتين، ثم أعادوه إليها، وفي عهده توفي أحمد بن إسماعيل الساماني، فأرسل العهد واللواء إلى ابنه نصر بن أحمد، وخرج في عهده أبو نصر القرمطي؛ فقتلوه وأسروا أبا الهيجاء[1]؛ لأنه ذهب إلى مكة، واقتلع الحجر الأسود وأخذه وأخذ كسوة الكعبة. واستشهد المقتدر يوم الأربعاء السابع والعشرين من شهر شوال سنة عشرين وثلاث مائة. والله أعلم.

القاهر بالله

أبو منصور محمد بن المعتضد، أمه أم ولد اسمها قول[2] كانت ولادته في جمادى الأولى سنة سبع وثمانين ومائتين، وقد بايعوه في اليوم الذي أسر فيه شقيقه واستشهد، ويقول الراوي: إن القاهر بالله استخف بحرم والده وشقيقه، وكان يضرب رأس والدة المقتدر بالعصا ليأخذ كل أموالها وقتلها، وصلب أخاه المكتفي وسمل عينيه، ويذكرون في البداية أن في الأتراك قومًا كانوا يسمونهم الساجة[3] استولوا على كل شيء في الخلافة، وأراد القاهر أن يضبط أمورهم، فهاجمه رئيس أقوام الترك وكان يدعى سيماء المناطي مع جماعة من الأتراك، وقبضوا على القاهر، وسملوا عينيه يوم الأربعاء السادس من جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وثلاث مائة، وبعد ذلك توفي في جمادى الأولى سنة اثنتين وثلاثين، وكانت مدة خلافته عامًا وستة أشهر وسبعة أيام. والسلام.

---

(1) أبو الهيجاء: عبد الله الحمداني حاكم الموصل عزل عام ٣٠١هـ، وتوفي عام ٣١٧هـ. (المترجم).
(2) اسمها في الطبري ظلوم، وعند السيوطي فتنة. (المترجم).
(3) سميت فرقة من عساكر الخلافة بهذا الاسم لامتيازهم عن غيرهم من العسكر. (المترجم).

الراضي بالله

أبو العباس محمد بن المقتدر، أمه: أم ولد تدعى ظلوم، وكانت بيعته في اليوم الذي خلعوا فيه القاهر، وكانت ولادته في شهر رجب سنة سبع وتسعين ومائتين، كان سابغ الفضل، وأديبا وشاعرا، فصيحا، حسن السيرة، وعادلا، صاحب خصال وخلال حميدة، أرسل العهد واللواء إلى نصر بن أحمد الساماني على ممالك العجم، وفي عهده دب العداء بين وشمگير الطبرستاني وماكان بن كاكي، ووقعت الحرب بين الديالمة والخرسانيين في هذه الفترة، وقتل ماكان[1] وقدم بجكم حاجب ماكان إلى بغداد، وانضم الوزير ابن مقلة[2] إلى الأتراك، وحينما قدم بجكم إلى دار الخلافة فقتل بعض الأتراك المعتدين، وتفرق البعض الآخر، اتهم ابن مقلة بالزندقة، فقطعوا ذراعه الأيمن حتى المرفق، ولم يكن هناك من هو أجمل خطا من ابن مقلة في هذه الدنيا، ومنذ هذا العام بدأ أمر الخلافة يضعف، وكانت مدة خلافته ستة أعوام وعشرة أشهر وعشرة أيام، وكانت وفاته في واسط بالعراق، والله أعلم وأحكم.

المتقي بالله

أبو إسحاق إبراهيم بن المقتدر، أمه: رومية تسمى حلوت، وكانت بيعته يوم الأربعاء يوم العشرين من شهر ربيع الأول سنة تسع وعشرين وثلاثمائة، وحينما بايعوه قدم إلى عمه القاهر بالله الذي كانوا قد سملوا عينيه، وقال له: إنهم يجبرونني على تولي الخلافة وأنا لن أقبلها دون رضاك فرضي عمه عنه، وقال له: لقد ظلمني أخوك الراضي، ولكنني راض عنك لمودتك ولطفك، ولقد خلعت نفسي وسلمتك الخلافة، ثم أعطى المتقي بالله ألف دينار من الذهب الأحمر من

---

(1) سيذكر المؤلف بعد ذلك أن ماكان قتل في عهد المتقي بالله (المترجم).

(2) هو محمد بن علي بن حسين بن مقلة، كان أديبا استوزره المقتدر والقاهر والراضي. (المترجم).

دفائنه، وفي عهد المتقي قتلوا ماكان في الصحراء، واجتمع الأتراك وجيش بغداد على تركي كان يدعى تورون وجعلوه أميرًا على الجيش، ولم يكن المتقي يعتمد على الأتراك، وتوفي نصر بن أحمد الساماني في ولايته في شعبان سنة تسع وعشرين وثلاثمائة، فأرسلوا من دار الخلافة لنوح بن أحمد لواء عهد العجم، وفي فرصة سانحة ذهب المتقي إلى الموصل، وكان تورون في واسط فذهب إلى الموصل، وتم الصلح بين تورون والمتقي بأن جعل تورون على رأس الجيش، وحينما ذهب المتقي إلى معسكر تورون، ترجل تورون أمامه، ولما دخل المتقي سرادقه قبض عليه تورون وسمل عينيه، وكانت هذه الحادثة يوم السبت التاسع عشر من شهر صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة، وحسب رواية السلامي: في صفر سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، وكانت مدة خلافته ثلاثة أعوام وأحد عشر شهرًا، وكانت وفاته بعد ذلك في شعبان سنة سبع وخمسين وثلاثمائة، والله أعلم.

المستكفي بالله

أبو القاسم عبد الله بن المكتفي، كانت والدته جارية، وولد سنة اثنتين وتسعين ومائتين، وكانت بيعته في صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة، وحسب رواية السلامي: في صفر سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، وبعد البيعة أرسل للأمير نوح بن أحمد لواء العجم وعهدهم، وفي عصره أصبح لآل بويه نفوذ كبير، وسيطروا على العراق ووقع الخلاف بينه وبين أحمد بن بويه، فقبض ابن بويه على الخليفة وسمل عينيه وكان ذلك يوم الخميس، الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، ثم بايعوا المطيع، ووقع القحط في هذا الوقت وهلك خلق كثير، وحينما ترك ابن بويه بغداد تيسر الأمر على

الناس، وكانت مدة خلافة المستكفي بالله سنة وأربعة أشهر، والسلام على أهل الإسلام.

المطيع بالله[1]

أبو القاسم الفضل بن المقتدر، ولد سنة إحدى وثلاثمائة وبايعه أبو الحسن بن بويه، وفي البداية وضع قواعد حسنة في الدولة وأصلح كل شيء اختل واعوج عن جادة الطريق في عهد المستكفي، ولقب برب الدولة وأرسل المطيع بالله إلى نوح بن نصر العهد واللواء لممالك العجم، وحينما انقضى من ولايته تسع وعشرون سنة أصابه الشلل فخلع نفسه من الخلافة، وأعطى الخلافة لابنه الطائع لله سنة ثلاث وستين وثلاثمائة، وتوفي بعد ذلك بشهرين، والله أعلم.

الطائع لله

أبو بكر عبد الكريم بن المطيع، ولد سنة عشر وثلاثمائة[2]، وبايعه والده في اليوم الذي خلع نفسه فيه من الخلافة، وأرسل العهد واللواء إلى عبد الملك بن نوح الساماني، وفي أيام دولته تغلب الروم واستولوا على مدن الشام وطرسوس وأنطاكية، وتقدموا حتى حمص في حدود الشام، وخرج المغاربة واستولوا على مصر، وشيدوا في مصر مدينة المنصورة، وجعلوا الخطبة باسمهم في مكة والمدينة، وضعف أمر الخلافة العباسية، واستولى آل بويه على حاضرة الخلافة، وبدأ الخوارج يعتدون من الأطراف، وكان فناخسرو بن حسن بن بويه يعظم الخليفة الطائع لله، وحينما توفي فناخسرو جلس مكانه شقيقه أبو نصر حسن، ولم يكن جميل السيرة مع الطائع، أرسل زوجته فأفسحت له الطريق في قصر الطائع

---

(1) ذكر في المصادر التاريخية المطيع لله. (المترجم).

(2) ذكر ابن الأثير أن ولادة الطائع لله كانت سنة ثلاثمائة وسبع عشرة للهجرة، وهذا في رأينا أقرب للصواب. (المترجم).

فتمكن من القبض عليه وخلعه، وأحضر القادر من العراق وأجلسه على كرسي الخلافة، وكانت مدة خلافته سبعة عشر عامًا وتسعة أشهر وستة أيام بعد المطيع، وتوفي في بغداد في رمضان سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة.

القادر بالله

أبو العباس أحمد بن إسحق بن المقتدر، كان رجلا عالمًا وفاضلاً وأديبًا، وكان غاية في الزهد والتقوى والورع، كانت ولادته في التاسع من شهر ربيع الأول سنة ست وثلاثين وثلاثمائة، " وكان الأمير سبكتگين في عهده[١]" ، وقد أرسل العهد واللواء إلى ابنه السلطان يمين الدولة محمود بن سبكتگين وأعطاه ممالك العجم، وفي كل عهد السلطان محمود كان الخليفة العباسي هو القادر بالله، وفي عهده جعل ابنه وليا للعهد ولقبه بلقب الغالب بالله، ولكن الغالب توفي قبل والده، فجعل ابنا آخر وليا للعهد، ولقبه بالقائم بأمر الله. عاش ثلاثة وتسعين عامًا[٢] وكانت مدة خلافته واحدا وأربعين عامًا، وفي رواية أخرى: كانت ثلاثة وأربعين عامًا وثلاثة أشهر وأحد عشر يومًا، وكانت وفاته في ذي الحجة سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة، الحمد لله القائم الدائم.

القائم بأمر الله

أبو جعفر عبد الله بن القادر، كانت أمه جارية تدعى بدر الدجى، ولد في ذي القعدة سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة، وهو صاحب الموقعة التي أسر فيها بيد النصارى، وقد خلصه السلطان ألب أرسلان. في إحدى الروايات كانت مدة خلافته اربعة وأربعين عامًا وثمانية أشهر ويومين، وكانت وفاته يوم

---

(١) العبارة التي بين قوسين وهي "وكان الأمير سبكتگين في عهده" أخرتها سطرًا عن مكانها في النص الفارسي وذلك لتتلاءم مع سياق الكلام بعدها (المترجم).

(٢) إذا حسبنا المدة من ولادته حتى وفاته، فإنها تكون ستا وثمانين عاما (المترجم).

الخميس الثالث عشر من شهر شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة، وبايعوا ابنه[1] من بعده رضي الله عنه، والله أعلم بالصواب.

المقتدي بأمر الله

أبو القاسم عبد الله بن محمد الذخيرة بن القائم بأمر الله، وأمه جارية تدعى علم، كانت ولادته في الثامن من جمادى الأولى سنة ثمان وأربعين وأربعمائة، ومن المعروف في أمر ولادته: أن الذخيرة كان لقبًا لوالده الذي توفي قبل والده القائم بأمر الله ولحق بالرفيق الأعلى، وقد بايعوا المقتدي بالله حينما توفي جده، وأجلسوه على كرسي الخلافة، وكانت مدة ولايته تسعة عشر عامًا وخمسة أشهر، وكانت وفاته يوم الجمعة الخامس عشر من شهر محرم سنة سبع وثمانين وأربعمائة من الهجرة النبوية.

المستظهر بالله

هو أبو العباس أحمد بن المقتدي بأمر الله، ولد سنة ثمان وسبعين وأربعمائة، وفي رواية أخرى: في العشرين من شوال سنة سبعين وأربعمائة، وكانت أمه جارية تركية، وكانت مدة خلافته خمسة وعشرين عامًا وعدة أشهر، وكانت وفاته ليلة الأحد في السابع والعشرين من شهر ربيع الآخر، وفي رواية أخرى: جمادى الأولى سنة اثنتا عشرة وخمسمائة. والله أعلم.

المسترشد بالله

أبو المنصور الفضل بن المستظهر، ولد يوم الاثنين في السابع من شوال، وفي رواية أخرى: في شعبان سنة ست وثمانين وأربعمائة، وحينما جلس على كرسي الخلافة خرج جماعة من العجم، فاتجه لقتالهم من بغداد،

---

(1) الصحيح أنهم بايعوا حفيده. (المترجم).

وألحق الهزيمة بجيوشهم وأسر المسترشد عليه الرحمة، وفي رواية: جرد السلطان ألب أرسلان[1] طاب ثراه جيشا من كاشغر، وفي مدة وجيزة واجه هذه الجماعة الضالة، واقتتلوا وأطلق سراح الخليفة، وذهب المسترشد إلى المراغة وهناك قتله الملاحدة، واستشهد يوم الخميس السابع من شهر ذي القعدة سنة تسع وعشرين وخمسمائة وكانت مدة خلافته سبعة عشر عامًا وستة أشهر.

الراشد بالله

هو أبو جعفر المنصور بن المسترشد، ولد في بغداد بعد خمسمائة عام من الهجرة، واستقامت له الخلافة، وقد سافر من بغداد إلى الموصل بسبب حادثة، ثم قدم السلطان مسعود السلجوقي إلى بغداد، وحينما ذهب الراشد إلى الموصل خلعوه وبايعوا المقتفي لأمر الله، واستشهد الخليفة الراشد على أيدي الملاحدة في أصفهان في رمضان سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة وكانت خلافته عامين وستة أشهر، والله أعلم.

المقتفي لأمر الله

هو أبو عبد الله محمد بن المستظهر بالله، وحينما خلعوا ابن أخيه الراشد بالله، بايعوه بيعة عامة، بحيث إن الخلق جميعًا كانوا يشاهدونه، وكان ذلك يوم الأربعاء الثامن عشر من شهر ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة، ولقد ولد في الثاني عشر من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين وأربعمائة، وكانت وفاته ليلة الأحد الثاني من شهر ربيع الأول سنة خمس وخمسين وخمسمائة، وكانت مدة خلافته أربعًا وعشرين سنة وثلاثة أشهر وواحد وعشرين يومًا.

---

(1) السلطان ألب أرسلان توفي سنة سبع وستين وأربعمائة. (المترجم).

المستنجد بالله

وهو أبو المظفر يوسف بن المقتفي لأمر الله، ولد غرة ربيع الأول سنة عشر وخمسمائة كان كثير العظمة في ذاته، متميزا في صفاته، وكانت مدة خلافته أحد عشر عامًا وستة أشهر، وكانت وفاته في بغداد يوم الاثنين الثامن من ربيع الأول سنة ست وستين وخمسمائة.

المستضيء بالله

أبو محمد الحسن بن يوسف المستنجد بالله، ولد يوم الاثنين الثالث عشر من شعبان سنة ست وثلاثين وخمسمائة، كان في الثلاثين من عمره حينما بايعوه بالخلافة بعد وفاة والده الإمام المستنجد يوم الأحد العاشر من ربيع الآخر سنة ست وستين وخمسمائة، ومدة خلافته تسع سنوات وستة أشهر وعشرين يومًا، وكانت وفاته يوم السبت أول شهر شوال سنة خمس وسبعين وخمسمائة، كان له عظمة وجلال حينما كان يجلس على مسند الخلافة، ومراسيمه ومناشيره موجودة بين مراسيم أجداد والدة منهاج السراج ومناشيرهم، فقد تولوا القضاء في قلعة تولك[1] بولاية قهستان وجبال هرات، وهذه المراسيم والمناشير بناء على مراسيم الجد الأعلى للخليفة المستضيء ومناشيره، وهو الخليفة القادر بالله، كذلك تشرف جد والده[2] بخلعة دار الخلافة وقت الذهاب إلى مكة للحج عليه الرحمة والمغفرة.

الناصر لدين الله

أمير المؤمنين أبو العباس أحمد بن المستضيء، ولد يوم الاثنين العاشر من شهر رجب سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة، خطب والده يوم الجمعة الثاني

---

(1) بضم التاء وفتح اللام وهذا المكان حتى الآن يوجد بهذا الاسم، ويقع في جنوب شرق هراة في محافظة الغور بأفغانستان. (المترجم).

(2) أي جد والد منهاج السراج (المترجم).

عشـر من شهر شوال سنة خمس وسبعين وخمسمائة؛ فذكر ولاية العهد، وحينما توفي المستضـيء في أوائل شعبان؛ لذلك فقد بـايعوا الناصـر لدين الله فـي غرة ذي الحجة في السنة المذكورة، وهو الخليفة الذي من آبائـه أربعـة عشـر خليفـة، بينه وبين العباس عشرون أبـا رضـي الله عنهم، وفـي عهده قوي أمـر الخلافـة، وفي هذا العهد كانت سلطنة الغور وخراسـان وغزنين والهندوستان فـي أيدي السلطان غياث الدين محمد بن سـام، ومعز الدين محمد بن سـام، وكـان عرش خوارزم وأجزاء من خراسان في أيدي السلطان تكش بن خوارزمشـاه بن ألـپ أرسلان بن أتسز، وكانت وزارة دار الخلافة في أيدي ابن الفضل وقد شق تكش بن خوارزمشاه عصا الطاعة على دار الخلافة، وأتى من خوارزم إلـى العراق، وأتى ابن الفضل الوزير ليصده عن بغداد، وقامت الحـرب بينهمـا، وهزم جيش الخليفة، وقدمت رسل دار الخلافة إلـى عاصمة الغور وغزنين، وطلبوا المدد من السلطان غياث الدين محمد الذي عين للرد علـى دار الخلافة الإمـام شمس الدين ترك وابن الربيع وابن الخطيب ووالد الكاتب مولانـا سراج منهاج عليهم الرحمة، وتوفي تكش خوارزمشاه يجر شؤم العصيان من الدنيا، وبسرعة تسنم عرش خوارزمشـاه ابنـه السلطان عـلاء الدين محمد، وتـوفي سلاطين الغـور، واستقوى علاء الدين محمد، وبدأ بعصيان الخليفة الإمام الناصر لدين الله فلحق به الشؤم، وأرسل الحـق- تبـارك وتعـالى- إليـه جنگيز الملعون فاستأصـل شـأفة ملكه تمامًا، ونجّى الله الخليفة الناصر لدين الله من حرب العصيان وامتدت مدة خلافتـه حتـى شـهور سـنة اثنتين وعشـرين وستمائة، وظـل ثمـان وأربعين سـنة يجلس علـى كرسـي الخلافـة، ولـم يمكث خليفـة مـدة أطـول منـه قـط علـى مسـند الخلافة.

الظاهر بالله

أبو نصر محمد بن الناصر، كان أعدل الخلفاء، أما في الجود والعطاء فقد فاق حاتم، روى الرواة الثقات: كان يوجد حوض بعمق أربعين ذراعًا مملوءًا بالذهب السائل وعند اللفظ المبارك للإمام الناصر لدين الله[1] كتب: إن الله تعالى سوف يمنحني حياة طويلة حتى أملأ هذا الحوض بالذهب، وحينما تولى الخلافة الإمام الظاهر كتب عند اسمه المبارك: إن الله سوف يمنحني حياة طويلة حتى أخلي هذا الحوض بالعطاء والبذل والسخاء، وحينما تولى الخلافة رد المظالم ورد من ديوان الخلافة كل ما أخذ من أملاك الأعيان ومن الأموال بلا وجه حق، ثم أمر الإمام الظاهر فوزع العطايا على الجميع، وجعل هذا البئر المملوء بالذهب للبذل والعطاء، والصدقات، وسيظل هذا باقيًا على صحائف الأيام، وحينما انقضى من خلافته تسعة أشهر وتسعة أيام سمم الخصوم والمخالفون ثيابه، وحينما خرج من الحمام لبس هذه الثياب، فتوفي ولحق بالرفيق الأعلى، عليه الرحمة والرضوان.

المستنصر بالله

هو أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور بن الظاهر بن الناصر- رضي الله عنهم، وفي عهده اتخذ جده الناصر لدين الله إمامًا وقدوة له، وحينما تولى الخلافة اتجه إلى الجهاد وغزو الكفار وصرف خزائن من الأموال بلا حساب في سبيل الجهاد، وأرسل جيوشا جرارة إلى أطراف العراق لدفع المغول والكفار، وكرات عديدة انتصرت وظفرت جيوش الإسلام، ودائمًا كانت تهزم جيوش المغول أمام جيش الإسلام، وهزم غزاة بغداد ولم يتم لهم غلبة ولا نصر

---

(1) والد الخليفة الظاهر بالله (المترجم).

ولا ظفر، وأرسل إلى السلطان شمس الدين العهد واللواء إلى الحاضرة دهلي في شهور سنة خمس وعشرين وستمائة، ووصل كاتب هذه الطبقات منهاج السراج إلى الحاضرة دهلي، وكان حاضرا في الاحتفال بهذا التشريف. كان المستنصر في عهده عادلا، ولقد عدل وأنصف كثيرا، ولقد أرسل قافلة إلى البيت الحرام بعد عدة أعوام من قطع طريق البادية والحجاز بسبب حوادث الكفار واستيلاء المغول، ولقد بقي الكثير من مآثره الخيرة في دار الخلافة، وكانت مدة خلافته سبعة عشر عامًا.

المستعصم بالله

أبو عبد الله محمد بن المستنصر، بايعوه بالخلافة بعد والده في شهور سنة إحدى وأربعين وستمائة ببغداد، وازدانت أمور دار الخلافة بعز دولته وعظمتها، وتحت حكمه انضبطت أطراف ممالك المسلمين وأكنافها، وازدانت الخطب في ديار المسلمين بلقبه المبارك واسمه العظيم، وفي عهد دولته أرسل عهد الهندوستان ولواءها إلى السلطان المعظم والملك الأعظم ناصر الدنيا والدين محمود بن السلطان الشهيد شمس الدين التي صنفت وزينت هذه الطبقات باسمه، وفي هذا العهد كانت خراسان والعراق وما وراء النهر وطبرستان وفارس وكرمان ومكران في حوزة المغول، وفي سنة أربع وخمسين وستمائة قدم هلاو[1] المغول شقيق منگوخان المغول من التركستان إلى خراسان وجمع جيوش خراسان والعراق وآذربايجان وقصدوا بغداد، وفي آخر هذا العام أخذ أيضًا جيش شيراز والموصل، واتجه بهم جميعًا إلى بغداد، وفي شهر ذي الحجة سنة خمس وخمسين وستمائة انتصر أمير المؤمنين المستعصم أمام

([1]) هلاو: أحد أسماء هولاكو (المترجم).

المغول في عدة معارك مع جميع أهالي الإسلام وكبار الأعيان الذين كانوا من رعايا دولته، كما انتصر سليمان قائد جيوش الإسلام في عدة معارك مظفرة ضد المغول، وفي اليوم التاسع من شهر المحرم سنة ست وخمسين وستمائة، نشبت المعارك على أبواب بغداد فنصر الحق تبارك وتعالى أمير المؤمنين، وانهزمت جيوش الكفار، وتعقب سليمان شاه قائد جيوش الخلافة الكفار حتى أصفهان، وقتل من المغول مئات الآلاف وألحقهم بجهنم وبئس المصير، وخلص أسرى المسلمين من أيديهم، وأسروا ابن ملك الموصل الذي كان مرشدا للكفار وقتلوه بعثوا به إلى النار وبئس المصير.

فلينصر الله عز وجل أمير المؤمنين وليفض ويزيد عليه آمين يا رب العالمين وليحفظ الله تبارك وتعالى الخلافة العباسية ويزينها بطرة عمامة أمير المؤمنين المستعصم بالله، وليحفظ الله تبارك وتعالى الخلافة من ذل الزوال.

وليزين الله تعالى الكرسي والمملكة القوية وميدان الملك والعز بالمظلة المباركة والعظمة الميمونة لملك الزمان ملجأ أهل الإيمان وملاذهم ناصر الدنيا والدين حتى نهاية الحد والإمكان بحق محمد وآله أجمعين.

وبعد هذا الفتح اختلف وزير دار الخلافة مع أمير المؤمنين وبطريقة المكر والخيانة والدهاء اتفق مع هلاو المغول. وتشتت وتفرق نظم الخلافة العباسية، وسقطت بغداد بأيدي الكفار، واستشهد أمير المؤمنين مع أتباعه وأبنائه جميعًا إلا ولدًا واحدًا هو الذى بقي. (رضي الله عنهم).

الطبـــقة الخـــامسة

من الكتاب وفيها ذكر طبقات ملوك

العجم إلى ظهـــور الإسلام

وهم خمس طبقات:

- الطبقة الأولى الباستـانية.
- الطبقة الثانية الكيـانية.
- الطبقة الثالثة الإشكانية.
- الطبقة الرابعة الساسانية.
- الطبقة الخامسة الأكاسرة.

الحمد الله الذي بدأ خلق الإنسان من طين، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، والشكر لمن أنشأ من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيرًا ونساءً، والصلاة على من أنبأ آخر الرسل إنباءً، والسلام على آله وأصحابه إكرامًا وإعلامًا[1].

أما بعد: يقول العبد الضعيف الرباني منهاج السراج الجوزجاني: إن طبقات ملوك العجم عند أرباب التاريخ وأصحاب الكتب خمس طبقات: الأولى هى الطبقة الباستانية، والثانية الكيانية، والثالثة الإشكانية، والرابعة الساسانية،

(1) هذه الجمل وردت كما هي في الأصل الفارسي (المترجم).

والخامسة يسمونهم الأكاسرة، كما سيرد بالشرح والتفصيل، على المنهج المقرر والموعود إن شاء الله تعالى.

وفي تواريخ العجم الكثير مما نقل عنه الفردوسي[1] صاحب الشاهنامة، وأقوال عبدة النار بعيدة عن الصدق والصواب، وما هو حق ودون أدنى غبار لشبهة سوف يكتب على النهج المقرر المعهود إن شاء الله تعالى.

اعلم أن الله- عز وجل- اصطفى آدم، وخلق منه حواء عليها السلام، فأنجبا عشرين بطنًا من الأبناء، وفي كل بطن ابن وبنت كما قيل، وعندما قتل قابيل هابيل مَنَّ الله على آدم بشيث عوضًا عن هابيل؛ لأن معنى شيث هبة الله، وأوصاه آدم، وبعد آدم أتاه الوحي، وكان هو الآمر لأبناء آدم، وبقول الفرس: إن گيومرث، كان ابنا لآدم، وبقول المسلمين: بعد شيث جاء أنوش بن شيث، وفي عهد أنوش أحد أبناء آدم كانوا يسمونه نبطي. وقد ذهب هو وأبناؤه إلى جبل حرمون وانشغلوا بالعبادة على أمل الجنة التي سمعوا عن صفاتها كثيرًا من آدم عليه السلام، ونبطي هذا وأبناؤه وأبناء آخرون لآدم دعوا إلى العبادة والعزلة عن الخلق واتفق جمع كثير معهم.

---

(1) الفردوسي شاعر من شعراء الفارسية العظام عاش في القرن الرابع الهجري وأوائل الخامس، توفي بين عامي ٤١١، ٤١٦هـ وهو ناظم الشاهنامة أي كتاب الملوك، والشاهنامة أعظم منظومة حماسية وتاريخية في إيران. بدأ الفردوسي في نظمها حوالي عام ٣٧١ هـ وأتمها عام ٤٠٠ هـ، وتحتوى الشاهنامة على تاريخ إيران القديم حتى نهاية الدولة الساسانية على أيدي العرب. (المترجم).

وحسب رواية القانون المسعودي[1]، فإن أبا معشر المنجم، قال: من عهد وفاة آدم حتى ذلك الوقت مضى أربعمائة واثنان وثلاثون عامًا، وحينما وصلت نوبة الحكم من أنوش إلى ابنه واسمه قينان انتشر علم الحساب وكتب النجوم بتعاليم آدم وشيث عليهما السلام، ورغبوا الناس في المعرفة، وحينما وصلت نوبة الحكم إلى مهلائيل والد إدريس- عليه السلام، نزل النبطي وأبناؤه من جبل حرمون، وكانوا قد اعتزلوا الخلق، وانشغلوا بالعبادة، ولكنهم تضايقوا وأصابهم الملل من طول المدة، فنزلوا واختلطوا بأبناء قابيل وكانوا قد كثروا، بل خرج عددهم من دائرة العدد والحساب، وانتشروا في جبال الشام والجنوب، وعلمهم إبليس- عليه اللعنة- عبادة النيران وإقامة المعابد لها، وشاع بينهم الخمر والزنا، وانتشروا بين أولاد قينان وعلموهم اللهو والطرب والخمر، وزنوا بنسائهم وبناتهم، وقد مضى من وفاة آدم ألف عام، وبدأ المفسدون من أبناء قابيل والنبطي في الظلم والتعدي والجبروت والطغيان، وفتحوا أيادي الظلم والفساد، وجعلوا واحدا منهم ملكا على قومه، واسمه سامیارس، ونشب القتال بينهم وبين أبناء آدم الآخرين من الصالحين، وظهرت العداوة والبغضاء، واجتمع أبناء شيث- عليه السلام- وأتباعه واختاروا ملوك الطين الذين يسمونهم ملوك الباستانية ليدفعوا عنهم شر المفسدين من أبناء آدم- عليه السلام- من ظلمهم وجبروتهم، وأول شخص من الملوك العادلين والمصلحين نصبوه لرفع الظلم

([1]) القانون المسعودي: كتاب معروف في علم الهيئة والنجوم، ألفه أبو الريحان البيروني (ت ٤٤٠هـ)، وقدمه للسلطان مسعود بن محمود الغزنوي (ت ٤٣٢هـ). (المترجم).

يدعى باللغة اليونانية أيلوروس والدلالة عليه أن أهل العجم وفارس يسمونه گيرمرث ولقبه گلشاه أي ملك الطين، وهو أول الملوك من الكلدانيين، وهؤلاء الجماعة من الملوك يسمون البشداديين أيضًا، هذا وبين أيلوروس الملك وبين آدم- عليه السلام- من عام هبوطه إلى الأرض ألف وأربعة وعشرون عامًا، وكانت دار الملك لهذا الملك أرض بابل، وذلك باتفاق كل أبناء شيث - عليه السلام، والصالحين وأبناء آدم- عليه السلام، وحينما مضى ألف ومائة واثنان وستون عاما انتظم ملك العجم والعرب والشام والمغرب. وقبل طوفان نوح جلس أحد عشر ملكًا من الكلدانيين على العرش- حسب رواية القانون المسعودى، وهذا الكلام مختصر ولا يتحمل أكثر من ذلك. والله أعلم.

الطبـــقة الأولـــى

الأول: گيومرث

هناك اختلافات كثيرة في نسبه، يقول البعض من نسابي العرب: إنه كان من أبناء سام بن نوح، وكان يدعى أميم بن لاورد بن سام بن نوح. ويقول نسابة العجم والفرس: إنه ابن آدم وقد طاف حول العالم عاريًا، وذهب إلى الجبال والصحارى، ووضع أسماء لكل ما رآه وجربه ولم يكن له اسم، ودفع الظالمين من أبناء قابيل، ولبس وتزين بجلود الوحوش والضواري، وكان يعرف بگلشاه، أى ملك الطين، وكان يتعبد لله تعالى، وكان عادلا واجتهد في زراعة الدنيا وعمارتها، وكانت مدة ملكه ثلاثين عاما، وكان له ابن يدعى ميشي وحينما كبر نضج وتزوج وأنجب ابنا أسماه سيامك، وسيامك أنجب فراوك، ثم أنجب فراوك هوشنگ، وكان هؤلاء جميعًا في عهد گيومرث. والله أعلم بالخير.

الثـاني: هوشنگ

هو من أبناء مهلانيل بن قينان بن نوش بن شيث، وذلك برواية تاريخ الطبري، وحسب رواية تاريخ العجم وتاريخ المقدسى: هو من أبناء گيومرث، ومن عهد گيومرث حتى ولادته مائتان وثلاثة عشر عامًا، وهو هوشنگ بن فراوك بن سيامك بن ميشي بن گيومرث.

ويلقب في العجم پيش داد أي أول عادل، وكان ملكا عظيمًا، عادلاً، محبًا للرعية مشفقا عليهم، عمر الدنيا فصف الأشجار وعمل الوديان، وأجرى المياه في النهيرات، وشق القنوات، واستخرج الذهب والفضة من المناجم، وأمر فنسجوا المفروشات وفرشوها، وجعل من جلود الوحوش والضواري ملابس وثيابا، وأمر فتزينوا بفراء السمور والسنجاب والكلاب المانية وغيرها، وعلم الكلاب الصيد، وأمر فأكلوا كل ما هو نظيف من لحوم الحيوانات، وعلم الخلق الحرف مثل النجارة والرسم والتلوين، والحدادة، وبنى دور العبادة[1]، ومنع الخلق من عبادة النار وزجرهم وأمرهم بعبادة الحق، وحسب رواية الطبري، كان على دين آدم وشيث، وفي إحدى الروايات: دام ملكه أربعمائة عام، وفي رواية أخرى: ألفا وأربعمائة عام، وفي رواية ثالثة: إنه توفي وسنه أربعون عامًا، ويروي صاحب تاريخ المقدسي: إنه حينما توفي ظلت الدنيا ثلاثمائة عام دون ملك حتى ظهر طهمورث.

الثالث: طهمورث

طهمورث بن وينكهار بن إيتكمد بن هوشنگ، كان ملكا تقيا عابدًا وعادلاً ومحبا للرعية، وكان على دين إدريس- عليه السلام، وحسب رواية المقدسي في عهد ملكه ظهر رجل في بلاد الهندوستان دعا الخلق إلى دين

---

(1) وردت العبارة بالفارسية (ومساجدها بناكرد) وترجمتها: "وبنى المساجد "، ولكننا ترجمنا ما وجدناه ملائما لهذا الوقت. (المترجم).

الصابئة[1]، وكان يدعى بودا سفر، وقبل طهمورث دينه، وكان يرعى العدل والإنصاف بين الرعية، وأعطاه الحق- تبارك وتعالى- القوة حتى أخرج الشياطين من المعمورة ومن بين الخلق، واتخذت لها مساكن ومأوى في الجبال والجزر والصحاري والقفار، وأحضر طهمورث الحيوانات من الصحاري وسخرها، ووضع فوق ظهرها الأسرجة، وأمسك الجياد وقيدها، وأرسل الكلاب مع قطعان الأغنام، وأمسك الشواهين والصقور وعلمها الصيد، وفي رواية: أنه أمسك إبليس ووضع اللجام فوق رأسه وركبه، وقهر كل من خالفه وأتت الذئاب طوع يمينه، وتحت تصرفه، وشيد المدن وبناها مثل قهندز ومرو في خراسان، وآمل في طبرستان، وهو أول من كتب بالفارسية، وأول من وضع التاج على رأسه، وفي إحدى الروايات: كانت مدة ملكة ثلاثين عامًا، وفي رواية أخرى: ألفا وثلاثين. والله أعلم بحقائق الأحوال والحمد الله على كل حال.

الرابع: چمشيد

چمشيد بن حرمة بن نكهان من أبناء إيتكمد بن هوشنگ كان فائق الجمال، وحسب رواية المقدسي من تاريخ الطبرى: كان چمشيد شقيق طهمورث، وتقلد ملك الأقاليم السبعة، وكان وليا لعهد النبي إدريس- عليه

---

(1) دين الصابئة: الصابئة ذكروا في ثلاثة مواضع في القرآن الكريم: البقرة آية ٦٢، والحج اية ١٧، والمائدة آية ٦٩، والصابئة جمع صابئ اسم فاعل من صبأ يصبأ إذا خرج من دين إلى آخر. ويقول الطبرى: (والصابئون جمع صابئ وهو المستحدث سوى دينه دينًا كالمرتد من أهل الإسلام عن دينه، وكل خارج من دين كان عليه إلى آخر غيره تسميه العرب صابئًا) وقد اختلف العلماء حول دين الصابئة كثيرًا، وأشكل أمرهم على الأئمة لعدم الإحاطة بمذهبهم، فذهب الشافعي في موضع إلى أنهم صنف من النصارى، وذهب سفيان إلى أنهم قوم بين اليهود والمجوس لا دين لهم، وأقوال أخرى كثيرة من الأئمة حولهم (المترجم).

السلام. ولقد عمر الدنيا وأظهر أسباب الملك والحرب، مثل إقامة السرادقات، والنوبة، والطبل والعلم، والدمامة، وصنع من الحديد الأسلحة، مثل السيوف والدروع والجواشن، والسروج والألجمة، ووضع ترتيب الجيوش، وغزل الحرير والقز والكتان ونسج منها الملابس، وبأمره أغلقوا الأبواب، ووضعوا الأقفال، وصنعوا المفاتيح، وهيأ الأواني ونصب الخوان، وقسم الخلق إلى أربع مجموعات: فوج للعسكر والحرب، والثاني للزراعة، والثالث للبيع والشراء والتجارة، والفوج الرابع للعلم والشريعة والمحافظة على الدين، وسخر الفيلة وجعل العرادات لحمل الأثقال، وفي عهده قوي علم النجوم، وظهرت الخرافات، وسخرت له الجن، وبأمره أخرجوا الشياطين ففرت واستقوت في الجبال، وفي عهده عرفوا البلور والجواهر والآجر والجص والأهك، وعرفوا الحمامات، وحينما مضى من ملكه أربعمائة عام، أخرجه الشيطان عن جادة الطريق؛ فكفر وادعى الألوهية- فليقذف التراب في فمه- وظل أربعمائة عام أخرى في الكفر، فأزال الحق- تبارك وتعالى- ملكه، وظهر بيوراسپ الكافر الساحر من أرض المشرق، فتغلب عليه وهرب منه چمشيد مائة عام، ولكن بيوراسپ قبض عليه، وقطعه إربًا. تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء.

الخامس: بيوراسپ الكافر

يروي أصحاب التواريخ: أن بيوراسپ الكافر خرج من جانب المشرق، واستولى على مُلك چمشيد وحمل خزائنه، وأمر چمشيد فاقتسموها، وضبط الدنيا بأسرها، وأظهر عبادة الأصنام، وعبدت الدنيا جميعها الأصنام، فأرسل الحق- تبارك وتعالى- سيدنا نوح إلى بيوراسپ وقومه، ولبث فيهم

تسعمائة وخمسين عامًا يدعوهم إلى عبادة الله سبحانه وتعالى، فلم يؤمن أكثر من ثمانين شخصًا، فأرسل عليهم الطوفان، وبأمر الله- سبحانه وتعالى- غرق بيوراسپ ألف عام، وقد نقلنا هذه الرواية من تاريخ الطبري، إذ يقول محمد بن جرير الطبري: إن بيوراسپ هذا كان قبل الطوفان والضحاك التازي بعده.

السادس: الضحاك التازي

كان ظالمًا ومتمردا وساحرًا، ويذكر أصحاب التواريخ أن پيش داد والد هوشنگ، كان له ابن يسمى مارلو وهو والد العرب جميعًا، ولهذا يسمونهم تازي أي عربي، وولد له ابن يدعى رنكنا، ثم وُلِدَ لرنكنا ابن يدعى أروندا سپ وأروندا سپ هذا هو والد الضحاك، كان ملكا للعرب، وكان عادلاً متميز الأخلاق وحسن السيرة، ووسوس إبليس لابنه الضحاك أن يحفر بئرًا في طريق الوالد، فوقع أروندا سپ في هذا البئر وهلك؛ فصار الضحاك ملكًا، وفي رواية تاريخ المقدسي: اسمه بيوراسپ بن طرح بن كابه بن نوح. وبرواية تاريخ الطبري: كان من أبناء سام بن نوح، وبعد الطوفان بألف عام خرج الضحاك الساحر، واستولى على الدنيا بأسرها، وكانوا يسمونه ازدهاك وتعني: ظهر منه البلاء، وهو الذي أظهر جميع الأسحار والطلسمات في الدنيا، وعلى كتفيه ظهرت لحمتان وظهرت للخلق كأنهما حيتان، وكانوا يصنعون الدواء لتلك العلة أمخاخ رءوس الآدميين، فكانوا يقتلون له كل يوم شخصين حتى وصلت النوبة إلى كاوة الحداد فقتل ولديه، فثار وأخرج أفريدون، فاستولى على ملك الضحاك، وكان جد أفريدون بن جم، وقد آمن أفريدون بنوح- عليه السلام-

وكان في السفينة، ولقد وضع أفريدون التاج على رأسه وقتل الضحاك العربي، وكانت مدة ملك الضحاك ألف عام، والله أعلم.

السابع: أفريدون

اليوم الذي جلس فيه أفريدون على العرش كان أول يوم من مهرماه[1] ولذلك جعلوه عيدا هو عيد المهرگان، وهو من أبناء چمشيد، وفي زمن الضحاك لم يستطع شخص أن يعرف نفسه باسم أبيه مطلقا، كانوا يسمون الجميع گاو، ونسبة أفريدون لچمشيد هي: أفريدون بن القيان گاو بن شهريار گاو بن بورگاو بن حنة گاو بن ميدگاو بن ويزه گاو بن راهه گاو بن بيرگاو بن چمشيد الملك.

وحينما جلس على العرش كان كاوة الحداد قد قاد الجيوش عشرين عاما واستولى على الدنيا بأسرها من أجل أفريدون، وسلمها له، فعدل وأنصف ورد كل ما أخذه الضحاك بالظلم والجور، ودعا الخلق لعبادة الله تعالى، ومنع الكفر وهدم معابد النار وبيوت الأصنام، وصنف الفلاسفة في عهده الكتب، وكانت مدة ملكه خمسمائة عام، وقد قسم الدنيا بين أبنائه الثلاثة: أعطى تور توران والخزر وسقلاب، وأعطى الروم والمغرب والمشرق إلى سلم، وأعطى أرض بابل والعجم والعرب والهند والسند لإيرچ: كان الأصغر، وحسب رواية الطبرى فقد كانت ولادة سيدنا إبراهيم (عليه السلام) في عهده، وبرواية واضح: كان أفريدون في عهد النمرود، والله أعلم بالصواب .

---

[1] مهرماه تعني بالعربية شهر مِهْر يبدأ من: ٢١ سبتمبر إلى ٢١ أكتوبر، وهو الشهر السابع من السنة الهجرية الشمسية، والهجري الشمسي هو التقويم الذي تعمل به إيران وأفغانستان، مع الاختلاف في أسماء الشهور؛ لأن أفغانستان تستخدم الأسماء العربية لهذه الشهور، أما إيران فتستخدم الأسماء الفارسية، وفي مهرماه يقام عيد المهرگان، أى عيد الخريف. (المترجم).

الثامن: إيرج

هو الابن الأصغر لأفريدون، وكان يحبه أكثر من الآخرين، ويقال: إن اسمه كان إيران، وحينما استخلفه أبوه حسده شقيقاه، واتفقا على أن ينقضا عهد الوالد، وأتى تور على رأس جيش من الصين وتركستان والخزر والسقلاب، وجمع سلم الحشم من الروم والمغرب والمشرق، واجتمعوا جميعًا، وذهب إيرج لقتالهم فهزم، وأسر، وقتل[1] ولم يستطع الأخوان أن يملكا الدنيا بأسرها، وفي كل ولاية وكل طرف نهض ملك واستولى على الملك، ولم يبق في أيديهما أكثر من إقليم بابل، وفي مدة قصيرة توفي كلاهما وذهبا إلى النار وبئس المصير، وحسب رواية صحيحة في تاريخ المقدسي: فإن أفريدون دعا الحق - تبارك وتعالى- أن يمن عليه بالحياة فترة حتى يثأر أحد أبنائه لإيرج، فظهر في خراسان الابن العاشر لإيرج وقتل تور وسلم. فوضع أفريدون التاج على رأسه ومات في الحال، ثم ضاع الملك من أبنائه، وحسب رواية الطبري: ظهر الملك في أحد أبناء حام بن نوح ويسمى كوش، فاستولى على إقليم بابل، وكان يعبد الأصنام وكانت مدة ملكه أربعين عامًا ثم توفي، وذهب الملك إلى ابنه كنعان وكان على ضلالة أبيه، فمات وذهب إلى الجحيم وبقي له ابن يدعى النمرود عليه اللعنة.

التاسع: النمرود الجبار

النمرود بن كنعان بن كوش بن حام بن نوح، أول من تجبر بعد الطوفان ووضع التاج على رأسه، وقد أخضع أرض بابل، واستولى على أرض

---

[1] وردت هذه العبارة بالفارسية، " شكست شد، وگرفتار آمد، وشهيد شد" وترجمتها: هزم، وأسر، واستشهد، ولكننا رأينا أن كلمة قتل هي الأصوب في هذا السياق. (المترجم).

العرب والعجم، وبنى بيوت الأصنام، وصنع الأصنام، وكان يعبدها، وصنع الأصنام الفضية والذهبية ورصع جميعها بالجواهر، وجعل أزر النحات أمينًا على الخزائن وعلى الأصنام وعلى كل ما يتعلق بها، وتعلموا علوم النجوم، وأغلب الظن أنهم صنعوا الأوثان والأصنام، ورسموها على صورة الكواكب وكانوا يعبدونها، وأخبره المنجمون عن ولادة مولود يستولي منه على الملك ويظهر دين الحق، فعين الموكلين فقتلوا أربعة آلاف ولد في هذا العام، ولكنه لم يستطع دفع القضاء فولد إبراهيم، وهذا المتمرد ركب على ظهر نسر ليصعد إلى السماء وشيد صرحا في بابل ليبلغ أسباب السماوات، واستغرق بناؤه مائة عام حتى تم، فبعث الله بعوضة دخلت في دماغه، وحتى تَسْلم آلام رأسه صعد الصرح وجلس فيه، وكان ارتفاعه أربعة آلاف قدم، فأمر الحق- تبارك وتعالى- جبرائيل؛ فنفخ في الصرح فانهدم، ووقع هذا الملعون إلى أسفل وهلك، وكانت مدة ملكه أربعمائة عام عليه اللعنة, وحينما توفي وصل الملك إلى أحد أقربائه، وكان على ملته يعبد الأصنام واسمه قبط، وكانت مدة مكله مائة عام، وحينما توفي جلس ابنه مكانه، ونشر العدل بين الناس مدة ثمانين عاما، وعمر الدنيا، وظل الملك في أهل بيته ثلاثمائة عام، ثم رجع إلى ملوك العجم. والله أعلم.

العاشر: منوچهر

وهو الابن العاشر لإيرج بن أفريدون حسب رواية المقدسي، أما الطبري فيذكر: منهوچهر بن منشخورنر بن منشخوار بغ بن ويرك بن

سروشنگ بن أيرك بن بتك بن فرزشك بن فركوزك بن إيرچ، حينما كبر منوچهر استولى على الملك ، وهزم عميه تور وسلم في الحرب ثم قتلهما، وقصر أيدي العمالقة وأبناء النمرود عن بابل والعرب والشام والمغرب، واستقامت له الدنيا فعدل، وعمر الدنيا، وأقام الخنادق حول جميع المدن التي كانت في هذه الممالك، وهو الذي ابتدع موضوع الخنادق، وهيأ الأسلحة الكثيرة في كل المدن، وحينما مضى على ملكه ستون عامًا بعث موسى- عليه السلام- وجهر بالحق في مصر والشام والمغرب وغرق فرعون. وفي رواية: إن منوچهر آمن برسالة سيدنا موسى، أما بشأن خصومة أبناء منقا فإنه لم يذهب إليه، وحينما مضى على ملكه ثمانون عامًا، ظهر أفراسياب وهو من أبناء تور بن أفريدون وعبر نهر جيحون[1] طالبًا ثأر أبيه، وأثار المملكة على منوچهر، وأقام عرشا في بلخ وأمسك زمام العراق وخراسان.

وحاربه منوچهر عدة مرات وهزم، وتحصن في مدينة آمل ومازندران التي يسمونها طبرستان. ومن كثرة النعمة في هذه المدينة لم يحتج إلى شيء مطلقا، وقدم سام بن نريمان جد رستم من زاولستان[2] والهند وأحضر جيشا، وانضم إلى منوچهر، وحاربوا أفراسياب التركي في عدة معارك حتى استقر

([1]) نهر جيحون= نهر آمو= نهر بلخ= النهر، ويبلغ طوله من المنبع حتى المصب أكثر من ألف وأربعمائة ميل، وتنسب بلاد ما وراء النهر إليه، أي البلاد التي تقع شمال أفغانستان، وهي آسيا الوسطى الآن. وهذا النهر هو الوحيد بين أنهار العالم الذي إذا لقب باسم النهر فقط دون مسماه يكون المقصود هو نهر جيحون، فنحن نقول: بلاد ما وراء النهر نسبة إليه، وهو يعرف الآن باسم آمو دريا، وهو الحد الفاصل بين أفغانستان وآسيا الوسطى، وينبع من مرتفعات پامير بأفغانستان، ويصب في بحيرة آرال بآسيا الوسطى، وأشهر المدن التي تقع عليه بلخ في أفغانستان وترمذ في آسيا الوسطى. (المترجم).

([2]) زاولستان أو زابلستان: هي أرض زابل، وزابل محافظة بأفغانستان الآن عاصمتها قلات وينسب إليها البطل الأسطوري رستم، فيقال: رستم الزابلي، كما ينسب إليها السلطان محمود الغزنوي، فيقال في كثير من الأحيان: محمود الزابلي؛ لأن والدته كانت بنت أحد أكابر زابل. (المترجم).

الأمر إلى الصلح، على شريطة أن يدع أفراسياب منوچهر يرمي بسهم من طبرستان، ولم يكن في العجم من هو أعلى صيتا من آرش في رمي السهام فصعد على جبل آمل وعبأ رأس السهام بالسحر، ثم قذف بسهم في جانب خراسان فانطلق حتى شاطئ نهر جيحون، وفي إحدى الروايات: أن آرش مات هناك، والأصح أن منوچهر جعله أميرا لرماة السهام، وصار نهر جيحون هو الحد بين إيران وتوران، ورجع أفراسياب، ودام ملك منوچهر مائة وعشرين عامًا. والسلام على أهل الإسلام.

الحادي عشر: أفراسياب الترك

في نسبه روايتان: إحداهما: أفراسياب بن بشنسك بن داوشم بن تور بن أفريدون، وفي الرواية الأخرى: أفراسياب بن بشخ بن رستم بن ترك، وهذا الشخص هو الذي ينتسب كل الأتراك إليه، وهو من أبناء يافث بن نوح، وقد عقد الصلح مع منوچهر ورجع، ثم نقض العهد مرة أخرى، وعبر نهر جيحون واستولى على العراق وخراسان وخربها كلها، وفي اليوم الذي استولى فيه على مملكة إيران، قال لجيشه: يجب أن تقتلوا جميع أهل إيران حتى يأتي قوم آخرون على عاداتنا ورسومنا في هذه الأرض، وخزن المياه في جبال الغور، وهي التي كانت تجري في خراسان وسجستان، وفي رواية تاريخ المقدسي: أن المطر لم ينزل في مملكته اثني عشر عاما فخربت الدنيا، وهلك الخلق، وكذلك هلكت الحيوانات في الصحاري، حتى ظهر زو بن طهماسب من أبناء منوچهر، وقدم زال زر من سيستان، واستعر القتال بينهما على أبواب مدينة الري مدة

ثمانية أشهر، وهزموا أفراسياب ورجع إلى تركستان، ولكنه دائمًا وحتى عهد كيخسرو كان يهجم على إيران ويحارب. والسلام.

الثاني عشر: زو بن طهماسپ

يقول الطبري في تاريخه: زو بن طهماسب بن منوچهر، أما في التاريخ المجدول[1] فيأتي نسبه على هذا النحو: زو بن كيخم بن زو بن هوشب بن تامل بن نوك بن درسر بن منوچهر، وزو هذه في الأصل هي زاب، حينما صار ملكا جعل گرشاسب الذي كان من بني أعمامه قائدًا لجيشه، واسمه في إحدى الروايات: سام بن نريمان، وطهماسپ بن أشك بن زو بن مارح بن منوچهر، وحينما جلس زو بن طهماسب على العرش عمَّر كل ما خربه أفراسياب، وفي عهده أمطرت السماء أمطارًا غزيرة، وشق الترع والأنهار من دجلة والفرات، وبنى القرى، وأمر فعمروا القصبات، وأخذ الخراج كله من الرعية سبعة أعوام، ومنح ووهب حتى عمرت الدنيا بأسرها وكثرت الأشجار، وأتوا بالفواكه من كل جنس من الجبال، وزرعوا الورود والرياحين والخضروات، ولم تُعرف الحلوى قبله فأمر فصنعوا الحلوى، وحكم ثلاثين عامًا ثم توفي.

---

(1) التاريخ المجدول من المصادر المهمة للمؤلف، وقد ذكره في ديباجة الكتاب. (المترجم).

الطبقة الثانية: الكيانية

الأول: كيقباد

وهو أول شخص من الكيانيين جلس على العرش، وبعد ذلك أشعل الحروب سنوات ضد أفراسياب، ونسبته: كيقباد بن رانكوه بن كوران شاه بن سروس بن گشتسب بن قرح بن برويز بن شاد بن گشتسب بن نارداد بن بشتكر بن فروشنگ بن متبع بن كستهم بن نودر بن منوچهر الملك.

كانت دار ملكه المدائن، عدل بين الرعية ولم يأخذ من أحد الخراج مطلقا إلا مرتين، وفصل المدن ونواحيها ومضافاتها كلا على حدة، وهو الذي وضع القياسات بالفراسخ، وشيد مدينة بلخ ونقل دار الملك إليها، وجعل رستم بطل الدنيا بأسرها، وقد حكم مدة مائة عام في إحدى الروايات، ومائة وعشرين عامًا في رواية أخرى، وحسب رواية المقدسي: فإنه من أولاد أفريدون، وكان له أبناء كثيرون، وكان كل واحد منهم ملكا على إقليم. والله أعلم.

الثاني: كيكاوس

ابن كيقباد وكان في البداية ملكًا مظفرا منتصرًا في الحروب، وانقاد له جميع الملوك، وكان سيدنا سليمان- عليه السلام- في عهده، وقد آمن كيكاوس بسليمان- عليه السلام- وطلب منه أن يجعل الديوان تابعا له ففعل، وقد أقاموا لكيكاوس القصور والمدن، وحينما مضت مدة من ملكه أضل إبليس طريقه،

ورماه في الضلالة، وفي إحدى الروايات: هو الذي أقام صرح بابل ليطلع على أحوال السماء فأمر الحق- سبحانه وتعالى- ملاكا ضرب هذا الصرح بسوط من نار فدمره، وعصت الملوك كيكاوس، وعصاه شمر ملك حمير وكان ملك اليمن، فذهب كيكاوس لحربه، فهزم وأسر، وأسقطوه في بئر فعشقته بنت ملك اليمن، وظل أسيرا حتى جرد رستم جيشًا من سجستان خلصه، وأحضر معه سُعْدى بنت ملك اليمن، وكان لكيكاوس ابن اسمه سياوخش، فعشقته سُعدى فلم يستسلم سياوخش للفساد، فاتهمته زوجة أبيه بالخيانة فأرسله أبوه على رأس جيش لحرب أفراسياب فتصالح مع أفراسياب، ولم يرض أبوه بهذا الصلح، وغضب عليه، فذهب مضطرا إلى أفراسياب، وطلب ابنة أفراسياب للزواج، وفي النهاية قتله أفراسياب، وأنجبت ابنة أفراسياب ابنا من سياوخش وأسمته كيخسرو، وأرسل كيكاوس رستم ليحارب أفراسياب فأحضر كيخسرو ووالدته عند كيكاوس، فأعطى كيكاوس ملكه لكيخسرو، وأعطى ملك سيستان لرستم، وبعد ذلك عاش خمسين عامًا ثم توفى، وكانت مدة ملكه مائة وخمسين عامًا. والله أعلم بالصواب.

الثالث: كيخسرو

كيخسرو بن سياوخش بن كيكاوس بن كيقباد، وحينما أحضروا كيخسرو إلى كيكاوس، وكان مع والدته، جعله وليا لعهده ووضع التاج على رأسه، وحينما توفي كيكاوس، جلس كيخسرو على العرش، وكان لـگودرز ثمانون ابنًا وكانوا جميعًا أمراء وقادة لكيخسرو، فأمر كيخسرو گودرز من

صفاهان فجمع جيوش العراق، وذهب مع گيو[1] والأبناء وجيوش خراسان إلى التركستان، وشنوا الحرب ضد أفراسياب، وهزم أفراسياب، وقتل أبناؤه.

ورمى أفراسياب نفسه في الماء فقبضوا عليه وأحضروه إلى كيخسرو، فأمر أن يقتلوه وغمس يديه في دمه، وقال: لقد ثأرت لأبي وليس لي مأرب في الدنيا أكثر من هذا، واعتزل الخلق وانشغل بالعبادة. والسلام.

الرابع: كي لهراسب

كي لهراسب الجبار من بني أعمام كيخسرو، وكيلهراسپ بن كيمش بن شاهزاد بن فرخان بن خديو بن أرش شاه بن گودرز بن طهماسپ بن كشن بن كيكاوس. حينما طلب كيخسرو أن يعتزل الخلق، وأن يترك الملك، اجتمع أصناف الخلق في ممالك العجم نائحين متضرعين طالبين منه أن يكون معهم، ولكن كيخسرو رفض فقال له الخلق: ليس لنا معرفة أو دراية بالملك فاجعل علينا خليفة وملكا ثم اعتزل، فجعل عليهم كي لهراسپ ملكًا، وأجلسه على العرش، وسلم له الخاتم ثم اعتزل هو.

وكان كيلهراسب ملكًا عظيمًا وجبارًا، ووضع رسم ديوان المشاهرة للرعية، وصنع لنفسه عرشا من الذهب ورصعه بالجواهر النفيسة وشيد مدينة بلخ في خراسان، وقدم إلى مدينة بلخ وأسماها بلخ الحسنى أو بلخ البهية، وجعلها دار الملك، وانقاد له ملوك الروم والهند، وسلك مع الخلق مسلكًا حسنا،

---

[1] گيو: واحد من أبناء گودرز (المترجم).

ودوّن الدواوين، وحارب سنحاريب الملك، وسنحاريب هذا كان ملك الموصل وبابل وقد قصد الشام، حتى يستولى على ملكها؛ لأن ملكهم كان عاجزا، فمنعه العلماء والمنجمون، وكان بخت نصر قائد جيوشه فمنعه فلم يسمع كلامهم، وكان أشعيا النبي بين أهل الشام فدعا فهلك جيش سنحاريب كله، وأسِرَ سنحاريب مع بخت نصر، ولكنهما تخلصا من الأسر. ومضى مائة وعشرون عامًا من ملك لهراسب فجلس ابنه گشتاسپ على العرش بأمر أبيه وانشغل لهراسپ بالعبادة حتى قتله أرجاسپ.

الخامس: گشتاسپ

ابن لهراسپ جلس على العرش في مدينة بلخ، وسار في أمور الملك على جادة العقل والعدل، وقد ادعى زرتشت[1] النبوة في عهده، وقبل گشتاسپ دينه، وشيد معابد النار، وأتى زرتشت بكتاب يسمى ژندپاژند[2] وكتب هذا الكتاب في عشرة آلاف مجلد بالذهب[3] ورزق گشتاسب بولد نجيب أسماه أسپنديار، وقد أرسله والده إلى الصين وحينما أتم الاستيلاء عليها رجع، وطلب من والده المُلك والعرش، فقال له والده: لقد عصا رستم وجمح فأتني به مصفدا بالقيود حتى أعطيك العرش.

---

(1) زردشت بن بورشسب بن فيدراسب، وهو من أهل أذربيجان من مدينة موقان، وأتى بدين المغان وعبادة النيران. (المترجم).

(2) زند بازند: المسعودي جـ ١، ص ٢٥٣، طبعة بيروت (المترجم).

(3) وكتب هذا الكتاب في اثني عشر ألف مجلد بالذهب (المسعودي جـ١، ص ٢٥٣) (المترجم).

وذهب أسپنديار إلى سيستان وقتل على يد رستم، ونصب گشتاسپ بخت نصر وسنحاريب في دار الملك بابل، وأعطاهما كل بلاد الشام واليمن والمغرب، فذهب بخت نصر إلى بيت المقدس، وكان على بيت المقدس والشام ملك من أبناء داود النبي - عليه السلام- فتصالح مع بخت نصر، وترك الشحنة بينهما، ثم ذهب بخت نصر إلى أرض المغرب، فأسر بنو إسرائيل ملكهم، وقتلوا شحنة بخت نصر فرجع بخت نصر واستولى على بيت المقدس ثم خربها، والله الباقي والدائم وإليه مرجع الأمور.

السادس: بهمن

كان بهمن بن أسپنديار ملكًا عادلا، وكان الشرق والغرب طوع يمينه وتحت تصرفه، كان عابدا لله، وفي الرسائل والمكتوبات التي كان يرسلها إلى الأطراف كان يكتب في أول المكتوب بهمن عبد الله وخادم الله، وأرسل رسولا إلى الشام إلى بني إسرائيل فقتلوا الرسول، فأرسل بخت نصر في المرة الثانية، فخرب بيت المقدس وسبا بني إسرائيل، وأوصل المملكة حتى المشرق والمغرب، وذهب بهمن بجيش إلى سيستان، وطلب ثأر أبيه وقتل زال زر، وحمل خزائن رستم، وتزوج امرأة من بني إسرائيل، وولد له ابن من هذه المرأة فأطلق سراح بني إسرائيل، ثم تزوج ابنته هماي چهرآزاد ، وحملت هماي من والدها، وحينما انقضى من حملها ثمانية أشهر توفي بهمن، وجعل بهمن هذا الابن الذي لم يولد وليا للعهد، وكانت مدة ملك بهمن اثنين وعشرين عامًا.

السابع: هماي[1]

هماي بنت بهمن ، حينما انتقل بهمن من دار الفناء أحب الناس أن تتولى الملك هماي، وحينما وصلت مدة حملها إلى آخره ولد لها ابن أسمته دارا فخافت أن يكبر فيستولي منها على الملك فصممت أن تهلك ابنها، ولم تعلق قلبها به، فوضعته في مهد ووضعت في المهد كثيرًا من المال والجواهر ورمت المهد في نهر بلخ، ويقول صاحب تاريخ الطبري: لقد وقع هذا المهد في يد طحان، وكانت هماي تتتبع هذا الأمر، وحينما صار الأمر معلومًا لها، طلبت ذلك الشخص ثم أعطته أموالاً أخرى وأمرته أن يترك هذه الديار، فأخذ هذا الشخص المهد وجلس مع أتباعه في سفينة في البحر، فغرقت السفينة، وظل هذا المهد طافيا على وجه الماء، وأتت به الرياح إلى دجلة، ووقع في يد قصاب، فأخرجه القصاب ورباه وعلمه وأدبه، وحينما كبر تعلق قلبه بالسلاح وركوب الخيل، فتعلم هذه الأشياء كلها وبدأ يسأل القصاب عن كل أحواله، وحينما أخبره تسلم باقي الجواهر والمال من القصاب، واشترى الجياد والسلاح، وذهب إلى صفاهان، ووصل إلى مدينة ماسپذان، التي كانت قصبة ملك والدته، وذات يوم كانوا يعرضون الجيش على هماي، فدخل في الميدان الذي أمامها، وحينما رأى الفرسان والأمراء والملوك يلعبون الصولجان كسبهم ورجح الجميع في اللعب بالسهام والحراب فسألوه: من أنت؟ قال: أنا متفوق في الفنون، وكانت هماي تطل من أعلى على المنظر، وأمرت بالإنعام على الجيش وسألت عن أحوال هذا الشاب، وتحيرت لفائق جماله وفنونه، وفي داخلها تولد ميل كبير إليه،

---

[1] يذكر الثعالبي في كتابه غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم، ص٣٩٠، أن اسمها خماي بنت بهمن، أما الطبري فيذكر أنها خماني بنت بهمن، وكانت تلقب بچهرآزاد، أي صاحبه المحيا الجميل، وقد لقبت بذلك لكمال عقلها وبهائها، وفروسيتها ونجدتها (الطبري جـ ص ٥٦٩) (المترجم).

فأمرت أن يحضروه إليها، وسألته هماي عن أصله وحاله فأجاب: لتعذرني الملكة عن الإجابة عن هذا الموضوع؛ لأن قصتي طويلة، وأثناء الحديث جرى اللبن في صدر هماي، ودعته أن يقترب منها أكثر، وقالت: لا حيلة من أن تذكر قصتك وحالك لي، فبدأ دارا الحديث وقص حاله وذكر قصته، فقالت له هماي: هل بقي شيء من هذه الجواهر معك فوضع دارا أمام هماي ما بقي من هذه الجواهر، وحينما وقع نظر هماي عليها نزلت من فوق العرش واحتضنت دارا، ووضعت التاج على رأسه، وأجلسته على العرش، وقالت للجيش: إن هذا الشاب ابني، وكانت مدة ملك هماي ثلاثين عامًا. والله أعلم بالصواب.

الثامن: دارا

حينما أجلسته والدته على العرش، واستقر له الملك، وانقاد له كل ملوك الدنيا، ذهب إلى بلاد الروم، وأسر ملك الروم، وأسر منهم أسرى كثيرين ووضع عليهم المكوس والأموال فكانوا يرسلون كل عام مائة ألف بيضة ذهبية، وكل بيضة ذهبية مثل بيضة النعامة، وكانوا يرسلون معها المال، وفي هذا العهد كان فيلوقس ملكًا على اليونان، وكان يرسل المال إلى دارا، وكان دارا ملكًا شجاعًا حكيمًا صاحب قوة وشوكة ودان له الشرق والغرب وكانت مدة ملكه اثني عشر عامًا.

التاسع: دارا بن دارا

حينما توفي دارا الأكبر جلس دارا الأصغر على العرش، كان رجلا صاحب عظمة ووقار، كان ملك اليونان يعطيه الخراج بناءً على ما قرره والده دارا الأكبر، وحينما وصل إسكندر فيلقوس إلى الحكم أحكم القبضة على مُلك

الـروم، ومنـع الخـراج، ولـم يرسـله إلـى دارا فأرسـل دارا رسـولاً إليـه معـه صـولجان وكرة وقفيـز مـن السمسـم بمعنـى: إن عـدد جيوشـي مثـل هذا السمسـم يخرج عن العد والحساب، وحينما وصل الرسول إلى الإسكندر تفاءل: إن الكرة هـي الأرض، والصـولجان هـو نصـرتي عليهـا، والسمسـم هـو زيـت لطيـف، وأرسل رسوله مع رسـول دارا وأرسـل معـه قفيز مـن الخـردل، يعنـي: إن عـدد جيوشـي أكثـر وكلهـا مـرة وحـارة ولاذعـة، وبنـاءً علـى هـذا الجـواب جهـز دارا جيشـا قوامه ثلاثمائة ألف رجل، وسافر إلى الروم، وجهز الإسكندر جيشـا أيضًـا قوامه ثمانمائة ألف رجل وذهب إلى بلاد الجزيرة، والتقى الجيشان، واسـتعرت الحرب بينهما، وظلت قائمـة ستة أشـهر فـي روايـة، وفـي روايـة أخـرى: عامًـا، ووعد الإسكندر اثنين من قواد دارا وأبطالـه بمـال كثير سرًا، ليطعنـا دارا أثنـاء المعركـة فانسـلا وطعنـاه، فسقط من فوق جـواده وأعلمـوا الإسـكندر، فـأتى إليـه علـى عجـل، ونـزل عـن صـهوة جـواده، وجلـس بجـوار دارا ورفـع رأسـه مـن التراب ونظف وجهه من الغبار، وشكر الله تعالى أن الطعنة لم تكن بيده ولا بيد جنده، وقال له: الآن ماذا تطلب؟.

فقال دارا: ألتمس ثلاثة طلبات: الأول أن تتـزوج ابنتـي روشـنك. الثـاني أن تقتـل مـن قتلـوني، الثـالث: ألا تحقـر دينـي، واجعـل أكـابر العجـم أعـزة، فقبـل الطلبات الثلاثة لدارا، وتوفي دارا.

العاشر: اسكنـــدر

هو ابن فيلقوس الرومي، وسأثبت نسبه كما وجدته: إسكندر بن فيلقوس بن مرمس بن هردس بن ميطـون بـن رومـي بـن أقطـو بـن نويـان بـن يافـث بـن

سرجون بن رومية بن شرط بن نوفل بن رومي بن الأصف بن التفق بن العيص بن إسحق النبي- عليه السلام.

وقد اختلفوا في أمر كنيته كثيرا فبعضهم قال: إنه ذو القرنين، وقد قالوا ذلك؛ لأنه رأى في المنام أنه أمسك بطرفي الشمس بيديه، ويقول البعض الآخر: لأنه كان له ضفيرتان، والبعض يقول: إنه في أحد الحروب جرح نصف جسده فهلك فأحياه الله تعالى، ومرة أخرى جرح النصف الآخر فمات، ويقول البعض: كان له قرنان فوق رأسه أما إن اسمه الإسكندر فالسبب في ذلك: البعض يقول: إن دارا الكبير تزوج ابنة فيلقوس ملك اليونان، وحينما أتت إلى بلاد العجم فاحت منها رائحة كريهة فردها إلى والدها مرة أخرى.

وكانت هذه البنت حاملاً فعالجوها بعشب يسمى إسكندر، وحينما وضعت أسموا مولودها إسكندر، وفي الحقيقة هو ابن دارا الأكبر.

أما علماء التفسير والقصص فيفسرون آية: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ﴾[1] هكذا: إنه كان عبدًا صالحًا وطائعًا لله- سبحانه وتعالى- وكان نبي الله الخضر ونبي الله إلياس - عليهما السلام- كلاهما وزيرًا له، وكان جيش النور والظلمة طوع أمره، كان أول سفر له إلى بلاد المغرب، وفي مدة عام استولى على جميع ملك المغرب.

ومن هناك ذهب إلى المشرق واستولى على ممالكه أيضًا، ودانت له بلاد الهند والصين، ومن الصين ذهب إلى الجنوب، وشيد سد يأجوج ومأجوج

([1]) سورة الكهف آية: ٨٣. ويقال: إنه سمي بذي القرنين لبلوغه أطراف الأرض، ومنهم من قال: إنه كان بذؤابتين من الذهب. المسعودي، جـ١، ص ٣١٩، طبعة بيروت. (المترجم).

وهذا الموضوع ورد في قصص نابي كما يلي: إن أمير المؤمنين الواثق بالله رأى في المنام أن سد الإسكندر سقط، وفي اليوم التالي أرسل سلام الترجمان[1] ليذهب ويأتي بالأخبار عن السد، وأمر له بخمسة آلاف دينار من الذهب الأحمر، وعشرة آلاف درهم من الفضة، ومائة بعير مزودة، وعين معه خمسين رجلا، وأعطى لكل واحد مواجب عام وأنعم عليه بألف درهم من الفضة الخالصة، وكتب بالأمر إلى إسحق وإسماعيل أميري أرمينية، ومن هناك ذهبوا إلى ملك السرير، ومن السرير إلى مُلك اللان، ومن هناك إلى ملك الخزر، حيث أعطوهم مرشدا فسلكوا طريقا ستة وستين يومًا حتى وصلوا إلى أرض سوداء لها رائحة، وظلوا يضربون في هذه الأرض عشرة أيام بلياليها، وبعد ذلك وصلوا إلى مدن مخربة وقلاع قديمة، خربت كلها بيد يأجوج ومأجوج، وظلوا يسيرون في هذا الخراب سبعة وعشرين يومًا حتى ذهبوا بالقرب من سد الإسكندر، وكان أمامهم جبال وقلاع كثيرة، وكان هناك أناس لغتهم العربية، وآخرون لغتهم الفارسية، وكانت لهم مساجد يصلون فيها، وحينما وصلوا إلى هناك استقبلوهم استقبالاً حارا، وأخذوهم إلى السد، ويذكرون: أنه كانت توجد فتحة بين جبلين طولها خمسمائة وخمسين ذراعًا، وهذان الجبلان كانا كأنهما سدان فاستخدم الإسكندر زبر الحديد بدلاً من الطوب، واستخدم المعادن والنحاس بدلاً من الطين ثم أفرغ عليها القتر، ثم رفع السور حتى قمة الجبل، وعلى طرفي السور بالقرب من الجبلين أقام بابا كان طوله مائة ذراع وعرضه خمسين ذارعًا، ووضع عليه قفلا، ومن الأرض حتى القفل خمسة أذرع، ويوجد جنزير طوله عشرة أذرع وعرضه ذراع، والقفل

---

(1) ذكر قبل ذلك سلامة الترجمان- انظر ترجمة الواثق (المترجم).

والمفتاح ذراع ونصف، والباب مغلق بقفل له سلسلة طولها ثمانية أذرع، والقفل له مفتاح به اثنا عشر سنا كل سن في غلظة يد الهاون، وقد رأوا كل هذا. وكان سيد هذه القلاع يأتي كل جمعة أمام هذا الباب مع عشرة من الفرسان ويطرقون الباب بالدبوسات الحديدية والآلات الحربية لِيُعْلِمَ قوم يأجوج ومأجوج أن الجيش مرابط هناك. ويروي صاحب القصص: لقد استغرق وقت الذهاب حتى العودة عامين وثمانية أشهر.

ولقد وفق الحق- تبارك وتعالى- ذا القرنين وأكرمه وسلم له ممالك الدنيا بأسرها، واستولى على العالم من طرف إلى طرف، ونصب ملوك الطوائف على العراق وإيران، وذهب في الظلمات إلى جانب شمال العالم ثم خرج، وتوفي بالعراق، وظل الملك في يديه أربعة عشر عامًا.

الطبقة الثالثة:

ملوك الطوائف الإشكانية

الأول: أشك

ابن دارا ويسمونه: أرفعو، ووجدت نسبته كالتالي:

أشك بن أشعار بن شاپور بن بلاتن بن أشكان بن الجباء بن سياوخش بن كيكاوس، وهو ابن دارا الأكبر، وكانت ملوك العجم تعظمه وتدين له بالولاء، وكانوا يكتبون اسمه أول اسم على رأس المراسيم والتوجيهات الرسمية، وكل ملوك الطوائف الذين نصبهم الإسكندر في ممالك العجم كانوا من أسرة واحدة، وجميعهم كانوا يدينون بالطاعة والولاء لأشك. ولم يكن يعزل شخصًا، فإذا كان واحد من هؤلاء الملوك له قصد آخر، كانت الملوك تمنعه، وظل الأمر على ذلك مدة أربعمائة عام، وحينما ثار أردشير الجامع انهدمت هذه القاعدة.

أما أشك فقد كان في عهده عظيما، حتى هاجمه الملك أنطيخس، فاتحدت ملوك الطوائف مع أشك، وهزموا الروم، ومرة أخرى هاجمه قسطنطين الملك، فهزمه أيضًا، وخرب رومية كذلك، ثم رجع وتوفي بعد ذلك، وكانت مدة ملكه عشرة أعوام، والله أعلم.

الثاني: أشكان

وهو ابن أشك، تسنم العرش بعد أبيه، وقال البعض: إن هذا الابن هو أرفعو، ولقد ضبط أمور المملكة وسار بالأمور سيرًا حسنا، وحفظ سيرة أبيه، وعظمته ملوك الطوائف، وكانت مدة ملكه عشرة أعوام، ثم توفي بعد ذلك.

الثالث: شاپور

وهو ابن أشكان، وقد جلس على العرش بعد أبيه، وأرسل ملك الحضر إلى الشام، وعذب بني إسرائيل عذابًا كثيرًا، وخرب بيت المقدس، وظل هذا الخراب قائمًا حتى عهد الإسلام، وكان الخراب إلى حد أنه لم يبق حجر على حجر.

وكان شاپور رجلا محبًا للظلم وقاهرًا شديدًا ومنتقما، وحينما مضى من ملكه أربعة أعوام، ولد نبي الله عيسى- عليه السلام- في بيت المقدس، وكانت مدة ملك شاپور ستين عامًا، ثم توفي والله هو الباقي.

الرابع: گودرز

ابن شاپور وبعد شاپور تسنم گودرز عرش أبيه، ويسمونه گودرز الأكبر، كان رجلا حازمًا جميل العهد، كان قانعًا بما أقام في ملكه من حزم، وكانت مدة ملكه عشرة أعوام ثم، توفي. والله هو الدائم.

الخامس: گودرز الأصغر

في أحد الأقوال: اسمه سرسق، وبرواية الطبري: گودرز الأصغر بن گودرز الأكبر، وفي قول آخر: كان يسمى إيران، كان في التاسعة عشرة من عمره حينما جلس على العرش، وأجرى أمور الملك واحدًا وعشرين عامًا، كان رجلاً جلدًا له أخلاق كريمة. والله أعلم بالصواب.

السادس: نرسي الأشغاني

حينما جلس على العرش ساس الناس بخلق كريم وضبط أمور الملك، وقهر الخصوم، ووضع أسسًا حسنة، ونشر قوانين العدل، وفي عهده ارتاح الخلق ونعموا؛ فلقد قال حينما آل إليه الملك: كل من هو في ملكي يطيع أوامري، سوف يرى مني ما يسر ويرضي، وكل من يعصى أوامري سوف أسجنه، وكانت مدة ملكه أربعين عامًا، والله أعلم.

السابع: كسرى الأشغاني

يسمونه أردوان الأكبر، كان رجلا حازمًا وسياسيًا وجلدًا، حينما آل إليه الملك ساس الناس بخلق حسن، وهزم كل من ثار عليه من الأطراف، وكان عالمًا بكل أسرار مملكته، وعظمته ملوك الطوائف، وعرفت له حرمته، وكانت مدة ملكه أربعا وأربعين سنة، والله أعلم.

الثامن: بلاش الأشغاني

كان رجلا عالمًا ومحبا للعلماء، وكان دائمًا يأمرهم بأن يقرءوا له كتب السابقين، ويقصوا له القصص عن أحوال الملوك الماضين، وكان يسأل ويدقق عن حسن خلق كل شخص وسيرته، ونعم الخلق في عهده وتفرغوا لسماع الأخبار وانشغلوا بالتواريخ، وكانت مدة ملكه أربعًا وعشرين سنة، والله أعلم.

التاسع: أردوان الأصغر

كان رجلا فضوليا، كثير الكلام، كثير اللهو، كان دائمًا مشغولا باللهو والترف، ولم يتم في أيامه عمل حتى نستطيع أن نذكره، وكان آخر ملوك الطوائف وكانت مدة ملكه ثلاثة عشر عامًا، وقتل على يد أردشير بابكان.

الطبقة الرابعة الساسانية:

الأول: أردشير الجامع

نقلت نسبه من تاريخ الطبري على هذا الوجه:

أردشير بن ساسان الأصغر بن بابك بن ساسان بن هرمس بن ساسان بن بهمن الملك بن أسفنديار بن گشتاسپ بن لهراسپ الجبار، خرج أردشير بابك حينما مضى من ملك الإسكندر مائتان وستة وستون عامًا، وفي قول آخر: مائتان وسبعون عامًا، وبقول النصارى: حينما مضى من ملك الإسكندر خمسمائة وخمسون عامًا، وكان ساسان جد أردشير رجلا جلدا، كان يحارب وحده ثمانين رجلاً، شيد معبد نار روستاخيز، وجعل له ناحية من نواحي فارس، رزق بولد أسماه بابك، وحينما كبر صار ملكا بعد أبيه، ثم رزق بولد آخر أسماه أردشير وحينما ولد من أمه، كان له شعر طويل بقدر شبر يكسو رأسه ووجهه، فحملوه إلى والي رستاخيز، وكان اسم هذا الوالي جوهر، فقبله وشب، وتعلم الفنون والفضائل، وحينما كبر عدل وأنصف، وذات ليلة رأى في المنام أن ملاكا قال له: إن أكثر ملك الأرض سيكون لك، ثم استيقظ وأخذ في ضبط أمور الممالك.

وانفادت له كل ملوك الطوائف، وكان رجلا فاضلاً جميل الوجه شجاعًا، جمع علماء المجوس وأمرهم أن يجمعوا كتب زرتشت التي أحرقها ذو القرنين وفرقها ونثرها، وذهب إلى بلاد الروم وأقام الأمور فيها، وأطاعته ملوك الترك والهند، وبعد اثني عشر عامًا مضت من ملكه لقبوه شاهنشاه أي

ملك الملوك، وحينما قبض على أردوان ظل يضربه على رأسه حتى قتل. وكبر أمره كثيرًا وضبط الأمور في ممالك الأقاليم، وفي أطراف ممالكه شيد اثني عشر حصنا للمدن العظيمة، وكانت مدة ملكه أربعة عشر عامًا وستة أشهر ثم توفي. والله أعلم بالصواب.

الثاني: شاپور بن أردشير

كان ملكا صائب الرأي عادلاً، كانت والدته من الإشكانيين، وقد أسرت ضمن غنائم أردشير وقد أحبها أردشير حبًا شديدًا، وأخفاها عن والده بابكان فقد كان للساسانيين عهد منذ بهمن بن أسپنديار بأنهم أوصوا أبناءهم بألا يتركوا شخصا حيا مطلقا من الإشكانيين، فأخفى هذه الجارية ولكن عشقها لم يخرج من قلبه بأي صورة، وفي النهاية أذعن لحكم الوصية فأمر بأن يقتلوا هذه الجارية، وفي السر عرف ذلك الرجل الأمين الذي كان قد وكل بقتل هذه الجارية أنها حامل من أردشير وولدت، فأخفاها حتى صار الابن في العاشرة من عمره.

وذات يوم جلس أردشير مهمومًا على العرش؛ لأنه لم ينجب، فأخبره الرجل الأمين بموضوع شاپور فطلبه وعززه، وصار وليا لعهده وجلس على العرش، واستقر له الملك بعد أبيه، وذهب إلى بلاد الروم، واستولى على مدنها، وأخذ الخراج والأموال من جميع بلاد الروم، وفي زمانه خرج ماني الزنديق، وأيضًا في عهده ضرب السيل العرم بلاد سبأ، ووضعت لعبة النرد في عهده،

وشيد للمدن الكبيرة ستة حصون في معظم أطراف العجم، وكانت مدة ملكه ثلاثين عامًا ثم توفي.

الثالث: هرمز بن شاپور

يسمونه هرمز البطل، وكان في غاية الشجاعة، ويسمونه أيضًا الجريء، ومن جرأته وجلده أنه كان يجلس على ظهر الأسد، ويجعل الأسد أليفًا، وقد أرسله والده إلى شاپور بكى، وقال: إن كنت غير كامل من رأسك إلى أخمص قدمك فأنت شاپور إلى خراسان فجمع جيشًا كثيفًا، فقال الأعداء لشاپور: إن هرمز قصد أن يأخذ الملك منك، ووصلت فرية الأعداء إلى أسماع هرمز، فقطع هرمز إحدى يديه وأرسلها إلى أبيه، وقال: لقد سعى الأعداء إلى هذا، ولدى العجم قرار: إن كل شخص ناقص لا يكون ملكًا، ولقد أنقصت نفسي ليهدأ قلب الملك من هذا الأمر.

وحينما وصلت هذه الرسالة ابني وولى عهدي، وجعله وليًا لعهده، وبعد شاپور صار ملكًا، وصار تحت تصرفه ممالك العجم والحجاز والشام، وحصل على مبالغ كبيرة من بلاد الروم، وشنق ماني الزنديق على بوابة جندي شاپور في بلاد الأهواز، وأحسن إلى الرعية، كما أحسن إلى أتباع أبيه وشيعته، وقد أجرى أمور الملك مدة عام وشهرين.

الرابع: بهرام بن هرمز

جلس على العرش بعد أبيه، كان رجلا عادلاً وعالمًا، وقد ضبط الحكم على أطراف ممالك أبيه، وأحسن إلى الرعية، وفي رواية: أنه قتل ماني الزنديق وأتباعه وسلخ جلده وحشاه تبنا، وعلقه على بوابة جند يشاپور، وقد أورد المقدسي: أن بهرام بن هرمز كان في بداية أمره رجلاً قاسيا غليظا سيئ الطبع ولهذا لقبوه بهرام الصلف، كان يعامل الناس بغلظة، وكان الناس يخافون منه، وذهبوا إلى رئيس الموابدة، وذكروا له غلظة بهرام، فقال لهم: في الصباح الباكر لا يذهب أحد إلى بلاطه كبيرًا كان أو صغيرًا، وسيبقى وحده ليعرف قدر الرجال، وهكذا فعلوا. فنهض بهرام من النوم وكل من طلبه كبيرًا كان أو صغيرًا لم يجد لا كبيرًا ولا صغيرًا، فغلب عليه الخوف فذهب إليه رئيس الموابدة ليقص الأحوال عليه، فتاب بهرام وأخذ يسوس الناس بخلق حسن، وكانت مدة ملكه ثلاثة أعوام، ثم توفى، والله المحسن إلى خلقه.

الخامس: بهرام بن بهرام

ابن هرمز حينما جلس على العرش لقب نفسه بملك الملوك أي شاهنشاه، كان رجلاً عظيمًا، رفيع الهمة، ولم يكن يتحدث في البلاط مع أحد، إلا مع حاجب عظيم من أصفيائه، ولكنه عدل مع الرعية، وفي عهده ضبطت أمور الملك، وفي حياة والده كان في سيستان، ثم طلبه أبوه وجعله وليا لعهده، وكانت مدة ملكه حسب رواية المقدسي: أربعة أشهر، وفي رواية الطبري أربعة أعوام، والله أعلم بالحقيقة.

السادس: نرسي بن بهرام

جلس على الملك بعد بهرام، وبعد سبعين عاما[1]، رزق بابن فأسماه هرمز وجعله وليا لعهده، وضبط نرسي أمور ممالك آبائه وسلك مع الرعية مسلكا حسنا، وأجرى أمور الملك تسعة أعوام ثم توفي.

السابع: هرمز بن نرسي

حسب رواية الطبري: كان سيئ الطبع مع الرعية فنفرت الرعية منه، وحينما عرفوه ذلك تاب وأناب، وأخذ يسلك مع الناس مسلكا حسنا وضبط الممالك، وحين وفاته لم يكن لديه ابن، ولكن زوجته كانت حاملا، فأوصى: إذا كان المولود ولدا يسمونه شاپور، وظل ملك العجم معطلا ستة أشهر دون ملك، واتفق الجميع إذا جاء ولد سوف يسمونه شاپور ويعلقون التاج على مهده، ويذكر الرواة: أن هرمز هذا تزوج ابنة ملك، فلم تمكنه هذه البنت منها فطلب الموبدان فلم يحضر، فسأل ابن الموبدان وقال له: ماذا يكون جزاء كل من يعصي الملك؟ فقال: يجب أن يقتل إلا المرأة والمجنون والطفل، إذن: ما قولك في جزاء الشخص الذي أجاز قتل من لا يجوز قتله؟ قال: يجب أن يقتل، فقتل الموبدان، وكانت مدة ملك هرمز بن نرسي سبعة أعوام وخمسة أشهر، والله أعلم.

---

[1] هكذا في النص الفارسي، لكنها ربما تكون سبعة أعوام وحدث خطأ من الناسخ، فكتب: هفتاد ومعناها سبعون بدلا من هفت ومعناها سبعة؛ لأن السياق بعد ذلك يدل على أنها سبعة (المترجم).

الثامن: شاپـور ذو الأكتاف

شاپـور ذو الأكتاف بن هرمز بن نرسـي كـان لا يزال فـي بطن والدتـه وعلقـوا التـاج علـى بطنهـا، وحسـب روايـة تـاريخ المقدسـي: حينمـا ولـد، ظـل الوزراء يدبرون أمر الملك حتى صار في الخامسة من عمره، وذات يوم كـان يجلس في شرفة قصره على شاطئ دجلة، فسمع هرج الناس ومرجهم، فقال: ما الأمـر؟ فقـالوا: إن النـاس يعبـرون علـى الجسـر ويفعلـون الضوضـاء مـن كثـرة الزحام، فأمر بأن يكون هناك جسـران أحدهما للمقبلين والآخر للمدبرين حتـى لا يزدحم الخلق، فسر الوزراء من كياسة شاپـور وفطنتـه. ولـم ينتـه مغرب اليوم التالي حتى أقاموا الجسر الآخر، وحينمـا صـار فـي الخامسـة عشرة من عمره صمم على صد الأعراب، وكـان لا يزال صـغيرًا، وتملك الطمـع جميـع الملـوك من ترك وروم وعرب فـي الاستيلاء علـى ممالك العجم، خاصـة العرب الـذين اعتدوا كثيرًا، وأطلقوا أيديهم في القتل والسلب والنهب، فجـرد جيشًـا فـي البدايـة إلى ديار العرب، وتمكن من صدهم وقتل منهم مقتلة كثيرة، وذهب بما تبقى من جيشـه إلـى مُلك الروم، وأنقبض قلبـه لكثرة مـا قتـل مـن العرب ثـم أمـر فكـانوا ينزعون أكتاف رؤسائهم[1] ثم يتركهم، ويروي المقدسي ما يلي:

---

(1) وكـان ذلـك سـبب تسـميتهم إيـاه ذا الأكتـاف. الطبـري جــ١، ص ٢٥، طبعـة بيـروت، ويقـول الجرديزي في هذا الصدد: "إن شـاپور أمـر أن أي عربـي يؤتى بـه مـن أي مكـان أن يثقبوا كتفيه ويعلقوا فيها حلقة، ولهذا السبب كانوا يلقبونـه بـذي الأكتـاف"، زين الأخبـار الترجمـة العربيـة (د. عفاف السيد زيدان- طبعة المشروع القومي للترجمة. (المترجم).

إن شيخًا قعد على طريق شاپور، وحينما وصل إليه شاپور صاح أيها الملك: اسمع كلمة، فتوقف شاپور، فقال الشيخ: إذا كنت تريد ثأر العجم من العرب الذين اعتدوا فيكفي هذا، فقد قتلت كثيرا، وإن أسرفت فاحذر؛ لأن هذا سوف يوجب القصاص يعني بعد مجيء الرسول- صلى الله عليه وسلم- وفي عهد الإسلام ستكون كل بلاد العجم تحت تصرف بلاد العرب، وسوف يؤخذ القصاص من الأشراف.

وحينما سمع شاپور هذا الكلام كف يده عن قتل العرب، وأراد أن يتجه إلى مملكة الروم، فجرد جيشًا إلى تلك الديار فذهب في صورة سائح، وكان ملك الروم يحتفل فدخل شاپور إلى ذلك المحفل لينظر ويرى، فعرفوه وقبضوا عليه، وألبسوه جلد ثور، وجرد ملك الروم جيشًا إلى بلاد العجم، وأخذ شاپور معه، واستولى على جميع خزائن شاپور، وخرب كثيرا في بلاد العجم، وقتل خلقًا كثيرًا، وحينما دنا شاپور من أبواب جنديشاپور نزل وصب أسرى العجم زيتا على الجلد فلان الجلد ونجا شاپور، وفي الليل دخل إلى باب المدينة فاشتد سرور الناس به، ثم خرج ليلا أيضًا وضرب جيش الروم. وأسر القيصر وقتل من الروم مقتلة عظيمة، واسترد جميع المال الذي كان قد أخذه القيصر من خزائنه، وأمر فعمروا كل ما خربوه في بلاد العجم، ومن أرض الروم وأشجارها زرعوا الزيتون بدلاً من النخيل، ونقلوا التراب من أرض الروم بالأرابات والسفن، ثم قطع شاپور أعصاب عقبى القيصر وبعث به إلى بلاد الروم. وكانت مدة ملك

شاپور اثنين وسبعين عامًا ثم توفي، وقد شيد في كل مدينة خمسة أسوار في بلاد متفرقة.

التاسع: أردشير بن هرمز

ابن نرسي شقيق شاپور ذو الأكتاف، وقد جلس على العرش بعد شقيقه، وفي البداية عدل، وسر الناس منه، وشعروا بالراحة، وحينما مضى عام تغير مزاجه، فقتل علماء فارس، وقتل العظماء وذوي الرياسة والأكابر واحدا واحدًا، فثار الخلق عليه طالبين الثأر منه، وأخرجوه من الملك، وكانت مدة ملكه أربعة أعوام، والسلام.

العاشر: شاپور

ابن شاپور ذو الأكتاف، حينما أقصوا عمه عن الملك أجلسوه على العرش؛ فحسنت أخلاقه مع الرعية، وجعل العدل والإنصاف مسلكا، وأحسن لعمه وعطف عليه، وضبط الممالك، ومنع الأعداء عن الملك، وبعد خمسة أعوام وأربعة أشهر ثار الحشم عليه، وقتلوه وهو جالس في خيمة.

الحادي عشر: بهرام بن شاپور

كانوا يلقبونه كرمان شاه في عهد أبيه، وحينما آل إليه الملك جلس على العرش، فأحسن القول وعدل وسلك مع الناس مسلكًا طيبًا، وضبط الممالك ووضع الأعداء كلا في مكانه، وحينما انقضى من ملكه أحد عشر عامًا، وبقول الطبري: خمسة عشر عامًا، ثار الجيش عليه، ووصلت إليه رمية بالسهم

فقتلته، ويقول البعض: لم يكن له ابن فوصل الملك إلى شقيقه يزدجرد، وبعضهم قال: الذي جلس على العرش بعد أبيه هو ابنه.

الثاني عشر: يزدجرد الأثيم

كان يزدجرد خشنا فظا، قال بعضهم: إنه ابن بهرام بن شاپور ذو الأكتاف، كان سيئ الطبع، غليظ القلب، سفاكا للدماء، ظالمًا فاسدًا أثيما وقع العجم أسرى ظلمه، ولم يقبل شفاعة شخص مطلقًا وضيعًا كان أم شريفًا للدفاع عن أي مذنب، وعجز الخلق ورفعوا أيديهم للدعاء والتضرع، وبعد واحد وعشرين عامًا فجأة دخل جواد من الصحراء ووقف أمام قصره ولم ير شخص قط مثله في الجياد حُسْنًا في الصورة وتماما في الخلق، ولم يُمَكِنْ شخصًا منه قط.

فخرج يزدجرد ، ووضع السرج على ظهره وألجمه، وحينما أراد أن يطرح عليه الحزام الجلدي الذي يشد به السرج من الخلف ركله الجواد في قلبه ركلة أودته قتيلا، ونجا الخلق من ظلمه، وجرى الجواد ورمى السرج واللجام، وغاب عن الأنظار، واتفق الجميع أنه كان مبعوث الحق، خلص الخلق من الظلم. والله أعلم بالصواب.

الثالث عشر: بهرام بن يزدجرد

بهرام گور بن يزدجرد الأثيم، كان رجلاً فاضلاً شجاعًا كريمًا، كان آية في الجلد والتحمل، كان قصة الجمال للدنيا بأسرها في عصره، وما فعله من

الرجولـة لم يتيسر لملك من الملوك، لم يعش لوالده يزدجر ابن، وحينما ولد بهرام گور، سلمه لملك العرب النعمان بن امرئ القيس، وهو الذي تولى الملك من قبَل أبيه، وكذلك آباؤه نصبوا جميعًا ملوكًا من قبل ملوك العجم، سلم يزدجرد بهرام إلى النعمان ليتربى في أجواء العرب لعله يعيش، وأخذه النعمان معه إلى بلاد العرب وشيد له قصر الخورنق في عشرين عامًا، كانت أجصاص القصر أصفى من اللبن، وكان ارتفاعه مائتي ذراع، وتربى بهرام على أيدي مراضع العرب والعجم الذين كانوا من نسل العظماء، وأمام إيوان قصر الخورنق كانت توجد قرية اسمها السدير وكانت من جمال هوائها وكثرة رياحينها وأشجارها كأنها الجنة على شاطئ نهر الفرات، وترك النعمان ملك العرب، وانشَغَلَ بالعبادة فجلس ابنه المنذر على العرش، فربى بهرام وكان لمنذر ابن في سن بهرام فعلمهما الآداب والفضائل، وحينما صار بهرام في الخامسة عشرة من عمره طلب الجياد والسلاح وصار في هذا الضرب لا نظير له، ومما يروى أنه ذهب مع منذر للصيد فرأى أسدا يركب على رقبة حمار وحشي ليقصم هذا الحمار الوحشي ويفترسه، وضرب بهرام سهما على ظهر الحمار الوحشي فجاءت رمية السهم في الحمار الوحشي والأسد، فوقع كلاهما على الأرض، وفي ذلك اليوم لقب باسم بهرام گور[1] وبعد ذلك ذهب إلى بلاط أبيه وهو في كامل الأبهة والبهاء، وظل عامًا كاملاً ملازمًا له، ولكن ضاقت نفسه فرجع إلى الحيرة إلى ملك العرب المنذر، وحينما ركل الجواد أباه وقتله،

([1]) كلمة گور بالفارسية تعني الحمار الوحشي، وقد نسب بهرام إلى الحمر الوحشية لبراعته في صيدها (المترجم).

وكان العجم قد ضجوا من والده، فقالوا: لو نجعل لابنه الملك فسوف يظلم مثلما فعل أبوه، فجعلوا الملك في أبناء أردشير الجامع وحينما علم بهرام، قاد جيشًا وأتى على باب المدائن ليطلب ملك أبيه، فقرر أعيان الدولة وعظماؤها أن يضعوا تاج الملك بين أنياب أسدين متوحشين جائعين، ومن يستطع أن يحصل عليه سيكون الملك والتاج له، وفي اليوم التالي اجتمع جيشا العرب والعجم على أبواب مدينة المدائن فتقدم بهرام وأمسك حجرا في يديه، وتقدم نحو الأسدين، وجلس على ظهريهما وأمسك آذان كليهما وضرب رأس أحدهما بالآخر حتى قتلهما، ثم وضع التاج على رأسه وتقدم نحو العرش وجلس عليه، فدان له الجميع بالطاعة والولاء، وحينما استقر الملك له شغل بالطرب، وكان يعدل بين الرعية وأسند جميع المصالح إلى الوزراء، ولم يكن يتفحص أمرا، فطمع ملوك الأطراف في ملكه، وعلم خاقان التركستان فقدم إلى بلاد العجم بمائتين وخمسين ألف فارس عن طريق مازندران، وضرب خراسان والعراق فلم يلتفت بهرام إلى ذلك، ولما اقتربت جيوش الخاقان، نفض الخلق قلوبهم من بهرام؛ لأنه لن يأتي منه شيء، فقد اختار ثلاثمائة رجل من العجم، وسلم المملكة إلى ملك يدعى نرسي وذهب هو للصيد في أطراف المغرب، فأخبروا خاقان التركستان أن بهرام هرب فهدأ الخاقان حيثما كان وأمن واطمأن، وفجأة قدم بهرام من جانب آذربايجان وحمل على جيش الخاقان وقتلهم جميعًا وغنم غنائم كثيرة، وأمر فحسبوا الغنائم من الذهب والجواهر والمواشي فكانت خراج المملكة لمدة ثلاثة أعوام، ومنح الرعية في ممالكه الأموال ثلاثة أعوام، ثم شغل بالطرب واللهو وذهب وحيدا على شاكلة التجار إلى الهند، وفي الهندوستان

صنع بذاته كثيرًا من مواقف الشجاعة والرجولة، فقد كان يمسك بمفرده خرطوم الفيل ويطرحه أرضًا ويفصل رأسه عن جسده، وكان يهزم وحده جيوش أعداء الهند، وكان لملك الهند ابنة فزوجها له، وأخيرًا عرف نفسه لملك الهند وكشف عن حقيقة أمره، فقبل ملك الهند منه المال، ودان له بالطاعة والولاء، ثم رجع بهرام إلى بلاد العجم، وكان يذهب دائمًا للصيد، وأرسل شخصًا من العجم إلى ملك الهند، وطلب منه مغنين هنود، فأرسل ملك الهند من المغنين الهنود إلى بهرام ألف رجل وامرأة، ويقال: إن المغنين في إيران من نسل هؤلاء، وحديث الجارية المطربة وصيد الغزلان معروف، وكان بهرام من عظمته وعلمه وفضله يعرف جميع الألسنة واللغات وكان يحفظ كثيرًا من الأشعار العربية.

وقد روى المقدسي في تاريخه: أنه حينما كان يغضب كان يتحدث بالعربية، وحينما يكون في البلاط كان يتحدث بالفارسية، وحينما يكون في الحرب والنزال كان يتحدث بالتركية، وكان يتحدث مع نسائه بفارسية هرات[1].

فكان بهرام مزدانا بكل الفضائل وشيم المروءة، وفي عهده بدأت في الظهور دولة آباء المصطفى- صلى الله عليه وسلم، ففي عهده ولد قصي بن كلاب أول ملك للعرب وهو من أجداد النبي- صلى الله عليه وسلم- وكان عهد بهرام گور ستين عاما، ثم توفي، والله أعلم بالصواب.

([1]) اللغة الفارسية في مدينة هرات بأفغانستان لغة رقيقة وجذابة كأنها تغريد الطيور.
ويقول الطبرى: واختلفوا في مدة ملكه فقال بعضهم: كان ملكه ثماني عشرة سنة وعشرة أشهر وعشرين يوما، وقال آخرون: كان ملكه ثلاثا وعشرين سنة وعشرة أشهر وعشرين يوما، الطبري جـ٢ صـ٤٢ طبعة بيروت (المترجم).

الرابع عشر: يزدجرد بن بهرام

حينما جلس على العرش أنصف وعدل في الرعية، وانقاد له ملوك الأطراف، وضبط أمور المملكة، وحينما مضت مدة أخذ الخراج من ملك الروم.

وكان ليزدجرد ولدان: أحدهما فيروز، والثاني هرمز، فأعطى سيستان لفيروز، والعرش لهرمز، وقد حكم يزدجرد ثمانية عشر عامًا وأربعة أشهر وثمانية عشر يومًا، ثم توفي، فأمسك هرمز الملك، فذهب فيروز من سيستان إلى غرستان وطخارستان إلى ملك الهياطلة، وطلب منه العون والمدد، وأحضر جيشا وحارب هرمز، وقتل هرمز مع شخصين آخرين وصار فيروز ملكا، وفي عهد يزدجرد أقام سورا من أرمينية حتى خزران ووصل إلى أبواب مازندران بهدف إظهار الحدود، ثم توفي يزدجرد.

الخامس عشر: فيروز بن يزدجرد

حينما توفي والده قامت الحرب واشتعل أوارها بينه وبين أخيه على حدود مدينة مرو وقُتل أخوه، واعتلى فيروز عرش العجم بمساعدة ملك طخارستان ومدده الذين كانوا يسمون الهياطلة، وعدل وأنصف، وسلك مسلكا حسنا رحيما، وبعد ذلك نزل القحط بملكه سبع سنين إلى درجة أن الأمطار لم تنزل مطلقا في هذه السنوات، وهلكت أكثر الحيوانات في البرية؛ فأمر فيروز البلاد في ممالكه أن يفتحوا أبواب مخازن الغلال، ويخرجوا ما ادخروه من الخزائن والذخائر، وقسم بين الناس الرواتب والأجور التي يحتاجون إليها

لدرجة أنه في هذه السنوات السبع لم يهلك أحد جوعًا في المملكة إلا شخص واحد في مدينة أردشير، وهذا الحديث نقل من تاريخ المقدسي، وبعد هذه السنوات السبع أرسل الحق- تعالى- الأمطار مدرارا من السماء، فجنوا من الزرع الغلال والنعم فكان من كل حبة سبع سنابل ومن كل سنبلة سبعمائة حبة، وقد ذكر الحق تبارك وتعالى في آياته: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖ﴾[1]. وقد نقل المقدسي عن المفسرين ما يلي:

إن معنى هذه الآية لم ينطبق على أي عصر غير عصر فيروز. وبعد القحط حارب فيروز الهياطلة وهزم، فأقام معهم العهود ثم رجع إلى مملكته، وبعد ذلك وللمرة الثانية نقض العهد وحارب الهياطلة فقتل، وبنى فيروز تسع مدن في أطراف ممالكه ومضى سبعة وعشرون عامًا حتى حل به الأجل، والله أعلم بالصواب.

السادس عشر: بلاش بن فيروز

وحينما انقضت مدة فيروز كان له ولدان: بلاش وقباد، وكان بلاش رجلا عاقلا عادلاً محبًا للعمارة، وخالق الناس بخلق حسن، وعمر مملكته بالعدل والإنصاف، وقد بنى ست عشرة مدينة، وحينما اعتلى العرش، ذهب قباد مع خمسة أشخاص من الخواص إلى الخاقان بالتركستان لطلب المدد، وحينما انقضت أربعة أعوام من ملك بلاش توفي، والله أعلم.

([1]) البقرة: آية ٢٦١.

السابع عشر: قبــاد

حينما جلس شقيقه بلاش على العرش ذهب قباد مع خمسة من أبناء ملوك العجم إلى تركستان، وحينما وصل قباد إلى حدود نيشاپور، نزل في منزل دهقان[1] وكان للدهقان ابنة في غاية الجمال، وهذا الدهقان كان من نسل الملوك الأقدمين، وهرب بسبب ما تقلب من حوادث الزمان، وما وقع من تقلبات الأيام، وسكن في هذه المنطقة، وحينما وقعت عين قباد على هذه البنت عشقها، وبالطرق التي أمكنته، عقد عليها وأقام عند والدها ثلاثة أيام، وبعد الأيام الثلاثة أعطى الفتاة خاتما أحمر ثمينا أخرجه من رباط مُذهَب في إزاره، ثم تركها بعد الزواج واتجه إلى تركستان.

فحملت هذه البنت من قباد، وولدت بعد تسعة أشهر، وأسمت الطفل نوشروان[2]، ورجع قباد بعد أربعة أعوام من التركستان، وأحضر معه جيشًا كثيفًا وحينما وصل إلى هذا الموضع الذي كان يوجد به أنوشيروان ووالدته حملوا الولد إليه، وفي هذا الوقت توفي بلاش، فأرسل العجم الرسل إلى قباد، وطلبوا منه أن يذهب ويجلس على العرش، وكان قباد رجلا مستقيمًا وكان يتجنب إراقة الدماء، وكان الفساد قد انتشر بين الخلق، وخرج منهم شخص اسمه مزدك ادعى النبوة وأقر كل ما يتعلق بدين زرتشت إلا شيئين: النساء

---

(1) دهقان: مالك أرض، والدها قين طبقة من عظماء العجم. (المترجم).

(2) نوشروان= نوشيروان= أنوشروان= أنوشيروان. وردت كتابة هذه الكلمة في جميع المصادر بالأشكال السابقة ومعناها صاحب الروح السمحة. (المترجم).

والمال، قال: هذان الأمران مشتركان بين الناس، فاجتمع حوله المفسدون والسفهاء من الشباب واختلطت أنساب الناس، وكان قباد ضعيف المزاج، فآمن بمزدك، وظل عشرة أعوام في هذا الفساد، فاجتمع الخلق، وعثروا على قباد وحبسوه، وخلص جاماسپ بحيلة من أخته، وبعد خمسة أعوام جرد قباد جيشًا، واستولى على الملك دون حرب، وأجرى أمور الملك أربعين عامًا، وفي عهده جعل نوشيروان وليا للعهد، وعاداه العرب، وقدم تبع من اليمن وأرسل لحرب قباد ابن أخيه، فهزم قباد وقتل، وكانت مدة ملكة اثنين وأربعين عامًا، وفي عهده ولد عبد المطلب جد الرسول- صلى الله عليه وسلم- وأحضروه من قبائل العرب إلى مكة.

الطبـــقة الخــامسة: الأكاســـرة

الأول: نوشيروان بن قباد

حينما جلس على العرش، قتل ثمانين ألف رجل في يوم واحد، وأحيا دين زرتشت حسب قواعده وشرائعه، وأقام السور الذي جعله هرمز سورًا للعجم ولم يتم، وامتد به إلى باب الأبواب، وسد طريق أتراك الخزر، وعدل وأنصف بين خلق الله تعالى، وكان دائمًا مشغولاً بعناية الجيش والناس ورعايتهم، وهيأ أمر الدين والدنيا للخلق، وحينما مضى من ملكه خمسة أعوام، جرد جيشًا إلى بلاد الروم وذهب إلى أنطاكية، واستولى على هذه المدينة، ورسم شكلها على ورق، وبنى على حدود المدائن مدينة على هذا الشكل وأسماها رومية، وأسكن فيها أسرى أنطاكية، ومن أنطاكية ذهب إلى الإسكندرية، واستولى عليها ، ثم ذهب إلى القسطنطينية، وقبل الخراج من ملكها، ومن هناك ذهب إلى خزران[1]، بتركستان وقتل الناس وضرب الديار ورجع من هناك وذهب إلى اليمن، فأطاعه ملكها، وجعل نوشيروان بينه وبين خاقان التركستان قرابة، وتزوج ابنته.

وبعد ذلك بعام طلب المدد من الخاقان، وحارب ملك الهياطلة والتركستان والقفچاق وطخارستان، وقتل ملك طخارستان، وثأر لجده فيروز وضرب جميع المدن، ثم ذهب إلى ما وراء النهر وفرغانة ثم رجع إلى المدائن، وأرسل جيشًا إلى سرانديب، وقرر خراجًا على مملكة الهند، واستولى على الممالك حتى حدود المغرب، ولم يتأت لأي ملك من ملوك العجم مثلما تأتى له من الملك والسلطان، وبعد عشرين عامًا من ملكه ولد والد المصطفى- صلى الله عليه وسلم- عبد الله بن عبد المطلب.

([1]) خزران: ناحية في شرق الخزر. (المترجم).

وحينما انقضى من ملكه أربعون عامًا جاء أبرهة من الحبشة بالفيل ليهدم الكعبة، وفي هذا العام كانت الولادة المباركة لسيد الأنبياء- عليه السلام والتحية- كما يقول- صلى الله عليه وسلم: ولدت في زمن الملك العادل أنوشيروان، وكان أنوشيروان ملكًا حسن السيرة، وقد مدحه الرسول- صلى الله عليه وسلم- بأنه عادل، وهذا يكفي لحسن شمائله، وكانت مدة ملكه سبعة وأربعين عامًا ثم توفي، والله أعلم بالصواب.

الثاني: هرمز بن نوشيروان

جلس بعد والده على العرش، وأمه ابنة الخاقان، وكان هرمز رجلا مؤدبا، حينما استقر له الملك استراح في ملكه الغني والفقير، والقوي والضعيف، لم يظلم الخلق مطلقًا ومنع التعدي على الرعية منعًا كليًا، وقد تراخى مع حشمه في المحافظة على الحدود ومراقبتها، فطمع جده خاقان التركستان في ملكه، واسترد مَلِكُ الروم مدن الشام التي كان أنوشيروان قد استولى عليها، ومن ناحية اليمن خرجت حمير والتبابعة من الحجاز واستولوا على المدن الفارسية، وخربوها، وبقي هرمز عاجزًا في المدائن، فقدم خاقان التركستان، واستولى على خراسان وهرات، فتشاور هرمز مع موابدته، وبتدبيرهم ومشورتهم أرسل بهرام چوبينه مع قواد الجيش إلى طبرستان وگرگان لدفع الخاقان وصده، وهزموا جيش تركستان على أبواب بلخ، وكانوا ثلاثمائة ألف فارس، وقتلوا الخاقان، وأسروا ابنه، وأرسلوه إلى هرمز مع ستة آلاف أسير وغنائم كثيرة، لكن هرمز أساء لبهرام چوبينه[1] وأرسل إليه طوقا حديديًا، ومغزلا وقطنا، فغضب بهرام لهذا السبب وأتى بجيش إلى المدائن، واشتبك قبل ذلك مع پرويز، وهزم پرويز فذهب إلى بلاد الروم، واستولى

---

(1) لأن هرمز اعتقد أن بهرام سرق الغنائم. (المترجم).

بهرام على الملك، وجعل الخطبة باسم ابنه يزدجرد بن هرمز، وكانت مدة ملك هرمز أحد عشر عامًا وسبعة أشهر، وقبل ذلك بعدة أيام قتل الخدم هرمز أيضًا، والله أعلم بالحقيقة.

الثالث: خسرو پرويز

ابن هرمز بن أنوشيروان، حينما هزم أمام بهرام چوبينه ذهب إلى بلاد الروم فأعزه القيصر وزوجه ابنته مريم، وعين ابنه مع سبعين ألف فارس، وحينما ذهب هذا الجيش إلى بلاد العجم بعد سبعة أشهر تحول الرعية عن بهرام واتصلوا بپرويز وبقى بهرام مع أربعة آلاف رجل، ووقعت بينهم الحرب، فذهب بهرام مهزوما إلى التركستان، ملتحقا بخدمة الخاقان، ولكنه قتل هناك بعد سبعة أعوام، فهدأت مملكة پرويز، وكان پرويز رجلاً جميل الأوصاف، عادلا محبًا للرعية صاحب مروءة، كريمًا معطاءً محبًا ومكرمًا للضعفاء، وما جمعه لم يتأت لأحد من ملوك العجم، أوله تاج ضرب من أربعمائة مَنّ من الذهب الأحمر ورصعوه بقطعة من الياقوت على قدر قبضة اليد، تضيء كأنها الشمس الساطعة، وبه ألف حبة من اللؤلؤ كل واحدة منها بحجم بيضة العصفور، صارت وكأنها النجوم المتلألئة كل هذا وضع في تاجه وفي عرشه، وقد ثبت هذا التاج بسلاسل في حجرة العرش، بحيث إذا جلس على كرسي العرش ينعقد التاج على رأسه فورا فيخيل للناظرين كأنه يلبسه.

وكذلك كان لديه جواد يسمى شبديز لم يوجد في الدنيا بأسرها جواد بمثل صورته، وهيئته، وجماله، وملاحته، ضرب له سنابك، مسامير من ذهب، كان يعدو في الليل والنهار ثلاثين فرسخًا، كان يقف دائمًا مجهزا أمام عرشه

بسرجه ولجامه، وكان يطعم هذا الجواد من كل ما يأكل منه، وكان له زوجة جميلة تدعى رومي ماهروي، لم يوجد في الدنيا امرأة أكثر منها جمالاً وملاحة، ثم إنه كان يملك كنز فيء الريح، وقصته أن قيصر الروم كان خائفًا من خدمه؛ فطلب مائة سفينة لخزائنه ليرسلها إلى الحبشة في الأمان، ومن جملة ذلك ثلاثين سفينة مملوءة بالدنانير والذهب والفضة، وثلاثين سفينة مملوءة بدراهم الفضة، وعشرين سفينة مملوءة بالجواهر والياقوت وغير ذلك من أجناس الجواهر، وعشرين سفينة مصنوعة من الفضة، وحينما وضعوا هذه السفن في البحر لتذهب إلى الحبشة طارت الرياح بهذه السفن إلى أنطاكية، وكانت من ملك پرويز فاستولى عليها پرويز جميعها ووضعها في خزائن وأطلق عليها اسم كنز فيء الريح، ثم كان لديه ألف فيل للحرب وخمسون ألف جواد وبغال تحمل الدواب، واثنا عشر ألف بعير وثمانية وثلاثون ألف جواد عربي، وكان لديه اثنا عشر ألف امرأة منهن ثلاثة آلاف حرة كنَّ رهن إشارته، وتسعة آلاف عبد، وقد دام ملكه ثمانية وثلاثين عامًا. وحينما انقضى من ملكه عشرون عامًا بعث الرسول- صلى الله عليه وسلم- بمكة، وحينما انقضى من ملكه ثلاثون عامًا هاجر الرسرل- صلى الله عليه وسلم- من مكة إلى المدينة، وفي سنة سبع من الهجرة أرسل الرسول- صلى الله عليه وسلم- عبد الله بن حذافة السهمي إلى پرويز برسالة يدعوه فيها للإسلام، فلم يقبل الإسلام، ومزق رسالة المصطفى، وأرسل رجلين إلى ملك اليمن يقول له: إن عبدًا من عبيدنا في الحجاز يدَّعي النبوة اقبضوا عليه وابعثوا به إلينا، وقال لهما: أولا اذهبا إلى محمد فإذا لم يأت فاذهبا إلى ملك اليمن، فظل الرجلان ستة أشهر في مكة، وبعد الأشهر الستة

ضاقت نفوسهما فأرادا أن يذهبا إلى ملك اليمن، وأتيا إلى المصطفى- صلى الله عليه وسلم، وقالا له: لقد جئنا ونحن متضايقان، فقال لهما الرسول- صلى الله عليه وسلم: إن الله- سبحانه وتعالى- أخبرني بالأمس أن شيرويه بن پرويز قتل أباه پرويز، فذهبا، وحينما وصلا إلى ملك اليمن كان كتاب شيرويه قد وصل، فظهرت لهما المعجزة واضحة جلية، فرجعا وأسلما وانتهى ملك پرويز، والله أعلم.

الرابع: شيرويه

هو ابن برويز جلس على العرش بعد أبيه، وأمه بنت ملك الروم، وكانت تدعى مريم، وحينما قتل شيرويه والده، خلص المحبوسين، فقد أطلق سراح ثلاثين ألف رجل كانوا محبوسين في سجون پرويز، وزوج نساء أبيه، وفي رواية: كان له ستة عشر أخا، وفي رواية أخرى: أنه قتل مع الوالد ثمانية عشر أخا، وعدل بين الخلق وأنصف.

ولكن النظام والبهاء والرواء ذهبوا من عظمة مُلك العجم وأبهته ودب الفتور في أطرافها، وفي عهده وقع القحط ومن كل عشرة كان يموت تسعة بسبب القحط، وأعقب پرويز بنتين: إحداهما پوران دخت، والأخرى آزر ميدخت ولامت الفتاتان أخاهما: إنك من شدة الحرص قتلت أباك وإخوتك، ونفرت كلتاهما منه، وقد ذُكر في الكتب أنه حينما قتل أباه، طمع في زوجة أبيه شيرين ودعاها إليه، فأجابته شيرين: لن يكون بعد أبيك من هو أفضل منك، ولكن اصبر أسبوعًا حتى أقبل التعزية وفاءً لوالدك، وحتى لا يحتقرني الناس لعدم وفائي وجحودي، فأمهل شيرويه شيرين أسبوعًا فذهبت إلى قبر پرويز

ووزعت على الناس كل ما ملكت من أسباب المال والنعم، وبعد سبعة أيام أهلكت نفسها على قبره.

ووجد في كتاب معتبر: وحينما انقضى من ملك شيرويه ثمانية أشهر كان يستعرض الخزائن والدفائن فوجد ظرفا ختم بخاتم پرويز مكتوب عليه: دواء للفحولة، وكان شيرويه في موضوع النساء حريصًا كل الحرص فرفع الختم وغمس إصبعه في الدواء الذي في هذا الظرف ووضع إصبعه في فمه وذاق هذا الدواء، ولكنه كان معجون لسم فهلك منه، ووصل ملكه إلى نهايته، وهذا الأمر دليل على كمال شجاعة پرويز؛ إذ بعد وفاته بثمانية أشهر أهلك قاتله بالسم، ولم ير شيرويه راحة في الملك أبدا بسبب شؤم قتل والده وإخوته، ويروون: بسبب هذا الشؤم أن الحق- تبارك وتعالى- سلب منه نعمة النوم وضاعت منه راحة النعاس حتى هلك.

الخامس: أردشير

وهو ابن شيرويه وكان صغيرًا، وحينما أجلسوه على العرش جعلوا أحد عظماء العجم نائبًا له ليحافظ على الملك ويحميه، وكان شيرويه قد أرسل جيشًا إلى بلاد الروم، وجعل شهر آراي قائدًا على رأس هذا الجيش ليأتي بخراج بلاد الروم، وحينما علم شهر آراي بجلوس أردشير دون مشورته لم يرض عن ذلك وعاد بالجيش وقبض على أردشير وقتله، والله أعلم.

السادس: شهر آراي

قدم من بلاد الروم بالجيش وقبض على أردشير الذي أجلسوه على العرش وقتله وجلس هو على العرش، ووضع التاج على رأسه وشعر العجم بالعار من خدمته أو الولاء له، فصمموا على قتله، واحتالت پوران دخت ابنة پرويز وحرضت الخلق على قتله، وفي الموكب الذي ركب فيه وكان يذهب للنزهة طعنه واحد من قادة العجم بالحربة فأسقطه من فوق الجواد، فأشبعه الآخرون طعنا بالحراب حتى قتلوه، وكانت مدة ملكه - بقول المقدسي- عشرين يومًا، وبرواية الطبرى: أربعين يومًا، وحينما قتلوه، وضعوا حبلا في أرجله وطافوا به حول المدينة، والله أعلم.

السابع: پوراندخت

هى بنت پرويز وكانت الأكبر فاتفق العجم جميعًا على إجلاسها على العرش، وحينما جلست على العرش، بدأت بالسير سيرة حسنة مع الخلق فعدلت، ورعت أمور الرعية، ومنحت الخراج، وأعطت الحشم أموالاً كثيرة، وقسمت الخزائن والدفائن جميعها على عظماء الدولة وأمرائها، أما الرجل الذي قتل شهر آراي ويدعى فسفروخ فقد جعلته وزيرها. وأعادت إلى بلاد الروم الصليب الذي كان پرويز قد استولى عليه من ملوك الروم، ورضي ملوك الأطراف بملكها فقد كانت حسنة الرأي، وحسنة التدبير، وكانوا راضين عن كل ما تفعل، وحينما وصل خبر ملكها إلى المصطفى- عليه السلام- قال: لا يصلح قوم يملكهم امرأة، وحسب رواية المقدسي: دام ملكها عامًا ونصف، وحسب رواية الطبري: ملكت عامًا وأربعة أشهر ثم توفيت، وبعدها استولى على الملك رجل من الأقرباء يدعى جشنسده، فأجرى أمور الملك شهرا ونصف، ولكن اسم

هذا الرجل لم يأت في التاريخ المجدول، ويقول الطبري كذلك: إن هذا الرجل ليس له ذكر في تاريخ العجم وأخبارهم.

الثامن: آزر ميدخت

هي بنت پرويز، جلست على العرش بعد شقيقتها فعدلت وأنصفت ودبرت أمور الملك، ولم يكن في آل كسرى امرأة أفضل منها، وكان إصفهبد[1] خراسان رجلا يدعى هرمز، وكان من عظماء العجم في عهد پرويز وشيرويه وپوراندخت، وكان له حكم خراسان، وكان له ابن يدعى رستم، وكان رستم هذا يحكم خراسان نيابة عن أبيه. فبعث إصفهبد هرمز برسالة إلى الملكة أزرميدخت يقول لها: لو تتزوجينني سوف أخدمك وأحفظ لك ملكك فأجابت أزرميدخت: إن الملكة حينما تجلس على العرش لا يكون من المصلحة أن تعلن عن زواجها، والصواب هو: إذا كنت ترغبني فأت إلىَّ الآن واحصل على مرادك، فارتاح إصفهبد لهذا الجواب، وحينما أتى الليل قدم إلى باب القصر، فأمرت الملكة أمير الحرس: اقطع رأسه وأتِ بها إليَّ، فقتله أمير الحرس، فعلم ابنه رستم بخراسان، فأتى على رأس جيش، وقبض على أزرميدخت وعاملها بظلمها، فسمل عينيها ثم قتلها، وكانت مدة ملكها ستة أشهر، وحسب رواية المقدسي: أربعة أشهر، والله أعلم.

---

(1) إصفهبد: أي حاكم (المترجم).

التاسع: كسرى

هو ابن مهرچشنس، حينما قُتلت آزرميدخت طلب أكابر العجم ملكا، وأرسلوا أشخاصًا إلى الأطراف، وكان في الأهواز رجل من نسل أردشير بابكان، يدعى كسرى بن مهرچشنس، فأتوا به وأعطوه الملك، ومضت الأيام وهو لا يعرف أساليب الملك وقواعده، وكان عاجزًا عن تدبير الأمور وضبط الأعمال، فثار العجم عليه، وقتلوه ثم طلبوا ملكًا آخر، فدلوهم أنه يوجد شخص في نصيبين من أبناء پرويز فاتفقوا عليه، فقد كان لبرويز ابن هرب من شيرويه واختفى في نصيبين فأحضروه وأجلسوه على العرش، ولم تمض عليه سوى أيام في الملك حتى تبين أنه هو أيضًا عاجز عن تدبير الملك، ولما لم يكن لديه تجربة فقد كان غير قادر فتشتت الأعمال وعزلوه عن الملك.

العاشر: چشنسده

وحينما خلا العرش من ذلك الرجل طلبوا ملكًا آخر، فأشاروا إلى واحد من أبناء نوشيروان يدعى جشنسده، فأحضروه، وأجلسوه على العرش، وحينما وضعوا التاج على رأسه وكانت رأسه شديدة الكبر، قال: إن هذا التاج ضيق على رأسي فتطير الناس من قوله، فأول كلمة جرت على لسانه هي الضيق فإذا كان من الملوك فلماذا لم يقدر الأمور؟ فأنزلوه من فوق العرش وعزلوه.

الحادي عشر: فرخزاد

هو ابن خسرو، وكان قد هرب من شيرويه ووصل إلى حدود المغرب بالقرب من نصيبين، فطلبوه وأحضروه، وأجلسوه على العرش، وسلموا إليه

الملك، وحينما وصل ملك العجم إلى نهايته، وارتفع شأن العرب، لم يثبت تاج الملك على رأس أي ملك فقد علا شأن العمامة، وذهب بريق التاج، وخبت النار وارتفع شأن الكعبة، وحينما مضى من ملك فرخزاد ستة أشهر قتلوه أيضًا، والسلام على من اتبع الهدى.

الثاني عشر: يزدجرد بن شهريار آخر ملوك العجم

هو ابن پرويز، وكان محبوسا في إصطخر فارس، وكان في السادسة عشرة من عمره، وحينما ولد حملوه إلى والده فأخذه پرويز، وضربه على الأرض لعله يموت؛ لأن المنجمين وأرباب الأسرار تنبئوا بأن يزدجرد هذا سوف يختم ملك العجم، ولكنه حينما ضرب في الأرض لم يمت؛ فقال پرويز: إن تقدير الله لا يبطل بتدبير العبد، وإذا كان الأمر كذلك فقد أمر فحبسوه في إصطخر فارس، وفي هذا الوقت أحضره أكابر العجم، وأجلسوه على العرش، وحينما مضى من ملكه أربعة أعوام ضعف أمر العجم، وتسرب الخلل إلى أطراف ممالكهم.

فأرسل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- سعدًا بن أبي وقاص إلى المدائن بجيش من الصحابة- رضي الله عنهم، فهرب يزدجرد الملك من المدائن إلى أطراف خراسان عن طريق خوزستان وفارس، وأرسل رستم بن فرخ بن هرمز لحرب جيش الإسلام، وحينما رأى رستم أن الأمر وصل إلى آخره، أخبر يزدجرد فذهب إلى خراسان بصحبة ألف خازن وألف حارس، وألف مدرب للكلاب وما يليق بأمور الصيد والملك والترف واللهو.

وتقدم رستم أمام جيش الإسلام، وحمى وطيس الحرب بينه وبين سعد بن أبي وقاص حتى قتل رستم في القادسية، وبعد ذلك استولوا على المدائن في السنة السادسة عشرة للهجرة، واختفى يزدجرد في خراسان حتى قتله ماهوي الدهقان في طاحونة في عهد أمير المؤمنين عثمان- رضي الله عنه- عام واحد وعشرين من هجرة المصطفى- صلى الله عليه وسلم، ووصل أمر ملوك العجم إلى آخره.

إن ملك الله تعالى هو الباقي وكانت مدة ملك يزدجرد عشرين عامًا، والله أعلم.

الطبقـــة الســـادسة:

التبابعة ملوك اليمن

الحمد الله عالم السر والعلن، مقلب الأيام والزمن، والصلاة على محمد المبعوث بالحق كاسر الأصنام والوثن، والسلام على آله وأصحابه الأنصار والمهاجرين إلى الله من الوطن، سادة العرب والشام واليمن، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد، فيقول العبد الراجي للطف الرباني، عثمان بن محمد بن منهاج الجوزجاني- عصمه الله تعالى عن الجاني: إنه نقل ذكر هذه الطبقة من تاريخ المقدسي وتاريخ الطبري على سبيل الإيجاز والاختصار، يقول المقدسي: بعد أن نزل تكه بن قحطان بن عامر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح في اليمن، صار يعرب بن قحطان ملكًا، ويعرب هذا هو أول شخص تحدث العربية، واشتقاق لغة العرب من اسمه، وبعده في التاريخ ليس معلومًا من صار ملكًا، وفي ذلك الوقت كان أحدهم: فرع بن مهنيب بن أيمن من أبناء هميسع بن حمير كان في زمان الضحاك، وقد أخرج العمالقة من ديار اليمن، وصار صهر أفريدون، وظهر منهم ملك هو: شمر ذي الجناح، وأيضًا في ذلك العهد ظهر موسى- عليه السلام، وكان ملك العجم هو منوچهر، ومنهم أيضًا سمرسهنص صار ملكًا، وأيضًا منهم ذو يصرع صار ملكًا، وأيضًا منهم ذو مرايح صار ملكًا، وفي الجملة صار منهم خمسة عشر رجلاً ملوكًا لليمن على مدار أعوام طويلة، حتى وصل العهد إلى الحارث الرايش فكان هو أول تبابعة اليمن، والله أعلم والسلام.

الأول: الحارث الرايش

ورد نسبه في المقدسي كما يلي: الحارث بن مهيب بن أيمن بن ذي برحم بن رايد بن المغرب بن بطن بن عذيب بن دهير بن التبع بن حمير بن سباب بن يشخب بن يعرب، أما برواية الطبري: الرايش بن يعرب بن قحطان بن أبي شداد.

وقد حارب الحارث الرايش في العالم ضد ملوك الطوائف حروبًا كثيرة، واستولى على ممالك الأطراف، وأخضع حدود المغرب ومصر، وذهب بجيش إلى الهندوستان وأخذ الأموال من ملوكهم، ومن هذه البلاد حمل إلى اليمن عبيدًا وغنائم كثيرة، واستولى على حدود العراق والأنبار والموصل، وذهب إلى جانب آذربايجان وحارب الترك، وفي الجانب المعمور لتلك البلاد نصبوا حائطًا حجريًا وكتبوا عليه اسمه وحروبه وممالكه من أول الأحوال حتى آخرها، وكان في زمن منوچهر ملك العجم، وكان الحارث تابعًا له، وكانت مدة حكمه مائتين وعشرين سنة ثم توفى، والله أعلم بالصواب.

الثاني: أبرهة بن الحارث الرايش

بعده صار ابنه أبرهة ذو المنار ملكًا، وكان رجلا حكيمًا وحازما قاد جيشًا إلى جانب المغرب، وسار كثيرًا حتى وصل إلى الظلمات، وقاد الجيش في الظلمات وخاف مغبة أن يختفي جيشه في الظلمة، وبأمره قطعوا الأميال ووصل إلى طريق قريب لهم، وساروا في النور حتى سهلت عودة جيشه

وذهابه، ولقبوه بذي المنار، وكان تابعًا لمنوچهر، ومدة ملكه مائة وثمانين عامًا، والله أعلم بالصواب.

الثالث: أفريقيس بن أبرهة

بعد والده صار أفريقيس ملكًا، وساق جيشًا إلى جانب المغرب، وسيطر على هذه الممالك، وفي هذه الديار بنى مدينة أفريقية، وقد ذهب إلى المغرب أثناء حياة والده، وأسر زنوج المغرب، وأحضرهم جميعًا إلى اليمن، وحارب الأعداء والخصوم حروبًا كثيرة، وقد جلس على العرش بعد والده، وكان تابعًا لمنوچهر أيضًا، وكانت مدة ملكه مائة وأربعة وستين عامًا. والله أعلم بالصواب.

الرابع: مندر بن أبرهة

لقد مات شقيقه أفريقيس بن أبرهة فجلس مندر بعد شقيقه على العرش، ولقبوه بذي الأذعار، والسبب في هذا اللقب أنه قاد جيشًا إلى بلاد النسناس وهؤلاء الجماعة من الخلق ليس لهم رقاب ولا رءوس، وعيونهم وأفواههم في صدورهم، وكان الزنوج في آخر المغرب وفي الجنوب، فقاد مندر جيشًا إلى تلك البلاد، وضرب هذه الناحية وأحضر من الزنوج عبيدًا كثيرًا، فرآهم الخلق فوقع الخوف والرهبة في القلوب منهم، ولقبوه بذي الأذعار. وكان هو أيضًا في عهد منوچهر وكان مطيعًا له، وكانت مدة ملكه خمسة وعشرين عامًا، والله أعلم بعوالم الهدى.

الخامس: هداد بن شراحيل

هو ابن عمرو بن الحارث الرايش، صار ملكًا بعد منذر، وكان ابن عم منذر، وهداد هذا هو والد بلقيس، ويقولون في إحدى الروايات: إنه تزوج بنت ملك الجان وبلقيس هي ابنة هذه المرأة، وهداد هذا حينما جلس على العرش ضبط أطراف ممالك ابن عمه مع اليمن، وكان حسن السيرة مع الخلق. ولكن مدة ملكه كانت قصيرة، وتوفي ثم صارت ابنته بلقيس ملكة، والسلام.

السادس: بلقيس بنت هداد

بنت شراحيل، بعد والدها صارت ملكة على اليمن والمغرب، وكان لها ألف قائد وتحت يد كل واحد منهم عشرة آلاف رجل، وكان لها عرش ويصفه القرآن الكريم: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ وكان طول هذا العرش الذي كان من الذهب الخالص وعرضه ثمانين ذراعًا وكان مرصعا كله بالياقوت والزمرد واللآلئ، وقد أمنت بلقيس على يد نبي الله سليمان، وهذا العرش أحضره آصف بن برخيا إلى سيدنا سليمان في طرفة عين قبل وصولها إلى سيدنا سليمان- عليه السلام، وقصتها معروفة كما بينها الحق- سبحانه وتعالى- في محكم آياته، وكانت مدة ملكها أربعين عامًا، والسلام على من اتبع الهدى.

السابع: ناشر النعم

وهو ناشر بن عمر بن عمر بن شراحيل بن الحارث الرايش، وقد جلس على العرش بعد بلقيس ابنة عمه، وقد أطلقوا عليه اسم ناشر النعم؛ لأنه كان

ينعم كثيرًا على الرعية في ممالكه، ولقد جمع شمل أهل اليمن وأهل ممالكه وقصر أيدي الأعداء عنهم، وقاد الجيوش إلى حدود المغرب، وخرج من معمور المغرب والجنوب ووصل في الصحراء إلى مكان يجري فيه نهر في الرمال، ولما لم يصل شخص من الأدميين إلى هذا المكان فقد أمر شخصًا من أقربائه يدعى عمرو، كان غاية في الشجاعة، أن يخوض هذه الرمال ليعرفوا الطريق فغرق هذا الرجل. فأمر ناشر النعم فصنعوا تمثالا في هذا المكان من الذهب والنحاس وكتبوا عليه: "ليس ورائي طريق"، ورجع من هناك وقدم إلى اليمن، وكانت مدة ملكه خمسًا وسبعين سنة.

الثامن: شمر بن أفريقيس

ابن أبرهة بن الحارث، جلس على العرش ولقبه أهل اليمن شمر يرعيش؛ لأنه كانت لديه رعشة، وكان شمر هذا ملكًا عظيمًا، ضبط ملك أجداده، وأخذ الأمر مأخذ القوة، وكانت ولادته في أيام گشتاسپ وبهمن، ولقد خرج شمر هذا عن طرق البادية وطوى الجبال وحينما وصل إلى جبل الحيرة تحير ولم يعرف الطريق، فأطلقوا على هذا الموضع اسم الحيرة، وحينما عرف الطريق خرج إلى العراق، وعلى شاطئ الأنبار عبر دجلة وذهب إلى آذربايجان وحارب الترك وهزمهم، وأخذ سبايا كثيرين وقتل مقتلة عظيمة ثم رجع إلى اليمن، وكانت جميع الملوك تخشاه وتخاف منه، وأرسل له ملك الهندوستان حريرا وعطرًا كثيرًا فأعجبته للغاية، فخاف الرسول أن يأتي شمر إلى الهندوستان فقال له: إنه أحضر هذه الطرائف من الصين، فسأل شمر عن

أوصاف الصين، وقصد الصين، وقاد معه جيش حمير، وعن طريق بابل ذهب إلى الهندوستان، وأرسل جيشًا إلى التبت والصين ومنى ملك الصين بهزيمة منه، ولقد ذهب شمر إلى الصين عن طريق التركستان، وقبض على ملك الصين وقتله وأغار على الصين، ثم رجع إلى اليمن عن طريق الهندوستان وظل سبعة أعوام في هذه الحروب والأسفار، وسلمت له كل فارس وخراسان وسيستان، واستولى على سمرقند وخربها، وكانت مدة ملكه مائة وسبعة وثلاثين عامًا، وكان هذا كله في أيام گشتاسپ وبهمن، والله أعلم بالحقيقة.

التاسع: الأقرن بن شمر

وبعد شمر جلس ابنه أقرن بن شمر على ملك التبابعة، فضبط ممالك اليمن والمغرب، وقبل ظهور عيسى- عليه السلام- ذهب لغزو الروم وقاد جيوشًا كثيرة، وفي هذا العهد كان أهل الروم جميعًا عبدة للأصنام وقد حاربهم وغنم منهم مغانم كثيرة، وتوفي حينما وصل عن طريق بحر الروم إلى ناحية يسمونها وادي الياقوت، وكان ملكه ثلاثا وخمسين سنة.

العاشر: تبع بن الأقرن

جلس تبع بن الأقرن بن شمر مكان والده تبع الأكبر، واستراح أعوامًا، لدرجة أنه لم يقد جيشا إلى مكان ولم يغز، وتحدث عنه أهل ممالكه ولقبوه موثبان ومعنى موثبان (القعيد) [1]، ولما كثرت طعنات الخلق وطعنات أهل مملكته وأقربائه

([1]) موثبان: لقب بذلك، لأنه وثب على أخيه حسان كما يقول الطبري، ولا نعرف لماذا قال صاحب طبقات ناصري إن معنى موثبان القعيد، ربما لأنه لم يذهب للغزو أو الاستيلاء على الممالك. (المترجم).

في حقه غضب وقاد جيشًا وذهب عن طريق آذربايجان إلى التركستان والتبت، وترك هناك أفواجًا من جيش العرب، وقد بقي نسلهم في بلاد الترك حتى هذا الوقت، ومن التبت ذهب إلى بلاد الصين، وأغار على هذه المملكة وغنم مغانم كثيرة، ثم رجع وعاد إلى ملكه، وتوفي، والله أعلم.

الحادي عشر: الملك كليكرب

وهو ابن تبع الأكبر صار ملكا بعد أبيه، وضبط ممالك اليمن والمغرب وعدل، وفي عصره لم يتم شيء يجب ذكره، ومدة ملكه خمسة وثلاثون عامًا، والسلام على من اتبع الهدى.

الثاني عشر: تبع الأوسط

وتبع هذا هو ابن الملك كليكرب، جلس على العرش بعد أبيه، وكان يدعى سعد، وكنيته: أبو كرب، وكان رجلا عالمًا وعارفًا، وقد درس وتعب في علم النجوم، وكل ما فعله كان في صالح ملكه، واختار أسفاره وغزواته كلها بناءً على الطالع، وكان ماهرًا في هذا الأمر غاية المهارة، وقاد جيوش العرب وحمير من اليمن إلى أطراف المغرب والمشرق، وضرب ممالك الهند وممالك الروم وغزاها، وكان يعبد الأصنام، وكانت كل العرب واليمن على دينه، ولكن أطراف المدينة كانوا كلهم من اليهود على دين موسى- عليه السلام- فقد هربوا من بخت نصر وقدموا من الشام وسكنوا أطراف المدينة، وحينما مرَّ تبع على أرض الحجاز زار مكة وكسا الكعبة بالديباج، وقدم إلى المدينة وبدأ الحرب فحاصر المدينة، ودامت هذه الحرب مدة شهر، وكان أهل المدينة كل ليلة

يرسلون أحمالا من البلح لمعسكر تبع، وفي النهار كان عسكر تبع جميعهم يحاربونهم، فخجل جيش تبع منهم، فقال تبع: إنهم أناس كرماء وذكر اثنان من بني إسرائيل أحدهما يدعى كعب والآخر أسد، فقالا: إنكم لن تستطيعوا أن تخربوا هذه المدينة؛ لأن هذه المدينة ستكون مهجر نبي آخر الزمان فسأل تبع عن نبي آخر الزمان، فذكروا له ما جاء في التوراة عن دين محمد وظهور نبي آخر الزمان، فقبل دين موسى وآمن بمحمد، وعمر المدينة وتركها وقال قصيدة ومنها أشهر بيتين ذكرا بالعربية.

شهــدت على أحمد أنه　　　رسول من الله باري النسم

فلو مد عمري إلى عمره　　　لكنت وزيرًا له وابن عـم

ثم رجع وذهب إلى اليمن، وملّ جيش حمير من كثرة غزواته فقتلوه، وكانت مدة ملكه ثلاثمائة وستين عامًا.

الثالث عشر: حسان بن تبع

ولقبه ذو الحسان، جلس على العرش فأحكم ملك أبيه، واستولى على الأطراف، وأخذ كل واحد من قتلة أبيه بالشدة والغلظة وكان يقتلهم، وكان متكبرًا متغطرسا مع الخلق، وبعد خمسة أعوام سافر إلى بلاد العرب، واتجه ناحية الشام، وكان جيشه كارها للذهاب إلى الشام ومهما قالوا له لم يمتنع عن الذهاب، وحينما وصل إلى ديار الحيرة والموصل بايعوا شقيقه عمرو بن تبع، وحثوا عمرو أن يقتل شقيقه حسانا، فأضله الشيطان عن الطريق، وقتل شقيقه

وجلس هو مكانه، وحدثت كل هذه الحوادث في عهد ملوك الطوانف، والله أعلم بحقيقة الحقائق.

الرابع عشر: عمرو بن تبع الأوسط

حينما قتل عمرو بن تبع شقيقه بتحريض من الجماعة الفاسدة وبتسويل الشيطان، أخذ الحق تبارك وتعالى راحة النوم منه، وسلب راحة النعاس من دماغه وقلبه، فجمع العلماء، وطلب علاجًا للأرق، فأجمع جميع علماء العصر على رأي، وأجابوا: لقد قتلت شقيقك ظلمًا ودون حق، والحق- تبارك وتعالى- جزاءً لهذا التعدي والظلم، سلب منك النوم، وعلاج هذا الداء هو أن تقتل جميع الأشخاص الذين حرضوك على قتل أخيك، ولعل الله يقبل ويعيد لك راحة النوم.

فقبل عمرو بن تبع حديثهم، وقتل كل من أعانه على هذا الظلم والقتل حتى قتلهم جميعًا، إلا اثنين من الرعية منعاه من قتل أخيه، وهذا حدث في عهد ملوك الطوانف بعد عهد ذي القرنين. وحينما قتل قتلة أخيه جميعًا أنعم الله- تعالى- عليه بالصحة، ووجد النوم طريقه إليه، وهذا كله كان برواية المقدسي، أما برواية الطبري: فإن عمرًا ظل على هذا الأرق، وكانت مدة ملكه ثلاثًا وعشرين سنة.

الخامس عشر: عبد كلال بن مرثد

صار عبد كلال بن مرثد ملكًا بعد عمرو، فأمسك زمام الأمور بقوة، وأخذ المال وجمعه من الأطراف وضبط ممالك التبابعة وأدخلها تحت حكمه،

وكان في عهد سيدنا عيسى- عليه السلام، وقد آمن به، وكانت مدة حكمه أربعة وسبعين عامًا، ولم تتم في عهده أعمال كثيرة يجب ذكرها. والله على كل شيء قدير.

السادس عشر: تبع الأصغر

ابن حسان بن تبع الأوسط، صار ملكًا في اليمن بعد عبد كلال، وضبط ملك أجداده، واستولى على الأمور بقوة ويذكرون في الروايات أنه قتل يهود يثرب، والسبب في ذلك: كان هناك قبيلتان في المدينة من أصل الأنصار إحداهما الأوس والأخرى الخزرج، وهاتان القبيلتان كانتا عاجزتين أمام اليهود، فقد كان في المدينة ملك من اليهود اسمه فطيون، كان رجلا طاغية ظالمًا وكان أهل كل عروس حينما كانوا يحملونها إلى منزل زوجها، يأتون بها أولا إلى فطيون حتى يفض بكارتها وعندئذ يحملونها إلى منزل زوجها، وحينما اشتد ظلمه، كان ملك بن عجلان الخزرجي يزوج ابنته وحملوا هذه البنت إلى فطيون، فارتدى ملك بن عجلان لباس النساء، وحمل معه سكينًا وذهب بين النساء إلى قصر فطيون، وحينما خلا فطيون بابنته خرج ملك بن عجلان من مكمنه وقتل فطيون، وهرب من المكان، وذهب إلى تبع الأصغر واستعان به فقاد تبع الأصغر جيشا، وقدم إلى أبواب يثرب والمدينة، وقتل ثلاثمائة وخمسين من عظماء بني إسرائيل، وأراد أن يخرب المدينة، وذلك ما ذكرناه آنفا، وحينما أخبروه عن هجرة الرسول- صلى الله عليه وسلم- قبل دين موسى وآمن بمحمد-

عليه السلام- وقدم إلى مكة وطاف بالكعبة وكساها ورجع، ومدة ملكه كانت سبعًا وسبعين سنة.

السابع عشر: مرثد بن عبد كلال

صار ملكًا بعد تبع الأصغر، وضبط مملكة اليمن والأطراف، وكان في زمان أردشير الجامع، فجمع مرثد قبائل حمير وعدل في عهده، وأمضى مدة ملكه مع الرعية بخلق حسن، وكانت مدة ملكه إحدى وأربعين سنة، وبعدها تفرق ملك حمير والتبابعة، واقتصر على اليمن، والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

الثامن عشر: ولتعة بن مرثد

جلس على العرش بعد أبيه، وصار ملكًا في اليمن وضبط أمورها، وفي عهده نزل سيل العرم على أهل سبأ، وكان أهل سبأ متفرقين قبل السيل، بعضهم ذهب إلى الشام، وبعضهم ذهب إلى العراق، وبعضهم ذهب إلى المدينة، فرأى ولتعة منامًا، فجمع المعبرين وقال لهم: ما الرؤيا التي رأيتها؟ اذكروها وفسروها.

وكان لا يوجد من هو أعلم من سطيح الكاهن في هذه الديار، فقال له: لقد رأيت في الرؤيا ظلاما ووسط هذه الظلمة رأيت فحما أسود اشتعلت فيه النيران وأحرقت أهل اليمن وجعلتهم رمادًا، وتفسير هذا: سيظهر ملك في الحبشة ويهزم اليمن ويبدل الدين اليهودي وسوف تستولي الحبشة على مُلك اليمن فقال الملك:

وماذا بعد هذا؟ فقال: بعد هذا سيخرج رجل يقتل ملك الحبشة، ويستعيد اليمن، وبعد ذلك يقتل هو أيضًا، وبعد ذلك يأتي رسول من العرب يستولي على

ملك اليمن، وحتى القيامة ستكون في يد أمته ، فخاف ولتعة وأرسل أبناءه إلى العراق والصين، ومدة ملكه كانت سبعة وثلاثين عامًا، والسلام.

التاسع عشر: حسان بن حسان

ابن تبع الأصغر، جلس على العرش فضبط ملك آبائه، وسلك مع الرعية مسلكًا حسنا فقهر الخصوم، وكانت مدة ملكه سبعًا وسبعين سنة، والله أعلم بالصواب.

العشرون: ذو الشناتر

صار ملكًا بعد حسان بن حسان، ولم يكن من أهل الملك ولا أسرة التبابعة، وحسب رواية الطبري: اسمه حنيفة بن عالم ، وفي هذا الوقت لم يكن هناك ابن كبير من التبابعة يستطيع أن يضبط أمور الملك، وكان ذو الشناتر هذا من أبناء الأكابر، وقد تعدى كثيرًا على الخلق ، وعمل عَمَل قوم لوط مع أبناء الأكابر، وكان حسان قد أنجب ابنا أسموه ذا نواس، كان غاية في الجمال والبهاء، وحينما صار في مرحلة المراهقة نقلوا خبر جماله وبهائه لهذا الظالم الفاسق عليه اللعنة، فطلب ذا نواس ، وأخذ ذو نواس معه سكينًا وذهب إلى ذي الشناتر. وحينما أراد ذو الشناتر أن يمد يده إليه ليعتدي عليه قال له ذو نواس: أي ذا الشناتر إنك تعلم أنني أحق منك بالملك، وقد تركت لك الملك فلا تدنس اسمي واتركني سالمًا، فقال له: إذا لم تكن طوع أمري فسوف أقطع رأسك.

فطعن ذو نواس هذا الظالم في بطنه بالسكين فأرداه قتيلاً، وحينما خرج أعزته حمير وأكبرته، وجعلوه ملكًا على مملكة اليمن، وذو نواس هذا هو صاحب

الأخدود[1] وقد ذكره الحق تعالى في القرآن الكريم، ومدة ملك ذي الشناتر في التواريخ غير معروفة.

الحادي والعشرون: ذو نواس

هو ابن حسان بن حسان بن تبع الأصغر، حينما جلس على العرش ضبط مملكة أسلافه، وحسب رواية الطبري: اسمه زرعة بن حسان، ولقب بذي نواس، وكان يدين باليهودية، وكان رجلا عادلاً وضابطًا للأمور وغازيًا وظل أعوامًا كثيرة في الملك، ومن جملة ملوك اليمن والتبابعة لم يكن من هو أكثر منه هيبة، أو أعظم منه سياسة، ضبط أمور ممالكه، وقاد الجيوش إلى ديار خراسان وكان قومه جميعًا من النصارى، وكان ذو نواس على دين موسى- عليه السلام. وقد دعا أهل نجران إلى دينه وكل من لم يجب رماه في النار. حفر أخدودًا طويلا في الأرض، وأحرق آلافا في النار، حتى أحضروا امرأة مع ابنها وقذف بابنها قبلها في النار فارتعدت المرأة فصاح ابنها لا تخافي يا أمي هنا روح وريحان، وحينما رأى ذو نواس هذا كف يده عن القتل ورجع، فذهب شخص يدعى ذو ثعلبان إلى النجاشي ملك الحبشة يستنجد به ويستغيث، وحمل معه عدة أوراق محترقة من الإنجيل، فأرسل النجاشي هذه الأوراق إلى القيصر ملك الروم، وقال له. لدي الجنود ولكن ليست لدي السفن وليس من الممكن أن يذهبوا بطريق البر من الحبشة. فأرسل إليه ملك الروم السفن، فأرسل النجاشي جيوشًا وجنودا كثيرة في السفن، وحينما علم ذو نواس صدهم في البداية بطريقة الخداع، فقد أمر ذو نواس فصنعوا عدة أحمال من المفاتيح وأرسل إلى الحبشة شخصًا، وقال: هذه مفاتيح الخزائن الموضوعة في قلاع اليمن، فعينوا لكل قلعة فوجًا ليأخذ الخزائن فخدع قادة الجند وقسموا الجيش أفواجًا أفواجًا

---

[1] قال الله تعالى في محكم أياته: ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴾ سورة البروج: أية (١-٧).

وأرسلوها إلى كل مدينة وكل قلعة، وأرسل ذو نواس إلى كل قلعة وكل مدينة شخصًا يقول لهم: إن الموعد في اليوم الفلاني سوف تأتي إليكم أبقار سود فاقتلوها جميعها، وقتل الجنود جميعًا في ذلك الموعد، وحينما وصل الخبر إلى النجاشي عين سبعين ألف رجل مقاتل بقيادة أبرهة، وأرسلهم إلى اليمن ليستولوا عليها، ويقتلوا الخلق، وحينما علم ذو نواس أن ليست لديه قدرة للمقاومة ركب البحر وأغرق نفسه، واستولى أبرهة على ممالك اليمن وأخضعها لحكمه، ووصل ملك التبابعة لآخره, ومن أول عهد الحارث الرايش حتى هذا الوقت- حسب رواية المقدسي- ألف وستمائة وستون عامًا، وهذا الأمر تم في عهد قباد والد أنوشيروان، والله العالم العادل.

الثاني والعشرون: أبرهة الأشرم

ابن الحسن الصباح[١] وهو صاحب الفيل، حينما استولى أبرهة الأشرم على ممالك اليمن خرب جميع البلاد، وأهلك الخلق وجعل نساءهم وأبناءهم أسرى وعبيدًا ولم يرسل من هذه الغنائم التي استولى عليها شيئًا قط إلى النجاشي، فجهز النجاشي جيشًا وأمر عليهم شخصًا يدعى أرباط ليستخلصوا اليمن من يد أبرهة واشتعلت الحرب بين أبرهة وأرباط، وقتل أرباط، وحينما وصل الخبر إلى النجاشي أقسم بالمسيح ليسفكن دماء أبرهة وينزع شعر جبهته، وساق الخيول إلى أرض اليمن، وحينما وصل هذا الأمر إلى أبرهة تغلب الخوف عليه فأرسل الهدايا والتحف الكثيرة وتضرع للنجاشي واستجداه، ومن الخوف وضع دمه في زجاجة، وقص شعر ناصيته ووضع تراب اليمن في حقيبة (ومعنى ذلك)[٢]: أن هذا هو دمي، وضع أقدامك على أرض اليمن، وحينما وصل هذا كله إلى النجاشي رضي عن أبرهة ، وحينما استقر الملك

---

(١) هو أبرهة الأشرم بن يكسوم كما ذكر في مروج الذهب للمسعودى. (المترجم).
(٢) أضفت "ومعنى ذلك" وهي ليست موجودة بالنص حتى تتضح العبارة. (المترجم).

لأبرهة بنى كنيسة باسم النجاشي لم يوجد مثلها في الدنيا، وأمر الناس أن يحجوا إليها ويتركوا الكعبة.

وأطلق على الكنيسة اسم دار اليعس[١] ونزلت قافلة عربية إلى جوار دار العيس، وما بقى من نيران هذه القافلة حملته الرياح بالقرب من دار العيس فاحترقت جميعها، فأقسم أبرهة أن يهدم الكعبة، فقاد جيشًا، وأحضر الفيلة فتفرق أهل مكة، واستولى أبرهة على مواشي مكة جميعًا وكان من بينها مائتا ناقة أخذها من عبد المطلب جد المصطفى- صلى الله عليه وسلم- فذهب إليه عبد المطلب وعظمه أبرهة تعظيمًا كثيرًا.

وقال في نفسه: إن كان سيتشفع من أجل البيت الحرام فسوف أقبل شفاعته وسأله أبرهة ما حاجتك حتى أفي بها وأقضيها لك؟ فقال عبد المطلب: إنني أنا رب الإبل وليس لي حاجة أكثر من هذا. هذا البيت له رب يحميه، وهو يعلم، وسوف يحفظ بيته إذا شاء وأراد، فرد أبرهة عليه الإبل.

وفي الصباح الباكر ركب الجيش، وكان لأبرهة فيل يدعى محمود وساقه أمام الجيش ليذهب رأسا إلى الحرم، ولكن الفيلة وقفت في مكانها ورجعت متجهة صوب اليمن ولم تضع أقدامها في الحرم مطلقا، فأرسل عليهم الحق- تبارك وتعالى- طيرًا أبابيل من جانب البحر فأهلكت جيش أبرهة كله ولم يبق له أثر، وتفشى مرض الجذام في جسد أبرهة وهلك حينما رجع إلى اليمن.

ومدة مُلك أبرهة هو وولداه يكسوم ومسروق حتى آخر ملك الحبشة في اليمن ثلاث وسبعون سنة، وفي هذا العام ولد سيد الأنبياء- عليه السلام، وفي هذا الوقت كان ملك نوشروان العادل عليه ما هو الأليق من الله.

---

(١) ذكرها صاحب طبقات ناصري دار اليعس، ثم ذكرها بعد ذلك دار العيس، ولكن الطبري وابن خلدون ذكروا أنها كانت تسمى القليس (المترجم).

الثالث والعشرون: يكسوم

ابن أبرهة حينما ذهب أبرهة إلى النار وبئس المصير كان له ولدان: أحدهما يكسوم، والآخر مسروق، ووالدة هذين الولدين في الأصل كانت امرأة ذي يزن، ولم يكن هناك في كل بلاد اليمن والعرب والحجاز أجمل وأبهى منها، وكان زوجها من أبناء تبابعة اليمن اسمه قباط، وكنيته: أبو مرة، ولقبه ذو يزن، وكان ينتسب لملوك حمير، وفسد حاله بسبب تحول الزمان.

وحينما سمع أبرهة عن صفاتها هدده بالقتل وطلق منه امرأته وأخذها، وكان لهذه المرأة من ذي يزن ابن يدعى سيف، ومن أبرهة ولدان: أحدهما يكسوم والآخر مسروق، وحينما توفي أبرهة صار يكسوم ملكًا وصارت اليمن كلها له على درب والده وعدل مع الرعية، وضبط البلاد، وسيَّر دفة الملك والبلاد أربعة أعوام.

الرابع والعشرون: مسروق

ابن أبرهة جلس على العرش بعد الوالد، وضبط ممالك اليمن تحت حكمه، وفي الوقت الذي أخذ والده أبرهة أمه من ذي يزن، ذهب ذو يزن مستغيثًا إلى نوشيروان، فأنزله نوشيروان منزلاً ومكرما وبعد عشرة أعوام توفي هناك، وكان سيف ابنه يعرف نفسه بأنه ابن أبرهة حتى نشبت خصومة ذات يوم بين مسروق وسيف، فقال له مسروق: لعن الله أباك، فذهب سيف لوالدته وسألها عن أمره وأمر والده، وحينما أخبرته، ذهب إلى نوشروان فأنزله نوشروان منزلاً عزيزًا وبعد التفكير والرأي والتدبير بعث معه ثمانمائة رجل من المحبوسين المحكوم عليهم بالقتل فتخلص منهم وأرسلهم عونًا ومددًا معه وعلى رأسهم شيخ في الثمانين من عمره يدعى وهرز لا يستطيع أحد أن يرمي بالسهام في العجم مثله، فجعله نوشروان أميرًا عليهم، وأرسله إلى اليمن مددًا

لسيف ومات مائتا رجل في سفينتين غرقا، والستمائة الباقون قدموا مع وهرز، وانضم إليهم من حمير خمسة آلاف رجل، وحاربوا مسروق؛ فقتلوه واستولوا على اليمن، ثم سلموها لسيف بن ذي يزن، وقتل مسروق والله أعلم.

الخامس والعشرون: سيف بن ذي يزن

حينما صار سيف ملكًا ضبط ممالك آبائه، وسلك مع الرعية مسلكًا حسنًا، وسار في طريق الحق والعدل، وأطاعه الخلق في بلاد اليمن والأطراف، وقتل جميع أعيان الحبشة وأكابرها، ولم يدع منهم شخصًا قط إلا الأراذل التي اتخذتها هذه الجماعة عبيدًا لهم وكانت لهم أعمال أخرى. وحينما مضت مدة من ملكه كان ذات يوم في المصطاد وكان الأحباش يحملون الحراب أمامه، فانتهز أحدهم الفرصة بأن وجده وحده فسدد له حربة فقتله، والسلام.

السادس والعشرون: وهرز العجمي

حينما قتل سيف بن ذي يزن، كان وهرز وجماعة العجم الذين أرسلهم نوشروان لمدده ظلوا هناك، وجميعهم كانوا طوع يمينه، وخدمهم سيف خدمات كثيرة لدرجة أن أمر وهرز كان نافذا على سيف وعلى جميع اليمن، وفي حادثة سيف كتب وهرز لنوشروان، وجاء الأمر من نوشروان: أن اقتل جميع الخدم الأحباش من شيوخ وشباب وكبير وصغير، ويكون وهرز الملك فامتثل للأمر وأخلى بلاد اليمن جميعها من الأحباش تمامًا. وظل أربعة أعوام ملكًا على اليمن ثم توفي.

السابع والعشرون: مرزبان بن وهرز العجمي

كان رجلاً شجاعًا جلدا مشهورًا، وبأمر نوشروان صار ملكًا بعد أبيه في اليمن، وضبط الأمور وسير أمور الملك حتى توفي، وكان له ابن يدعى سبحان بن مرزبان بن وهرز صار بأمر نوشروان ملكًا، وحينما مضت مدة

توفي هو أيضًا، وكان له ابن يدعى حرحسر جلس على عرش اليمن، وانتهى ملك نوشروان، وجلس هرمز على العرش. وحرحسر هذا ابن سبحان بن مرزبان بن وهرز الذي كان في مملكة اليمن وشق عصا الطاعة على هرمز، والله أعلم بأعماله وأحواله.

الثامن والعشرون: باذان الملك المسلم

وأرسل هرمز جيشا وقبض على حرحسر وأعطى اليمن إلى باذان، وصار باذان ملكا على اليمن، فأدرك عهد نبوة محمد- عليه الصلاة والسلام والتحية، وأسلم وأرسل المصطفى- صلى الله عليه وسلم- معاذًا بن جبل إلى اليمن حتى يعلم باذان وأهل اليمن الإسلام- رضي الله عنهم أجمعين، وبعد ذلك تعلم ملك اليمن في مدرسة الإسلام، وبعد ذلك صار ملك اليمن في أيدي ملوك المسلمين وأمرائهم إلى يومنا هذا. والحمد الله على الإسلام، وصلى الله على محمد وآله عليهم السلام، والله أعلم بالصواب.

الطبقة السابعة :

الطاهريون ملوك الاسلام في العجم

الحمد لله المقدس الطاهر الغالب القاهر. والصلاة على محمد صاحب البرهان الظاهر، وعلى آله الزاهر وسلم تسليمًا كثيرًا كثيرًا.

يقول أضعف عباد الله سبحانه وتعالى، منهاج السراج الجوزجاني عصمه الله عن الميل إلى الزائل والفاني:

هذه الأوراق صورة عن ملوك الطاهريين، وتنسبهم بعض الروايات إلى الملك منوچهر، وكما ذكرنا فإن هذه النسخة لا تخلو من ذكرهم والله المستعان .

وهو الحسن[1] بن الطاهر بن مصعب بن زايق بن أسعد بن أسد بن رشد بن يلد بن باذان بن ماي بن خسرو بن بهرام . وماي بن خسرو أول من أسلم على يد علي رضي الله عنه، وسماه أسعد، وهو ابن بهرام ريز بن موت بن رستم بن السديد بن روسان بن برسان بن جورك بن گرشاسپ بن أشراط بن أسهم بن تورك بن أتشب بن شيدسپ بن أدرشب بن طوح بن روشيد بن منوچهر الملك. رحم الله المسلمين منهم.

وكان ملوك الطاهريين ذوى علم وعدل، وكانت بداية دولتهم في عهد أمير المؤمنين المأمون، ولقد ظهرت مشاحنات في خراسان، فأرسل الخليفةُ الأمين عَلِيَّ بن عيسى بن ماهان إلى خراسان لصد المأمون، فذهب بجيش جرار في شهور سنة خمس وتسعين ومائة، وأرسل المأمون هرثمة بن أعين ليحارب أمام علي بن عيسى، كما جعل طاهر بن الحسين في المقدمة بحكم

---

(1) هكذا وردت عند كاتب الطبقات، ولكنه الحسين كما جاء في جميع كتب التاريخ، ولعل هذا خطأ الناسخ، بدليل أنه كتب الحسين بعد ذلك. (المترجم).

المصلحة التى رآها. وكان الفضل بن سهل وزير المأمون، فأعطى اللواء لطاهر، وقال: قد عقدنا لك لواءً لا يحل ثلاثين سنة، وهكذا كان، فمُلْكُ الطاهريين تجاوز الثلاثين بعدة أعوام، وعلى بعد فرسخين من الرَّي قدم طاهر بأربعة عشر ألف فارس، وقيل: خمسة عشر ألفًا، والتقى على بن عيسى بن ماهان الذى قدم بصحبة خمسين ألف فارس فقتله طاهر وأرسل رأسه للمأمون، وفتح جميع جبال العراق وواسط، واستولى على الأهواز وقدم إلى أبواب بغداد، واستمر طاهر يحارب عامًا كاملا، وقبض على الأمين وقتله وأرسل رأسه إلى المأمون مع البردة والقضيب والخاتم بيد ابن عمه محمد بن الحسن بن مصعب، وكانت تلك الحادثة وهذا الفتح فى الخامس والعشرين من محرم سنة ثمان وتسعين ومائة، ورحم الله الجميع الكاتب والقارئ والداعي، وأدام الله الدولة السلطانية الناصرية المحمودية[١].

الأول: طاهر ذو اليمينين

يقول صاحب تأليف القصص نابي الهيصم وكنيته أبو الحسن واسمه الهيصم بن محمد النابى رحمه الله: حينما عزل أمير المؤمنين المأمون غسان بن عباد عن إمارة خراسان، أعطى ولاية خراسان والعجم للأمير طاهر، وجدهم كان يدعى فى الجاهلية فرخ، وقد أسلم على يد طلحة- رضي الله عنه- فسماه أسعد، وكان له ابن أسماه مصعبًا، ومصعب هذا كان يعيش فى فوشنج[٢]، وحينما ظهرت الدعوة لبني العباس كان مصعب أحد النقباء والداعين لهذه

---

(١) نسبة للسلطان محمود بن ألتتمش، الذي كان يعيش الكاتب في كنفه. (المترجم).

(٢) فوشنج: وتذكر في المصادر الفارسية پوشنگ، وهي مدينة تاريخية تقع في الطرف الجنوبي الغربي لنهر هري رود بالقرب من مدينة هرات بأفغانستان، وهي مدينة طاهر بن الحسين المعروف بطاهر ذي اليمينين قائد قوات المأمون ضد الأمين، وقد خرب تيمورلنگ هذه المدينة، ولكنها لا تزال باقية. (المترجم).

الدولة، ورزق بولد أسماه حسينًا، وحسين هذا كان لـه الأمر فـى فوشنج وكـان واليًا، وطاهر هو ابنه، وهذه الفتوح التي ذكرناها تمت على يديه، وحينما قدم المأمون إلى بغداد أرسله إلى الرقة[1]، لمحاربة نصر بن شيث، وبعد ذلك قدم إلى خراسان وتوفى طاهر فى شهور سنة سبع ومائتين، وخلفه طلحة بن طاهر، ويقول الراوى: إن طاهرًا خطب الجمعة ونسي اسم المأمون في الخطبة وربما تركه عمدًا، وحينما رجع إلى منزله فى المساء وجدوه ميتا فى مرقده فجر السبت، ولم يعرف كيف تم هذا، والله على كل شيء قدير.

الثاني: طلحة بن طاهر

وحينما أخبر أمير المؤمنين المأمون بموت طاهر، أرسل إلى طلحة مرسوم الولاية والعهد والتشريف، وظل طلحة في إمارة خراسان حتى شهور سنة ثلاث عشرة ومائتين، وحينما اقتربت وفاته أوصى بالإمارة لمحمد بن الحسين بن مصعب الطاهري ابن عم طلحة. وتوفى طلحة، وفي حياته قامت حروب ومعارك كثيرة بينه وبين حمزة الخارجي الذى خرج من سيستان، وفي عهده أيضًا ظهرت آثار خير كثيرة فى خراسان فى دولة المأمون.

الثالث: عبد الله بن طاهر

حينما توفى طلحة أعطى المأمون إمارة خراسان لعبد الله بن طاهر، وكان قد جعله أميرًا على مصر، والمأمون هو الذى رباه فى حجر الخلافة وفى كنف دولته، وعلمه الفضائل والآداب، وفى سن السابعة عشرة أمره أن يتولى قيادة جيوشه ففعل، وفي العشرين من عمره رجح جميع الخلائق فى الفضل

([1]) وهي مدينة في العراق على شاطئ الفرات (المترجم).

والرجولة والجلد. وفى هذا الوقت أعطاه إمارة خراسان، وأمر أن يكون خليفته علي بن طاهر الذى كان قائد جيوش دار الخلافة لدفع المفسدين، وقمع الخوارج أما ترتيب أمور الدولة، فكان من الواجب أن يكون النهوض به لعبد الله، وفى هذا الوقت كان عبد الله فى دينور[1]؛ ليدرأ خطر بابك الخرمي[2]، فأمر أمير المؤمنين أن يحضر عبد الله إلى خراسان، وحينما وصل إلى نيشاپور، كانت مدة قد مضت ولم تَجُدْ السماء بأمطار تنزل على الأرض، وفى اليوم الذى حضر فيه عبد الله، نزلت أمطار الرحمة إلى الأرض، وتفاءل الناس خيرا بهذه الأمطار، وكان عبد الله قد بنى قصورًا لنفسه ولأتباعه فى شادياخ[3] نيشاپور، وقمع عبد الله الخوارج وأقام العدل، واستن سننًا حسنة، وعدل وأنصف، وكان يحب العلم حبًا عظيمًا، لدرجة أنه طلب من الإمام أبى عبيد القاسم بن سلام أن يشرح له غريب الحديث برأيه، وتقديرًا لهذا أرسل له مائة ألف درهم فضة، وخلعًا وافرة، وجعل أمير المؤمنين المأمون جميع بلاد العجم تحت حكم عبد الله بن طاهر، وتوفى المأمون، فوافق أمير المؤمنين المعتصم على قرار المأمون وأمر له بجميع ملك العجم، وظل هذا الأمر حتى عهد الواثق بالله، والسلام على من اتبع الحق والهدى.

---

(1) دينور: مدينة بالقرب من كرمان شاه، ويفصلها عن همدان عشرون فرسخًا. (المترجم).

(2) كان والد بابك الخرمي بائع زيت في المدائن، وقد ولد بابك في بلال آباد بأذربيجان، وقد رفع راية العصيان على الدولة العباسية، وظل يقاوم جيوش الخلافة من ٢٠١هـ حتى ٢٢٣هـ، وسمى العرب أتباعه المحمرة يعني من يتشحون بالحمرة، وعين الأفشين لحربه من قبل المعتصم، وفي عام ٢٢٣هـ قبضوا عليه، وساقوه إلى بغداد، وأمر المعتصم فقطعوا رأسه وأرجله، وأرسلوا رأسه إلى خراسان، وعلقوا جسده في سامرا. (المترجم).

(3) شادياخ: ناحية مشهورة في نيشاپور كان بها قصر عبد الله بن طاهر وبستانه. معجم البلدان، جـ ٣، ص ٣٠٥. (المترجم).

الـــرابع: طاهر بن عبد الله

توفى الأمير عبد الله بن طاهر- رحمة الله عليه- فى عهد أمير المؤمنين الواثق بالله فى شهور سنة ثلاثين ومائتين، وكانت مدة ملكه فى ممالك العجم سبعة عشر عامًا، كانت مدة عمره مثل عمر أبيه ثمانيَ وأربعين سنة، وحينما اقتربت وفاته، جعل ابنه طاهرًا بن عبد الله خليفة على خراسان، وأرسل إليه أمير المؤمنين الواثق بالله العهد واللواء من دار الخلافة، والتمس أخوته أن تكون لهم أعمال خراسان وحكم الولايات، فولاية نيشاپور أعطاها لشقيقه مصعب، وتوفى أمير المؤمنين الواثق بالله إلى رحمة ربه في ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، وجلس المتوكل على كرسي الخلافة فأقر طاهرا على حكم بلاد العجم، وبعد أربعة عشر عامًا وثلاثة أشهر استشهد المتوكل على أيدي الأتراك، وجلس المستنصر على كرسي الخلافة مدة ستة أشهر، وبعد ذلك خلفه المستعين بالله، وفي شهور سنة ثمان وأربعين ومائتين أرسل العهد واللواء إلى طاهر بن عبد الله، وانتقل الأمير طاهر في هذا العام إلى رحمة الله تعالى، رحمة الله على جميع المسلمين والمسلمات.

الخامس: محمد بن طاهر

عُرف الأمير محمد بن طاهر بالأدب والشعر والفضل، وكان يميل إلى اللهو والطرب، أعطى ولاية طبرستان لعمه سليمان بن عبد الله بن طاهر، وفي شهور سنة إحدى وخمسين ومائتين خرج الأمير الحسن بن زيد العلوي في طبرستان، وكان سيدا وأديبًا وشاعرًا وفاضلا، وفتح بلاد الديلم وگيلان التي كانت دارا للكفر، وأسلم أهل تلك البلاد على يديه، فبعث محمد بن طاهر بجيش كبير من قصبة ملكه إلى طبرستان بقيادة عمه سليمان بن عبد الله بن طاهر،

ولكن هزمه الأمير الحسن بن زيد العلوي؛ فذهب سليمان بن عبد الله بن طاهر إلى الرَّي، ومن الرَّي ذهب إلى بغداد، حيث صار قائد الشرطة في بغداد، وفي هذا الوقت خرج يعقوب بن الليث من سيستان، واستولى على أجزاء من الجروم[1] وزابلستان، ثم قدم للاستيلاء على خراسان في شهور سنة تسع وخمسين ومائتين والسبب في ذلك: أن أعداءه أحمد وفضل أخوي عبد الله السجزي قدما من بلاد النيمروز بأمان محمد بن طاهر، وقد طلبهما يعقوب بن الليث من الأمير محمد بن طاهر، ولكنه لم يعطيهما له. وحينما قصد يعقوب بن الليث نيشاپور، وأصبح قريبًا، أسرع أحمد وفضل إلى باب قصر الأمير محمد بن طاهر ليعلماه بمقدم يعقوب بن الليث، فقال لهما الحاجب: إن الأمير نائم وليست هناك فرصة لإبلاغه فرجعا، وقالا: إذن من هو الشخص الذى يمكن أن يوقظ الأمير؟.

وحينما رجعا قدما إلى عبد الله بن صالح السجزى وقصا عليه ما جرى، فعرف عبد الله السجزي أن الأمير محمد بن طاهر غافل، وأن دولته شارفت على النهاية، فذهب عبد الله السجزي إلى الري، وأرسل أحمد وفضل إلى والى الري، وذهب هو إلى الأمير الحسن بن زيد العلوى في طبرستان، ووصل يعقوب بن الليث بالقرب من نيشابور إلى فرهادگرد[2] فأرسل محمد بن طاهر رسولا إليه اسمه إبراهيم بن صالح المروزي، وأعطاه رسالة يقول فيها: كيف تأتي دون أمر أمير المؤمنين؟ وإذا كان لديك المنشور أظهره، حتى نمتثل

---

(1) يقصد مناطق گرم سير أي المناطق الحارة. (المترجم).

(2) قصبة بين هرات ونيشاپور، وهي الآن قرية على بعد فرسخ من مدينة مشهد الإيرانية (حواشي حبيبي ص ١٩٥). (المترجم).

للأمر، وحينما قدم الرسول إلى يعقوب بن الليث وأعطاه الرسالة مد يعقوب يده تحت المصلى وأخرج السيف ووضعه أمام الرسول، وقال له: هذا حجتي وبرهاني.

ولما كان إبراهيم بن صالح رسولاً فقد رجع، وصار أهل نيشاپور جميعًا مع يعقوب، وسلموا له الأمير طاهرًا، ووصلت دولة الطاهريين إلى النهاية يوم الأحد الثالث من شوال سنة تسع وخمسين ومائتين.

حكـــــاية

سخاء محمد بن طاهر بن عبد الله- عليه الرحمة- جاءت في روايات الأفاضل كما يلي: كان في نيشاپور شخص من أفاضل العصر يُدعى محمود الوراق، كانت لديه جارية تعزف على العود في غاية اللطف والكمال، ووصل إلى أسماع محمد بن طاهر الحديث عن جمال هذه الجارية، وحلو طبعها، وجمال نظمها، وأنها تنظم شعر الغزل وتنشده وتعزفه على العود، فمال قلبه إلى وصالها، ومرات طلب من محمود الوراق هذه الجارية بمنتهى الأدب والكمال، ولكن لم يتيسر له هذا بأي صورة، فقد كان محمود الوراق أسيرًا لعشق هذه الجارية، وكانت تدعى راتبة، وحينما مضت مدة بذل محمود الوراق كل أمواله وثروته لها، ولم يبق لديه شيء، فأرسل محمود الوراق شخصًا إلى الأمير طاهر أن تفضل وتعال لأبيع لك الجارية.

وحينما وصلت هذه الرسالة إلى محمد بن طاهر سر سرورا بالغا، وفرح فرحًا شديدًا، وأمر أن يحضروا أربعة عشر بدرة من الفضة وأعطاها للخادم،

ونهض هو، وعن طريق القصر وصل إلى منزل محمود، وحينما جلس وقعت عين محمود على الفضة والذهب وشاهد هذا الأمر قال لراتبة: يا راتبة ارتدي ملابسك واستعدي لخدمة الأمير، فقد بعتك له، وحينما سمعت الجارية هذا الكلام استولى عليها البكاء لدرجة أن محمد بن طاهر سمع صوت بكائها، فقال محمود لها: يا راتبة: ما سبب البكاء والتضرع؟ قالت: يا مولاي: هل هذا آخر أمري وآخر أمرك أن تبعدني عنك؟ فقال محمود: إنني أفعل هذا كله عشقًا وحبًا لك، ولما لم يبق فى يدي المال لكي ترتاحي وتسعدي فسوف أرسلك إلى قصر الأمير لتقضي بقية العمر في نعمة وفي راحة ، فأجابت الجارية: إذا كنت تفعل هذا من أجلي فلا تفعل هذا، إنني أقبل أن أظل معك باقي عمري، وأكسب المال بعمل يليق بالنساء، وسوف أنسج الأردية والأمتعة وأكفي نفسي وأكفيك، فقال محمود الوراق: إذا كان الأمر كذلك فأنت حرة لوجه الله، وسوف أعقد عليك وأتزوجك بمهر هو تسعة عشر دينارًا ونصف.

وحينما سمع محمد بن طاهر مناظرة العشق بين محمود الوراق والجارية نهض، ووضع يده على ملابسه، وقال: إن الأربعة عشر بدرة الفضة لكما، وقال: ما لكما إن فعلتما ذلك، فإن المال لكما[1].

لقد وهبتكما كل هذه الأموال فاقضيا عمركما في راحة ودعة ثم رجع، ولكن بقي ذكر سخائه وكرمه وعطائه. فليبق الحق تعالى دولة ملك ملوك العالم ناصر الدنيا والدين وسلطنته والسلام على أهل الإسلام.

([1]) هذه العبارة وردت كما هي باللغة العربية فآثرنا أن تظل كما هي (المترجم).

الطبقة الثامنة:

الصفاريون

بسم الله الرحمن الرحيم

له السلطان والديمومة أزلا وأبدا، لا يشاركه في الألوهية أحد، ولم يتخذ ولدا. والصلاة على محمد وآله، ولو قلنا بمثل الرمال عددا ومددا[1].

هاتان الصفحتان من تاريخ ابن الهيصم النابي أوردها الداعي الضعيف بحق والمحتاج منهاج السراج عفا الله عنه وعفاه؛ حتى لا تخلو هذه الصحائف اللطيفة من نكات أحوال الصفاريين، آملين في دعوات كل من يقرؤها، يقول الراوى: يعقوب بن الليث، وعمرو بن الليث، وعلي بن الليث، ومعدل بن الليث كانوا أربعة إخوة، وهم أبناء الليث الصفار، وكان كبير صفاري سجستان، وكان والي سجستان من طرف محمد بن طاهر أمير خراسان هو: إبراهيم بن الحصين، وإبراهيم هذا نصب على سجستان صالح بن النضر[2]، وكان الليث الصفار رجلا غنيًا له موالٍ وتبع كثيرون.

الأول: يعقوب بن الليث

يقول منهاج السراج : وصلت إلى سجستان في شهور سنة ثلاث عشرة وستمائة فى عهد ملك النيمروز شاه غازي يمين الدين بهرامشاه بن الملك الكبير تاج الدين حرب بن عز الملوك محمد- نور الله حفرتهم، فرأيت موضعا في جنوب مدينة سجستان يسمونه باب الطعام، وهو خارج المدينة، ويسمون هذا

---

(1) هذه الجمل عن الحق سبحانه وتعالى وردت باللغة العربية من إنشاء المؤلف. (المترجم).

(2) ورد في جميع كتب التاريخ صالح بن النضر، ولكنه ورد في طبقات ناصري صالح بن النصر، ولعل هذا خطأ من الناسخ ولهذا كتبنا اسمه النضر كما ورد في المصادر. (المترجم).

الموضع ريگ گنجان وبجوار هذا الموضع وفوق تل كان يوجد قصر خرب، ويذكر جملة من الثقات: أن يعقوب بن الليث وأشقاءه وأتباعه ومواليه كانوا يأتون إلى هذا المكان مرة كل أسبوع، وكما هو معروف من سلوك الشباب كانوا ينصرفون إلى اللعب واللهو والفرجة، وكانوا يلعبون لعبة الأمير والوزير وذات يوم خرجوا كالعادة، وصار يعقوب أميرًا في اللعبة، ووضع لكل شخص من مواليه وأقربائه وإخوته اسمًا من أركان الملك، وذات مرة كان صالح بن النضر أمير سجستان راجعًا من الصيد مع عدد من فرسانه فرأى جماعة فوق هذا التل فأمر أحد خدامه أن يتفحص هؤلاء الجماعة من هم، وحينما وصل هذا الخادم إلى أعلى وشاهد هؤلاء الجماعة تحيَّر، فقد استقبله جماعة من الشباب فأجبروه على الترجل، وذكروا له أن الملك يجب الترجل في خدمته، فاضطر خادم صالح بن النضر لأداء الخدمة، ثم رجع وروى حكاية هذا الوضع لصالح بن النضر، وكان صالح يميل للهزل بطبيعته، فقال: نذهب ونرى، ماذا يفعل هؤلاء الشباب؛ فصعدوا واقتربوا من الشبان، فلم يتحرك يعقوب بن الليث من مكانه، وأمر أن أحضروا الأمير صالحًا للخدمة فاستقبله الشباب حسب أمره، وجعلوا الأمير صالحًا يترجل وأجبروه فأدى التحية، ولما كانت أيام عمره ودولته قد وصلت إلى مغربها، وطلع صبح الدولة الصفارية أشار يعقوب بن الليث أن أمر الأمير صالحًا يجب أن ينتهي، فقتلوا صالحًا في الحال، وركب يعقوب لتوه وأمسك من كان معه من الجمع بأسلحتهم وقدموا بمنتهى السرعة إلى جانب المدينة، وجلس يعقوب في قصر الإمارة، وكانت هذه الحادثة في الظهيرة، ولم تأت صلاة العصر إلا وكان ملك سجستان كله قد استقر له.

وانقاد الجميع له، وكان أمر الله قدرًا مقدورًا فأظهر سره، ثم أمر يعقوب فجعلوا الخطبة باسمه، وهذا الأمر وهذا الفتح تم سنة إحدى وخمسين ومائتين، وبعد ذلك، ومن هذا المكان، قاد الجيوش إلى بست وزاولتسان وبلاد الداور وغزنين، واستولى عليها جميعها، ومن هناك ذهب إلى طخارستان[1] وبلخ واستولى عليهما، ورجع من هناك إلى كابل، وكان هذا الفتح في شهور سنة ست وخمسين ومائتين، ثم ذهب إلى سجستان، ثم إلى هراة، واستولى عليها بعد قتال شديد، وبعد ذلك استولى على بادغيس[2] وفوشنج، وجام وباخرز، ثم رجع إلى سجستان.

وبعد ذلك قاد جيشًا إلى نيشابور، واستولى عليها دون حرب عام تسعة وخمسين ومائتين، وأسر محمد بن طاهر بن الحسين مع كل خزائنه وأتباعه، ثم ذهب عمرو بن الليث إلى گرگان وطبرستان وأخذ أموالا طائلة ثم رجع، وجعل شقيقه عمرو بن الليث واليًا على هرات، وفي سنة إحدى وستين ومائتين أخرج أحد الأمراء في هذا الوقت محمد بن طاهر وخلصه من قيده وأسره، فذهب إلى أمير المؤمنين الموفق بالله، فجرَّد يعقوب مرة أخرى جيشًا إلى العراق وأثناء

---

(1) طخارستان: هي محافظة طخار الحالية بأفغانستان وتقع في الشمال وعاصمتها تالقان وتكتب بالتاء والطاء. (المترجم).

(2) بادغيس: هي الآن محافظة من محافظات الغرب في أفغانستان عاصمتها بادغيس وينسب إليها الشاعر حنظلة البادغيسي، وقد سبق التعريف بها. (المترجم).

رجوعه من العراق وصل إلى موضع يسمونه جنديشاپور، وفى سنة خمس وستين ومائتين توفى بعلة القولنج، وكانت مدة ملكه أربعة عشر عامًا، والسلام.

الثـــــاني: عمرو بن الليث

حينما توفى يعقوب بن الليث الصفار، واستراح من دار الفناء بدار الآخرة، كتب شقيقه عمرو بن الليث إلى أمير المؤمنين بالطاعة والامتثال، وطلب منه ولاية فارس وگرگان وسجستان وخوراسان[1]، وأجيب إلى ملتمسه من حاضرة الخلافة، ورجع عمرو من جبال العراق بجيشه ورجع شقيقه إلى سجستان، ومن هناك اتجه إلى هراة، وكان هذا في شهور سنة ست وستين ومائتين، ومن هناك ذهب إلى نشاپور[2]، أما الخجستاني- وهو أحد أمراء محمد بن طاهر وقد خلصه من أيدي الصفاريين- فكان بگرگان في هذا الوقت فرجع إلى نشاپور قبل عمرو، واتصل به رافع بن هرثمة من مرو، ووقعت الحرب بينهم وبين عمرو في نشاپور، وهُزم عمرو ورجع إلى هرات، فعزل أمير المؤمنين الموفق بالله عمرو بن الليث عن إمارة خراسان، وذلك في شهور سنة إحدى وسبعين ومائتين، وأعطى محمد بن طاهر بن عبد الله جميع البلاد وأطراف الممالك التي كانت مع عمرو، وكان محمد بن طاهر بن عبد الله في بلاط الخلافة في بغداد، فأمر الخليفة أن تكون الإنابة فى إمارة خراسان لرافع بن هرثمة، وأن تكون ما وراء النهر لأحمد الساماني نائبا أيضًا عن محمد بن طاهر. ووقعت واقعات كثيرة بين عمرو بن الليث وهرثمة، وفي هذا الوقت

---

(1) خوراسان: هكذا وردت في الأصل ويقصد خراسان، وقد ورد اسمها خوراسان في كثير من المصادر القديمة. (المترجم).

(2) نيشابور. (المترجم).

أعلن رافع بن هرثمة العصيان لدار الخلافة، وفي شهور سنة أربع وثمانين ومائتين قتل في الحرب التي جرت بينه وبين عمرو بن الليث، فأرسل عمرو بن الليث رأس رافع لدار الخلافة، وفي هذا الوقت وصل مسند الخلافة إلى أمير المؤمنين المعتضد بالله، وأعطى الخليفة لعمرو بن الليث إمارة ما وراء النهر وخراسان والنيمروز وفارس وكرمان والأهواز، وكذلك أعطاه النقابة في قصر الخليفة وشرطة بغداد، وكذلك أمر الخليفة أن يكتبوا اسم عمرو على دروع القادة في دار الخلافة من المراسيم، وأن يكتبوا اسمه على السكة، وأن يذكر اسمه في الخطبة في المدينة والحجاز، وأجيب لكل ما طلبه من دار الخلافة، مع منح الخلع الكثيرة والعواطف والأحاسيس الجياشة.

وحينما وصل نوال الملتمسات من دار الخلافة لعمرو استعد لضبط بلاد ما وراء النهر، فأرسل محمد بن بشير حاجبه في المقدمة مع فوج من الجيش، واتجه الأمير أحمد بن إسماعيل الساماني من بخارى إلى خراسان، وعبر من نهر جيحون، وقدم إلى أبواب بلخ، واشتبك في قتال مع عمرو بن الليث، وقبض عليه وأرسله إلى دار الخلافة، وذهب هو إلى بخارى، وفي شهور سنة ثمان وثمانين ومائتين أمر الخليفة المعتضد فحبسوا عمرًا، وتوفي في محبسه، وفي عام تسعة وثمانين ومائتين انتهى أمر الصفاريين، والله أعلم بالصواب.

الطبقة التاسعة:

السامانيون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله الحنان المنان ذي العظمة والسلطان، والصلاة على محمد صاحب الحسام والبرهان، والسلام على آله وأصحابه سادة أم القرى وقادة البلدان، يقول أضعف عباد الله سبحانه وتعالى منهاج السراج الجوزجاني: بعد ذكر ملوك اليمن وأمراء الصفاريين رأيت أن يكون هذا الفصل مقصورًا على ذكر آل سامان وملوك هذه الأسرة وقد قدمت هذا الجزء في ترتيب الكتاب على جزء ملوك المحموديين والناصريين حتى تكون طبقات هذا التاريخ على النسق والترتيب، ومع أن ذكر ملوك اليمن كان يجب تقديمه بحكم الترتيب، فإنهم لم يكونوا من ملوك الإسلام؛ لذا لم يكن من الأصوب أن يتقدموا على الخلفاء، وبناء على هذا قدمنا الخلفاء، وقد نقلنا ذلك الفصل من تاريخ ابن الهيصم حتى يقر القراء بصحة هذا الاعتماد، وعلى الله التكلان.

يقول الراوى: إن جد السامانيين كان يدعى سامان، وعلى حد قول البعض: فإن اسمه كان غير ذلك إلا أن سامان هي ناحية من نواحي السغد[1]، وجدهم كان رئيسًا لهذا المكان، وكانوا يسمونه سامان خداه، ولكن للاختصار اكتفوا باسم السامانيين حتى صار اسم علم، وكان سامان من أولاد بهرام

---

(1) السغد: تكتب بالسين والصاد. (المترجم).

چـوبين، وكان له ابن فأسماه أسدًا، وكـان لأسد أربعـة أبنـاء هم: نـوح بـن أسـد، ويحيـى بـن أسـد، وإليـاس بـن أسـد، وأحمـد بـن أسـد، وقـد صـاروا جميعًـا ملوكًـا وأمراء، ومن كثرة شهامتهم وجلدهم في العمل عظمت أسرتهم، كان ذلك مرده لأصلهم العظيم، وكان آلبتگين أمير غزنين وسبكتگين من موالي أبنـائهم. لكل واحد منهم في خراسان وما وراء النهر آثار خير عظيمـة، فليجعل الحق تعالى أرواحهم في صدر الجنان، وليخصهم بمزيد من الدرجات المخصوصة آمين يـا رب العالمين والسلام.
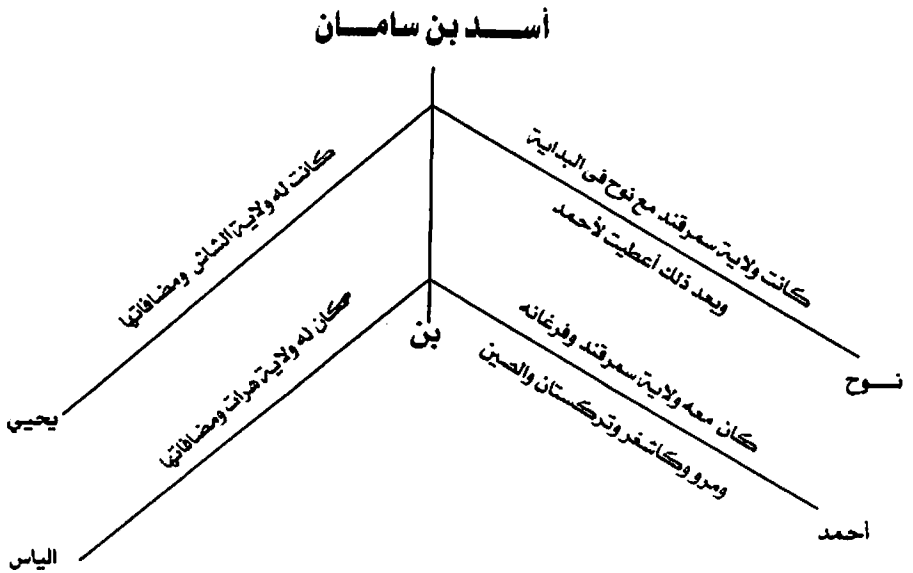
أسد بن ســــامان

اعلم أنه حينما قدم أمير المؤمنين المأمون إلى مرو ورأى كفاءة أولاد أسد بن سامان وشهامتهم، أظهر بشأنهم عطفا وافرا ورفع شأنهم وأعلى درجاتهم، وحينما رجع المأمون إلى بغداد أعطى إمارة خراسان لغسان بن عباد، وأضاف إلى بلاد خراسان بلاد ما وراء النهر، وأعطى غسان بن عباد لكل واحد من أولاد أسد إمارة ولاية، وسلم لهم المدن كما هو موجود بالجدول وإمارتهم كانت فى شهور سنة مائتين وأربع.

وحينما أعطى الخليفة المأمون- أجلّه الله- إمارة خراسان لطاهر بن الحسين أقر الأمراء السامانيين الأربعة على مائتين وأربعين مدينة وولاية كانت معهم، وحينما انتقلت الإمارة من الأمير طاهر ووصلت إلى ابنه عبد الله بن طاهر، أقر إمارة السامانيين كما كانت في عهد والده ولم يدع طريقًا للتغيير، والله أعلم بالصواب.

أحمـــد بن سامـــان

واعلم أنَّ كل أبناء أسد بن سامان خداه الأربعة كانوا عظماء، وكان لكل واحد مكان من بلاد ما وراء النهر وفرغانة وخراسان، كما يجيء فى هذه السطور، إن شاء الله تعالى. فقد أمروا لنوح بن أسد أن يكون على ممالك بلاد سمرقند، وكان جلدا غاية في حسن السيرة، وأمروا أن يكون ليحيى بن أسد ولاية الشاش وأسپيجاب[1] ومضافاتها، وكان هو أيضًا شديد الجلد والحزم، وعمل في هذه البلاد أعمالا كثيرة.

---

(١) أسپيجاب: معربها أسفيجاب، وهي ناحية على حدود التركستان وقصبتها تدعى أسپيجاب. حدود العالم، ص ١١٧. (المترجم).

وكان لإلياس بن أسد ولاية هرات ومضافاتها ونواحيها، وكان هو أيضًا رجلا جلدًا حاذقا. أما أحمد بن أسد فكان أكثر شهامة وأكثر ذكاء وحكمة، وكان لـه بعد شقيقه ولاية سمرقند وفرغانة بأجمعها، وكذلك كاشغر وتركستان والصين، وكان مذكورا ومشهورا بالجد والمبارزة والعقل والذكاء والروية في أطراف ممالك إيران وتوران. وجلس أبناؤه الواحد تلو الآخر على كرسي الإمارة وقد بذلوا، وأعطوا، وأحسنوا لخلق الله، ووصلت أسماء أبنائه إلى جميع الممالك وقد نظم أحد الفضلاء:

تسعة من آل سامان صاروا مشهورين مذكورين معروفين في إمارة خراسان.

إسماعيل، وأحمد، ونصر، والنوحان، وعبدا الملك، والمنصوران[1].

وقد ذكرت نسبتهم على هذا الوجه الذى نكتبه سامان بن حتيمان بن طمغان بن نوشر بن نوشيد بن بهرام بن شوبين[2][3].

أحمد بن سامـــان
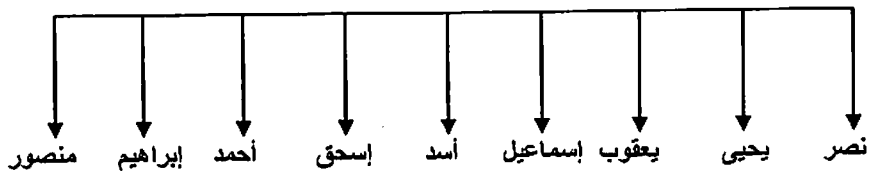
(1) گشته بامارت خراسان مذكور   نه تن از آل سامان مشهور.
اسماعيلي وأحمدي ونصري   دو نوح ودو عبد الملك ودو منصور.

(2) ذكر نسب آل سامان بالتفصيل في كتاب زين الأخبار للجرديزي، الترجمة العربية، ص٢٠٨ للدكتورة عفاف زيدان، طبعة ٢٠٠٦م.

(3) ذكر الأستاذ حبيبي في حاشيته في طبقات ناصري أن المورخين مختلفون في عدد أولاد سامان. حاشية الأستاذ حبيبي ، ص ٢٠٣ . (المترجم).

الثاني: نصر بن أحمد

حينما انتقل أحمد بن سامان في سمرقند من دار الفناء إلى دار البقاء، جعل نصر بن أحمد الساماني خليفة له، وفي عهد الدولة الطاهرية بقيت إمارة هذه الممالك مقررة له، وكان إسماعيل بن أحمد الساماني يقوم بخدمة شقيقه نصر، وفي شهور سنة إحدى وستين ومائتين أعطى ولاية بخارى لإسماعيل، فصار متمكنًا قويًا وعمل أعمالا جليلة، وكان حسن السيرة، ومهَّد قواعد المملكة حتى بلغ أجله، وانقضى عمره، وفي جمادى الآخرة سنة تسع وسبعين ومائتين انتقل إلى جوار رحمة ربه، رحمه الله.

وحينما مكّن للأمير إسماعيل في بخارى وجد جماعة من أصحاب الأغراض طريقًا بينه وبين أخيه الأمير نصر الذي كان حاكمًا عليه، وأخذوا يدسون الافتراءات حتى تغير مزاج الأمير نصر العظيم على شقيقه، فصمم على قمع إسماعيل وقهره، فسار بجيش كثيف من سمرقند إلى بخارى فأرسل الأمير إسماعيل المعارف والمراسيل إلى رافع بن هرثمة بن أعين الذي كان أميرًا على خراسان وأخبره بحاله وحال شقيقه، وطلب المدد والنجدة، فقاد رافع بن هرثمة جيشا جرارًا مجهزًا بآلاته وعدده إلى تلك الجهات، وأصلح ذات البين بين الشقيقين بطريق اللطف والشفقة والمرحمة والتعقل ثم رجع. وظل الأمير نصر في سمرقند ورجع الأمير إسماعيل إلى بخارى، وحينما وصلت هذه المعاني إلى أسماع الأمير نصر أثرت في نفسه وفي طبيعته؛ فاتجه بجيش كثيف إلى بخارى، وخرج الأمير إسماعيل من بخارى واشتبك معه، وتقاتلا قتالا عنيفًا في شهور سنة خمس وستين

ومائتين، وانتصر الأمير إسماعيل على شقيقه الأمير نصر بن أحمد، وحينما هُزم نصر أسر وأتوا به إلى إسماعيل فترجل في الحال وأدى الخدمة بين يدي شقيقه، وطبع قبلة على صدره، وفعل ما يليق من التعظيم والإكبار، فأعادوه إلى حاضرته سمرقند، ثم عاد إسماعيل إلى بخارى يحكمها نائبا عن أخيه، وكانت مدة ملك نصر بن أحمد ثمانية عشر عامًا، الباقي والدائم هو الله عز وجل.

الثالث: إسماعيل بن أحمد

حينما انتقل الأمير نصر بن أحمد الساماني- رحمه الله- من دار الفناء إلى دار البقاء، أعطى أمير المؤمنين المعتضد بالله ولاية ممالك ما وراء النهر وما كان في يد شقيقه الأمير نصر لشقيقه الأمير إسماعيل الساماني، وأرسل له العهد واللواء، وأمسك زمام الأمور بقوة، وصفت له أمور المملكة، وأطاعه كل الأمراء وأشراف الخلق وعوامهم، ولما كان رجلا عالمًا وعادلا؛ فقد تمت على يديه أمور عظيمة، وقد قصده عمرو بن الليث بجيش كثيف، كما يقول ابن الهيصم: كان في جيش عمرو بن الليث في اليوم الذي قدم فيه لحرب إسماعيل سبعون ألف فارس من حاملي الحراب ورماة السهام، وحاملي السيوف والأسلحة الأخرى، وحينما عبر الأمير إسماعيل من نهر جيحون اشتبك مع عمرو بن الليث في بلخ، ومَنّ الحق- تبارك وتعالى- على إسماعيل بالنصر، وهزم جيش عمرو وأسر ورمى في السجن، وأرسل الأمير إسماعيل عمرًا مقيدًا إلى أمير المؤمنين المعتضد بالله، وأرسل أمير المؤمنين العهد واللواء إلى الأمير إسماعيل.

كذلك أرسل المراسيم والعهد لممالك خراسان، حتى صار عظيمًا في جميع ممالك العجم، وبعث أمير المؤمنين المعتضد الأمر إلى الأمير إسماعيل بأن يخلص بلاد طخارستان وگرگان من يد الأمير محمد بن زيد العلوي، ويجعلها تحت سيطرته، فجعل الأمير إسماعيل أحمد بن هارون على مقدمة الجيش، وكان قد أرسله قبل ذلك.

وجرت مقتلة عظيمة بين الأمير محمد بن زيد العلوي والأمير إسماعيل، واستشهد الأمير محمد بن زيد العلوي، وأسر ابنه زيد بن محمد العلوي- رضي الله عنهم- وأتوا به إلى الأمير إسماعيل، فأرسله إلى بخارى معززًا مكرمًا، وأمر أن تهيأ له الأسباب من منزل إلى منزل مروءةً وخدمة وتبركًا وعُلوَ همة، وتوفي أمير المؤمنين المعتضد في ذلك الوقت ولحق بالرفيق الأعلى، وجلس ابنه أمير المؤمنين المكتفي بالله على كرسي الخلافة، فأرسل إلى الأمير إسماعيل العهد واللواء، وضم نواحي العراق والري وأصفهان وديار طبرستان وگرگان كلها إلى خراسان، وأعطى الأمير إسماعيل لأبي صالح منصور بن إسحق الساماني ابن أخيه ولاية الري، وابنه أحمد بن إسماعيل ولاية گرگان، وتوفي ليلة السبت الرابع عشر من شهر صفر سنة خمس وتسعين ومائتين، ولقب بالأمير الماضي، وكانت مدة ملكه ثمانين عامًا[1]، رحمهم الله ولمن دعا للمؤلف والسلطان خلد الله ملكه.

([1]) العبارة باللغة الفارسية (ومدت ملك أوهشتاد سال بود) وترجمتها: وكانت مدة ملكه ثمانين عامًا) وهذا غير حقيقي؛ لأن الأمير نصر توفي عام ٢٧٩هـ وتولى الأمير إسماعيل في العام نفسه، ثم توفي عام ٢٩٥هـ، وبناءً على هذا تكون مدة ملكه ستة عشر عامًا، وفيما يبدو أن هذا الخطأ من الناسخ. (المترجم).

الرابع: أحمد بن إسماعيل

بـــــــن

منصور   نصر   إبراهيم   يحيى
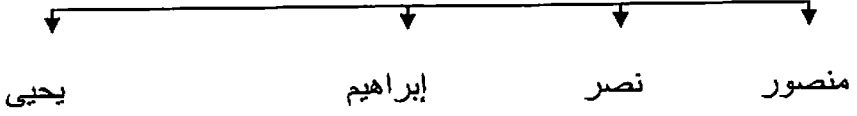
كان الأمير أحمد شديد البطش حازمًا، وبسبب فعلة بسيطة عاقب عدة أشخاص من غِلمانه وقتلهم، أما بقية الغلمان فى القصر فقد تحينوا الفرصة حتى يقتلوا الأمير أحمد؛ فقد كان لدى الأمير أسد مدرب، وكان يربط هذا الأسد بالقرب من مخدعه ومن الخوف منه لا يستطيع أحد أن يقترب من عرشه، وكان هذا الأسد يقوم بحراسته ليلا، وذات مرة ذهب الأمير إلى الصيد، ورجع متأخرًا وكان القصر بعيدًا فلم يصل إلى مكان استراحته المعهود، ونزل في الطريق في موضع، فانتهز الغلمان الفرصة وقتلوه، وكانت هذه الحادثة ليلة الخميس الثالث والعشرين من شهر جمادى الآخرة سنة إحدى وثلاثمائة، فقبضوا على هؤلاء الغلمان، وأتوا بهم إلى بخارى، ولقب بالأمير الشهيد، وفي البداية حينما توفي والده الأمير إسماعيل بن أحمد بايع الجيش والأكابر وأشراف المملكة الأمير نصرًا بن أحمد بن إسماعيل؛ فأرسل الأمير أحمد الأعيان والأكابر إلى دار الخلافة، ومن هناك أرسل له أمير المؤمنين المستكفي بالله العهد واللواء، فنظم الدولة وأعمال المملكة، وفي سجستان أعلن معدل بن علي بن الليث ابن شقيق يعقوب وعمرو العصيان واستشرى الفساد؛ فعيَّن الأمير أحمد بن إسماعيل جيشًا إلى هذه الناحية وهزموا معدلا وقهروه، وأسروه

وقيدوه وأعطى سجستان لابن عمه الذي كان يعتمد عليه أبي صالح منصور بن إسحق بن أحمد الساماني.

وبعد ذلك أعلن أهل سجستان العصيان، وقبضوا على أبي صالح منصور وحبسوه في قلعة الأرگ، وبايعوا عمرو بن يعقوب بن الليث، فجهز الأمير أحمد بن إسماعيل جيشا مرة أخرى، وجعل حسين بن على المروروذى أميرًا عليه، وفي شهور سنة ثلاثمائة ذهبوا إلى سجستان، وحاصروا عمرو بن يعقوب سبعة أشهر حتى طلب الأمان وخرج، ثم عينوا على سجستان سيمجور الدواتي، وفي هذا الوقت استشهد الأمير أحمد حينما ابتعد عن مضجعه، وكانت مدة ملكه ست سنوات وثلاثة أشهر.

الخـــامس: نصر بن أحمد

كان للأمير نصر ولدان: نوح وإسماعيل، وحينما توفي الأمير الشهيد أحمد بن إسماعيل أجلس الأمراء ورجال الجيش والقواد والأشراف- باتفاق العلماء رحمهم الله- ابنه نصر بن أحمد مكانه، وكان الأمير نصر في هذا الوقت في الثامنة من عمره، ويذكر الراوي: أنه في اللحظة التي أخرجوا فيها الأمير نصرًا من القصر ليجلسوه على عرش الإمارة تغلب عليه الخوف الشديد؛ لأنه كان صغيرًا، وكان يبكي ويقول: أين تأخذوننى؟ إنكم تريدون أن تقتلوني، لأنكم قتلتم والدي خلوا سبيلي، وحينما أجلسوه على العرش أنابوا عنه

أبا عبد الله محمد بن أحمد الجيهاني[1]، وكان رجلا عاقلا حسن الرأي، فتح أعماله بالعدل وانتهج سياسة حكيمة، وبدأ بوضع أمور الملك على قاعدة الإنصاف والإحسان، ولصغر الأمير فقد أعلن أمراء الأطراف العصيان، وأول من أظهر العصيان هو عمه إسحق بن أحمد الساماني وابنه إلياس بن إسحق في سمرقند؛ فاستعد الجيش واتجه إلى بخارى، وذهب حمويه بن علي- وهو أحد قادة الأمير نصر- لملاقاتهم، وكان صاحب شجاعة وهمة، فهزمهم، وتعقبهم حتى أبواب سمرقند، وطلب الأمير إسحق الأمان، وأظهر الندم على فعلته فعفوا عنه، وبعد ذلك أعلن العصيان ابن عم أبيه منصور بن إسحق سنة اثنتين وثلاثمائة في خراسان ونيشاپور، وانضم إليه الحسين بن علي والي هراة؛ فوجهوا من بخارى جيشًا لملاقاتهم، وقبل أن يصلوا إليهم توفي منصور في نيشاپور، فرجع الحسين بن علي إلى هراة، وظلّ على عصيانه، وأعلن الحرب والخصومة، وفي النهاية أسر، ولكن شملوه بلباس العفو، وتجاوزوا عنه بشفاعة نائب الدولة محمد بن أحمد الجيهاني، وفي عهده قتل كل من عصاه، أما مَنْ تاب فقد عفا عنه، وكانت إمارة نصر بن أحمد في عهد المقتدر بالله، والقادر بالله، والراضي بالله، وظلت حتى عهد المتقي بالله.

وكان يدين لهؤلاء جميعًا بالطاعة والولاء، وقد وصل إليه العهد واللواء من هؤلاء الخلفاء المذكورين رضي الله عنهم، حتى توفى في رجب سنة إحدى

---

[1] أبو عبد الله بن أحمد بن نصر الجيهاني تولى الوزارة في جمادى الآخرة سنة ٣٠١هـ، وسيرها سيرا حسنا، وكانت وفاته عام ٣٣٠هـ. (المترجم).

وثلاثين وثلاثمائة ولحق بالرفيق الأعلى، ولقب بالأمير السعيد، وكانت مدة ملكه ثلاثين عامًا.

السادس: نوح بن نصر

كان له ولدان: عبد الملك، ومنصور، وكان جلوس الأمير نوح بن نصر على عرش إمارة العجم في الخامس من شعبان سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة، وكانت مدة ملكة اثنا عشر عامًا وثلاثة أشهر، وأرسل أمير المؤمنين المتقي بالله إلى نوح بن نصر العهد واللواء، وقرر له ولاية العجم وخراسان كاملة كما كانت لوالده.

وأمر الأمير نوح أن تكون الوزارة والنيابة وتدبير أموره للإمام شمس الأئمة أبي الفضل محمد بن الحكم السرخسي صاحب مختصر الكافي[1] رحمة الله عليه، وقد بدأ هذا الإمام العلامة أعمال الملك على قواعد العقل والعلم والإنصاف، وجادة الشرع والمعاملة بحيث لم يدع أمرا إلا وبت فيه، حتى إن الأمير نوحًا حينما ذهب إلى مرو سنة اثنتين وثلاثمائة بسبب عصيان عبد الله بن أشكان خوارزمشاه، ساس الوزير الأمور بكفاءة بالغة.

ثم ذهب الأمير إلى مرو مرة أخرى في شهور سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة بسبب عصيان عمه أبي إسحق الذي كان قد هرب إلى بغداد، وأخذ من أمير المؤمنين المستكفي بالله العهد واللواء على خراسان، وأحكم قبضته على

---

(1) ارجع إلى سيرة هذا الإمام في تعليقات الأستاذ عبد الحي حبيبي، طبقات ناصري المجلد الثاني، ص ٣١٧. (المترجم).

ولايات الجبال وخراسان فذهب الأمير نوح إلى مرو لدفعه، وضاق جميع الأمراء والحشم وأرباب السيف ذرعًا من علم شمس الأئمة وعدله، وملوا من وزارته؛ لأنه كف أيدي المعتدين والظالمين، ومنعهم جميعًا، وصد محاولاتهم صدًا كاملا، ولم يسمح مطلقًا لهؤلاء الجماعة أن يصلوا إلى هواهم ومرادهم في الظلم والاعتداء، وكان الأمير نوح محتاجًا إلى الحشم والجيش لدفع عمه الأمير أبي إسحق، وانقسم الجيش بين المخالفة والموافقة لعمه.

وذهب جماعة من قواد الجيش الظالمين أعداء العلم إلى الأمير نوح، وقالوا له: إنَّ كل ضيق الحشم وتشويش المملكة وتفرق أمور الدولة بسبب حكم الوزير شمس الأئمة، فسلمه لنا، وإلا سوف ننضم جميعًا إلى عمك، فاضطر الأمير نوح أن يسلم هذا الإمام إلى هذه الجماعة الظالمة، فأخرجوه، وعلى أبواب القصر سحبوا فرعين متباعدين من شجرة صفصاف عالية، وربطوا أرجله المباركة على الفرعين ثم أطلقوا الفرعين إلى أعلى، فانشطر هذا الوزير العظيم نصفين. وكانت هذه الحادثة سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة، وتوفى الأمير نوح بن نصر في شهور سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة ولقبوه بالأمير العميد[1].

السابع: عبد الملك بن نوح

حينما توفى الأمير نوح بن نصر اتفق جميع الأمراء وقادة الجيش على بيعة ابنه أبي الفوارس عبد الملك بن نوح، وأجلسوه على العرش، فأعطى الوزارة لأبي منصور محمد بن عزيز، وأعطى قيادة الجيش لأبي سعيد بكر بن

---

(1) كان ملقبا بالحميد وليس العميد، وربما يكون هذا خطأ الناسخ، ارجع إلى الجرديزي في زين الأخبار، ترجمة الدكتورة عفاف السيد زيدان، ص ٢١٧.

مالك الفرغاني، وأقام الأمير عبد الملك مصالح الملك على قاعدة الإنصاف الكامل، وسجَّل بالقلم كل ما كان يجب كتابته ووضع الأسس، وعين الولاة في أكناف المملكة حيثما كان يوجد ملوك الطوائف، وصالح أبا الحسن بن بويه على مائتي ألف دينار من الذهب الخالص، وكان هذا الصلح قد أتمه أبو سعيد بكر بن مالك الفرغاني بأمر الأمير عبد الملك؛ لأنه كان قائد جيوشه.

ولكنهم اتهموه بالتقرب للديالمة وآل بويه وقتل، وأسر الوزير أيضًا ثم بعد ذلك قتل، فقد كان كلاهما يميل للدعوة للقرامطة، ثم أسند قيادة الجيوش إلى آلبتگين الحاجب، وفي شهور سنة خمسين وثلاثمائة وقع الأمير عبد الملك من فوق صهوة الجواد في الميدان وقت صلاة المغرب ولحق بالرفيق الأعلى، وكانت مدة ملكه سبعة أعوام وعدة أشهر.

الثامن: منصور بن نوح

حينما انتقل الأمير عبد الملك إلى جوار فضل ربه، اجتمع جميع قادة الجيش ومشايخ الحضرة وتشاوروا: هل يعينون الشقيق الأمير صالح منصور بن نوح أم الابن الأمير عبد الملك؟ وفي هذا الوقت كان آلپتگين الحاجب غائبًا، وكان بينه وبين وزيره على البلعمي[1] موافقة كاملة، فكتب لألپتگين بالحال، وكتب الأمير آلپتگين الجواب: إن الابن أولى بالعرش من الشقيق، وقبل أن يصل الجواب كان الجيش والأمراء والمشايخ قد اتفقوا على تولية الأمير منصور بن نوح الشقيق، ونصبوه على مسند الإمارة، وحينما وصل خبر الأمير منصور إلى آلپتگين أرسل الأعين والرسل حتى يعيدوا إليه من الطريق

([1]) ورد ذكره في زين الأخبار للجرديزي (أبوعلي البلعمي) الترجمة العربية، ص ٢٢٥ (المترجم).

رسالته[1]، ولكنهم لم يعثروا على القاصدين، وكان آلپتگين يتولى نشاپور من قبل الحضرة في بخارى، فأعطوها لابن عبد الرازق، فتحير آلپتگين ومن نيشاپور قصد الحضرة في بخارى، فأخبروه عن تغير مزاج الأمير منصور بسبب هذه الرسالة، وكان قد وصل إلى بلخ فرجع، وقدم إلى غزنين فأرسل الأمير منصور له المرسوم في إثره، وطمأنه ولاطفه.

وفي هذا الوقت توفى حسن بن بويه؛ فحمل فناخسرو الابن خزائن والده وذهب إلى بغداد، وقهر عمه بختيار، واستولى فناخسرو على العراق، وطلب فناخسرو المصالحة من الأمير منصور ووسَّط العلماء والقضاة بينهما فوضع على ديار العراق والري وجرجان وطبرستان كل يوم ألف دينار من الذهب الأحمر، وفي عهد الأمير منصور شق جماعة من الأمراء في فرغانة وسجستان والعراق عصا الطاعة، فنصر الله أمراءه وجيشه فهزموهم جميعًا، وانتقل الأمير منصور إلى رحمة الله يوم الثلاثاء الحادي عشر من شوال سنة خمس وستين وثلاثمائة، ولقَّبوه بالأمير السديد، وكانت مدة ملكه سبع عشرة سنة وستة أشهر وأحد عشر يومًا، والله أعلم بالصواب والحقيقة.

التاسع: نوح بن منصور
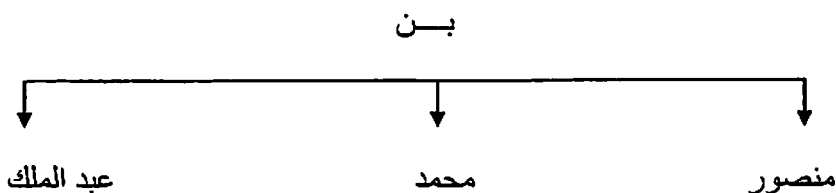
(1) وهي الرسالة التي يذكر فيها أن الابن أولى من الأخ في تولى الإمارة (المترجم).

حينما توفى الأمير منصور بن نوح بايعوا الأمير أبا القاسم نوح بن منصور، وأجلسوه على عرش والده، وأرسل إليه أمير المؤمنين الطائع لله العهد واللواء، وأسند نوح بن منصور قيادة الجيوش وأمور الحسم لفائق الخاصة وتاش الحاجب.

أما أبو الحسن سيمجور الذي كان آباؤه من عبيد هذه الأسرة، وكان أميرًا على خراسان، فقد كانت هرات ونشاپور وما وراء النهر طوع أمره؛ لذا أعطاه لقب ناصر الدولة، وأضاف له ولاية طوس زيادة على ولايته، وأعطى الوزارة لأبي الحسن عبد الله بن أحمد العتبى[1]، وجعل تاش الحاجب على رأس الجيش ولقبه بحسام الدولة.

وجعل قابوس بن وشمگير واليا على گرگان، وأرسل بقية الأمراء الذين معه إلى العراق لمحاربة بويه بن الحسن بن بويه، واشتبكوا على أبواب گرگان وهزموا.

ورجع تاش الحاجب مقهورًا مهزومًا، وبعد فترة شق تاش الحاجب وأبو الحسن السيمجور كلاهما عصا الطاعة، ولكنهما دخلا مرة أخرى تحت لواء الأمير نوح ووفيا له بعد عدة وقائع، وبعد انتصارهما وظفرهما على ديالمة آل بويه، وأسندت قيادة جيوش الأمير نوح بعد مدة إلى أبي علي بن سيمجور، وأعطاه نشاپور ولقبه بعماد الدولة، وأيضًا في هذا الوقت هاجم الأمير أبو موسى هارون، إيلك خان[2] بخارى، وذهب الأمير نوح إلى أطراف آمل، ثم

([1]) كنيته في الجرديزي أبو الحسين، ارجع إلى: الجرديزي الترجمة العربية ص ٢٢٩ (المترجم).

([2]) إيلك خان: اسمه أبو نصر أحمد بن علي، ولقبه: شمس الدولة، واسمه الأصلي من مسكوكاته: أبو الحسين نصر بن علي الأمير السيد وناصر الحق. وهو الملك الرابع لآل أفراسياب الإيلكخانيين، وقد جلس على العرش عام ٣٨٢هـ وتوفي عام ٤٠٠هـ. الجرديزي الترجمة العربية لزين الأخبار، ص٢٥٠ (المترجم).

اختفى، وسلك أبو علي السيمجور طريق العصيان، وحينما استولى الخان على الملك مرض بعلة البواسير وصمم على العودة، فطلب الأمير عبد العزيز بن نوح بن نصر عم الأمير نوح بن منصور وخلع عليه وسلمه الملك، ورجع إلى التركستان، وطلب الأمير نوح المدد من الترك وأمرهم أن يذهبوا في عقب الخان، فرجع الخان وهزمهم على أبواب سمرقند، وتوفي الخان في طريق عودته إلى التركستان، ورجع الأمير نوح إلى بخارى، وشعر بالقوة، ولكن أمور خراسان اضطربت بسبب عصيان أبي علي سيمجور، وتوفى الأمير ألپتگين فى غزنين، وخلفه سبكتگين، وصار قوي البطش واستعان به أهل بلخ بسبب ظلم فائق الخاصة ولضعف السامانيين، ولهذا السبب ذهب سبكتگين إلى بلخ، فأرسل الأمير نوح إليه المعارف والأعيان، فلاطفوه وقطعوا العهود والمواثيق، وذهب سبكتگين إلى كش ونخشب، وخرج الأمير نوح من بخارى، وذهب إلى خراسان لقمع أبي علي سيمجور، وحينما وصل أبو علي إلى حدود طالقان، قدم إليه أعيان القرامطة والملاحدة في هذه البلاد، واستجاب لجمعهم العظيم، ولكن سبكتگين طواهم جميعًا تحت لوائه وغزا ديارهم ولقب بناصر الدين.

وحينما أعلموا أبا علي سيمجور بأن الأمير نوح وسبكتگين اتجها إلى هرات قدم من نشاپور إلى هرات، وترك الأمير نوح قيادة الجيوش لسبكتگين وأمره أن يعد ليوم الحرب على أبواب هرات فقتل دارا بن قابوس بن وشمگير، وهزم أبا علي سيمجور شؤمًا ونحسًا؛ لأنه قبل أن يدخل أكثر قادة جيشه في دعوة القرامطة، وكان قد شيَّد المسجد الجامع في نشاپور لكي يخطب فيه للخليفة المصري المستنصر بالله الفاطمي بعد الفراغ من بنائه.

وقد تم هذا الفتح للأمير نوح بن منصور في منتصف رمضان سنة أربع وثمانين وثلاثمائة، وحينما تم هذا الفتح وانتظمت الأمور في هرات، اتجه إلى ديار نشاپور؛ فطلب أبو علي سيمجور الصلح، وحينما لم يقبل طلبه ذهب من نشاپور إلى الري، وأرسل ابنه إلى أبي الحسن بن بويه، ثم رجع الأمير نوح ونصب سبكتگين وابنه الأمير محمودًا على نشاپور، وحينما توقف الأمير نوح في طوس، أرسل سبكتگين الأمير محمودًا إلى بخارى، وصار محمود قائدًا للجيوش ولقب بسيف الدولة، وأعطوه ولاية نشاپور، بعد ذلك عاد الأمير نوح بن منصور إلى بخارى، وترك الأمير سبكتگين لابنه محمود بلخ وهرات ونشاپور وولاية خراسان، وأقام محمود في نشاپور، وقدم أبو علي سيمجور من گرگان في ربيع الأول سنة خمس وثمانين وثلاثمائة بقصد قهر محمود وهزيمته في نشاپور، وساعده أهل المدينة وهزم محمود، بعد مبارزة وحرب ضاريتين فقد كان معه عدد قليل جدًا، وعاد محمود إلى هرات، واستقر أبو علي في نشاپور، واتجه إليه سبكتگين بجيش عرمرم فذهب أبو علي إلى طوس واشتبكا هناك وحاربا حربا ضارية وتقاتلا قتالا عنيفًا.

ودخل الأمير محمود خلف ظهر أبي علي ومزق صفوفه، فهزم أبو علي ومعه فائق، وذهبوا بأبي علي إلى بخارى فحبس ومات في محبسه، وذهب الأمير سبكتگين إلى بلخ، وأقام هناك ورجع الأمير محمود إلى نشاپور، ثم توفي الأمير نوح يوم الجمعة في الثالث عشر من شهر رجب سنة سبع

وثمانين، وتوفي الأمير سبكتكين[1] في العام نفسه، وكانت مدة ملك نوح إحدى وعشرين سنة، والسلام.

العاشر: منصـــور بن نوح

لقد جعل الأمير نوح بن منصور ابنه الأمير منصورًا وليًا لعهده، وحينما انتقل الأمير نوح لرحمة الله، جلس الأمير منصور على عرش والده، وجعل قيادة جيوشه لفائق الخاصة، وأحضر أبو منصور عزيزًا الذي كان قد هرب خوفًا من الأمير سبكتكين، وذهب إلى أسبيجاب، وكان قد استعان في وقت عودته بايلك خان ليهزم أعداء الأمير منصور، وحينما وصل إلى أبواب سمرقند قبض الأمير منصور على ابن عزيز، وكان فائق الخاصة في هذا الوقت في سمرقند، فطلبه ايلك خان، وأرسل جيشًا إلى بخارى، وحينما سمع الأمير منصور ذلك خرج من بخارى وذهب إلى آمل، وحينما ذهب فائق الخاصة إلى بخارى أحدث شغبًا واضطرابًا شديدين في قصر الإمارة، واتصل بمنصور، وقال له: لماذا تركت قصر الإمارة خاليًا؟ فرجع منصور إلى بخارى، وترك قيادة الجيوش لفائق وقيادة جيوش خراسان لبكتوزن، وقدم الأمير محمود إلى غزنين لضبط ولايات سبكتكين، وفي هذا الوقت قتل بكتوزن أبا القاسم السيمجوري، وأقام في نشاپور، فقاد محمود جيشًا من غزنين إلى خراسان، وكان بكتوزن يعرف تمامًا أنه لا يستطيع أن يواجه محمودًا.

---

[1] يقول الجرديزي: إن سبكتكين طلب أبا علي من الأمير نوح وحبسه مع أربعة من رفاقه في قلعة جرديز الحصينة، ثم قتلهم سنة تسع وثمانين وثلاثمائة. زين الأخبار الترجمة العربية، ص ٢٣٥. (المترجم).

فاتجه من نشاپور إلى بخارى للأمير منصور، وكان الأمير منصور قد غادر بخارى إلى مرو، وكان فائق معه، وحينما وصل بكتوزن أدرك منصورًا في سرخس واتفق فائق الخاصة وبكتوزن كلاهما أن يخلعا الأمير منصور عن الإمارة، وفي ليلة الثاني عشر من شهر صفر سنة تسع وثمانين وثلاثمائة خلعا الأمير منصورًا من الإمارة، ثم رجعا من مرو إلى سرخس، واتفقا معا أن يُجلسا أبا الفوارس عبد الملك بن نوح على عرش أخيه، وهكذا فعلا، وسملا عيني أبي الحارث منصور بن نوح، وكانت مدة ملكه عامًا وثمانية أشهر، والله الباقي وكل شيء هالك.

الحادي عشر: عبد الملك بن نوح

حينما أجلسوا الأمير عبد الملك بن نوح على العرش، ووصل الأمير محمود إلى بلخ، أخبره فائق الخاصة بهذه الحادثة، فذهب محمود إلى مرو؛ لينتقم للأمير منصور فتوسطت الرسل بينهما، وتم الصلح مع محمود على أساس أن تكون هرات وبلخ للأمير محمود، ونشاپور ومرو لفائق وبكتوزن، ورجع الأمير محمود يوم الثلاثاء السادس والعشرين من شهر جمادى الأولى سنة تسع وثمانين وثلاثمائة.

وفي هذا الوقت كان دارا بن قابوس بن وشمگير واليًا على گرگان، فأغرى جماعة من أمراء السامانيين أن يتعقبوا جيوش محمود طمعًا في الإغارة على حشمه، فاشتبك معهم الأمير نصر بن سبكتگين شقيق السلطان محمود، وكان على ساقة الجيش لحماية الحشم، وأرسل رسولا إلى السلطان محمود أعلمه

بهذا الأمر، فرجع الأمير محمود، ووصل إلى ذلك الموضع، وهزمهم الأمير نصر وشتت شملهم وفرق جمعهم، وحينما أعلموا جماعة الأمراء في مرو بأن محمودًا رجع إليهم، انتقلوا من مرو إلى بخارى، وتوفي فائق بعد عدة أيام في شهر شعبان من هذا العام، وندم على فعلته ولكن لم تكن هناك فائدة.

وتفرق خدم السامانيين والتابعون لهم، وقدم الأمير أبو الحسن إيلك نصر بن علي شقيق خان فرغانة العظيم في ذي القعدة سنة تسع وثمانين وثلاثمائة إلى بخارى، وأوضح للناس أنه قدم لمدد الأمير أبي الفوارس عبد الملك بن نوح، وأرسل الأمير عبد الملك أمراءه لاستقباله، وحينما ذهبوا إليه أسرهم جميعا، وفي يوم العاشر من ذي القعدة دخل المذكور بخارى، واختفى الأمير عبد الملك، فجد الخان في طلبه وقبض عليه وأرسله إلى أوزجند[1].

وانقرض ملك السامانيين. ومدة ملك السامانيين من أول عهد إسماعيل حتى هذا الوقت مائة وثمانون عامًا. فليبق الحق تعالى مملكة السلطان المعظم والملك الأعظم ناصر الدنيا والدين علاء الإسلام والمسلمين ملاذ الملوك والسلاطين والحامي لبلاد الله، الراعي لعباده، شهاب سماء الخلافة، باسط العدل والرأفة، محرز ممالك الدنيا، مظهر كلمة الله العليا ذي الأمن والأمان لأهل الإيمان، وارث ملك سليمان، أبي المظفر محمود بن السلطان خلد الله ملكه وسلطانه ما دام بقاء العالم وحتى قيام الساعة بمنة منه وفضله[2].

---

(1) أوز جند= أوزكند: مدينة في نواحي فرغانة في بلاد ما وراء النهر. (المترجم).

(2) هذا الدعاء خاص بالسلطان ناصر الدين محمود بن ألتتمش. (المترجم).

شجرة آل ســـــامـــــان

بن

أسد

بن

أحمد

بن

إسماعيل

بن

أحمد

بن

نصر

بن

نوح

بن

منصور

بن

نوح

بن

عبد الملك

الطبقــــة العــــاشــــرة:

ملوك الديالمة في حضرة دار الخلافة والعراق

أول شخص صار قويًا من الديالمة هو ماكان بن كالي[1] والي گرگان، وحينما أخذ العميد أبو علي الساماني منه گرگان بعد حرب طويلة، ذهب ماكان إلى الري، وذهب في عقبه وشمگير بن زيار وأبو علي الساماني، فاشتبك معهما وهزمهما، وأصبح قويا مرهوب الجانب، أما الأمير بويه الديلمي الذي كان في هذا الجيش، فقد كان له أتباع كثيرون، وكان له أبناء ناضجون عاقلون، أصحاب شهامة ومروءة، ولقد كبروا جميعًا وصاروا ملوكًا، وكانت الإمارة والسلطنة في دار الخلافة مدة في أيديهم، ويعرف الكثير عنهم من تاريخ ابن الهيصم النابي واليميني، فهما لا يتركان شيئًا عن أحوالهم، أما بالنسبة لتقديمهم وتأخيرهم فهي لم تكن موضع نظر، وهذا التاريخ لا يعرف على وجه التحقيق، وكثير من الأمور جرى بها القلم على سبيل الظن والتحسين، فإذا كان هناك سهو فنحن نأمل في عفوكم، وسبب ذلك معروف؛ لأن ذكرهم ليس معروفا في تاريخ العجم وخراسان، إلا على سبيل الإجمال، والله أعلم بالتفصيل والإجمال.

---

(1) المصادر تكتبه ماكان بن كاكي، وهو ابن الفيروزان، كان حاكمًا لأستراباد عام ٣١٠هـ، وتوفى عام ٣٢٩ هـ ، معجم الأنساب ، ص ٢٩٤ . (المترجم).

هذا شجرة الدیالمه (٭)

ماکان بن

بن منوزیان

بنجیخسرو

ابوالحسن — الحسن بن بختیار

بن

بویه

(٭) این شجره در اصل خیلی مغشوش است، طوریکه خوانده میشد، عیناً نقل شد
صورت صحیح آن از دول اسلامیه لن پول (ص ۱۹۰) قرار ذیل است:

بویه

عماد الدوله ابوالحسن علی ۴۲۰ ھ — رکن الدوله ابوعلی حسن ۳۲۰ ھ — معز الدوله احمد ۳۲۰ ھ

بن

عز الدوله بختیار

عضد الدوله خسرو ۳۲۸ ھ — فخر الدوله ابوالحسن علی ۳۲۶ ھ — موید الدوله ابومنصور ۳۳۲ ھ

بن

مجد الدوله رستم ۳۸۷ ھ — شمس الدوله ابوطاهر

بن

سماء الدوله ابوالحسن

شرف الدوله شیرزیل ۳۷۲ ھ — صمصام الدوله المرزبان ۳۷۹ ھ — بهاء الدوله ۳۳۸ ھ

سلطان الدوله ابوشجاع ۴۰۳ ھ — مشرف الدوله ۴۱۱ ھ — قوام الدوله ابوالفوارس ۴۲۰ ھ — جلال الدوله ۴۱۲ ھ

بن

عماد الدین ابوکالنجار ۴۱۵ ھ

خسرو فیروز ملک الرحیم ۴۴۰ ھ — فولادستون ۴۴۰ ھ — ابوعلی خسرو

الأول: أبو الحسن بن بويه الديلمي

كان يلقب بفخر الدولة، وبداية دولته أنه كان أميرًا على الأهواز، وحينما قبض أتراك بغداد ورئيسهم توزون على أمير المؤمنين المتقي بالله، وسملوا عينيه وخلعوه من الخلافة، أجروا راتبه وأجلسوا المستكفي بالله ابن المتقي على كرسي الخلافة، وصار توزون أمير الأمراء، وضبط الأمور والأعمال، وجمع أبو الحسن بن بويه الديالمة، واتجه صوب بغداد، واشتبك مع الأتراك في حرب مدة أربعة أشهر، وفي النهاية هزم الأتراك، وأمسك أبو الحسن زمام بغداد وجميع أمور ممالك الخلافة، وكان أمره نافذًا، وقد أخبرت جماعة المنْهِين والجواسيس أبا الحسن أن المستكفي سوف يغدر بك حتى يقتلك، فتحين أبو الحسن بن بويه الفرصة وقبض على المستكفي وسمل عينيه سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، وكان يجري أمور الملك لأمير المؤمنين المطيع بالله الذي لم يكن أكثر من اسم فقط، وكان يصدر الأوامر، وكان الحل والعقد لأمور الخلافة في يديه، وأبو الحسن بن بويه هذا استن سننًا حسنة، وعمَّر جميع خرابات بغداد، وأزال الرسم السيئ الذي كان متبعًا بإقامة سجن في كل محلة في بغداد، وأعطى ابنه أبا الهيجاء مقاطعة الموصل، وأعطى شقيقه عليًا بن بويه لقب جمال الدولة، وأعطى شقيقه الآخر حسن لقب ركن الدولة، ويومًا بعد يوم علا شأن ملك آل بويه وارتفع. والله تعالى هو الباقي، وملكه هو الدائم، لا فناء لمكله ولا زوال لسلطانه، وهو حي لا يموت، وقيوم لا يفنى، جلت قدرته، وتعالى كبرياؤه، وتقدست أسماؤه.

الثـــاني: الحسن بن بويه الديلمي

كان أمير همدان والري، كان صاحب مروءة كاملة، وكان له عدة وعتاد كثير، وكان رجال الديلم من الأعيان والأبطال يطيعونه جميعًا، وكان له أبناء لانقون شجعان ناضجون وأسماؤهم: الأول فخر الدولة علي بن الحسن، والثاني مؤيد الدولة بن بويه بن الحسن، والثالث فخر الدولة أبو الحسن أمير العراق، وقد قدم إليه شمس المعالي قابوس بن وشمگير طالبًا الأمان والمدد، وقد قدم من نشاپور وكان لمؤيد الدولة الحسن بن بويه حروب معهم أوردها الصابي(١) في كتابه.

الثالث: بختيار بن الحسن بن بويه

حينما توفي والده ضبط أمور بغداد، وسار بالأمور على طريق والده، واستولى على كل شيء، وحينما تمكن واستقوى، قال له المطيع لله: لقد استشرت فتنة القرامطة في جميع أطراف ممالك الإسلام، فادفع هذا البلاء، واجعل من الواجب اقتلاع هؤلاء القوم اقتلاعا كاملا، فلم يلتفت بختيار بن الحسن بن بويه لهذا الأمر، فظهرت المنازعات والخلاف بين الخليفة وبينه، لدرجة أن ابن بويه أصبح لا يشعر بالأمان من ناحية المطيع لله، وأعلمه جواسيسه أن الخليفة سيغدر بك فتحين بختيار الفرصة، وحسب رواية تاريخ ابن الهيصم، جمع بختيار بن بويه جميع علماء بغداد وقضاتها، وسلم الخلافة لابنه أبي بكر عبد الكريم ولقبوه بلقب الطائع لله، وحينما تقررت الخلافة للطائع

---

(١) الصابي: الأديب والمؤرخ أبو إسحق إبراهيم بن هلال بن إبراهيم بن زهرون الصابي، كان آية في البلاغة والفصاحة ولد عام ٣٢٠هـ، وتوفي عام ٣٨٠هـ، وله كتاب في أخبار الديالمة هو التاجي في آثار الدولة الديلمية. (المترجم).

زوجه بختيار ابنته، وصار بختيار حاجب الخلافة ونائبها، وحينما تقرر له هذا الأمر ذهب إلى الأهواز، ليجمع المال والخراج، ولكن بدأت المخالفة بينه وبين نائبه سبكتگين چاشنيگير وخرج الأمر من أيدي بختيار.

الرابع: فناخسرو بن الحسن بن بويه الديلمي

كان يلقب بعضد الدولة، وكان في غاية الكبر والغطرسة وفي غاية الرزانة والشجاعة، وسُلمت له ضبط الولاية وأصناف الحشم، ودخلت في ضبطه وتحت تصرفه أموال كل مضافات دار الخلافة وخزائنها.

والسبب في ذلك: أن بختيار حينما قدم إلى الأهواز لجمع أموال بيت المال جمع سبكتگين چاشنيگير نوابه الأتراك في بغداد، واختلفوا مع بختيار، وحرضوا الآخرين، وبدأ الفساد، وأظهروا المكابرة والمصادرة، وأطلقوا أيديهم في دماء المسلمين وما حرم الله، فراسل عز الدولة بختيار بن بويه عمه الذي كان أميرًا على الري، وطلب منه المدد، وكذلك كتب إلى ابن عمه فناخسرو أبي شجاع الذي كان أميرًا لفارس وطلب المدد، فجمع جيشًا كثيفًا، وقدم فناخسرو بجيش فارس، وأرسل أبو الحسن جيشه لمددهم، واتجهوا صوب بغداد، فقدم سبكتگين مع العظماء والحشم من بغداد لملاقاتهم، وعندما وصل سبكتگين إلى قرية العاقول[1]، مرض وتوفى بعد أربعة أيام. وهزم الأتراك في بغداد، فأخذوا أمير المؤمنين الطائع لله معهم من بغداد إلى النهروان لحرب فناخسرو فهزموا مرة أخرى، وذهبوا إلى الموصل، فقدم فناخسرو إلى بغداد، وعرف عن ابن عمه بختيار أنه دائمًا مشغول باللهو والطرب، وليست لديه الصلاحية للمحافظة على أمور الملك، فقبض عليه وحبسه؛ فأرسل بختيار إلى والد فناخسرو أبي

---

(1) قرية العاقول ذكرت في زين الأخبار دير العاقول، وهي على شاطئ نهر دجلة بين المدائن والنعمانية في العراق، وذكر الأستاذ حبيبي أنها قرية في الموصل. (المترجم).

الحسن بن بويه الذي كان أميرًا على الري شكوى يقول فيها: لقد قبض على ابنك فناخسرو دون سبب وحبسني، فأمر والد فناخسرو فأطلقوا سراح بختيار، ورجع فناخسرو إلى فارس، وحينما توفي والده قدم فناخسرو إلى بغداد وقبض على بختيار وقتله، وضبط مُلك بغداد وأمور دار الخلافة، وكان يأخذ كل يوم من جبال الشرق حتى طبرستان من أمراء السامانيين ألف دينار من الذهب الأحمر.

وكان فناخسرو صارمًا حازمًا غاية في الحزم وعلو الهمة شديد الكبر، وكان يخاف الموت خوفًا شديدًا إلى درجة أنهم كانوا لا يستطيعون أن يذكروا اسم قبر أي شخص من الخلق أمام عرشه، وذكروا أنه أمر أن يرفعوا أسوار جميع المقابر بحيث لا تقع عينه على أي مدفن أو مقبرة، ومن كبره أنهم وجدوا بعد وفاته سبعة آلاف منديل ملكي كلها من الديباج والكتان والتوزي[1] والمصري المطرز بالذهب المنسوج به والمرصع، وكان ينظف بهذه المناديل يديه وفمه وأنفه، وكانت قيمتها خمسين ألف دينار من الذهب. وحينما اقتربت وفاته وقع على مراسيمه وفرماناته، وأعطى حافظة الفرمانات والمراسيم لكاتبه وأمره أن أكتب ما يستصوبه رأيك، ولا تخبر الخلق عن مرضي، فأخفوا خبر مرضه مدة أربعة أشهر، وكانوا يجلسونه على العرش حتى يراه الناس، وحينما اقتربت وفاته[2]، أمر أن يفرشوا الأرض بالتراب حتى يتمرغ فيه، وكان يقول:

---

(1) التوزي هو قماش نفيس ينسب إلى مدينة توز في فارس (المترجم).

(2) العبارة باللغة الفارسية؛ لأننا تصرفنا فى ترجمتها باللغة العربية "وازفوت من خلق راخبر مكن، مدت چهارماه موت أو مخفي داشتند، اورابر تخت مى نشاندند، تاخلق أوراميديدند، چون مدت فوت أونزديك أمد.....". **الترجمة تحت اللفظ:** ولا تخبر الخلق عن موتى، فأخفوا موته أربعة أشهر، وكانوا يجلسونه على العرش حتى يراه الخلق، وحينما اقتربت وفاته" ... السياق السابق يتلاءم مع المرض وليس مع الموت، ولهذا ترجمناه الترجمة التي رأيناها الأصوب لسياق الكلام. (المترجم).

"ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه" ، وتوفي في رمضان سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة والله هو الباقي.

الخامس: المرزبان بن فناخسرو الديلمي

حينما توفى والده، لقبه أمير المؤمنين الطائع لله صمصام الدولة، وأجلسه مكان والده، وأعز منزلته كثيرًا، حتى إنه ركب سفينة في نهر دجلة إلى قصر فناخسرو، وقدم العزاء للمرزبان ابنه، وأمر له بتشريفات كبيرة، وترك الأعمال تحت إمرته، وكانت مكانته ومنزلته محفوظة، وظل المرزبان يمارس الأعمال حتى علم شقيقه أبو الفوارس بموت أبيه فخرج عليه. والله الهادي.

السادس: أبو الفوارس ماكان بن فناخسرو الديلمي

كان أمير كرمان، وحينما توفى أبوه سمع عن إعزاز شقيقه بدار الخلافة، فجمع جيشًا من كرمان، وقدم إلى فارس، واستولى على هذه البلاد. ثم ذهب إلى الأهواز وضبط الأمور فيها، ثم أخرج شقيقه أبا الحسن بن أبي شجاع بن فناخسرو من الأهواز، ثم ذهب إلى البصرة، واستولى عليها، واتجه إلى بغداد، وحينما وصل خبر وصوله وقصده بغداد، قدم إليه شقيقه مرزبان بن فناخسرو طائعا ملبيًا، فقبض أبو الفوارس ماكان على شقيقه وسمل عينيه، وبدأت الحرب والمنازعة بين الترك والديالمة، وتغلب الترك في بغداد، وقتلوا من الديالمة أربعة آلاف رجل، وبعد عدة أيام تغلب أبو الفوارس وقوى أمره، وصار قوي البطش، عزيز المكانة، ولقبه أمير المؤمنين الطائع لله شرف الدولة، وبعده لم يعلم شيء من أخبار الديالمة حتى يُذكر، ولقد أوردنا هذا المقدار الذي ورد في كتب التواريخ، وكذلك أوردنا ما اتضح بالسماع، حتى لا يخلو هذا الكتاب من ذكر هؤلاء الملوك، وأمل في عفو القراء، وفي إغماض الطرف عن أي هفوة، والله الهادي، والسلام على من اتبع الهدى.

الطبقة الحادية عشرة:

السبكتگينية

اليمينية المحمودية نور الله مضجعهما

الحمد لله المحمود بكل لسان، المقصود بكل جنان، المعبود بكل مكان، المسجود له في كل أوان، والصلاة على محمد المصطفى المبعوث في آخر الزمان صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه خير آل وإخوان.

أما بعد فيقول داعي المسلمين منهاج السراج الجوزجاني أصلح الله حاله وحقق آماله: إن هذه الأوراق مقصورة على ذكر ملوك آل ناصر الدين سبكتگين وسلاطينهم، والسلطان يمين الدولة نظام الدين أبو القاسم محمود الغازي أنار الله برهانيهما، وكيفية أحوالهما، وبيان النسب وآثار الملك وأخبار السلطنة وانقلاب الدولة، وإعلان مكانة ملوك هذه الأسرة من أول حال الأمير الغازي سبكتگين حتى آخر عهد الملك خسرو آخر ملوك هذه الأسرة، وذلك على سبيل الإيجاز والاختصار، حتى تستنير طبقات هؤلاء الملوك والأمراء من أنسابهم وألقابهم، وتَشْرف وتَكْرُم صفحات هذا التاريخ بأسماء هؤلاء الملوك المسلمين وأحوالهم أنار الله براهينهم.

يروي الإمام أبو الفضل الحسين بن البيهقي- رحمه الله- في تاريخ ناصري عن السلطان السعيد محمود طيب الله ثراه: أنه سمع عن والده سبكتگين أنهم كانوا يطلقون على والد سبكتگين اسم قرابجكم وكان يسمى جوق، وكلمة قرابجكم

تركية ومعناها بالفارسية سياة غـژگـاو[1] أي البقرة المتوحشـة السوداء، وفـي كل مكان في تركستان كانوا يسمعون اسم والد سبكتگين كانوا يهزمون أمامه.

أما عن جلده وسخائه فيروي الإمام محمد بن علـى أبـو القاسم العمـادي فـي التاريخ المجدول: أن الأمير سبكتگين من أبنـاء يزدجرد بـن شـهريار، وفـي الوقت الذي قتل فيه يزدجرد في بلاد مرو في طاحونة، وكان ذلك فـي عهد الخليفـة عثمـان بـن عفـان - رضـي الله عنـه- فر أتبـاع يزدجـرد وأشياعه إلـى تركستان، وانعقدت أواصـر القرابـة بيـنهم. وحينمـا تعاقبـت البطـون اثنـين وثلاثـة صـاروا أتراكـا، وقصورهم حتى الآن موجودة في هذه البلاد، وذُكر نسبهم على المنوال الذى جرى به القلم ليكون تحت نظر ملك العالم خلد الله ملكه وسلطانه[2]، وكذلك ليكون تحت نظر القراء إن شاء الله العزيز:

الأمير سبكتگين بن جوق قرابجكم بن قرا أرسلان بـن قراملت، بـن قرا يغمـان بـن فيـروز بـن يزدجـرد بـن شـهريار الفـارس ملـك العجـم، والله أعلـم بالصواب.

الأول: الأمير الغازي الناصر لدين الله سبكتكين

(عليه الرحمة والغفران)

يذكر الإمام أبو الفضل البيهقي: أن الحاج نصـر الحـاجي كـان رجـلا تـاجرا، اشترى سبكتگين وذهب به إلى بخارى في عهد إمارة عبد الملك بن نـوح السـاماني،

([1]) غـژگـاو: البقر الوحشـي وكـانوا يعبـدون هذا النـوع من البقر الوحشـي قبل الإسلام فـي منـاطق بدخشـان شمـال أفغانستان، وهذه الأبقـار قويـة البنيـان، تستطيع التنقل بسـهولة فوق قمم الجبـال الشاهقة، وهي أليفة مستأنسـة للإنسان، ولحومها لذيذة المأكل، وفراؤها الدافئ يكون منـه الأبيض والأسود، ويصنعون منه الألبسة والأغطية. (المترجم).

([2]) يقصد السلطان محمود بن ألتتمش.

ولما كانت آثار الكياسة والجلد والشجاعة بادية وظاهرة عليه، اشتراه آلپتگين الحاجب، وذهب في خدمة آلپتگين إلى طخارستان، حينما حولت إليه ولاية طخارستان، [وبعد ذلك حينما حولت له ولاية خراسان]، كان الأمير سبكتگين في خدمته، وكذلك حينما ذهب آلپتگين إلى غزنين بعد حوادث الأيام وفتح ممالك زاولستان، وحينما خلصوا غزنين من يد الأمير أنوك. وتوفى الأمير آلپتگين بعد ثمانية أعوام فجلس ابنه إسحق مكان والده، واشتبك مع أنوك فهزم، وذهب إلى بخارى لخدمة الأمير منصور بن نوح فأمر لهم بالمدد فرجع واستولى على غزنين، وبعد عام توفى إسحق، فأجلسوا على الإمارة ملكا تگين كبير الأتراك، وكان رجلا عادلا تقيا، وكان من أبطال الدنيا، وقد ظل عشرة أعوام في الإمارة ثم توفي، وكان سبكتگين في خدمته، وبعد ملكا تگين أجلسوا على كرسي الإمارة الأمير پري، وكان رجلا كثير الفساد فكتب جماعة من غزنين شيئًا لأبي على أنوك واستدعوه، فجاء أبو علي أنوك بمدد من ابن ملك كابل. وحينما وصلوا إلى حدود چرخ[1] اشتبكوا في معركة فحمل عليهم الأمير سبكتگين مع خمسمائة من الأتراك وهزمهم، وقتل وأسر خلقًا كثيرًا، واستولى على فيلين، وأتى بهما إلى غزني، وحينما تم هذا الفتح على يديه، وكان الجميع قد سئم من فساد پري، اتفقوا على إجلاس الأمير سبكتگين على الإمارة في غزنين، وكان ذلك في السابع والعشرين من شعبان يوم الجمعة سنة ست وستين وثلاثمائة، وقدم سبكتگين يوم الجمعة من أعلى القلعة بمظلة حمراء، واستقر له الملك

---

(1) هذه المنطقة في لوگر جنوب كابل، ارجع إلى تعليقات حبيبي على طبقات ناصري، ص ٢٢٧، جـ ١ (المترجم).

والإمارة، وعقدت له الإمارة، وقاد من غزنين جيشًا إلى الأطراف ثم ضبط أمور بلاد الداور وبلاد قصدار وباميان[1] وأكثر بلاد طخارستان والغور، وهزم من الهند جيپال مع فيلته وحشمه الكثيف. وصد بغراخان كاشغر عن أسرة السامانيين، ثم قدم إلى بلخ، ثم أعاد أمير بخارى إلى العرش، وقد تمت في عهده أعمال عظيمة، واجتث فساد الباطنية من خراسان، وفي شوال سنة أربع وثمانين وثلاثمائة أعطى الأمير محمودًا قيادة جيوش خراسان، ولقب بسيف الدولة، ولقب سبكتگين بالناصر لدين الله، وصدوا أبا الحسن السيمجوري، وطهروا خراسان من أعدائهم، وكان الأمير سبكتگين رجلا عاقلا وعادلا وشجاعًا، متدينا وَفيَّ العهد، صادقَ القول، غير طامع في أموال الناس، وكان مشفقًا على الرعية منصفًا لها، وقد أكرمه الحق تعالى بكل ما يجب أن يتحلى به الملوك من الأوصاف الحميدة، وكانت مدة ملكه عشرين عامًا، وتوفي وعمره ست وخمسون سنة، وكانت وفاته على حدود بلخ في قرية مدر روني[2] عام سبعة وثمانين وثلاثمائة.

---

(1) باميان: عاصمة محافظة باميان وإحدى المدن الأفغانية، تقع شمال شرقي أفغانستان بين سلسلتين من الجبال الشاهقة هما جبال الهندوكوش وجبال كوه بابا، وبينها وبين كابل مائتان وخمسون كيلو مترًا، كانت مستقرا وموطنا للبوذية قبل الإسلام، واشتهرت في التاريخ بأنها كانت معقل البوذية، والمكان المقدس لهم، وبها تماثيل بوذا المشهورة، وهي واحدة من عجائب الدنيا السبع، وقد قيل: إن حكومة طالبان أحرقتها عام ٢٠٠١م، ومن الجدير بالذكر أن هذه التماثيل كانت موجودة قبل الإسلام، حيث فتح المسلمون أفغانستان في عام ٢٣هـ في زمن الخليفة الراشد عثمان بن عفان ولم يلحقوا بهذه التماثيل أذى (المترجم).

(2) هذه القرية من الممكن أن تكون: مرمل أو مارمل التي ذكر ياقوت أنها قرية في نواحي بلخ، وهي موجودة حتى الآن. طبقات ناصري، ص ٣٢١، ٣٢٢، جـ٢. (المترجم).

الثاني: السلطان الأعظم يمين الدولة محمود الغازي
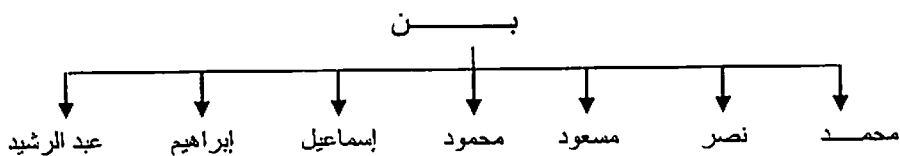
السلطان الأعظم يمين الدولة، نظام الدين أبو القاسم محمود بن سبكتگين أنار الله برهانه، كان ملكا عظيمًا وسلطانًا غازيًا.

وهو أول شخص في الإسلام من الملوك خاطبوه بلقب سلطان من دار الخلافة. وكانت ولادته في ليلة عاشوراء سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة. في السنة السابعة من ولاية بلكاتگين، وقبل ولادته بساعة واحدة رأى سبكتگين في المنام: أن شجرة في منزله نمت في وسط الموقد، وكانت كبيرة لدرجة أن ظلالها غطت الدنيا بأسرها. ومن الفزع من هذه الرؤيا ظل يفكر حينما استيقظ ما تفسير هذه الرؤيا؟ فدخل مبشر وبشره: أن الحق تعالى وهبك ابنا، فسر سبكتگين سرورًا بالغا، وقال: سوف أسمي هذا الابن محمودا. وأيضًا في ليلة ولادته تهدم معبد ويهند الذي كان على حدود پرشاور على ضفاف نهر سدرة. ومناقب السلطان محمود كثيرة ومشهورة معروفة، وطالعه متوافق مع طالع الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وفي عام سبعة وثمانين وثلاثمائة جلس على عرش بلخ وارتدى خلعة الخلافة، وفي هذا الوقت ازدان مسند الخلافة، بأمير المؤمنين القادر بالله، وحينما تولى محمود الملك ظهرت آثاره في الإسلام على

الدنيا بأسرها، فقد حول آلاف المعابد إلى مساجد، وفتح مدن الهند، وانتصر على راجات الهند، وأسر چيبال أعظم راجاتها، ووضعه في خراسان لمن يزيد في ثمنه، ثم أمر فاشتروه بثمانين درهما، وقاد جيشا إلى نهرواله والكجرات، وأتى بصنم منات من سومنات، وقسمه إلى أربع قطع، وضع قسما منه على أعتاب المسجد الجامع في غزنة، والقسم الآخر على أعتاب دار السلطنة، وقسم آخر أرسله إلى مكة، وقسم أرسله إلى المدينة المنورة، وقد قال الشاعر العنصري[1] في هذا الفتح قصيدة، طويلة أتينا منها بهذين البيتين:

حينما سافر ملك الملوك إلى سومنات، جعل آثار هذا الغزو علمًا على المعجزات

لقد خسر ملك الشطرنج مع آلاف الملوك، وأصبح لكل ملك لعبة أخرى بعد أن ذهل ملك الشطرنج وورط[2].

وفي هذا السفر ظهر له كثير من الكرامات، إحداها: حينما رجع من سومنات، إلى أرض السند والمنصورة رأى أن يسلك طريق الصحراء ليخرج جيش الإسلام من تلك الديار، فأمر فأحضروا مرشدين وهداة، وتقدم هندوسي

---

(1) العنصري: أبو القاسم حسن بن أحمد من شعراء القصيدة العظام في عصر الدولة الغزنوية. وقد التحق العنصري ببلاط السلطان محمود الغزنوي بواسطة شقيقه الأمير نصر بن ناصر الدين الذي قدمه للسلطان محمود أحسن تقديم، حتى إن السلطان جعله ملك شعراء بلاطه، وللعنصري غير ديوان شعره المطبوع: مثنوي وامق وعذرا، وسرخ بُتْ، وشاد بهر، وعين الحيات. وتوفي العنصرى عام ٤٣١هـ فى عهد السلطان مسعود نجل السلطان محمود. (المترجم).

(2) تاشاه خسروان سفر سومنات كرد — آثار غزو راعلم معجزات كـــرد
شطرنج ملك باخت باهزارشـــاه — هرشاه را به لعب دگرشاه مات كرد.

وقبلَ أن يكون دليلهم في الطريق، وسلك السلطان مع جيش الإسلام الطريق، ولما قطعوا فيه يوما وليلة، وحل وقت راحة الجيش وحاولوا أن يطلبوا الماء فلم يجدوه في أي مكان، فأمر السلطان أن يأتوا إليه بدليل الطريق ليتفحصه، فقال الدليل الهندي: لقد جعلت نفسي فداء لصنم منات وأتيت بك أنت وجيشك في هذه الصحراء، حيث لا يوجد الماء في أي طرف من أطرافها فتهلكون.

فأمر السلطان فقتلوا هذا الهندي، وبعث به إلى النار وبئس المصير، وأمر الجيش أن ينزل منزلا ويرتاح، وصبر حتى دخل المساء، وانتحى من الجيش جانبًا، ومرغ وجهه في الأرض وطلب من حضرة ذي الجلال والإكرام متضرعًا، طالبًا الخلاص والنجدة، وحينما مضى جزء من الليل، ظهر نور على الطرف الشمالي من الجيش، فأمر السلطان أن يسير الجيش في عقب هذا النور، وحينما انبلج الصباح أوصل الحق تعالى جيش الإسلام إلى منزل يوجد به الماء، ونجى الله تعالى المسلمين من هذه المحنة رحمة الله عليه.

وقد وهب الحق تبارك وتعالى هذا السلطان كثيرًا من الكرامات والعلامات، ولم يجتمع لملك من بعده قط مثلما تجمع له من الآلات والعدة والعتاد؛ فقد كان لديه ألفان وخمسمائة من الفيلة، وكان في بلاطه من الخدم أربعة آلاف خادم وغلام تركي، وكانوا يقفون على ميمنة العرش ومسيرته وقت مثوله في البلاط، ومن هؤلاء الغلمان ألفا غلام يرتدون قلانس ذات أربعة حواش ويمتشقون عصيًا ذهبية يضعونها على يمينهم، وألفا غلام بقلانس ذات حاشيتين، عصيهم فضية يضعونها على يسارهم.

وقد أمسك هذا الملك ممالك الإسلام في المشرق برجولة وشجاعة ورأي صائب، فكل بلاد العجم من خراسان وخوارزم وطبرستان والعراق وبلاد النيمروز وفارس وجبال الغور وطخارستان كلها كانت خاضعة للذين يحكمون بتفويض منه وانقاد له ملوك التركستان، وأقام جسرًا على نهر جيحون[1]، وقاد الجيش إلى بلاد توران، وقد قدم لزيارته قدر خان الترك[2]، وأطاعه وانقاد له جميع خاقانات التركستان قاطبة، وقدموا لبيعته، وبالتماسٍ وطلبٍ منهم للسلطان محمود عَبَرَ ابن سلجوق مع أتباعه نهر جيحون إلى خراسان، وكان كل خاقانات الترك في ضيق وتبرم منه لصلفه. وقد رأى كل عقلاء ذلك العصر هذا الأمر خطأ من السلطان محمود؛ لأن مُلك أبنائه صار في تفكير السلاجقة، وذهب السلطان محمود إلى العراق وفتحها، وعزم على السفر إلى دار الخلافة ولكنه رجع بأمر أمير المؤمنين، وقدم إلى غزنين ثم توفي، وكان عمره واحدًا وستين عامًا، ومدة ملكه ستة وثلاثون عاما، وكانت وفاته سنة إحدى وعشرين وأربعمائة رضى الله عنه، فليبق الحق تعالى سلطان السلاطين، ناصر الدنيا والدين أبا المظفر محمود بن ألتتمش على عرش السلطنة. آمين يا رب العالمين.

الثالث: محمد بن محمود

([1]) جسر جيحون: يظهر من كلام المؤلف أن السلطان محمودًا الغزنوي أقام جسرًا على نهر جيحون بين خراسان والتركستان، التي تعرف بآسيا الوسطى الآن، ولكن هذا الجسر تهدم بدليل أن الاتحاد السوفيتي السابق أثناء احتلاله لأفغانستان من ديسمبر ١٩٧٩م إلى فبراير ١٩٨٩م أقام جسرًا بين أفغانستان وآسيا الوسطى على نهر أموداريا (نهر جيحون) ولا يزال هذا الجسر قائمًا، ويربط شمال أفغانستان بدولة تاجيكستان. (المترجم).

([2]) تحدث الجرديزي بالتفصيل عن هذا اللقاء. زين الأخبار الترجمة العربية، ص.٢٦٥ إلى ص ٢٦٧. (المترجم).

كان الأمير جلال الدولة محمد أميرا فاضلا حسن السيرة، وكانوا يروون عنه كثيرا من الأشعار العربية، وحينما توفى والده السلطان محمود عليه الرحمة، ورحل من دار الفناء إلى دار البقاء، كان السلطان مسعود شقيقه في العراق، فأجلس أعيان المملكة وأكابرها من المحبين لمحمود بالإجماع محمدًا على عرش غزنين في سنة إحدى وعشرين وأربعمائة، ولكن محمدًا كان رجلا رقيق المزاج ناعم الحاشية، ولم يكن لديه قوة في القلب، ولا ضبط للملك، فأرسل جماعة من أصدقاء مسعود رسالة إليه في العراق فصمم السلطان مسعود، وهو في العراق[1] على قصد غزنين، فكون جيشًا واتجه صوب غزنين، وحينما انتشر خبر وصوله إلى غزنين، أعد محمد جيشًا وذهب لمواجهة أخيه، وكان علي قريب حاجبًا عظيمًا، وكان على رأس الجيش، وحينما وصل إلى تكيناباد[2] وصل خبر وصول مسعود إلى معسكر السلطان محمد، فقبضوا على محمد، وسملوا عينيه وحبسوه، وقاد علي قريب الجيش إلى هرات لاستقبال السلطان مسعود، وحينما وصل على بعد منزل من السلطان مسعود ذهب لخدمته، فأمر السلطان مسعود فقبضوا عليه، وأغاروا على جيشه، وفي هذه المرة كانت مدة ملك السلطان محمد سبعة أشهر، وحينما استشهد السلطان مسعود في ماريگله[3] أخرجوا السلطان محمدًا من سجنه مرة أخرى، مع أنه كان مكفوف البصر، وأجلسوه على العرش، فأحضره الجيش من هناك إلى غزنين، وذهب السلطان مودود بن مسعود من غزنين بقصد الانتقام من عمه لأبيه، واشتبك كلاهما في حرب فهزم مودود عمه، وقتله وقتل أبناءه، وفي هذه المرة

---

(1) كان السلطان مسعود في أصفهان كما يروي البيهقي. (المترجم).

(2) تكناباد أو تكين آباد: تقع في الرخج بين مجرى نهر أرغنداب، ومجرى نهر هلمند بأفغانستان. ويقال إنها في مكان مدينة قندهار الحالية، وكانت ولاية كبيرة يعين بها وال من قبل سلاطين الدولة الغزنوية. (المترجم).

(3) ماريگله: رباط ماريگله الذي كان يتحصن فيه السلطان مسعود حينما عبر نهر السند، وهي قلعة صغيرة على بعد خمسة وثلاثين ميلا فيما وراء شرقي نهر السند بين تكسيلا وروالپندي، وتعد النقطة النهائية لقندهار أو أرض البشتون وهي معروفة بهذا الاسم حتى الآن. (المترجم).

كانت مدة ملكه أربعة أشهر وتوفي- رحمة الله عليه- وكان عمره خمسة وأربعين عامًا، وكان استشهاده سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة، والله أعلم.

الرابع: الناصر لدين الله مسعود الشهيد

لقب السلطان مسعود الشهيد بلقب الناصر لدين الله، وكنيته: أبو مودود، وكان اسمه مسعود، وقد ولد هو وأخوه السلطان محمد- أنار الله برهانيهما- في يوم واحد، وقد جلس السلطان مسعود الشهيد- نور الله مضجعه- على العرش سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة، بلغ في سخائه إلى حد أن أطلقوا عليه لقب أمير المؤمنين عَلِيًّا الثاني- رضي الله عنه، وفي الشجاعة رستم الثاني، كان لا يوجد رجل قط يستطيع أن يرفع دبوسه الحربي من الأرض، أما سهامه فلا يستطيع معول حديدي أن يوقفها، تملكت والده السلطان الغيرة منه فكان دائم اللوم له، وكان يحب محمدًا ويكرمه ويعزز شأنه إلى حد أنه طلب من دار الخلافة أن يقدموا اسم محمد ولقبه على لقب مسعود واسمه في المخاطبة.

ويروي خواجه أبو نصر مشكان: حينما قرءوا هذه المراسيم في البلاط المحمودي كانت ثقيلة على قلوبنا وقلوب جميع أكابر غزنين وعظمائها؛ لأن آثار السلطنة والشهامة كانت أنصع وأوضح على ناصية مسعود، وحينما خرج مسعود من عند أبيه ذهبت أنا- أبو نصر مشكان- في عقبه، وقلت له: أيها الأمير إن تأخير لقبك المبارك في عريضة الخلافة، جاء ثقيلا على قلوبنا نحن العبيد، فقال له السلطان مسعود: لا تغتم أبدا ألم تسمع (السيف أصدق أنباء من الكتب) وأمرني بالرجوع، وحينما رجعت، كان الجواسيس قد أخبروا السلطان في الحال والتو واللحظة عن خروجي ومتابعتي لمسعود، فطلبني السلطان محمود؛ فذهبت للخدمة، فقال: لماذا ذهبت في عقب مسعود؟ وماذا قلت؟ فقلت كل ما حدث دون زيادة أو نقصان، فقد كان هناك خوف شديد على الروح من الإخفاء، فقال السلطان: إنني أعلم أن مسعودًا يرجح محمدًا في كافة الأبواب،

وبعد وفاتي سوف يزول الملك لمسعود، وقد فعلت هذا ليرى محمدًا المسكين في عهدي أقل متعة وتقدير، فبعدي من المسلم به لن تكون له هذه المتعة أو هذا التقدير، رحمة الله عليهم.

ويقول أبو نصر مشكان: وقد تعجبت من هذا الحديث لأمرين: أحدهما من جواب مسعود الذي قاله لي بطريقة تدل على الفضل والعلم. والأخر: من شهامة وحزم محمود لدرجة أن خروجي في عقب مسعود لم يخف عليه.

حينما استولى السلطان محمود على العراق سلم عرش هذه الممالك لمسعود، وقبل ذلك كانت مدينة هرات وخراسان باسمه، وحينما جلس مسعود على عرش أصفهان استولى على جميع ولايات الري وقزوين وهمدان والطارم، وهزم الديالمة ولبس عدة مرات خلعة دار الخلافة، وقدم إلى غزنين بعد وفاة محمود، وضبط ممالك والده وقاد الجيوش عدة مرات إلى الهند، وقام بالغزو اقتداء بسنة رسول الله.

وفي الكرة الثانية ذهب إلى طبرستان ومازندران، وفي آخر عهده خرج السلاجقة، وهزمهم في ثلاثة معارك على حدود مرو وسرخس، وفي النهاية، ولأن هذا هو التقدير، آل ملك خراسان إلى آل سلجوق، واشتبك معهم في الطالقان، واستمر القتال ثلاثة أيام متواصلة، وفي اليوم الثالث، وكان يوم الجمعة، هُزم السلطان، وعن طريق غرجستان رجع إلى غزنين، ومن شدة الخوف الذي استولى عليه حمل خزائنه، واتجه صوب الهندوستان، وفي ماريگله خرج عليه العبيد الترك والهنود، وقبضوا عليه، وأجلسوا محمدا على

العرش، وأرسلوه إلى قلعة گيري[1] واستشهد في شهور عام اثنين وثلاثين وأربعمائة، وكانت مدة ملكه تسع سنوات وعدة أشهر، وكان عمره خمسًا وأربعين سنة، رحمة الله عليه، والسلام على من اتبع الهدى.

الخامس: مودود بن مسعود بن محمود

شهاب الدولة أبو سعد مودود بن الناصر لدين الله مسعود، حينما سمع خبر استشهاد والده، جلس على عرش والده، وكان السلطان مسعود حينما يذهب إلى الهند كان يتركه نيابة عنه في ممالك غزنين ومضافاتها وما يتبعها. وفي سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة جلس على العرش، وجمع الجيش للانتقام لأبيه، واتجه صوب الهندوستان، واستعد للقاء عمه محمد بن محمود، وكان الحشم المخالفون لمودود قد أخرجوا محمدا من محبسه وأجلسوه على العرش وأطاعوه، وانقاد له أمراء الهندوستان، واجتمع له الأتراك الذين كانوا في عهد محمود ومسعود الذين غدروا بالسلطان محمود وخالفوه اتفقوا جميعًا معه، وجعلوه الحاكم أربعة أشهر، وقامت المعارك بين مودود وعمه محمد، ونصر الحق تعالى مودودًا على حدود ننگرهار[2] وأسر محمد مع كل أبنائه وأتباعه، وطلب مودود الثأر لأبيه، وقتل قتلة أبيه من الترك والتاجيك، وأصبح له شهرة كبيرة وصيت بعيد لهذا الأمر، وضبط الممالك وأجرى أمور الملك مدة تسع سنوات، وفي سنة إحدى وأربعين

---

(1) گيري: ذكرها أيضًا الجرديزي. ارجع إلى الترجمة العربية لكتاب زين الأخبار، ترجمة عفاف زيدان، ص ٢٨٦ (المترجم).

(2) ننگرهار: تقع في شرق أفغانستان ولا تزال بهذا الاسم حتى الآن، وهي محافظة وعاصمتها جلال آباد في أفغانستان (المترجم).

وأربعمائـة انتقـل إلـى رحمـة الله، وكـان عمـره تسـعًا وثلاثـين سـنة، والله أعلـم بالصواب.

السادس: علي بن مسعود ومحمد بن مودود مشتركان في الحكم

أجلس الأتراك وأكابر المملكة على العرش كلا الاثنين العم وابن الأخ، وكل شخص منهما قبض على ما في يده، ولما لم يكن لهما رأي أو تدبير، تسرب الخلل إلى الجيش والرعية، وبعد شهرين أجلسوا السلطان عبد الرشيد على العرش، ثم أرسلوهما إلى القلعة (والله أعلم الصواب).

السابع: عبد الرشيد بن محمود

جلس السلطان بهاء الدولة عبد الرشيد بن محمود على العرش في سنة إحدى وأربعين وأربعمائة، وكان رجلا فاضلا وعاقلا، وكان يروي ما سمعه من الأخبار، ولكن لم يكن لديه الكثير من القوة أو الشجاعة. وحينما تعاقب التبديل والتحويل في المملكة طمع الترك السلاجقة من خراسان في ملك غزنين، ووصل عرش خراسان إلى داود وابنه ألپ أرسلان الذي كان قائد جيش أبيه، فقد صمموا على الذهاب إلى غزنين، ودخل ألپ أرسلان من طرف طخارستان بجيش كثيف وقدم والده داود إلى بست عن طريق سيستان.

فاستعد السلطان عبد الرشيد بالجيش وعين طغرل قائدًا على الجيش وهو أحد عبيد محمود، وكان في غاية القوة والجلد، وأرسله إلى ناحية ألپ أرسلان، وهزم ألپ أرسلان أمام وادي خمار[1]، ومن هناك ذهب إلى بست متعجلا، وحينما التقى بداود فر داود وهرب منه، فتعقبه إلى سيستان، وهزم بيغو عم داود، وحينما تمت له

([1]) وادي خمار: أحد الوديان التي كانت موجودة شمال كابل، وشمال شرقي غزنين. (المترجم).

هذه الفتوحات رجع إلى غزنين، وقبض على السلطان عبد الرشيد وقتله، وجلس هو على العرش. وملك السلطان عبد الرشيد عامين ونصف، وتوفى وكان عمره ثلاثين عامًا، والله أعلم.

الثامن: طغـــرل الملعـــون

كان طغرل عبدًا للسلطان محمود الغزنوي، وكان في غاية الجلد والشجاعة، وفي عهد السلطان مودود ذهب من غزنين إلى خراسان، فالتحق بخدمة السلاجقة وظل هناك مدة، وعرف طريقتهم في الحرب، وفي الوقت الذي رجع فيه عبد الرشيد إلى غزنين قبض طغرل على عبد الرشيد، وقتله وقتل معه أحد عشر أميرًا آخر، وجلس على عرش غزنين، وأدار دفة الملك أربعين يومًا دون نظم أو رسم، وأذاق الناس من الظلم والجور الكثير، فقالوا له: من أين أتى إليك الطمع في الملك؟ قال: حينما أرسلني عبد الرشيد لحرب ألپ أرسلان، وتعاهد معي، ووضع يده في يدي، تغلب عليه الخوف على الروح، لدرجة أنه كان يصل إلى مسامعي صوت الارتعاش والارتعاد من عظامه، فأيقنت أن هذا الرجل الرعديد لن يتحقق على يديه أمر أو يكون لملكه شأن، وحينئذٍ تملكني الطمع في الملك، وحينما مضى على ملك طغرل أربعون يومًا، قتله جندي تركي اسمه نوشتگين كان يقف خلفه هو وصديق آخر له، وخرجا برأسه ووضعاها على عصا وطافا بها حول المدينة حتى اطمأن الناس وأمنوا، والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

التاسع: فرخزاد بن مسعود

حينما عاقب الله سبحانه وتعالى طغرل جزاء ما فعل، وخلص الخلق من ظلمه وجوره الذي كان لا حد له، كان قد بقي اثنان من الأمراء المسعوديين في

قلعة برغند[1]: أحدهما إبراهيم، والآخر فرخ زاد، وكان طغرل الملعون قد أرسل جماعة إلى قلعة برغند لقتلهما والقضاء عليهما، فعطلهما كوتوال[2] القلعة يومًا أو يومين ونظر في هذا الأمر، وأبقى الحارسين خارج القلعة، على أساس أن يأتيا في اليوم التالي إلى القلعة، ليقتلوا الأميرين، وفجأة وصل فرسان مسرعون وجاءوا بخبر مقتل طغرل الملعون.

وحينما قتل هذا الملعون على يد نوشتكين، ودبر الملك أكابر المملكة وأعيانها وحجابها، وكان من المعلوم أن أميرين باقيان في قلعة برغند فاتجه جماعة إليها، وأرادوا أن يجلسوا إبراهيم على العرش، ولكن الضعف كان قد استولى على جسده المبارك، ولم يكن هناك مجال للانتظار، فأخرجوا فرخزاد وباركوا له بالسلطنة، وكان ذلك يوم السبت التاسع من ذي القعدة سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة، حيث أجلسوا السلطان فرخزاد على العرش، وكان رجلا حليما عادلا، حينما جلس على العرش وكانت ولاية زابلستان قد تخربت بسبب ما عرض لها من عوارض الدهر وشدة المؤونات، فترك خراجها حتى عمرت، وحسم الأمور في أطراف الممالك وأكنافها، وخالق الناس بخلق حسن، وأدار دفة الملك سبعة أعوام، وفجأة بسبب تعب في القولون لحق بالرفيق الأعلى، في سنة إحدى وخمسين وأربعمائة، وكان عمره أربعا وثلاثين سنة، رحمة الله عليه، فليبق الله تعالى بالتوفيق والعدل والإحسان سلطان سلاطين ظهر الأرض، ناصر الدنيا والدين، ظل الله في العالمين، شهاب سماء الخلافة، ناشر العدل والرأفة، محرز ممالك الدنيا، مظهر كلمة الله العليا، ذي الأمن والأمان، لأهل الإيمان،

---

(1) برغند: اسم القلعة التي كان الأمير محمد نجل السلطان محمود محبوسًا فيها، وكذلك حبس فيها السلطان إبراهيم الغزنوي ثلاثة عشر عامًا. (المترجم).

(2) كوتوال: كلمة باللغة الپاشتو ومستعملة حتى الآن كوت معناها قلعة وكلمة وال لاحقة تفيد النسبة وتعني المسئول عن القلعة ورئيسها. وقد استعمل البيهقي هذه الكلمة كثيرا وظن بعض المؤرخين أنها تركية، ولكن هذا خطأ. (المترجم).

وارث ملك سليمان أبا المظفر محمود شاه بن آلتتمش ليبقه الحق تعالى سلطانا وملكا على سرير الملك بالتوفيق والعدل والإحسان والحمد لله العلي الكبير، والله أعلم بالصواب.

العاشر: السلطان إبراهيم سيد السلاطين (رحمة الله عليه)

أسماء أولاد السلطان إبراهيم: محمود، وإسحق، ويوسف، ونصر، وعلي، وشهزاد، وخورشيد، وملك خوب چهر، وآزادمهر، وملك چهر، وآزاد چهر، وفيروزشاه، وتوران ملك، وملك زاد، وشمس الملك، وشير ملك، وملك شير، ومسعود، وإيران ملك، وگيهانشاه، وجهانشاه، وميرانشاه، وتُغانشاه، وأرسلان شاه، وطغرلشاه، وقتلغ شاه، ومؤيد شاه، وسلطان شاه، وملك شاه، وخسروشاه، وفرخشاه، وبهرامشاه، ودولت شاه، وطغلشاه.

كان السلطان ظهير الدولة، ونصير الملة، رضي الدين إبراهيم بن مسعود عليه الرحمة، ملكا عظيمًا عالمًا وعادلا وفاضلا يخشى الله ويخافه، وكان رحيما وعطوفا محبا للعلم، وكان متدينا يهتم بأمور الدين، حينما جلس السلطان فرخزاد على العرش، أتوا بإبراهيم من قلعة برغند إلى قلعة ناي[1]، وحينما توفى الأمير فرخزاد، أجمعت الأفئدة على اختيار إبراهيم، فذهب القائد حسن لخدمته، وباتفاق أهل المملكة جميعًا أخرجوه من قلعة ناي، ويوم الاثنين على الطالع المبارك، وفي الصفة اليمينية، أجلسوه على العرش، وفي اليوم التالي جلس لتلقي العزاء في الأمير الحميد فرخزاد، وزار مقابر آبائه وأجداده، ورافقه الأعيان والأكابر، وكانوا مترجلين لخدمته، ولكنه لم يلتفت إلى شخص ولهذا السبب تمكنت هيبته من قلوب الخَلق، وحينما وصل خبره إلى داود السلجوقي في خراسان، أرسل الأعيان

([1]) اسم قلعة وكانت محبس الغزنويين وهي حتى الآن موجودة شمال غرب غزنة باسم قلعة نى وقد ورد اسم هذه القلعة في حبسيات الشاعر مسعود سعد سلمان المتوفى عام ٥١٥هـ. (المترجم).

والعارفين بالأمور وصالحه، وبعد داود ظل ألپ أرسلان ثابتا على العهد، وضبط الأمور في ممالك أجداده، وأقام الخَلل الذي كان قد وقع في المملكة بسبب حوادث الأيام، وبسبب الوقائع العجيبة التي وقعت كلها وشاهدها، وصارت الأمور في المملكة المحمودية جديدة من البداية، فقد عمر الخرائب، وشيد كثيرًا من القلاع والقصبات مثل خير آباد، وأيمن آباد وغيرها من الأطراف، وفي عهده ظهرت عجائب ونوادر كثيرة، فقد مات داود السلجوقي الذي كان يشبه البرق الخاطف، وأمضى عمره في القتال والنزال والجدال والاستيلاء على الممالك، وكانت ولادة إبراهيم في عام فتح گرگان سنة أربع وعشرين وأربعمائة في ولاية هرات، وكان له من الأبناء أربعون بنتا وستة وثلاثون وَلدًا، وقد زوج بناته جميعهن للسادات الكرام والعلماء المشهورين، وإحدى هؤلاء الأميرات كانت زوجة للجد الثالث لمنهاج السراج.

وسبب نقل أجداد الكاتب من جوزجان هو: أن الإمام عبد الخالق الجوزجاني المدفون في أعالي طاهر آباد بغزنين رأى في المنام وهو في جوزجان أن هاتفا يقول له: انهض واذهب إلى غزنين وتزوج، وحينما استيقظ ظن أن هذا المنام من الشيطان، ولكنه رأى هذه الرؤيا ثلاثة أيام متواصلة، وبناءً على هذه الرؤيا قدم إلى غزنين، وتزوج من إحدى الأميرات بنات السلطان إبراهيم، وأنجبت له هذه الأميرة ابنا اسمه إبراهيم، وإبراهيم هذا هو والد مولانا منهاج الدين عثمان بن إبراهيم رحمة الله عليهم أجمعين، وكان مولانا منهاج الدين والد مولانا سراج الدين أعجوبة الزمان، وكان والد منهاج السراج.

وكان السلطان إبراهيم- رحمة الله عليه- ملكا مباركا، وقد دام ملكه اثنين وأربعين عاما[١] وكان عمره ستين عامًا، وكانت وفاته سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة، والسلام.

الحادي عشر: علاء الدين مسعود الكريم

هو ابن السلطان إبراهيم، وزوجته هي مهد العراق أخت السلطان سنجر، وكانوا يسمونه مسعود الكريم، كان ملكًا جميل الأخلاق مبارك العهد متميز الأوصاف، وكان صاحب عدل وإنصاف. جلس على العرش في عهد خلافة المستظهر بالله أمير المؤمنين أحمد بن المقتدر، وكان علاء الدين صاحب حياء وكرم يفيض عن الحد، وأزال قوانين الظلم التي وضعت قبله جميعها ومحا كل ما وضع من الزوائد في مناطق سربند محمودي وزاولستان، وتجاوز عن ضرائب كل نواحي الممالك، وترك كل الأمراء وأكابر الممالك في أماكنهم التي كانوا عليها في عهد السلطان إبراهيم، وقدم كل ما هو مستحسن في قوانين الملك ورسومه.

ترك للأمير عضد الدولة إمارة الهندوستان، وفي عهده توفي الحاجب الكبير، وعبر الحاجب طغاتگين نهر الگنج لغزو الهندوستان، ووصل إلى مكان لم يصل إليه أي جيش غير جيش السلطان محمود، وانتظمت كل أمور المملكة في عهده، ولم يكن قلبه مشغولا بشيء من أي ناحية، وكانت ولادته في غزنين سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة.

---

(١) ولد السلطان إبراهيم عام ٤٢٤هـ، وتوفى عام ٤٩٢هـ ، إذن وقت وفاته كان عمره ثمانية وستين عامًا. (المترجم).

وكانت مدة ملكه سبعة عشر عامًا، وتوفي عام تسعة وخمسمائة، وكانت زوجته هي أخت السلطان سنجر، وكانوا يسمونها مهد العراق [والسلام والله أعلم].

الثاني عشر: الملك أرسلان

الملك أرسلان هو ابن السلطان مسعود أبي الملوك، جلس على كرسي الملك سنة تسع وخمسمائة وسيطر على گرمسير وممالك غزنين، وذهب شقيقه بهرامشاه من قِبَلِه إلى خراسان إلى السلطان سنجر رحمه الله، وفي عهد الملك أرسلان وقعت أحداث عجيبة، أحدها أن نيرانًا وصاعقة نزلت من السماء إلى حد أن هذه النيران أحرقت جميع أسواق غزنين، كما ظهرت حوادث أخرى ومصادفات سيئة في عهده إلى حد أن تملك الناس النفور من حكمه، كان يوصف بأنه في غاية الشهامة والجلد والشجاعة والجرأة، وحينما جلس على العرش، استخف بوالدته مهد العراق، ولهذا السبب عاداه السلطان سنجر، وأمد بهرامشاه بالمدد، وقدم السلطان سنجر إلى غزنين، واشتبك معه الملك أرسلان فهزم وذهب إلى الهندوستان ونكب. وتوفي سنة إحدى عشرة وخمسمائة، وكانت مدة ملكه عامين وكان عمره خمسًا وثلاثين سنة، والله أعلم.

الثالث عشر: بهرامشاه

معين الدولة بهرامشاه كان جميل الطلعة سخيا معطاءً محبا للرعية، وفي بداية الحال حينما جلس على العرش الملك أرسلان بعد موت أبيه السلطان مسعود الكريم، ذهب بهرامشاه إلى خراسان، وكان عرش خراسان مزدانا بعظمة السلطان سنجر وبهائه أنار الله برهانه.

فذهب بهرامشاه إلى خراسان، وظل مدة في بلاط السلطان سنجر، فجرد السلطان سنجر جيشًا إلى غزنين وهزم الملك أرسلان بعد معركة، ثم جلس

بهرامشاه على العرش، وأعزه سنجر وأكبره، وأنشد سيد حسن[١] (عليه الرحمة) قصيدة في البلاط في حضور السلطان سنجر (عليه الرحمة) وأورد منها هذا البيت:

نادى مناد من فوق سبع سماوات

وقال: إن بهرامشاه هو ملك الدنيا[٢].

ثم رجع سنجر إلى خراسان، وضبط بهرامشاه أمور المملكة، وقام بالغزو في الهندوستان، وفي السابع والعشرين من شهر رمضان سنة اثنتى عشرة وخمسمائة قبض على محمد باهليم وسجنه، ثم أطلقه وتجاوز عنه وتركه لمصيره، وأعطاه ولاية الهندوستان كلها، فعصى مرة أخرى، وشيد محمد باهليم قلعة ناگور في ولاية سوالك في حدود بيره، وكان له أبناء وأتباع كثيرون، فقصد بهرامشاه قلعته في الهندوستان، وتقدم محمد باهليم إلى حدود الملتان، واشتبك في معركة مع بهرامشاه، ولكن الحق تبارك وتعالى جزاه بكفر نعمته فغاص في الأرض مع عشرة من أبنائه وجياده وسلاحه، وكأن لم يكن له قبل ذلك علامة أو أثر، ثم رجع بهرامشاه إلى غزنين، ووقع بينه وبين ملوك الغور قتال ومعارك قتل فيها ابنه دولتشاه، وهزم هو ثلاث مرات من السلطان علاء الدين الغوري، وسقطت غزنين في أيدي الغوريين، فأحرقوها كلها وخربوها، وذهب بهرامشاه إلى الهندوستان، وحينما عاد جيش الغوريين إلى بلاد الغور، رجع بهرامشاه إلى غزنين ثم توفى، وكانت مدة ملكه إحدى وأربعين سنة [والله أعلم].

---

(١) سيد حسن: يقصد الشاعر سيد حسن الغزنوي، المتوفى عام ٥٥٧هـ، وقد سبق التعريف به. (المترجم).

(٢) **منادى برآمد زهفت آسمان   كه بهرامشاهست شاه جهان.**

الرابع عشر: خسروشاه بن بهرامشـــاه
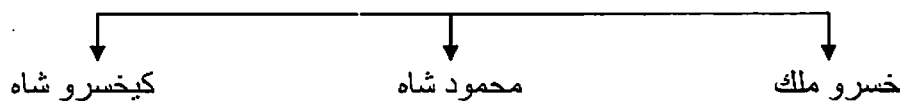
جلس السلطان يمين الدولة والدين خسروشاه على العرش عام اثنين وخمسين وخمسمائة، وحينما زلزل ملوك الغور وسلاطينهم- أنار الله براهينهم- أركان مملكة آل محمود، وأخرجوا من أيديهم غزنين وبست وأرض الداور، وتكين آباد ثم خربوها، دب الوهن والضعف في هذه الدولة، وذهب عنها جمال الملك ورونقه، وحينما جلس خسروشاه على العرش كان ضعيفًا، ولم يستطع أن يضبط أمور الملك، واستولى جماعة الغز على خراسان، وكان عصر السلطان السعيد سنجر قد انتهى، وقدمت أفواج الغز إلى غزنين، ولم يستطع خسروشاه أن يقاومهم، فذهب إلى الهندوستان، وخرجت غزنين من يديه، ووقعت في أيدي الغز، وظلوا بها اثنى عشر عامًا حتى قدم السلطان السعيد غياث الدين محمد سام- أنار الله برهانه- بجيش من الغور إلى غزنين: وهزم جيش الغز واستولى على غزنين، وأجلسوا على العرش السلطان السعيد معز الدين محمد سام، وذهب خسروشاه إلى لوهور بالهندوستان، ودام ملكه سبعة أعوام، ثم رحل إلى الرفيق الأعلى، والله أعلم بالصواب.

فليبق الحق تبارك وتعالى مملكة ملك المسلمين ناصر الدنيا والدين وليحفظها. آمين يا رب العالمين.

الخامس عشر: ختم الملوك المحمودية خسرو ملك بن خسروشاه بن بهرامشاه

بـــــن
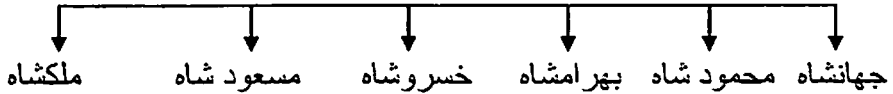
تاج الدولة السلطان الحليم خسرو ملك- نور الله مرقده- جلس على عرش لوهور، وكان ملكا في غاية الحلم والكرم والحياء، محبا للترف، يجمع كثيرًا من الصفات الحميدة، ولما كانت دولة أسرته قد سقطت فلم يبق منه ذكر جميل، ولقد انتهت به سلالة هذه الأسرة، وظهر الفتور والضعف في النهاية في أمور سلطنته. واستضعفه الأمراء وعمال مملكته من الأتراك والأحرار، وقبض الخدم والسادة على الحكم في الإمارات والولايات أما هو فكان مشغولا دائمًا باللهو والترف مفرطا فيهما.

وكان السلطان السعيد معز الدين محمد سام- طاب مرقده- يأتي من غزنين كل عام ويضبط أمور ولاية الهندوستان والسند، وفي شهور سنة سبع وسبعين وخمسمائة قدم إلى أبواب لوهور، وأخذ من خسرو ملك كل ما ملك ورجع، وفي شهور سنة ثلاث وثمانين أتى بجيش إلى لوهور وفتحها، وأخرج خسرو ملك بعد معاهدته، وأرسله إلى غزنين ومن هناك أرسله إلى فيروزكوه[1] عاصمة السلطان العظيم غياث الدين محمد سام، وأمر غياث الدين أن يحبسوا خسرو ملك في قلعة بلروان في غرجستان، وحينما ظهرت حادثة سلطان شاه في خراسان، تغلب عليهم

([1]) فيروزكوه: راجع ما كتب عن هذه المدينة في مقدمة المترجم. (المترجم).

سلاطين الغور، نور الله مضاجعهم، وقتلوا السلطان خسرو ملك في شهور سنة ثمان وتسعين وخمسمائة، وكذلك قتلوا ابنه بهرامشاه الذي كان محبوسا في قلعة سيفرود في بلاد الغور، واندرست أسرة آل ناصر الدين سبكتگين [طاب ثراهم].

ووصل ملك إيران وعرش الهندوستان وملك خراسان إلى ملوك الشنسبانية أنار الله براهينهم.

فليحفظ الله تعالى سلطان سلاطين الإسلام ناصر الدنيا والدين أعوامًا كثيرة وسنوات عديدة على سرير الملك، آمين يا رب العالمين، والله أعلم بالصواب[1].

---

(1) المؤلف ينتهز كل فرصة ويقوم بالدعاء للسلطان ناصر الدين محمود بن ألتتمش الذي كان يعيش في كنفه. (المترجم).

الطبقة الثانية عشرة:

السلجوقية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رازق كل مرزوق، وخالق كل مخلوق، وواهب الملك لآل سلجوق، والصلاة على محمد الصادق الصدوق، والسلام على آله وأصحابه ما طلع سهى وعيوق.

يقول أضعف عبيد الله في الأعتاب الربانية، منهاج السراج الجوزجاني عصمه الله من الزلل والتواني: إن نوبة الملك تصل بتقدير إلهي لكل أسرة وكل عائلة فترة من الزمن، والدولة تشبه الطائر الذي يرتاح في التنقل من غصن إلى آخر، حتى لا يبقى مسند الإمارة ومتكأ السلطنة دون متصرف شهم يرتب ما يكون فيه صلاح أمور عامة الخلق، وكافة الرعية، دون تكلف للتخويف والعقاب والحمد الله على نعمته المتواترة.

ويقول ابن الهيصم النابي صاحب التاريخ: حينما عبر السلطان الغازي السعيد محمود بن سبكتكين- أنار الله برهانه- نهر جيحون، وصفت له بلاد ما وراء النهر، قابله قدِرْخان شقيق إيلك خان من أسرة أفراسْياب، وعقدت بين الجانبين معاهدات في الصداقة والمودة واستحكام عرى الأخوة، وتلاقى كلاهما مع الآخر، وحينما اتصل بالسلطان محمود قدر خان وأذن له بالمثول أمام الناس فى البلاط، ثم فرغ السلطان، وتمت بينهما خلوة خاصة وتحدثا في ود عن

المصالح الكلية لإيران وتوران، كان لقدرخان في خدمة السلطان اقتراحات وأحد هذه الاقتراحات:

أن يوافق السلطان محمود الغزنوي على نقل ابن سلجوق التركماني بأتباعه من ديار ما وراء النهر وتركستان إلى ضواحي خراسان، وأتباع سلجوق وأبناؤه هم قوم يعيشون في نور[1] بخارى وكانوا أتباعًا مطيعين لآل سامان، وفي هذا الوقت كان ابن سلجوق رجلا بالغا عاقلا، وكان ملوك التركستان وأفراسياب في خوف دائم منه لجلده ومبارزته وسهمه وسيفه، ولا ينجو من سهامه الطيور والغزلان في البوادي والقفار.

كان ينقض على الصيد والخصم كأنه الريح العاصفة والسحاب المزمجر، وكانت يده الغالبة على كل من تمتد يده.

وفي الوقت الذي اتصل فيه قدرخان بخدمة السلطان، وكان الجميع يذهب لخدمة السلطان في السرادق الخاص، أسرع ابن سلجوق هذا بقبعته التي عوجها فوق رأسه وجلس على مركبته وكأنه قطعة من الجبل، أو كأنه البرق الخاطف والأسد المزمجر لدرجة أن الحشم في كلا الجيشين إيران وتوران كانوا في حيرة من سرعته وفروسيته.

وقد أوفى السلطان محمود بما التمسه قدرخان، وعندئذ رجع قدرخان، وأمروا ابن سلجوق أن ينتظر في الخيمة، وأعطى السلطان محمود الأمر أن تلتحق ذخيرته وأتباعه بالجيش المحمودي، وأن يعبر من نهر جيحون إلى

---

(1) نور: من قرى بخارى وهي تقع الآن في شمالها (حواشي حبيبي ص ٢٤٥). (المترجم).

أطراف خراسان، وأمر وكلاءه جميعًا أن يحافظوا عليهم، وعندما وصلوا إلى شاطئ جيحون، التحقوا بخدمة عبيد محمود. وحينما أعطى السلطان محمود الأمر لابن سلجوق أن يركب السفينة مع أتباعه وأشياعه قال أرسلان خان حاجب خراسان[1]، وأعظم عبيد السلطان محمود للسلطان: إنّ ما أمر به الملك يبتعد عن الرأي الصائب فبيديك استولى الخصوم على ملكك وملك أبنائك، وفي النهاية سيكون تمزق هذه المملكة بسبب هذه الطائفة، فرد السلطان، وقال: إذن ما رأيك؟ فقال أرسلان خان حاجب خراسان: إن الرأي عندي: أن تضعهم جميعًا في سفينة وتغرقهم، وأن تقطع إبهام أصابعهم، حتى لا يستطيعون الرمي بالسهام.

فقال السلطان محمود: يا أرسلان إنك رجل قاسي القلب، فإن نقض العهود، وقتل المساكين ليس من شيم الملوك ذوي الهمة والمروءة والشهامة، ولا يرد القضاء بالشجاعة، أو بسبب، أو بعذر. وحينما جعلوا ابن سلجوق يعبر من نهر جيحون، أمر أرسلان خان فأحضروه إلى الملتان، أما بنو الأعمام والأتباع الآخرون فقد عينت لهم مواضع المراعي، في ديار خراسان مثل نشاپور وباورد وأطراف خراسان.

وكما أراد الحق سبحانه وتعالى، فإنهم في النهاية كبروا وصاروا عظماء، وكان من نسلهم سلاطين وملوك ذوو أبهة ومكانة، ومع أن السلطان محمود ندم بعد ذلك، فلم تكن هناك فائدة، فلا مرد لقضاء الله.

ذكر الإمام أبو الفضل البيهقي- رحمه الله- في تاريخ ناصري: حينما جعل السلطان محمود- أنار الله برهانه- أربعة آلاف أسرة من السلاجقة يعبرون من جيحون كان عظماؤهم أربعة: يغمر، وبوقة، وكوكتاش، وقزل، وقسموا

(1) هو أبو الحارث أرسلان الجاذب كما ذكر في زين الأخبار للجرديزي. (المترجم).

بينهم المراعي في أطراف خراسان، ثم سلموهم إلى حكام خراسان فأمر الحكام ألا يحمل هؤلاء أي نوع من الأسلحة، وكان زعيمهم ابن سلجوق العظيم أسطورة في شجاعته، فقد أرسلوه إلى الملتان مع ولديه وتوفوا بعد فترة، أما بقيتهم فظلوا في بلاد ما وراء النهر، وفي كل عام كانوا يأتون من نور بخارى إلى درغان في خوارزم للرعي، وكان لهم مع ملك جند- وكان يدعى شاه- خصومة وعداء، وفي عهد السلطان مسعود الشهيد- طيب الله ثراه- شق أمير خوارزم ابن التونتاش عصا الطاعة وعضده وسانده السلاجقة في هذا العصيان، وفي عام خمسة وعشرين وأربعمائة أعطاهم مرعى في بلاد خوارزم يسمونه رباط ماشه. وحينما علم ملك جند بحالهم هاجمهم وقتل منهم ما يقدر بثمانية آلاف رجل، وبقي منهم عدد قليل فتحيروا من أمرهم، وقتل هارون أمير خوارزم ابن التونتاش العاصي.

ولم يكن من الممكن للسلاجقة أن يقيموا في ديار خوارزم ، ولم يستطيعوا أن يذهبوا إلى بخارى لخانات أفراسياب خوفًا من أبناء علي تگين، وللضرورة قدموا إلى نسا ومرو بسبعمائة فارس بذخيرتهم وأتباعهم، وتوفي يغمر وهو أحد أمرائهم وخلف ابنًا، وقدمت هذه الجماعة من أطراف خوارزم إلى نسا ومرو، ولم يكن لابن يغمر قوة لمقاومتهم فمع أنهم كانوا أقل في العدد فإن الطوائف الأخرى من الينـاليين وغير ذلك التحقت بهم، فذهب ابن يغمر إلى أطراف العراق لملاقاتهم، واستولى على الري، وأقام السلاجقة على رأس هذه الصحراء للرعي ومنحهم الله القوة، وضبطوا ممالك خراسان، وأصبح الشرق

والغرب من ممالك الإسلام بتمامه وكماله تحت تصرف أبنائهم إلى حد أن أسماءهم سوف تبقى في دفتر الأيام حتى يوم القيامة، والله يؤتي ملكه من يشاء وهو على كل شيء قدير، والسلام.

الأول: طغرل بن ميكائيل

يقول صاحب تاريخ ناصري الإمام أبو الفضل البيهقي- رحمه الله: حينما قدم السلاجقة جميعًا إلى صحراء خراسان، وولى ابن يغمر منهم مهزومًا مدحورًا، كان زعماؤهم ثلاثة هم: الشقيقان طغرل وداود ابنا ميكائيل، وعمهم يبغو(١)، التحق ثلاثتهم بخدمة السلطان مسعود، وأرسلوا المعتمدين، وقدم السلطان من گرگان إلى نيشاپور، فطلبوا من خدمة السلطان في نسا وفراوة إقطاعات ومواضع على رأس الصحراء، وفي خطابهم كتبوا أسماءهم كما يلي: طغرل ويبغو وداود موالي أمير المؤمنين يلتمسون من الخدمة، وقد ركب الحق تبارك وتعالى العظمة والتمرد في رءوسهم، وحينما عرضوا على السلطان هذا الأمر أمر في الحال أن يخاطبوهم بخطاب لين، وجهز جيشًا قوامه أحد عشر ألف فارس بقيادة بكتغدي، وفي شهور سنة عشرين وأربعمائة حينما وصل الجيش إليهم حارب الطرفان، حربا ضارية، ووقعت الهزيمة لجيوش السلطان فصالحهم السلطان مضطرا، وأعطى نسا لطغرل، ودهستان لداود، وفراوة ليبغو، وذهب السلطان إلى أطراف بلخ، وأعطى الهندوستان لابنه السلطان مودود، وفي شهور سنة تسع وعشرين وأربعمائة استولى السلاجقة على المدن الملاصقة للصحراوات مثل مدينتي مرو وسرخس، ثم طلبوا خراسان، فأرسل السلطان جيشًا كثيفًا بقيادة سباشي الحاجب لدفعهم، واندلعت بينهما المعارك، وهزم السلطان مسعود واستولى السلاجقة على خراسان، وأرسلوا إبراهيم ينال إلى

---

(١) هكذا في المتن. (المترجم).

نشاپور، وجلس على العرش وصار ملكا، وقرءوا الخطبة باسمه، وأرسل داود إلى سرخس، وعين ييغو على مرو، وضبطوا أمور خراسان، وضاع نصف المملكة من تصرف عبيد مسعود، والسلام.

الثاني: داود جغربيگ بن ميكائيل

حينما قدم داود موفدًا من قبل خدمة شقيقه لضبط مرو وسرخس، كان السلطان مسعود الغزنوي في بلخ، فأرسل رسالة لطغرل أن يصلح الأمور، وكان داود مع جنده حول مرو، وأظهر ألوانا من الشجاعة، وذهب إلى أبواب مرو، وكان الوقت في الفجر، وكان المقرئ على المئذنة يقرأ هذه الآية: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ﴾ ، وحينما سمع داود اسمه سأل أحد العلماء ما معنى هذا؟ وحينما أعادوها مرة أخرى جرد سيفه، وخرج في عقب حشم السلطان في مرو، وجعلهم جميعًا تحت سيفه، وفي هذا الوقت الذي حضر فيه رسول السلطان من بلخ إليه كان هناك مقرئ فقرأ هذه الآية ﴿ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ ﴾ فرآه الرسول وقد جلس على بساط من اللباد ووضع سرجه في طرف آخر، وكان أحيانا يضع رأسه على الأرض وينام، وأحيانا ينهض ويتكئ على السرج، وحينا كان يقوّم سهمه، وحين أتم رسول السلطان رسالته طلب الجواب، فقال داود: إن المقرئ الذى كان يقرأ ﴿ تُؤْتِى ﴾ ماذا كان يقرأ؟ اكتبها لي فكتب الكاتب على ورقة هذه الآية : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ ﴾ ثم سلمها للرسول، وحينما وصل الرسول لخدمة السلطان مسعود وقص عليه حالات داود وسكناته فأمعن النظر في جوابه بتلك الآية، أيقن أن عهد دولة المحموديين وصل إلى آخره في ديار خراسان وانقبض قلبه من ناحية خراسان.

ولما صارت مرو وسرخس بكاملهما للسلاجقة، اتجه داود إلى خراسان العليا، وفي أثناء ذلك أبدى صنوفا من الشجاعة، وجرد مرة أخرى أثناء الطريق أحد عشر ألف فارس، وقدم إلى أبواب بلخ، وكان السلطان وأكابر الدولة والحشم في بلخ، وكان هناك فيل على أطراف المدينة مربوط في موضع وجلس على ظهره فيال قد استسلم للنوم، فقدم داود ليلا وفك هذا الفيل، وساقه، وعندئذ استيقظ الفيال من النوم وقد ساق الفيل خمسة فراسخ، فذهل الفيال ولم تكن لديه قدرة على التنفس، وقدم داود من شفورقان[1] إلى عليا آباد بلخ، واشتبك مع السلطان، واجتهد كثيرًا ولكنه هزم، وفي شوال سنة تسع وعشرين وأربعمائة اتجه السلاجقة جميعًا: طغرل، وداود، ويبغو، وينااليان، والأتراك إلى مرو وسرخس، ووصل المسعوديون والمحموديون والبعض معهم، وقاد السلطان الجيش من بلخ إلى مرو وسرخس، واشتبكوا في صحراء سرخس، وظلت الحرب مستمرة من صلاة الفجر حتى صلاة العصر وهزم السلاجقة، ورجع السلطان إلى هرات، وعلم السلاجقة بذلك فطلبوا الصلح، وكان الصلح ضروريًا في الكرة التالية، وطلب السلطان مسعود من غزنين الجيش والآلات والعدة والعتاد، وحينما قدموا كان هناك قحط في خراسان، فقل العلف وعجز جيش السلطان وعدته وعتاده، وضعفت الجياد والإبل، فقدم السلطان مع الجيش جميعه إلى جوانب طوس، وذهب طغرل من نيشاپور إلى سرخس، واجتمع

([1]) شفورقان: هي مدينة شبرغان الحالية في شمال أفغانستان، وهي عاصمة محافظة جوزجان، عامرة بالمتاجر والسكان، وقد كتبها ياقوت الحموي شبورقان وشفرقان وذكر أنها من مدن جوزجان بالقرب من بلخ وظلت معمورة حتى عام ٦١٧هـ، وقد سبق التعريف بها. (المترجم).

السلاجقة جميعًا واتفقوا: أن ليست لهم طاقة وقدرة أكثر من ذلك لمواجهة مسعود وجيشه، حيث تمت هزيمتهم أكثر من مرة والصواب أن نصالح السلطان وألا نذهب إلى أطراف العراق، ونترك خراسان، فقال الأمير داود الشجاع الصنديد، الذي لم يكن له مثيل في الشجاعة والجلد: إن الاستيلاء على الممالك لا يجتمع مع الخوف والهلع، وإذا كان يجب الفداء والتضحية بآلاف الأرواح فأنا ليست لي حرفة أخرى غير الحرب والنزال، أما الملك والهلاك فهو حرفة الملوك. وحينما شاهد أمراء السلاجقة هذه الشجاعة اتفقوا معه، وأرسلوا كل أتباعهم وأشياعهم إلى الصحراء، واستعد الفرسان للحرب والمعركة، وتوقفوا في أول الصحراء على حدود دندانقان[1].

وحينما وصل السلطان بدأت الحرب، وظلت المعركة حامية ثلاثة أيام من الفجر إلى وقت الغروب، وظلت حتى يوم الجمعة التاسع من رمضان سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة، وضاق الأمر على السلطان، وقبض الأتراك على جيش السلطان فوجا فوجا. وهزم السلطان مسعود، وانتصر السلاجقة واستولوا على الملك، وبعد المعركة، وفي هذا الموضع، وضعوا العرش وصار طغرل ملكًا، وذهب يبغو إلى مرو، وقاد الأمير داود جيشًا إلى أطراف طخارستان وبلخ، واستولى على هذه الممالك، وبعد ذلك ذهب طغرل وداود إلى خوارزم وضبطوا الأمور فيها، وبعد فترة من ضبطهما الممالك توفي طغرل، وعقد داود العهود مع المحموديين وسلاطين غزنين، وصار ملكًا لخراسان وممالك العجم، وصفا له ملك الدنيا بأسرها، وحكم عشرين سنة وعدة أشهر، وتوفى سنة إحدى

---

(١) دندانقان: بفتح الدال وسكون النون، وفتح النون الثانية، وهي مدينة بين سرخس ومرو تبعد عن مرو عشرة فراسخ. (المترجم).

وخمسين وأربعمائة وازدان عرش السلطنة بالسلطان ألپ أرسلان الغازي، والله الباقي وكل شيء هالك، والسلام.

الثالث: ألپ أرسلان الغازي

هو ابن داود جغريبگ وقد جلس على عرش خراسان في شهور سنة إحدى وخمسين وأربعمائة بعد داود، وأحكم ضبط ممالك خراسان والعجم والعراق وخوارزم وطبرستان وكرمان وفارس وسيستان[1]، وساق الجيوش إلى أطراف تركستان وتوران، وانقاد له ملوك تركستان وأمراء أفراسياب، ووصل بمملكته إلى مكانة كان لها من كثرة الحشم والآلات والعدة والعتاد بحيث إن خيال المهندس[2] الماهر كان لا يصل إلى عدها وإحصائها والإحاطة بها. كما يقول شاعر في مرثيته وأغلب الظن أن يكون حكيم سنائي[3]:

هل رأيت رأس ألـپ أرسلان وقد وصلت إلى السماء السابعة من السمو والرفعة.

تعال الآن إلى مرو تر جسده في الطين والتراب.

---

(1) الثابت أن جغري بك لم يتول السلطة، وأن ألب أرسلان تولى بعد طغرل المتوفى ٤٥٥هـ؛ لأن جغري بك توفي قبل طغرل، وقد تولى ألب أرسلان السلطة بعد أن عزل أخاه الأصغر سليمان بن داود الذي جعله طغرل وليا لعهده (راجع: الراوندي: راحة الصدور، ص ١٦٥) وغيره من المصادر العربية. (المترجم).

(2) وردت كلمة المهندس بنفس اللفظ فآثرنا أن نبقيها كما هي، وجدير بالذكر أن الكلمات مهندس وهندسة فارسية. (المترجم).

(3) سنائي الغزنوي المتوفى عام ٥٤٥هـ هو حكيم أبو المجد مجدود بن آدم من الشعراء العظام في القرن السادس الهجري، كان يعيش في بداية حياته في بلاط الغزنويين، ومدح مسعود بن إبراهيم، وبهرامشاه بن مسعود، ونتيجة لقربه واختلاطه بشيوخ خراسان أغمض عينيه عن بلاط الملوك واتجه إلى التصوف. وله ديوان شعر يشتمل على القصائد والغزليات والمقطوعات، وله من المنظومات: حديقة الحقيقة، سير العباد إلى المعاد، طريق التحقيق، كارنامة بلخ، ومن المثنويات له عشقنامه، عقل نامه. (المترجم).

فليس لـه الآن كواكب يتمنطقون بالمنـاطق الذهبيـة، ولا حسناوات ذات رقاب فضية.

ولن ترى تحت أرجله مركبًا، ولا يمسك في يده العنان[1].

وحينمـا جلس ألـپ أرسـلان علـى العرش أرسـل الرسـل إلـى حضـرة غزنين، واستحكمت المودة بينه وبين السلطان إبراهيم، ولم يغير حدود ممالك غزنين، وانشغل بغزو التركستان والروم وبضبط ممالك الحجاز ومصـر، وبدأ فـي خدمـة حضـرة دار الخلافـة من صـميم اعتقـاد خـالص، وشـرف مـرات بتشـريفات دار الخلافة، وتيسـرت له أعمال الشحنة في مدينة بغداد .

ويقول كاتب هذه الطبقات ومؤلفها منهاج السراج الجوزجاني- عصمه الله من الزلل والتوانى: في شهور سنة ثلاث عشرة وستمائة كنت في حضرة سجستان، كان يوجد إمام في سجستان، وكان أستاذا في العقل والنقل ومرجع فضلاء العصـر، كان يُدعى الإمام رشيد الدين عبد المجيد، وقد سمعت منه ذكره عن عظمة السلطان ألـپ أرسلان قال: في شهور سنة ثلاث- أو أربع- وخمسين وأربعمائة ذهب ألـپ أرسلان لضبط ممالك التركستان، وحينما وصل إلى حدود كاشغر وبلاساغون وصل المخبرون في أثره، وأخبروه بأن أمير المؤمنين القائم بأمر الله وقع له حادث صعب، فقد كانت بينه وبين نصارى الروم معركة، وهزم جيش المسلمين، وأسر أمير المؤمنين وقيدوه وحبسوه في

---

(1) سر ألب أرسلان ديدى زرفعت رفته بركيوان   بمرو آ تابخاك أندر تن ألـپ أرسـلان بينى
نه أورا بركمر كوكب نه مه رويان باغبغب   نه أندر زير ران مركب نه در دستش عنان بينى.

قلعة في أعلى جبال بلاد الأنبار والجزيرة من نواحي حدود الروم وهذه القلعة على جبل شامخ على شط نهر الفرات.

فجهز ألب أرسلان جيشًا جرارًا قوامه مائة ألف فارس يمتشقون السيوف بسرعة فائقه لاستخلاص أمير المؤمنين وفك أسره، وأمر جنوده بسرعة طي المسافة للانتقام لجيوش المسلمين لدرجة أنهم في ستة عشر- أو سبعة عشر- يومًا- الله أعلم بالحقيقة- قطعوا المسافة ووصلوا من بلاساغون إلى هذه القلعة على شاطئ نهر الفرات، وبطريقة المصافحة باليد دعا صاحب القلعة للإسلام، فتشرف بالإسلام، وخلص أمير المؤمنين من هذا القيد والأسر بإذن الله وعونه، وفي خدمة الركاب ومع عظمة الخلافة صاحب أمير المؤمنين إلى حدود قصبة ملكه ثم استأذن ليرجع، وحينما استأذن للوداع ترجل وشرف شفة سلطنته بتقبيل حافر مركب أمير المؤمنين، وفي هذه الفترة ولهذه الخدمة نال الشرف والحظوة من دار الخلافة، وقال له أمير المؤمنين القائم بأمر الله: "لقد حفظت عباد الله من القتل، وحفظت البلاد من التخريب لنجاتي وتخليصي"[1]، فلينظر الناظرون بعين التأمل لخدمة السلطان ألب أرسلان الغازي، وعلو همة أمير المؤمنين وإلى أى حد وصل كلاهما إلى مدارج العظمة، ولقد حكم ألب أرسلان أربعة عشر عامًا[2]، فقد جلس على العرش سنة إحدى وخمسين وأربعمائة، واستشهد في صفر سنة خمس وستين وأربعمائة فليحفظ الله- تبارك وتعالى- أرواحهم المطهرة في فراديس الجنان

---

(1) العبارة التي بين قوسين قمت بترجمتها من حاشية الأستاذ حبيبي، ص ٢٥٣، جـ١، طبقات ناصري؛ لأنني وجدت أنها هي الأنسب للنص؛ لأن العبارة التي وردت في النص غير مناسبة للسياق حيث يقول أمير المؤمنين: (لقد قتلت العباد، وخربت البلاد لتخليصي). (المترجم).

(2) الصحيح أنه حكم عشرة أعوام. (المترجم).

بكرمه وعظمته غير المحدودة وغير النهائية، وليبق ملك الإسلام ناصر الدنيا والدين على سرير الملك ومهد السلطان، والسلام والله أعلم بالصواب.

الرابع: السلطان جلال الدين ملكشاه

جلس على عرش السلطنة في إيران بعد أبيه، وضبط جميع بلاد توران والجبال والعراق والديلم، وطبرستان والروم ومصر[١] والشام وديار بكر والأرمن وسيستان وفارس، وكانت الخطبة باسمه على جميع منابر بلاد المسلمين، وتشرفت السكة من الدراهم والدنانير بألقابه وأسمائه، وكان هو شخصيًا ملكا قاهرا قويا حازما شهما وشجاعا وعادلا، وكان مزدانا بكل أوصاف الملك والسلطان، ضبط ممالك التركستان جميعها، واستولى على ممالك الروم، وسلمت له شحنة بغداد في خدمة دار الخلافة وصارت الخطبة باسمه على جميع منابر بلاد الإسلام في مكة والمدينة واليمن وأقطار الحجاز، وغزا وجاهد كثيرا في ممالك الترك والروم، وفي كل طرف من ممالك الشرق والغرب نصب حاكما من طرفه، فأعطى ممالك الروم لشقيقه، وبعد شقيقه أعطاها لابنه محمود بن ملكشاه، ومن هذا التاريخ سلمت الممالك لأبنائه كما سنذكر بعد ذلك إن شاء الله تعالى.

وقد جاء في منتخب تاريخ ناصري: أنَّ أحد أكابر غزنين ذكر: في وقت من الأوقات قال السلطان ملكشاه لوزيره نظام الملك: أعد الجيش فإنني عازم على الذهاب إلى بلاد مصر، فالتمس نظام الملك، وقال: يجب أن يتأنى الملك فيما

---

(١) الثابت أن مصر لم تدخل تحت حكم السلاجقة. (المترجم).

عزم عليه، ففي هذه البلاد توجد جماعة القرامطة والفاسدون في الدين، ويصل إلى أسماع الملك السني، عن خيانة اعتقاداتهم، والعبد لله لا يستسيغ أن تمر على الخاطر الأعلى للسلطان هذه الشناعات، فأمر السلطان ملكشاه نظام الملك أن ينصرف للاستعداد للسفر، وأخبره أنه ليس في الإمكان صرف النظر عن هذا العزم، فاستعد نظام الملك استعدادًا كاملا، وسار السلطان فخورا بالجيش الجرار قاصدًا هذه البلاد، وحينما وصل بالقرب من مصر، استقبله أهل مصر استقبالا حافلا، فلم يلتفت السلطان لشخص أبدا حتى وصل إلى أبواب مدينة مصر، وحينما عبر من شاطئ النيل سأل: أين قصر فرعون؟ وعندما عرف اتجه إلى المكان وأمر الجيش أن يتوقف هناك، وذهب السلطان ملكشاه بجواد واحدٍ إلى ذلك الموضع، ثم ترجل عن الجواد، ثم صلى ركعتين حيث يوجد عرش فرعون، ثم مرَّغ وجهه في التراب وناجى ربه: يا إلهي لقد وهبت ملك مصر لعبد ادعى الألوهية، وقال أنا ربكم الأعلى، ووهبت العبد الضعيف ممالك الشرق والغرب، فجاء ومرغ وجهه في التراب وهو يقول: سبحان ربي الأعلى، أنت الجدير بالفضل والإكرام ارحم العبد لله، ورفع رأسه من السجود ورجع إلى خراسان ولم يذهب إلى مصر بعد ذلك.

وقد وردت هذه الحكاية عن عظمة هذا الملك الغازي العادل، ووردت حكاية أخرى عن هذا الملك في منتخب تاريخ ناصرى: أن جماعة من قهستان قدموا إلى نظام الملك عريضة وكتبوا فيها: لقد توفي أحد الأغنياء وليس له وارث سوى بنت أخت، وبقي منه مال كثير، ويجب أن يكون هذا المال لبيت المال، فعرض نظام

الملك هذا الموضوع على ملكشاه فلم يرد على السؤال ثلاث مرات، ثم قال له: سأجيبك غدًا، وفي اليوم التالي ذهب إلى الصيد، فذهب نظام الملك في إثره ليعرف الجواب حرصًا على التوفير لبيت المال، ومر ملكشاه على سوق الجيش، وحينما عاد من الصيد قال لأحد خواصه: إنني جائع ولقد رأيت التتماج[1] في السوق ولي رغبة أن تذهب إلى السوق وكل ما تجده من التتماج اشتره وأحضره، وحينما وصل ملكشاه بالقرب من المعسكر صعد إلى تل وجلس حتى يحضروا التتماج، وأجلس الأعيان والحكام ليأكلوا، كان الطبق كبيرًا يكفي ما يزيد على خمسين شخصًا من الحكام والأمراء والخدم، وحينما نهض ملكشاه سأل الرسول الذى بعثه: بكم اشتريت هذا؟ فنظر إلى الأرض، وقال: بأربعة دوانق ونصف ذهبا، فسأل: هل شبع الجميع؟ فقالوا: نعم شبعنا من دولة الملك فأعطى السلطان ملكشاه قيمة ما سمع من أمواله، ثم التفت إلى نظام الملك، وقال: عبد ضعيف مثل ملكشاه ووزير مثلك يا نظام الملك وعدد كبير من الجند شبعوا بأربعة دوانق ونصف، والآن فإن الطمع في أموال اليتامى لا مروءة فيه، فكل من ادخر مالا وجمع الحلال والحرام فإنه يصل من بعده إلى أولاده وورثته، ولو نستولي عليه ظلمًا سوف نكون متساوين، فأغلق هذا الموضوع ولا تزد القول فيه. رحمه الله وليدع له القراء بدعاء الخير.

يوجد في الدنيا من آثار هذا الملك الكثير من آثار الخير والفضل، أحد هذه الأشياء استحداث علم النجوم في دولته، وذلك بسبب كبيسة الشهور القمرية، وقد ظهر تفاوت كبير في الرصد، وأخطأت الحسابات وانحرفت أحكام

---

(١) التتماج: بضم الأول وسكون الثاني أحد الأطعمة التركية. (المترجم).

أصحاب التقويمات فأمر السلطان ملكشاه أساتذة علم النجوم والحسابين أن يراجعوا رصدهم مراجعة كاملة، وأن يراجعوا أيام الشهر، واليوم الأول من ربيع تكون الدقيقة الأولى فيه من برج الحمل عرف بالنوروز الجلالي بلقب هذا الملك.

وكان وزيره نظام الملك الطوسي وهو مشهور ومعروف وآثار خيره باقية في الدنيا، وفي عهده كان يعيش الشيخ أبو سعيد أبو الخير[1] والإمام الغزالي[2] وكانت مدة ملكه ستة وعشرين عامًا، وتوفي في سنة إحدى وأربعمائة[3] والله أعلم والله أحق أن يبقى، والسلام والله أعلم.

الخامس: محمد بن ملكشاه

حينما توفي السلطان ملكشاه كان له ثلاثة أبناء: الأكبر كانوا يسمونه محمد تبر, والثاني سنجر ، والأصغر منه محمود؛ فأجلسوا محمد تبر الابن الأكبر على العرش، وتمنطق أمامه وجهاء الدولة وعظماؤها، وضبط وزراء

---

(1) أبو سعيد أبو الخير: المتوفى عام ٤٤٠هـ ، وهو من عظماء المتصوفة في القرن الخامس الهجري، ولد في قرية ميهنة من قرى خراسان. ويقال: إنه أول شاعر يمزج الشعر بالأفكار الصوفية. (المترجم).

(2) الإمام أبو حامد الغزالي: المتوفى عام ٥٠٥هـ، حجة الإسلام الإمام زين العابدين أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، من أشهر علماء الدين في القرن الخامس الهجري، وكان ملك شاه السلجوقي يبعث معه الرسائل إلى خليفة بغداد وهو لا يزال في سن الشباب، وللغزالي سبعون كتابًا ورسالة في الأخلاق والتصوف والفلسفة والحديث والمنطق ومن أشهر كتبه: إحياء علوم الدين، مقاصد الفلاسفة، تهافت الفلاسفة، المنقذ من الضلال الوسيط في الفقه، البسيط في فروع المذهب الشافعي. (المترجم).

(3) توفي ملكشاه السلجوقي- حسب إجماع المؤرخين- عام ٤٨٥هـ، وبناءً على هذا فإن التاريخ الذي ورد في المتن خطأ، وربما يكون الخطأ من الناسخ. (المترجم).

ممالك الشرق والغرب بكفاية ودراية، وانقاد له سلاطين الأطراف ولكن السلطان محمد تبر كان رجلا عياشا يحب الطرب والمتعة، وجد مملكة مترامية الأطراف كبيرة فشغل باللهو والطرب، فلم يقم بقيادة الجيوش إلى الثغور ولم يعين أحدًا، ولم يتم أمر في عهده يكون ذكره واجبًا، ولم تتسع مملكته، وطوي بساط حياته بسرعة، وأمضى عامين في العيش والطرب ثم توفي. وبعده وصلت نوبة الملك إلى السلطان سنجر- رحمة الله عليه. فليبق الحق تعالى سلطان السلاطين ناصر الدنيا والدين، والله أعلم.

السادس: السلطان الأعظم معز الدنيا والدين سنجر بن ملكشاه السلجوقي

كان السلطان سنجر ملكا كبيرًا معظما صاحب قدر، ولد في بلاد السنجار[1]، في شهور سنة تسع وسبعين وأربعمائة في الأوقات التي كان والده فيها مشغولا بالخدمة في بلاط الخلافة، وبإجراء مصالح دولة أمير المؤمنين، وحينما توفي والده ملكشاه كان السلطان سنجر في العاشرة من عمره، وجلس شقيقه محمد على العرش، وبعد وفاة شقيقه أجلسوا السلطان سنجر على العرش، وتشرف بعهد دار الخلافة ولوائها، في قصبة الملك مرو شاهجان.

وصارت الخطبة والسكة باسمه في كل ممالك الإسلام التي كانت تحت سيطرة والده وجده، وحينما بلغ وصار في ريعان العمر وشرخ الشباب صارت جميع ممالك الشرق والغرب تحت سيطرة عبيده والتابعين له، وكانت أول

---

(1) السنجار: في الصحراء العربية وهي جزء من ديار ربيعة. (المترجم).

معركة لأتباعه وجنوده ضد محمد خان في سمرقند، فقد ضربوه وهزموه وبعد ذلك كانت له في جميع أطراف الممالك ست عشرة معركة، انتصر في جميعها، وفي عهده امتدت الدولة واتسعت، وجعل الأمور تسير على جادة السنة والسياسة والنهج السليم، ووجدت أمور الشريعة المحمدية وأحكام الأمة الإسلامية طريق الأوامر والنواهي الإلهية ممهدًا سلسًا، وعمر أرض خراسان والعراق وما وراء النهر تعميرًا كبيرًا، وشيد في بغداد باسمه قصورًا للسلطنة، وظلت شحنة بغداد وقيادة الجيوش كما كانت في عهد آبائه، بل إنها صارت أكثر تحت تصرفه وتصرف أتباعه، ونَصّبَ عبيده وأتباعه، في الولايات والممالك في كل البلاد والديار: أعطى أران والعراق وآذاربيجان لأيلدكز، وكان عبدًا له، أمَّا أتابك محمد، وأتابك يوزبك وأتابك أرسلان فقد كانوا جميعًا أولاد إيلدكز، وأعطى فارس لسنقر، وهو والد أتابكة فارس وأتابك دكله، وأتابك زنگي وأتابك سعد وأبناؤه من أبناء سنقر، وأعطى خوارزم لابن خوارزمشاه، وكان من خدمه وأتباعه، وهو والد إيل أرسلان، وإيل أرسلان والد تكش خوارزمشاه، وتكش خوارزمشاه هو والد محمد خوارزمشاه، وقد تزوج مسعود الكريم (سلطان غزنين) أخت السلطان سنجر، وفي عهده، أي في عهد السلطان سنجر، يقال: إن الخلافات دبت بينه وبين سلاطين غزنين بسبب وفاة مسعود الكريم، ولقد جلس الملك أرسلان بن مسعود على عرش غزنين، فرحل بهرامشاه بن مسعود الكريم، وذهب من هناك لخدمة السلطان سنجر، وخدمه فترة، وبعد ذلك بمدة قدم السلطان سنجر إلى غزنين لمدد بهرامشاه، وأجلس بهرامشاه على العرش، وفي ممالك غزنين والهندوستان كانت الخطبة والسكة باسم سنجر، واتساع الدولة الذي تهيأ لسنجر لم يتهيّأ لأحد من آبائه، وقد أعطى

ملك الموصل لعبده وحتى هذا العهد القريب كان أتابكة الموصل من أبناء عبده، وكان هذا العبد من الأتراك الخطائيين.

وامتلك كل عبيده ممالك الشام، والسلطان نور الدين أتابك الشام من أبناء أتابك الموصل كما سيذكر بعد ذلك، إن شاء الله تعالى.

وانقاد للسلطان سنجر ملوك الغور وسلاطين الجبال جميعًا، وفي عهده وقعت الخصومة والعداء بين سلاطين غزنين وبين ملوك الغور، ورجحت الكفة لملوك الغور.

وحينما وصلت نوبة ملك الغور للسلطان علاء الدين حسين أظهر العصيان على السلطان سنجر، واشتبك معه على حدود جبال هرات في موضع يسمونه سگوشه ناب[1] وهُزم جيش الغور، وأسر السلطان علاء الدين، ولكنه أفرج عنه بعد عدة أيام، وأصبح نديمًا خاصًا للسلطان سنجر، ولما علم السلطان علاء الدين بحادثة خروج الغز، ذهب لخدمة السلطان سنجر، وكان مشغولا باللهو، جالسًا على العرش، وقد تدلت أرجله المباركة من فوق العرش، وكان على كف رجله المباركة خال، وحينما وقع نظر علاء الدين على هذا الخال نهض وطلب أن يتشرف بتقبيل هذا الخال، وقال هذا البيت متحدثا عن هذا الموقف:

يا من تراب قصرك تاجي وإكليلي

ويا من قيد عبوديتك زينتي وحليتي

---

(1) سگوشه ناب: هي على نهر هريرود بين چشت وهرات بالقرب من أوبه بأفغانستان. (المترجم).

حينما قبلت الخال في كف قدمك

طبع الإقبال والسعد قبلة على رأسي[1].

فأجابه السلطان سنجر إلى ملتمسه، وحينما طبع علاء الدين قبلة على الخال، أمسك السلطان سنجر شعر ناصية علاء الدين بأصابع أرجله وجذبه إلى الأرض، وحينما أراد علاء الدين أن يرفع رأسه من فوق الأرض، انتزع شعر رأسه.

فضجع الحاضرون بالضحك، فتطير علاء الدين وخجل وتغير لونه، فلما شاهد السلطان سنجر خجله قال بكرم ملكي: علاء الدين، لقد حَزَنتَ من هذا المزاح، وتكفيرًا عن هذا مبارك عليك مُلكَ بلاد الغور، فلا تبتعد عن عرشي، ألست شقيقي؟ ففي هذا الوقت الذي وقعت فيه حادثة خروج الغز يجب أن يكون معك قطعان الغنم وقطعان الجياد والإبل الخاصة فإن حالفك النصر، ودِفَعَ فساد تلك الطائفة فأرسلها إليَّ، ولتبق معك بلاد الغور خير من أن تبقى في أيدي من كفروا بالنعمة، فرجع السلطان علاء الدين إلى بلاد الغور، وعاد إلى عرشه بقوة دولة سنجر. هذه الروايات عن كرمه وإحسانه، أما ما يدل على قوته وقدرته في سياسة الملك.

يقول كاتب هذه الطبقات منهاج السراج عصمه الله: في شهور سنة إحدى عشرة وستمائة، وفي فيروزكوه عاصمة ملك سلاطين الغور- رحمة الله عليهم- سمعت من الأمير علي چاوش أنه قال: كان جده هو قائد جيوش

---

(1) أى خاك درسراي تو أفســـر من — وي حلقـه بندگي تو زيور من
چون خال كف پاى ترابوسه زنم — اقبال همي بوسه زند برسر من.

السلطان سنجر وحشمه ورفع السلطان مسعود عراق راية العصيان، وهو ابن أحد أخوة السلطان سنجر، وشاركه في هذا العصيان قراجه ساقي، وهو عبد السلطان سنجر، فقاد السلطان سنجر جيشًا من مرو عازمًا أن يدرك المعارضين من تلك الطائفة، وحينما وصل إلى مرتفعات العقبة في ساوه، كان معسكر عصاة العراق على الطرف الآخر في نهاية العقبة، وصعد السلطان سنجر مرتفعات العقبة بفرسان قلائل، وحينما وقع نظره على الأعداء لوى عنان فرسه، وقال للقادة والوجهاء الذين جاءوا معه: لقد وصلنا على مقربة من القوم، ومعنا أقل الفرسان، أما والأعداء كثر، فما الصواب؟.

فقال بعض الحكام: الأصوب ما يأمر به الملك، ولكن نتوقف حتى يصل الجيش والحشم جميعهم وعندئذ نضربهم فيكون هذا هو الأصوب، وقال البعض الآخر من الحكام: إن هذه الطائفة هم عبيد الملك، ويجب رحمتهم والعطف عليهم، وقد علموا جميعًا بوصول الرايات العليا للملك، وسوف يأتون جميعًا للخدمة، وفي ظل الحماية والعفو الملكي يبقون في سلامة. وفي النهاية عرض كل واحد من الحكام وأرباب الدولة ما جال في خاطره فنظر السلطان سنجر- رحمه الله- إلى الأمير چاوش قائد الجيش والحشم، وقال: چاوش ماذا يجب فعله؟ فترجل چاوش عن جواده ومرغ وجهه في الأرض، وقال هذا الشعر:

أيها الملك يجب أن تقام المعركة ويشتعل أوار الحرب على العدو

فالأسود الضارية مكانها الغابات والمرابض،

والفيلة الشرسة يجب أن تكون في ميادين الحروب والمعارك.

يوم الحرب يجب أن تنشب المعارك، ووقت العمل يجب أن يكون العمل

وحينما تصدر أيها الملك القرار، لن يكون للسيوف قرار[1].

فقال السلطان: سيكون الأمر كما قال چاوش. وفي ذلك الوقت دخل المعركة مع من لديه من الفرسان، وأسروا قراجه ساقي ومسعود عراق، وهزم جيش هذه الطائفة.

ودخلت ممالك العراق وآذربيجان من جديد تحت سيطرته، ورجع سنجر إلى خراسان، وكان في أغلب أحواله-عليه الرحمة- في الصيف يكون في بخارى وفي الشتاء في مرو شاهجان.

وفي أحد الأعوام تصادف أن أقام أكثر في مرو، واشتد القيظ والحر، ولم يستطع شخص قط من المقربين أن يقنعه بأن يعودوا ويرجعوا إلى بخارى، وكان جماعة الحكام والأمراء يحبون بخارى، فقالوا للأمير معزي[2] أوصل إلى أسماع السلطان نظمًا يصف قصور بخارى وبساتينها، ويعرضها كمال الزمان بالغناء والموسيقى، وكان أمير معزي أميرًا للشعراء وكان أربعون شاعرًا أستاذًا ينشدون مدائح السلطان في مجالس الشراب والطرب.

---

(1) خسروا كارزار بايد كـــرد — برعد وكارزار بايد كـــرد
شره شيران مرغـــزارى را — همه در مرغزار بايد كـــرد
ژنده پيلان كـــارزارى را — جمله در كارزار بايد كـــرد
روز جنگست جنگ بايدكرد — وقت كاراست كار بايدكرد
ملك راچون قرار خواهى داد
تيغ رابيقرار بايد كرد.

(2) أمير الشعراء أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الملقب بمعزي، توفي عام ٥٢٠هـ، وهو من الشعراء العظام في الدولة السلجوقية، له ديوان شعر يشتمل على القصائد والغزليات، وأشعاره تحتوي على كثير من المعلومات التاريخية عن العصر السلجوقي. (المترجم).

ويذكرون أنهم كانوا جميعًا يتبعون معزي، فقال هذه القطعة، ووقت السحر حينما أصبح السلطان، أخذ كمال الزمان في الإنشاد والطرب، وكان طربه وغناؤه في غاية الرقة لدرجة أن السلطان من فرط عذوبته خرج بلباسه الخاص وخفه وامتطى صهوة جواده، ووصل إلى منزل معهود وأمر بالراحة والاستماع إلى الشعر:

تأتى إلى أسماعي أصوات نهر موليان، وإلى مشامي رائحة الأحبة الموافقين.

إن رمال نهر جيحون وخشونتها، تبدو تحت أقدامي وكأنها الحرير الخسرواني.

ونهر جيحون ووعورته، يبعث فينا المرح والسرور.

فيا بخارى اسعدي وعيشي طويلاً، فإن السلطان سوف يأتى ضيفًا عليك.

إن السلطان قمر وبخارى سماء، وسوف يأتي القمر إلى السماء.

إن السلطان سرو وبخارى بستان، وسوف يرجع السرو إلى البستان[1][2].

([1]) هذه الأبيات تنسب للشاعر الرودكي المتوفي عام ٣٢٩هـ، أنشأها للأمير نصر بن أحمد الساماني (ت ٣٣١هـ) (المترجم).

([2])

بانگ جوى موليان آيدهمى	بوى يار مهربان آيدهمى
ريگ آمو ودرشتى هاى أو	زير پايم پرنيان آيدهمى
آب جيحون وشگر فيهاى أو	خنگ مارا تاميان آيد همى
أى بخارا شاد باش وديرزى	شاه نزدت ميهمان آيدهمى
شاه ماهست وبخارا آسمان	ماه سوى آسمان آيدهمى
شاه سرواست وبخارا بوستان	سرو سوى بوستان آيدهمى.

رحمة الله عليهم أجمعين وعفا عنهم.

وحينما مضت مدة على ملكه قدمت جماعة القراخطا من طمغاج وممالك الصين إلى حدود قراقورم بالتركستان، وطلبوا المرعى من السلطان سنجر، وتدخل في هذه الحدود بلاساغون وقبالق.

وجعل المالق لهم مراعي بإجازة السلطان سنجر، وأصبح توالدهم وتناسلهم كثيرًا، وقد رفعوا راية العصيان في عهد السلطان سنجر، واشتبكوا معه في معارك، وكان تاينكو وطراز وسنكم وإيما على رأس الخطا، ولم يكن لحشم السلطان طاقة وقدرة على المقاومة من كثرة مدة الفراغ، وامتداد الرفاهية والنعيم فهزموا، وأسر الخطا تركان خاتون ملكة الدنيا وزوجة السلطان، وكان هذا الأمر أول نكبة للسلطان سنجر، وبعد ذلك أتم السلطان الصلح وسلم لهم مراعي تركستان وبلاساغون بما فيها من المدن التي على الحدود، وبعد الصلح أرسلوا تركان خاتون للسلطان، وللحكيم كوشككي[1] هجاء كثير في هذا الحادث وهو مثبت في الكتب والدواوين.

وحينما حلت هذه النكبة، أخذت أمور المملكة في الضعف، وقد مضى ستون عاما من الملك السنجري، وقد خرج جماعة الغز من ختلان، وعصوا السلطان، واستردوا خراج ألف عام، فجرد السلطان جيشًا إلى هناك، وكان الغز

(١) كان كوشككي قايني حكيمًا فاضلا وكان من ندماء السلطان سنجر، ولكن بعد أسر تركان خاتون زوجة السلطان سنجر، قال هجاء قبيحا وفظيعا حول هذا الحادث مجمع الفصحاء، جـ١. (المترجم).

يعطون السلطان قلنسوة مملوءة بالفضة من كل منزل فلم يقبل منهم، فاشتبكوا مع جيش السلطان فهزموا جيوشه وأسر السلطان، وحينما وقع السلطان في أيديهم ترجل الجميع في ركابه، ولزموا خدمته وأمراء الغز: طوطي، وقزقوت، وملك دينار، وإبراهيم الختلي وغيرهم تمنطقوا أمام عرش السلطان[1]، ولكنهم أخذوا يصدرون الأوامر، فقسموا خراسان بين بعضهم البعض، وعملوا ما يجب عمله وكانوا يقولون: هكذا يأمر السلطان، وتفرق عبيد سنجر، وولي نظام المملكة وذهب، وانقطع حبل الدولة، وبعد مدة عام تقريبًا- يزيد أو ينقص- ذهب أحد عبيد السلطان وأمرائه للخدمة؛ فأركب السلطان معه وكأنه ذاهب للصيد، وأخرجه من بينهم وخلصه، وأجلسه على العرش في مرو، واجتمع الذين بقوا من عبيده، ولكن العمر كان قد وصل لآخره وشاخت الدولة، وتوفي سنجر يوم الاثنين في الرابع والعشرين من ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة في دار الملك مرو، ودفنوه هناك وكان عمره ثلاثا وسبعين سنة وعدة أشهر. وكانت مدة ملكه اثنين وستين عامًا والله أعلم.

ذكر سلاطين الروم من السلاجقة

سلاطين الروم من نسل السلاجقة والملوك العظام بقي منهم في بلاد الروم وديار الفرنج كثير من آثار الغزو والجهاد وبقاع الخير، مثل المدارس والمساجد والخانقاهات، والرباطات، والقناطر، والأوقاف، وهي قائمة باقية إلى يومنا هذا، وقصص الغزوات لأبنائهم وأمرائهم وملوكهم في هذه الديار مسطورة ومكتوبة في

---

(١) تمنطقوا أمام عرش السلطان يعني استعدوا للخدمة أمامه. (المترجم).

الكتب، وحينما جلس السلطان سنجر سلطان السلاطين- عليه الرحمة- على عرش أبيه، واستقرت له الدنيا، أصبح الشرق والغرب تحت سيطرة عبيده، وازدانت السكة والخطبة على منابر ديار بلاد الإسلام بأسمائه وألقابه، فأعطى ممالك الروم لشقيقه محمود بن ملكشاه[1]، وكل سلاجقة الروم من أبنائه[2] ولكل واحد منهم ذِكْر وثَبْتُ في الطبقات، ليعرف القراء عن أحوال هذه الأسرة شيئًا ويدعون بالخير للماضين وبالبقاء لسلطان المسلمين ناصر الدنيا والدين سلطان السلاطين في العالمين محمود بن السلطان ألتتمش خلد الله ملكه ووسعه وزاده.

الأول: محمود بن ملكشاه

حينما سُلم عرش ممالك الروم للسلطان محمود بن السلطان ملكشاه من سنجر شقيقه جاهد كثيرًا في هذه الديار وفي ثغور الإسلام، وجرد الجيوش لحرب الكفار من الفرنج، وعمل الغزو على السنة المباركة، واستولى على القلاع والمدن وأحسن إلى عبيد الله تعالى وعدل بينهم، وحينما مضت مدة على ملكه توفي إلى رحمة الله تعالى.

الثاني: مسعود بن محمود

السلطان مسعود هو ابن محمود بن ملكشاه، وفي البداية أعطاه السلطان سنجر حكم العراق، واتحد في فترة مع قراجة الساقي، وشقوا عصا الطاعة على السلطان سنجر، بسبب القوة التي كانت له في هذه الديار، ولكن فجأة

---

(1) محمود هو ابن شقيق السلطان سنجر وليس شقيقه. (المترجم).
(2) سلاجقة الروم من أبناء قتلمش بن إسرائيل بن سلجوق (ابن خلكان ٥/٧١). (المترجم).

انتصر عليه سنجر وأسرهما فضول عمله، وقل ذكره، ولم يجلس على العرش كثيرًا، ولكن استقر الأمر وقوى لابنه قزل وحفيده قلج أرسلان.

الثالث: قزل أرسلان بن مسعود

قزل أرسلان بن مسعود بن محمود بن ملكشاه، بعد وفاة والده استقوى قليلا، وضبط بعضًا من حدود ممالك الروم، وأجرى أمور الملك قليلا من الزمان، ثم توفي والسلام، والله أعلم بالصواب.

الرابع: قلج أرسلان بن قزل أرسلان

السلطان قلج أرسلان هو ابن قزل أرسلان، وقزل أرسلان هو ابن مسعود بن ملكشاه، وحينما تولى قلج أرسلان الملك بعد أبيه، اتسع الملك كثيرًا، وضبط أطراف ممالك الروم، وفتح كثيرا من القلاع والحصون، وغزا غزوات مشهورة، وعظم اسمه، وذاع صيته لدرجة أن أطراف بلاد الفرنجة اهتزت من الخوف منه كثيرًا.

ويفتخر جميع سلاطين الروم بالانتساب إليه، واستشهد ودفنوه في قونية عليه الرحمة والرضوان والمغفرة.

الخامس: كيكاوس بن قلج أرسلان

جلس السلطان عز الدين كيكاوس على العرش بعد والده، وضبط الممالك، وفي هذه البلاد جاهد كفار الفرنج جهادا كثيرًا، وبنى المدارس

والمساجد، وبقيت منه آثار خير كثيرة، وكان له أبناء عظام ومشهورون، وفي شهور سنة ثلاث وثلاثين وستمائة، وفي الخامس من شوال لهذا العام توفي ودفن إلى جوار والده في مدينة قونية.

السادس: كيقباد بن كيكاوس

جلس السلطان علاء الدين بن كيكاوس على العرش بعد والده، وضبط أطراف الممالك، وكانت له معارك مع كفار الفرنج، وبقيت منه آثار خير كثيرة، وفي شهور سنة ثلاث وثلاثين وستمائة توفي إلى رحمة الله، وأيضًا دفنوه في مدينة قوينة، والله أعلم بالصواب.

السابع: كيخسرو بن كيقباد

كان السلطان غياث الدين كيخسرو ملكا عظيمًا متميز الأخلاق عادلا. وحينما جلس بعد والده على العرش ضبط المملكة، وأحسن التصرف، وفي هذا الوقت وصلت فتنة جيش كفار المغول إلى حدود الروم، فاتفق مع الفرنج على المشاركة، وكان يعد جيشًا على الحدود على أطراف بلاد المسلمين، وفجأة تركه حشمه وحيدا، فأسرع المغول إلى تلك البلاد، فرجع بعد ذلك، وتوفي إلى رحمة الله في أول المحرم سنة ثلاث وأربعين وستمائة، وكان قد جعل ابنه عز الدين كيكاوس وليا لعهده، وكانت مدة ملكه أحد عشر عامًا، والله الباقي.

الثامن: كيكاوس بن كيخسرو

جلس عز الدين كيكاوس في أول سنة ثلاث وأربعين وستمائة على العرش بحكم أنه كان وليًا لعهد والده، وانقاد له الملوك والأمراء، ولما كان معروفا بالجلد والمبارزة والبطولة فقد أحكم ثغور الإفرنج، ولدفع كفار المغول

بسبب استيلاء هذه الجماعة على ديار المسلمين، أرسل شقيقه الأصغر إلى التركستان في بلاط منكوخان المغول ليترك هذه البلاد بطريقة الصلح، وحينما وصل ركن الدين قلج أرسلان الرسول الذي هو شقيق كيكاوس إلى منكوخان المغول عمل على خلاف أمر شقيقه، وكانت له هو طلبات، فطلب حكم بلاد الروم من أيدي شقيقه، فزوجه منكوخان من ابنة الجاكتا قائد المغول، فأرسل الخان الجاكتا مع جيش لمدد قلج أرسلان، وحينما وصل إلى بلاد الروم، هرب منه عز الدين كيكاوس، واستولى قلج أرسلان بمعاونة المغول على بلاد الروم، فلجأ كيكاوس إلى أورخان الروم وأحضر المدد، وضرب المغول وهزمهم، وأسر شقيقه وحبسه في قلعة، وبعد مدة خلص قلج أرسلان نفسه، وذهب إلى المغول، وما ظهر بعد ذلك لم يكن واضحًا، ولذلك اختصرنا لهذا القدر، والله أعلم.

التاسع: ركن الدين قلج أرسلان

يذكر جماعة من الثقات أنَّ ركن الدين قلج أرسلان كان بين جيش من المغول مع هولاكو الملعون، حيث ذهبوا إلى أطراف آذربيجان، ولكن أين وصلت عاقبته؟ إن شاء الله يكون خيرًا. الخير ما صنع الله.

العاشر: السلطان طغرل بن طغرل

ذكروا روايتين في نسب هذا الملك[1]، بعض الرواة يذكرون أنه طغرل بن طغرل أرسلان بن قزل أرسلان.

---

(1) ذكر المؤلف أن هناك روايتين ولم يذكر سوى رواية واحدة. (المترجم).

وكان السلطان طغرل ملكا عظيمًا للغاية، ودولته معاصرة لدولة السلطان علاء الدين تكش خوارزمشاه، وكان من الشجاعة إلى درجة أنه لم يكن أي مبارز يستطيع أن يرفع دبوسه الحربي من فوق الأرض، وكان طويل القامة مهيبًا.

ويروي الثقات أن شاربه كان يتدلى من فوق شفتيه ويستقر خلف أذنيه، وهو أحد أبناء إخوة السلطان سنجر وقد تركه والده صغيرًا.

وأبناء أتابك إيلدكز الذي كان عبدًا للسلطان سنجر حينما استولوا على العراق كان والده (أي والد طغرل) واليًا على العراق فتوفى، وحبسوا السلطان طغرل في قلعة من قلاع العراق، وأحضروا أمه لتكون معه، واستولى أبناء إيلدكز على العراق لتكون تحت تصرفهم، وحينما وصل السلطان طغرل إلى مرحلة الرجولة، كان يوصف بأنه في غاية الجود والشهامة والجلد، وقد عاونه جماعة وخلصوه من الحبس فخرج، واتصل لخدمته جمع كثيف من عبيد أبيه وجده، فأمسك الراية وأصبح سلطانًا وقالوا بيتا عند ظهوره وجرى القلم بمصراعيه:

ذاع الخبر في الري بأن السلطان قادم، ورايته المباركة وصلت إلى همدان[1].

وحينما استولى السلطان طغرل على العراق أجرى أمور الملك مدة ، وجرت مكاتبات ومراسلات بين جماعة من عبيده وبين السلطان علاء الدين

(1) آوازه به رى رسيد سلطان آمد وآن جتر مباركشى به همدان آمد.

تكش خوارزمشاه وطلبوا منه الحضور، وبحكم هذا الطلب والالتماس قدم تكش بجيش كثيف إلى العراق، وحينما التحم الجيشان غدر نفر أو اثنان من العبيد الكافرين بالنعمة بالسلطان طغرل؛ إذ جاءوا من خلفه وقتلوه، أما بقية عبيده والتابعين له فقد كانوا في مقدمة الجيش يحاربون في أعلى الوادي، وليس لديهم خبر عما تم بشأن قتل السلطان طغرل حتى أحضر هؤلاء الجاحدون والكافرون بالنعمة رأسه المباركة إلى تكش خوارزمشاه فأرسلها بدوره إلى مواليه والموافقين معه، وحينما علمت هذه الطائفة بذلك قالوا: إننا سنظل على رأس الحرب والضرب حتى تسلمنا قتلة السلطان، وعندئذ سوف نلتحق بخدمتك، فسلمهم تكش خوارزمشاه قتلة السلطان فقتلوهم، ليذهبوا إلى النار وبئس المصير، وقدموا مع رأس طغرل لخدمة تكش خوارزمشاه، فوضع خدم تكش خوارزمشاه رأس طغرل في زاوية وبموافقتهم أجرى مراسم العزاء، وضبط أمور العراق. اللهم اجعل عاقبة أمورنا خيرًا، والسلام.

الطبقة الثالثة عشـــرة :

ملـوك السنجرية

الحمد لله الذي جعل العبيد ملوكًا، وصير الملوك مملوكين، والصلاة على محمد أفضل الأنبياء وأعلاهم سلوكًا، وعلى أصحابه ما دلكت الشمس دلوكًا.

يقول أقل عباد الله في الحضرة الربانية منهاج السراج الجوزجاني أبلغه الله صوالح الأعمال والأماني: حينما انتهى عهد الدولة السنجرية، ولم ينجب سنجر ولدًا[1] لذلك وضع لأبناء الإخوة، وكل شخص من عبيده حكم طرف من أطراف ممالك الإسلام لقبه أتابك[2]، وجعل لأبناء الإخوة لقب شاهي أي الملك، وقد ضبط الأتابكة الممالك، وهذه الطائفة عدة فرق: إحداها أبناء الأتابك إيلدكز[3] الذي كان السلطان سنجر قد أعطاه العراق وآذربيجان، والثاني الأتابك سنقر، وكان قد أعطاه فارس، والثالث أتابكة الموصل وكانوا ملوكا للشام.

وقد كتب ثقات الرواة عن حال الفريقين، أما عن حال أتابكة الموصل فليس معلومًا إلا بالقدر الذي كتب في نسب السلطان نور الدين في الشام، إلا أن

---

(1) أنجب السلطان سنجر ثلاث بنات: إحداهن تزوجت خان خانان كبير عظماء بلاد ما وراء النهر، الثانية وكانت تدعى ماه ملك فقد تزوجها ابن عمها السلطان محمود، ولكنها توفيت في سن السابعة عشرة فزوجه السلطان سنجر أختها، وكانت تدعى ستي خاتون، وهي والدة الأمير گوهر. (راحة الصدور للراوندي الترجمة العربية، ص ٢٦٤/٣٠١). (المترجم).

(2) أتابك: مكونة من كلمتين (أتا) وتعني بالتركية الوالد، بيگ وهي بالفارسية وتعني السيد العظيم، وتكتب بك في كثير من المصادر أي بدون الياء وبالكاف العربية على سبيل التخفيف. (المترجم).

(3) هو شمس الدين إيلدكز الذي أسس أتابكة أذربيجان من ٥٤١هـ (المترجم).

خداوند زاده بالموصل- سلمه الله- قال هذا فقط: إن جدي الثامن كان من الأتراك الخطائيين، وكان عبدًا لسنجر رحمه الله. ولما كان الحال كذلك فقد وضعنا لهذه الطائفة ثلاثة أقسام:

الفرقة الأولى: ملوك العراق وآذربيجان

اعلم أن السلطان سنجر في إحدى الليالي وفي مجلس الطرب أعطى المُلك لثلاثة: أعطى أتسز مُلك خوارزم، وأعطى للأتابك إيلدكز عرش آذربيجان، وأعطى عرش فارس للأتابك سنقر. وفي اليوم التالي ذكر جماعة من الوزراء وأصحاب الأسرار والتدبير في خدمة السلطان: أمس أعطى السلطان المُلك لثلاثة، وليس في المقدور استخلاصه منهم فسأل: من هم هؤلاء الثلاثة؟ وحينما ذكروهم قال: الاثنان عبيدي والثالث تلميذي، وطالما ليس هناك ابن يرث الملك فإن عبيدي أفضل، والله أعلم.

الأول: أتابك إيلدكز السنجري

كان الأتابك إيلدكز عبدًا لسنجر، وكان في غاية الجلد والشهامة، ضبط بلاد آذربيجان وعمل أعمالا عظيمة، وبقي منه آثار خير كثيرة، ووهبه الحق تعالى أبناء متميزين، وحارب كفار الإفرنج والگرج، وضبط الأمور حتى حدود مملكة الروم، وأخذ المبالغ من العراق وأجرى أمور الملك مدة ثم توفى. رحمة الله عليه.

الثاني: الأتابك محمد بن إيلدكز

كان الأتابك محمد ملكًا عظيمًا، وقد جلس بعد والده على العرش، فضبط ممالك العراق وأذربيجان، وعمل أعمالا عظيمة، وكان عادلا جيد العقيدة، وبنى كثيرًا من المساجد والمدارس، وقام بالجهاد والغزوات في بلاد الكرج وأدخل حدود الروم والشام تحت حكمه، وأجرى أمور الملك فترة وكان له عبيد عظام، أجروا أمور الملك من بعده، وأدخلوا ممالك العراق في حوزتهم أمثال أيتغمش وأدمش.

الثالث: أتابك يوزبك بن محمد

كان الأتابك يوزبك بن محمد السنجري ملكا لأذربيجان، ويقول البعض: إنه شقيق الأتابك محمد ابن الأتابك إيلدكز السنجري، وكان يوزبك رجلا جلدا محنكًا، كان له ملك آذربيجان فترة، وحتى عهد دولة السلطان محمد خوارزمشاه كانت هذه المملكة تحت تصرفه، وعدة مرات قصده جيش خوارزمشاه، ولكنه لم يقع في أيديهم، حتى قدم إلى العراق طمعًا في أصفهان، وكانت بينه وبين أتابك فارس سعد خصومة، وفجأة وصل إليهم السلطان محمد خوارزم شاه، فانهزم يوزبك، واستأصلوا شأفته وخرجت آذربيجان من يده وتوفي.

الرابع: أتابك أبو بكر بن محمد

كان أتابك أبو بكر بن محمد ملكًا عظيمًا، وكانت العراق والجبال تحت تصرفه، وحكم بالعدل والإحسان وخلص أطراف الممالك من أيدي الخصوم، وشيَّد في العراق وأران وأذربيجان المدارس والمساجد، وشيد في المراغة مدرسة عظيمة للغاية، وأعز العلماء وكان له عبيد خاصون به، وكانوا كثيرين مدبرين مخلصين، وكان كل واحد حاكمًا على مدينة من مدن العراق، وهو الأخ

الأكبر للأتابك يوزبك، وقد نهض بأعباء الملك فترة وتوفي، رحمة الله عليه. والله أعلم.

الفـرقة الثـانية: ملوك فـارس

الأول: أتابك سنقر السنجري

حينما أعطى السلطان سنجر فارس للأتابك سنقر، ضبط تلك الممالك وعمل بالعدل والإحسان، وجاء بعض من أبناء إخوة سنجر بعد وفاته من العراق إلى بلاد فارس، فأرسلهم سنقر إلى إصطخر بفارس وعينهم في الوظائف، وهيأ لهم ما يحتاجون من المعاش، وأعطى لهم لقب شاه، أما هو فقد تصرف في شئون المملكة باسم أتابك، وقد أجرى أمور الملك فترة، ثم توفي، والسلام على من اتبع الهدى.

الثاني: أتابك زنكي بن سنقر

جلس الأتابك زنگي على عرش فارس بعد أبيه، وكان ملكًا عادلا حازما قاهرًا قويًا، أدخل جميع ممالك والده في حوزته وضبط الأمور فيها، وأجرى أمور الملك مع ملوك الأطراف بطريقة سهلة ميسرة، وظلت فارس فترة تحت تصرفه، ثم توفي.

الثالث: أتابك دكله

جلس أتابك دكله بن سنقر بعد شقيقه على عرش فارس وكان ملكًا حازمًا قاهرًا، وجعل ممالك فارس في حوزته وتحت تصرفه، ودبت الخصومة بينه وبين ملوك العراق، وجمع أموالا كثيرة من أطراف البلاد وأكنافها، ولم يتسن لأحد من قبله أن تكون له كل هذه الخزائن والأموال، وأجرى أمور الملك فترة ثم توفي، والسلام على من اتبع الهدى.

الرابع: أتابك سعد بن زنكي

كان أتابك سعد بن زنگي ملكًا عظيمًا، جلس بعد عمه على عرش فارس فضبط أمور الملك فيها، كما كتب عنه: كان ملكًا غاية في العدل شجاعًا، ويروي الثقات: كان سلاحه الذي يلبسه ويرتديه ثقيلا إلى حد أن الرجل ذا القوة لا يستطيع أن يرفعه من الأرض، وجرد الجيوش إلى العراق عدة مرات، وكان النصر حليفه في بعضها، ولكنه هزم في بعض المعارك، كما كانت له معركة مع السلطان محمد خوارزمشاه معروفة مشهورة، وقد جرت كما يلي:

جرد الأتابك سعد جيشًا إلى أطراف العراق للاستيلاء على صفاهان، وقدم أتابك يوزبك بن أتابك محمد إلى آذربيجان أيضًا للاستيلاء على صفاهان، وتواجه جيش فارس وآذربيجان، ووصل محمد خوارزمشاه إلى حدود العراق، فأخبروه أن أتابك سعد جرَّد جيشًا من فارس على أبواب أصفهان، ويحارب الأتابك يوزبك، فجرد السلطان جيشًا ليساعد الأتابك، وحينما وصل إليه الجيش ظن أن هذا هو جيش الأتابك يوزبك فصف الجند، وضرب جيش السلطان، وفجأة رمى واحد من أبطال جيش السلطان خوارزمشاه بحربته جواد الأتابك سعد فأوقعه، واسم هذا البطل كشلي، وكان الأمير الموكل بالأعلاف، وأراد هذا البطل أن يقتله، فقال الأتابك: لا تقتلني أنا الأتابك سعد، قل لي: من هذا الجيش؟ فقال البطل إنه جيش السلطان محمد خوارزمشاه.

فقال الأتابك: احملني إلى السلطان، وحينما وصل لخدمة السلطان قبل الأرض بين يديه، وقال: يا ملك العالم! بالله إن هذا العبد لم يعرف أن هذا هو جيش السلطان، وإلا لما جرد السيف مطلقًا، فلاطفه السلطان وخفف عنه، وفي الحال أجلسه وأعز قدره، لما وصل إلى أسماع السلطان أنه كان رجلا غاية في الجلد والشجاعة والمروءة، وأعطاه مملكة فارس على أساس أن يكون نصفها للمعتمدين وملوك الخوارزمشاهية، ونصفها للأتابك سعد، وجهز معه جيشًا؛ لأن الأتابك سعدًا حينما أسر استولى ابنه أتابك أبو بكر على مملكة فارس،

وجعل الخطبة باسمه، وحينما وصل أتابك سعد إلى حدود فارس بجيش خوارزمشاه، وكذلك مع صاحب اختيار المُلك الأمير حاجي مبعوث خوارزمشاه، قدم إليه أتابك أبو بكر وتواجه مع أبيه فضرب الأتابك سعد ابنه أبا بكر بالسيف على وجهه، وهزم جيش الفرس وعاد أتابك سعد إلى عرش فارس، وحبس ابنه وظل مدة على ملك فارس، ثم توفي- رحمة الله عليه- بعد حوادث كفار المغول.

وكان للأتابك سعد خصال متميزة، وأوصاف حميدة، أولها: كان يرسل قافلة تخص أبناء السبيل للحج كل عام للكعبة المشرفة ويعين لهم إمامًا، وحينما كان هذا الإمام يعود كان يتصدر الجالسين دائمًا في مجلسه وفي بلاطه، وكل وقت يأتي إلى سرادقه وإلى بلاطه كان أتابك سعد يصلي ركعتين خلفه، ثم يجلس على العرش. وهذا يدل على حسن اعتقاده، أما صفاته الأخرى: فيروي الثقات أنه قرر خراج ولاية من ولايات فارس لكسوته الخاصة، وكان خراج تلك الولاية كل عام ثلاثمائة وستين ألف دينار من الذهب الأحمر، وكان ينفق كل يوم ألف دينار على الكسوة من: القلانس، والأقبية، والشقة، والمناطق، والأطواق المرصعة، وإذا بقي شيء يحتاجه من الكسوة الخاصة فإنهم كانوا يعطونها له بالجواهر القيمة.

وكانوا يضعون القلانس والأقبية والمناطق في أدراج، ولم يكن يلبس الكسوة أكثر من يوم، وفي اليوم التالي يأمر بهذه الكسوة لأحد الأمراء والملوك، رحمه الله، والسلام على من اتبع الهدى.

الخامس: أتابك أبو بكر بن سعد

كان الأتابك أبو بكر ملكًا عظيمًا ضبط ممالك فارس، وحينما أعاد السلطان محمد خوارزمشاه الأتابك سعدا إلى عرش فارس أعاده على أساس أن تكون نصف ممالك فارس للأتابك سعد، ونصفها الآخر للسلطان محمد

خوارزمشاه، وأرسل معه بشأن هذا النصف الأمير حاجي اختيار المُلك النيشاپوري، فأتى الأتابك أبو بكر وشقيقيه تهمتن وسنقر شاه مع جيش فارس أمام الوالد، وقالوا له: إننا لن نعطي مملكتنا لأيدي الخصوم، وحينما اصطف الجيش ضرب الأتابك سعد وجه ابنه أتابك أبي بكر بالسيف وهزم جيش الفرس، وحبس الأتابك سعد ابنه أبا بكر، وحينما توفي الأتابك سعد أخرجوا الأتابك أبا بكر من السجن، وفكوا قيده ووثاقه وأجلسوه على عرش فارس، فضبط ممالك والده وجده ولاين الخصوم، وبعد فترة أرسل جيشًا إلى ناحية البحر، واستولى على دار الملك كيش[1] والبحرين وهرمز، وأرسل أحد أشقائه إلى كفار المغول وعقد الصلح معهم، وبذل لهم الخراج والمال، واستسلم لهذا العار، ودفع الخراج لكفار الصين، وعادى دار الخلافة، وظلّ الأمر كذلك كما كتبناه وكما جرى به القلم، فليبق الحق تعالى سلطان سلاطين الإسلام، وليحفظ حكام بلاطه وأعيان في عز وعدل وإنصاف بحق محمد وآله الأمجاد.

الفرقة الثالثة: ملوك نشاپور[2]

<u>الملك: المؤيد السنجري</u>

الملك المؤيد كان عبدا تركيا للسلطان سنجر، كان له ملك نشاپور وبلاد هذه الأطراف، مثل: جام، وباخرز، وسنگان، وجاجرم، وسيران، وشارستان، وجوزجان، وبلاد أخرى من مضافات نشاپور، كان ملكًا حسن السيرة، وحينما وصل عهد سنجر إلى آخره سلك الملك المؤيد مع ملك خوارزم وملوك العراق وسلاطين الغور طريق المودة ومراعاة جوانب السلوك، وظل في مراعاة جانب المودة عدة أعوام، ثم توفي بعد ذلك- رحمة الله عليه، اللهم أظهر الحق[3].

---

(1) كيش: هي جزيرة بالبحر تعد من أعمال فارس؛ لأن أهلها من الفرس، وهي موجودة حتى الآن. (المترجم).

(2) كتبت نشاپور بهذه الأشكال: نشاپور، نساپور، نيشاپور، نيساپور. (المترجم).

(3) كتب منهاج السراج هذه العبارة: اللهم أظهر بالحق، وربما يكون هذا خطأ من الناسخ، فكتبناها: اللهم أظهر الحق، وهذا في نظرنا هو الأصح. (المترجم).

الثاني: الملك طغانشاه بن الملك المؤيد

كان ملكًا جميل الطلعة عظيمًا محبًا للطرب، كان يقضي الليل والنهار في الطرب والسماع ومجالسة الندماء والمطربين وأهل المجون والترف، وحينما آل إليه ملك نشاپور من والده سلك مع ملوك الأطراف طريق المودة والموافقة والخدمة، ولما لم يكن يلحق منه الضرر لهم جميعًا، لم يتعبوه، فقد كان دائمًا في لهو وترف ونعيم ورقص وطرب وشراب، وبسبب اللهو والترف والطرب كان طول كم ثوبه عشرة أذرع تتدلى منه جلاجل من ذهب، وكان يرقص بين ندمائه، وتوفي بعد مدة قصيرة.

الثالث: سنجر بن طغانشاه

حينما جلس طغانشاه على عرش نشاپور، وأرسل إلى ملوك الغور المعارف والعظماء للقرب والاتصال، وطلب ابنة السلطان غياث الدين محمد سام- طاب ثراه- لابنه سنجر شاه، قدم أكابر نشاپور وعلماؤها وعقدوا هذا العقد.

وحينما توفي طغانشاه أحضر تكش ملك خوارزم جيشًا إلى نشاپور، فضبط الأمور فيها، وقبض على سنجر، وأخذه إلى خوارزم ، فمد السلطان غياث الدين أرجل الملكة جلالي، على حد قول الإمام الشافعي، وأعطى مُلك نشاپور لضياء الدين دُر الغور، وتوفي سنجر شاه في خوارزم، فليبق الحق تعالى سلطاننا حتى قيام الساعة، وليحفظه ويحفظ ملكه، والله الباقي وكل شيء هالك، والله أعلم.

الطبقة الرابعة عشـــــرة:

ملوك النيمروز[1] وسجستان[2]

الحمد الله الذي جعل قلوب أنبيائه كنوزًا، وصدور أوليائه لكنوز محبته محوزًا. والصلاة على محمد الذي قدر بعثه لختم الرسل بروزًا، وعلى آله وأصحابه ظهورًا ورموزًا. أما بعد، فيقول أضعف عباد الله سبحانه وتعالى منهاج السراج الجوزجاني، عصمه الله عن التوانى: حينما كتبت هذه الطبقات باسم السلطان المعظم ملك ملوك سلاطين الترك والعجم ناصر الدنيا والدين أبي المظفر محمود بن السلطان ألتتمش خلد الله ملكه وسلطانه، وعظم شأنه، وسوف نذكر ملوكهم وطبقاتهم، فقد كان ملوك النيمروز ملوكًا عالمين وعادلين، ذوي فضل يعطفون على الفقراء، ومن العهد السنجري حتى هذا العهد الذي تخربت فيه هذه الممالك بفعل تعديات كفار الصين وهجماتهم، فإن هذه الممالك كانت مزدانة بعظمتهم وعدلهم وشهامتهم وبذلهم؛ لذا أردت بقدر الإمكان أن أسجل بالقلم ما كان بالسماع أو بالمشاهدة ليظل ذكر الخير لهؤلاء الملوك من المؤلف أمام القراء، وليبق ذكر الخير دائمًا لهؤلاء الملوك، والدعاء لهذا الملك سيظل موجودًا، وكذلك الأوصاف التي لم تعرف على الوجه الصحيح في نسبه من الأمراء السابقين فليرحم الحق تعالى الجميع، وليدم الله تعالى دولة سلطان العالم ناصر الدنيا والدين سلطان السلاطين.

---

(1) نيم روز: تعني نصف يوم وكلام المؤلف يدل على أنها بقيت غير كاملة؛ أي إنها نصف لم يكتمل، وهي محافظة في الجنوب الغربي لأفغانستان، وعاصمتها زرنج، ويجري فيها أنهار خاش رود، سنارود، رام رود، وهذه الأنهار متفرعة من نهر هلمند. (المترجم).

(2) سجستان: هي سيستان، وهي أرض العجائب كما يسميها المؤرخون، كانت تسمى زرنگا في عهد الهخامنشيين، وسگستان في عهد الساسانيين وسجستان أو سيستان والنيمروز في العصور الإسلامية. (المترجم).

الأول: طـــــاهر بن محمد

يـروي الثقـات: حينمـا انتقلـت دولـة السـلاطين المحمـوديين إلـى أسـرة السلاجقة، واستقوى الأمراء الذين كانوا في كور سيستان، واتصلوا بخدمة ألب أرسلان وملكشاه، وأصبحت ممالك النيمروز فـي حوزتهم، وتحت تصـرفهم، ضـبطوا هـذه البلاد، وحينمـا ازدان عـرش السلطان والملـك بعظمـة السـلطان سنجر، وصلت ممالك النيمروز إلى الأمير طاهر، وظهر منه في النيمروز آثار العمل والإخلاص، فقد شيد فـي سيستان القصـر الـذي كانـت فيـه الإمـارة، وقنن الرسوم الإدارية وضبط أطراف ممالك النيمروز، وأجرى أمور الملك فترة ثم توفي، وزعم هؤلاء الملوك أنهم من آل كيكاوس رضـي الله عنهم أجمعين.

ويروي الثقـات: أن بـلاد سجستان هـي النيمـروز ويقولـون بشـأنها: إن جميـع هذه البلاد كانـت بحـرًا، وحينمـا حملت الـريح سيدنا سليمان من فـارس إلـى جبـل سليمان المحاذي للملتان، عبر فوق هذا البحر فأمر فملؤوه بالرمـال، وأتمـوا مصـالح ديوان النيمروز وأصبح البحر أرضًا، وصارت هذه الأرض هـي النيمـروز وبقيت غير كاملة، والسلام.

الثاني: تاج الدين أبو الفتح

كان الملك تـاج الـدين أبـو الفتح بن طـاهر ملكًا عظيمًا وعـادلا، وحينمـا تـوفي والـده ضـبط مملكـة النيمـروز بـأمر السـلطان سنجر، وفـرش بسـاط العـدل، وأطاعـه الخلق، وبقيت آثار الخير منه كثيرة في مدن سجستان وأطرافها، وذهـب مـع السلطان سنجر لحرب الخطا، وأخذ معه جيش سجستان، وحينما هُزم جيش سنجر أُسر الملك تاج الدين أبو الفتح فأخذوه إلى هذا الموضع الذي به جيش الخطا، وشدوا أرجلـه علـى لوحة خشـبية وجروه فـي سلاسـل وجنـازير ثقيلـة، وأحكمـوا قيده، ويـروي الثقـات أنَّ إحدى ممرضـات كبير عظماء الخطا (خان خانان خطا) عطفت على الملك تـاج الـدين أبي الفتح وكانت تعظم قدره سرًا وخفية.

وكانت توصل إليه ما يحتاج بقدر ما يكفيه وزيادة، ولم تهمله في رعاية مرضه دقيقة واحدة، حتى تمكن فجأة وبسعي هذه الممرضة أن ينجو ويفر من جيش الخطا، وأحضر معه في سيستان اللوحة الخشبية والجنازير والقيد والسلاسل، وازدانت مملكة النيمروز بجماله وشهامته وكانت خالية منه، وأمر فعلقوا القيد والسلاسل واللوحة أمام مقصورة المسجد الجامع، وقد وصل إلى المدينة منهاج السراج- كاتب هذه الطبقات- في شهور سنة ثلاث عشرة وستمائة، ورأى هذه الجنازير والسلاسل والأغلال واللوحة على المسجد الجامع، وكل من كان يصل إلى هذه المدينة المعظمة كان يتفقد اللوحة والسلاسل وينظر إليها.

وكان الملك تاج الدين أبو الفتح ملكًا عالمًا فاضلاً، ويذكرون أنه كان يخطب الجمعة أحيانًا، وهذا المعنى دليل على كثرة فضله، وقد أجرى أمور الملك مدة طويلة، ثم توفي، وقبره في سيستان رحمة الله عليه.

الثالث: الملك السايس شمس الدين

حينما توفي الملك تاج الدين أبو الفتح أعقب أبناءً؛ فجلس أكبرهم شمس الدين على العرش، وضبط ممالك النيمروز، وسمل أعين شقيقه عز الملك، وقتل إخوته الآخرين، وقتل الكثير من أهل سيستان والنيمروز وأمرائهما وملوكهما، وقد ذكروا أنه قتل ثمانية عشر أخا، كان رجلا محبًا للتنكيل والعقاب، وقصر الإمارة الذي كان في منزله كانوا يسمونه في سيستان قصر العقاب، ومن كثرة القتل والعقاب ظهر الرعب والخوف منه في قلوب الخلق، وفي المدة التي وصل فيها عهد سنجر إلى آخره ووقعت ممالك خراسان وغزنين وكرمان في أيدي الغز الظالمين، ضبط الملك شمس الدين النيمروز، وقد قصد جيش الغز عدة مرات قلعة مملكته، ولكن لم يتيسر لهم الأمر. وقد جاء جد هذا العبد الضعيف مولانا منهاج الدين عثمان الجوزجاني- رحمة الله عليه- إلى غزنين ولوهور أثناء عودته من سفر الحجاز والكعبة المشرفة، وكان ذلك في عهد الملك شمس الدين، ووصل إلى سيستان، وكان أحد أكابر العلماء

ويدعى الإمام أوحد الدين البخاري- رحمة الله عليه- من أعيان خراسان وأكابرها، وكان من المتفردين في الدنيا، وكان من قرناء الخواجة الإمام نعمان الثاني أبي الفضل الكرماني رحمة الله عليه، وكان هناك عالم آخر يدعى قوام الدين الزوزني، كان يفتح فمه بما لا يليق وكان وقحًا، وكان يؤذي دائمًا الإمام أوحد الدين البخاري، ويتجرأ عليه في المحافل.

وروى الإمام شرف الدين العطار هذه الحكاية: حينما وصل مولانا منهاج الدين إلى سيستان، وكانت عادة ملوك النيمروز أن يعظموا الغرباء من العلماء ويسألونهم العبرة والموعظة في بلادهم.

فأمر الملك شمس الدين أن يقول مولانا منهاج الدين- عليه الرحمة- الدرس الديني في بلاطه. وحينما حضر العلماء، قدَّمَ مولانا منهاج الدين- رحمه الله- في البلاط الدرس الديني والشروح، وانتهى هذا الموضوع، فأراد قوام الدين الزوزني أن ينبري لتسفيه مولانا منهاج الدين وأن يفحمه، فقال: إنني سمعت عن اسمك العظيم وعن علمك وشهرتك، ولكنك لم تقل المسألة بالقدر الذي يجب في هذا البلاط وأمام هذا الملك، وحينما رأى مولانا منهاج الدين أن به سفاهة ووقاحة وعدم أدب، قال له: يا مولانا قوام الدين إنَّ القصة لا يجب أن تطول؛ لأنك عين النجاسة، وقد رأيتك فذكرتني هذه المسألة، فأفحم قوام الدين من هذا الجواب، وغلب التبسم على الملك شمس الدين إلى درجة أنه أخذ يخفي وجهه بين الوسائد، وفي هذا اليوم عاد الإمام أوحد الدين البخاري إلى طبيعته، وأفضَّ تلك المسألة وجلاها، وأمر الملك أن يمنح مولانا منهاج الدين إنعامات كثيرة. وأجرى هذا الملك أمور الملك مدة ثم توفي رحمة الله عليه، والله أعلم.

<u>الرابع: الملك السعيد تاج الدين حرب بن محمد</u>

كان ملكًا عظيمًا عالمًا وعادلا، كان محبًا للعلماء راعيًا للرعية، كان له أبناء كثيرون، ووصل ابنه في حياته إلى عرش النيمروز، وسوف نذكره بعد

ذلك- إن شاء الله- وأول هذه الأمور حينما جلس الملك شمس الدين عمه على العرش سمل عيون والده وقتل أشقاءه الأخرين، وكان للملك شمس الدين أخت هي عمة الملك تاج الدين حرب، وكانت لها مكانة كبيرة، وحينما زاد ظلم الملك شمس الدين وتعديه وظلمه طفح الكيل عند الناس من دولته، ورفعوا أكفهم بالتضرع والدعاء، واستعانت جماعة من أمراء ملك النيمروز وأكابرها بهذه الملكة التي هي عمة الملك تاج الدين، ودبروا لتغيير الملك. واستقر رأي الجميع على الملك تاج الدين حرب، وكان في هذا الوقت في الستين من عمره، ولم يكن يوجد من أبناء الملوك من يصلح للملك. وفي خارج مدينة سيستان كان يوجد مكان، هذا المكان كان مدينة في قديم الأيام، وكانوا يسمونها حشوى، وفي االيل اجتمع هناك جميع أهل سيستان وأهل السيف، وخرجوا في الفجر وقتلوا الملك شمس الدين مع ثمانية عشر ابنًا، وأجلسوا الملك تاج الدين على العرش، وكان والده عز الملوك لا يزال حيا، ولكنه كان محروما من نعمة البصر.

وحينما جلس الملك تاج الدين على العرش وعدل في الرعية، وأنصف بينهم، بايعه الجميع، وكانت له مع سلاطين الغور مراسلات ومعاملات وجعل الخطبة باسم سلاطين الغور، وكان بليغًا في تربية العلماء وتوقير الضعفاء.

وغلبت سيرته سيرة أسلافه، وأمر فنسجوا السجاجيد لجميع مساجد بخارى، لكل مسجد على قدر سعته وأرسلها إلى بخارى، وأمر للمسجد الحرام والكعبة المعظمة بالفرش والأواني الكثيرة، وذهب والد هذا الداعي سراج الدين منهاج مرتين في عهده إلى سيستان، مرة ذهب برسالة من جهة السلطان السعيد غياث الدين محمد سام أنار الله برهانه، والمرة الثانية كانت من طرف حضرة الملك لخدمة دار الخلافة الناصر لدين الله، وكان يسير من جانب مكران فمر على سيستان، ورأى من الملك تاج الدين حرب عواطف فياضة، رحمة الله عليهم أجمعين.

وقد جعل الملك تاج الدين في حياته ابنه الأكبر ناصر الدين عثمان وليًا لعهده، وحينما توفي ناصر الدين جعل يمين الدين بهرامشاه وليا لعهده، وقد كف بصر الملك السعيد تاج الدين في أواخر عمره، وقد أجرى أمور الملك ستين عامًا، وتوفي وعمره مائة وعشرون عامًا، وكان ذلك في عام اثني عشر وستمائة، والله الباقي.

الخامس: الملك ناصر الدين عثمان حرب

كان ناصر الدين ملكًا عادلا، تزوج ابنة حاكم خراسان عمر مرغني[1]، وكانت تدعى عائشة خاتون، وكان له أبناء لائقون متميزون، وقد ذهب عدة مرات بجيش من سيستان إلى خراسان لخدمة السلطان غياث الدين محمد سام، وفي وقت فتح نشاپور كان في خدمة البلاط، كان ملكًا حسن السيرة راعيًا للعلماء، وأمضى وقته في العدل بين الرعية والإحسان لهم واللطف في معاملاتهم، وفي عهد والده الملك تاج الدين تصرف نائبًا عن والده وخليفة له في ممالك النيمروز، وشيد قصرا رفيعا منيعًا على شاطئ نهر هيرمند[2] خارج نهر سيستان، وأجرى أمور الملك فترة، وتوفي إلى رحمة الله في عهد والده، والسلام.

---

(1) كتبت بهذه الصورة لدى المؤرخين القدماء، ولكن المرحوم عباس إقبال ضبطها مرغيني والأصح، كما يقول الاستاذ عبد الحي حبيبي، هو مرغني؛ لأن الشيخ عبد الله فامي مؤلف تاريخ هرات يقول في أول قصيدة مدح بها عز الدين عمر مرغني:

أيام شد مساعد وأميد شدغنى   در عهد عز الدين عمر أنشاه مرغنى

صارت الأيام مساعدة والأمال عريضة
في عهد عز الدين عمر ذلك الملك المرغني

ارجع إلى حواشي عبد الحي حبيبي على كتاب طبقات ناصري، جـ١، ص ٢٨٠ (المترجم).

(2) نهر هيرمند: من الأنهار المشهورة في أفغانستان، ينبع من إحدى سلاسل جبال (هندوكش) في غرب كابل، ويبلغ طوله من المنبع إلى المصب حوالي ١٤٠٠ كيلو متر وذلك كما تقول الإحصائيات الأفغانية التي أصدرتها وزارة التخطيط الأفغانية في سنة ١٣٥٠هـ/ش الموافق ١٩٧١م، ويذكر المقدسي أنه كان هناك بالقرب من قلعة بُست جسر من الزوارق لعبور الناس عليه من شاطئ إلى شاطئ، لذلك كان الملوك الغزنويون، والغوريون وغيرهم يستخدمون الزوارق من جهة إلى أخرى في هذا النهر، ويشير فرخي سيستاني في ديوانه في مدح السلطان مسعود إلى الفلك التي كانت تجري في نهر هلمند. وتكتب كلمة هلمند في المصادر بأشكال عديدة مثل: هيلمند، هرمند، هيرمند، هندمند، هيمند. (المترجم).

السادس: الملك الغازي يمين الدولة والدين

بهرامشاه حرب[1]

كان ملكًا حازمًا قاهرًا صاحب سياسة وعدل كاملين، وأحيا سنة إعزاز العلماء والفقراء على شاكلة أسلافه، وكذلك ما كان معروفًا في عهد والده الملك تاج الدين حرب، واشتهر بالشهامة والجلد والكياسة والشجاعة، وفي عهد والده ضبط ممالك النيمروز مدة طويلة، وحينما توفي الملك تاج الدين حرب أصبح هو المتصرف في الملك، وكان له شقيقان آخران من جارية تركية، وقبله كان جميع حكام النيمروز وملوكهم يطلقون شعورهم على الطريقة القديمة ويلبسون قلنسوة مخروطية، ويعقدون عليها منديلين أو ثلاثة، وفوقها جميعًا يضعون عمامة سوداء، وحينما وصل المُلك إلى يمين الدين بهرامشاه وكانت والدته تركية، ارتدى قلانس من فراء كلب البحر[2] ومن وبر الجمل، وكانوا ينسجونه على الطريقة التركية، وكان شقيقاه شهاب الدين علي والثاني ملكشاه يلبسان على طريقة شقيقهم.

ولقد ذهب هذا الداعي في شهور سنة ثلاث عشرة وستمائة من مدينة بست إلى سيستان، وحينما وصل إلى قصبة الملك كان هناك موضع يسمى قبة البلوچ في ناحية الشرق، استقبله الموظفون المكلفون بالتشريفات السياسية، وجاءوا بالداعي إلى المدينة، وأمروا له بمنزل في موضع يسمونه مدرسة سَر

---

(1) ذكر المؤلف أن بهرامشاه حرب هو ابن تاج الدين حرب، ولكن الأستاذ حبيبي يقول في الحاشية: إن بهرامشاه هو حفيد تاج الدين وابن ناصر الدين، حواشي الأستاذ عبد الحي حبيبي، جـ٢، ص ٢٨١. (المترجم).

(2) نوع من الأحياء المائية يسمونه كلب البحر له فراء جميل ثمين، وقد رأيت هذا الفراء في أفغانستان، وهو عالي القيمة، غالي الثمن. (المترجم).

حَوْض في الطرف الجنوبي للمدينة، ويذكرون أنه مكان كانوا ينزلون فيه للطعام والسوق، وقد تشرف بالحضور في بلاط ذلك الملك الكريم، وفي كل مرة كان يرسل له للتشريف والحضور، وفي المدة التي ظل الداعي فيها هناك كان يرسل إليه الأعلاف الوفيرة من الذهب والغلال، وأعزه إعزازا بالغًا، وأكرمه إكرامًا لا يوصف، وبعد سبعة أشهر رجع إلى خراسان، وكان الملك يمين الدين في غاية الحزم والكياسة والشهامة، وكانت العادات السائدة في بلاد النيمروز في القديم أن القبائل كانت تتقاتل ويخاصم بعضها بعضًا، ولم يكن أحد يسير في مدينة أو قرية دون أن يكون مسلحًا تسليحًا كاملا، وحينما آل الحكم إليه كان يأخذ من كل قبيلة رهائن، ويوثق قيدهم في قلاع وحصون، فإذا كانت القبيلة قد أزهقت روحًا أو سفكت دما دون حق، كان يحاسب رئيس القبيلة وزعيمها على هذا الحادث، وبواسطة هذا الأمر سكن القتال بين القبائل، وذهب الملك شمس الدين بهرامشاه مرتين لغزو قهستان الملاحدة، وجاهد كثيرًا، وقال الإمام شرف الدين أحمد الفراهي الذي كان ملك الكلام في عصره هذه القطعة للتهنئة بهذا الفتح:

مبارك وسعيد على أهل الدنيا، هذا الملك الكريم الأصل، الصبوح الوجه.

امتلأت الدنيا بالنظام والعدل والإنصاف، من يمن يمينه ويسر يساره.

أنت ملك النيمروز! ويوم ملكك السعيد لا يزال في أول فجره.

روح محمد (صلى الله عليه وسلم) في سعادة وحبور بسبب هذه الحرب التي قمت بها في قهستان.

لتبق في هذه الدنيا طالما في الدنيا البقاء والحياة من الماء والنار والتراب والرياح.

وعندما تذكرون الملك، لا تنسوا ثناء (فراهي) وإن لم يكن له وجود[1].

وحينما أجرى أمور الملك فترة خرب كفار المغول خراسان وسقطت ممالك الإسلام، وكانت توجد قلعة في حدود مدينة نيه[2] في تلك البلاد، وكانوا يسمونها القلعة الملكية ، وقد باع ابن شقيق الملك يمين الدولة ابن ناصر الدين عثمان هذه القلعة لملاحدة قهستان، وأصبحت تحت تصرفهم، وفي هذا الوقت أرسل الملك يمين الدولة بهرامشاه رسولا، وطلب القلعة الملكية، وقال: إن حدثت أي مضايقة سأجرد جيشا بسرعة إلى القلعة ولهذا السبب عينوا له من القلعة من يقتله، وفي شهور سنة ثماني عشرة وستمائة، وفي يوم الجمعة حينما كان يتأهل للصلاة، وفي وسط السوق برز له أربعة من القتلة وأحاطوه من كل جانب وقتلوه، واستشهد عليه الرحمة، والله أعلم.

السابع: الملك نصرة الدين بهرامشاه

حينما توفي الملك يمين الدولة إلى رحمة الله، اتفق أكابر النيمروز وأمراؤها وأجلسوا ابنه الأوسط نصرت[3] على العرش، وظهرت الاضطرابات في ممالك النيمروز وأحاطت الفتن كل طرف، وكان الابن الأكبر للملك يمين

---

(1) همايون وفرخندة بر أهل گيـــتى — مبـــارك رخ وشاه فرخ نثراداست
زيمن يمين وزيســـر يســـارش — جهان پرز آنين وإنصاف وداداست
شه نيمروزي ! ودر روزملكـــت — خجسته هنـــوز أول بامداداست
ازين حرب كاندر قهستان نمودي — روان محمـــد ازين حرب شاداست
بمان درجهان تاجهانرا طـــراوت — زآب وزنار وزخـــاك وزباداست
نما تدفرامـــــــوش برپادخسرو
ثناء " فراهي" أگـــــر هيج بادست.

(2) وردت كذلك في تاريخ سيستان وهي من المدن الصغيرة على حدود خراسان (ارجع إلى طبقات ناصري جـ١ ص ٢٨٢ حواشى عبد الحى حبيبى). (المترجم).

(3) أورد المؤلف اسم هذا الملك مرة بالتاء المربوطة مثلما جاء في العنوان، ثم بعد ذلك بالتاء المفتوحة في ثنايا الكلام. (المترجم).

الدولة بهرامشاه محبوسا، وكان أهل السنة والجماعة يحبون ركن الدين، وكان هواهم معه، وحينما مضت أربعة أشهر على جلوس الأمير نصرت خرج الخوارج، وأطلقوا سراح ركن الدين، ونشبت المعارك بين الأمير نصرت وركن الدين، ومنى نصرت بالهزيمة، فذهب الأمير نصرت إلى أطراف الغور وخراسان، ثم ذهب مرة ثانية إلى سيستان، وخلص الملك من أيدي ركن الدين، وفي النهاية استشهد، حينما ذهب كفار الصين والمغول إلى سيستان، وسقطت مدينة سيستان في أيدي الكفار، والله أعلم.

الثامن: ركن الدين محمود بن بهرامشاه

كان الملك ركن الدين أميرًا صاحب انتقام وقتال، وكان متهتكًا، وقد رأى الداعي إلى الله منهاج أن والده كان في خدمة آباء ركن الدين محمود، وكانت والدة ركن الدين جارية رومية، وكان ركن الدين رجلا متوسط الطول أبيض البشرة أحمر اللون، وفي عهد والده ظهرت منه حركات كثيرة غير منضبطة، وكان الملك يمين الدين بهرامشاه قد عين ابنه ركن الدين محمودًا على رأس جيش وأرسله إلى أطراف خراسان لخدمة السلطان، فذهب مع الرسول الذي جاء من قبل خوارزمشاه، وحينما وصلوا إلى حدود فوشنج بهراة قتَل الملك ركن الدين هذا الرسول التركي أثناء احتساء الشراب، وخوفا من ذلك رجع إلى سيستان، فحبسه الملك يمين الدين بهرامشاه، وأرسل جيشًا كثيفًا بقيادة الأمير شمس الدين، مجهزا بأسباب عظيمة ومقدما الأعذار الجليلة لخدمة خوارزمشاه.

وأيضًا في هذا العام ظهرت أحداث كفار المغول، فأمروا جيش النيمروز بالذهاب إلى قلعة ترمذ، فجاء جنگيزخان الملعون بجيش واستولى على ترمذ، واستُشهد جيش الأمير شمس الدين جميعه، وحينما مكث الملك ركن الدين محمود في سيستان، بدأ في الظلم بعد أخيه، وفتح يده في التعدي والاعتداء، فقدم شقيقه الأمير نصرت، من ناحية خراسان بطلب من أهل سيستان، ودارت

المناقشات بين الأخوين، وفجأة وصل جيش المغول إلى سيستان فهلك الجميع واستأصلهم المغول، وأسَر من أسِر واستشهد من استشهد وتخربت مدينة سيستان، فليرحم الله الجميع.

التاسع: الملك شهاب الدين محمود بن حرب

حينما رجع جيش الكفار من سيستان بعد تخريبها، خرج الملك شهاب الدين بعد أن ظل مختبئًا في مخبأ، وسيطر على سيستان، ولما كانت البلاد خرابًا يبابًا ولم يبق أهل ولا خلق، لم يجد مقاومة تذكر، ولكن استقوى جماعة من الخارجين واجتمعوا واستدعوا الشاه عثمان بن[1] ناصر الدين عثمان حرب من مدينة نيه، وطلب الشاه عثمان المدد من الجيش الخوارزمشاهي من ملك كرمان وكان يدعى براق الحاجب، وحينما وصل هذا الجيش مع الشاه عثمان إلى سيستان، استشهد شهاب الدين محمود، وخلفه شقيقه الأمير علي، ولكن الأمور لم تنتظم وتوفي عليه الرحمة.

العاشر: الملك تاج الدين ينالتكين خوارزمشاهي

الملك تاج الدين ينالتكين من أسرة ملوك خوارزمشاه، وهم بنو أعمام سلاطين خوارزمشاه، وفي الوقت الذي فتح فيه سلاطين الغور نشابور كان الأمير تاج الدين ينالتكين مع ابن عمه الملك فيروز آلتنمش الخوارزمي بالهندوستان، وحينما ظهرت أحداث كفار الصين كان تاج الدين هذا في خدمة الملك كريم الدين حمزة في ناكور وسولك، وفجأة تحين فرصة وقتل خواجه نجيب الدين، وكان هناك فيل فامتطاه وذهب إلى أچه، والتحق بخدمة ناصر الدين قباچة. وحينما وصل السلطان جلال الدين خوارزمشاه إلى السند ذهب

---

(1) ذكر رافرتي أن عثمان هو ابن ناصر الدين عثمان بن حرب، ولكن الأستاذ حبيبي يقول إنه حفيده (حواشي طبقات ناصري، جـ١ ص ٢٨٤) (المترجم).

بعد الموافقة من السلطان جلال الدين إلى كرمان، ثم ذهب إلى بلاد خوك وكوك[1].

ولما كانت هناك عداوات ومناوشات بين ملوك النيمروز بعضهم البعض، فقد طلب ابن ناصر الدين عثمان- الذي كان يدعى شاه- المددَ من ملك كرمان، وكان يسمى براق حاجب الخطائي، فأرسل براق الحاجب الملك تاج الدين ينالتگين في شهور سنة اثنتين وعشرين وستمائة إلى نيه، وحينما وصل إلى هناك أمد الشاه عثمان وعاونه وجلس هو للحكم، وأصبحت ولاية نيه تحت تصرفه، وقدمت جماعة من مدينة سيستان لخدمته، وطلبوا منه العون والمدد؛ لأن الملك شهاب الدين قُتل وأصبحت سيستان خالية لعله يأتي بالشاه عثمان إلى سيستان ويجلسه على عرشها، ولكن تاج الدين ينالتگين قدم إلى سيستان واستولى على هذه المدينة، وأخضع له بلاد النيمروز، وفي هذا الوقت قدم الملك ركن الدين خايسار[2] وأرسل هذا الداعي إلى الله منهاج السراج من الغور برسالة إلى الملك تاج الدين ينالتگين بمدينة فراه، فأدرك خدمته في داوري[3]، فعقد معه عهدا مستحكما، وحينما رجع إلى بلاد الغور، وقعت الخصومة بين تاج الدين والملاحدة، ونشبت المعارك بينهما وهزم تاج الدين، فرجع إلى سيستان وهزم جماعة الخوارج الذين رفعوا لواء العصيان عليه، وفي شهور سنة ثلاث وعشرين وستمائة ذهب هذا الداعي منهاج السراج مرة أخرى

---

(1) خوك وكوك في تاريخ كرمان تأليف أحمد علي خان الكرماني (طبعة تهران ١٣٤٠هـ ش وتقع كوك بالقرب من مزمشير وخبيص، أما خان خوخ فهي جزء من كرمان، وكلمة خوك التي وردت في المتن الأصح أن تكون خوخ. ارجع إلى حواشي الأستاذ حبيبي على طبقات ناصري، جـ١، ص ٢٨٤ (المترجم).

(2) خايسار من المدن التي تقع بين غزنة وهرات بأفغانستان (المترجم).

(3) قلعة داوري من مضافات فراه، حواشي حبيبي على طبقات ناصري، جـ١، ص ٢٨٥ طبقات ناصري (المترجم).

لخدمته، وبعد ذلك قدم تاج الدين إلى بلاد الغور، وضبط قلعة تولك وأسفزار، وفي هذا العام وبعد العودة من النيمروز، سافر هذا الداعي منهاج السراج، وقدم جيش المغول مرة ثانية في شهور سنة خمس وعشرين وستمائة إلى النيمروز، وحاصروا تاج الدين ينالتگين في قلعة أرگ سيستان، وظلوا يحاصرون القلعة تسعة عشر شهرًا، وهلك جميع الحشم الذين كانوا معه في القلعة من الغور والتولگ والسگز والترك، وأصابه هو سهم في إحدى عينيه فسقط فجأة من فوق القلعة وأسره المغول، وفتحوا القلعة واستشهد الباقون من الناس، وأتوا بتاج الدين ينالتگين من سيستان إلى قلعة صفهيدكوه[1] وقتلوه في أسفل هذه القلعة رحمة الله عليه. فليبق الحق تبارك وتعالى ملك المسلمين ناصر الدنيا والدين على سرير الملك حتى قيام الساعة. والسلام، والله أعلم.

([1]) فيما يبدو أنها سفيدكوه، وسفيدكوه مشهورة معروفة في لاش، ولاش وجوين معروفان حتى الآن حواشي حبيبي، جـ١، ٢٨٥ (المترجم).

الطبقة الخامسة عشرة:

ملـوك الكـرد

الحمد الله فالق الإصباح وجاعل الظلام، والسلام على خير الأنـام، وعلـى آله وأصحابه الكرام.

أمـا بعـد: فهذا ذكـر لملـوك مصـر والحجـاز والـيمن والشـام علـى وجـه الاختصـار والإيجـاز ولله الكمـال والإتمـام. يقول أضـعف عبـاد الله فـي الحضـرة الربانية ، منهاج السـراج الجوزجاني- حفظه الله من كيد القاصـي والـداني: إنـه كتب عن ملوك المشرق والمغرب في الكفر والإسلام بقدر الإمكان، وبين بعض تواريخ ملوك العجم والمشرق على وجه الاختصـار والإيجـاز، وقد زينت هذه النسخة بذكر ملوك الشام والحجاز ومصـر واليمن، فقد كـانوا سـلاطين، وملوكـا مجاهـدين معـروفين مشـهورين، وقـد ضـبطوا هـذه الممالـك بعـد السـنجرية والسلاجقة، وحينما يقع نظر الباحثين على هذه الطبقات وهذه الصحائف، سوف يشملون المؤلف بدعاء الإيمان، ويشملون السلطان بالدعاء لبقاء دولته وسلطنته ويدعون له بالتوفيق والإحسان والحمد الله على نعمائه.

الأول: السلطان نور الدين زنـگي

السلطان نور الدين محمـود بن زنـگي مـن أتابكـة الموصـل، وكـان أتابكـة الموصـل مـن عبيـد السـلطان سـنجر، وعبـد سـنجر هـذا الـذي أصـبح أول ملـك للموصل كان من الترك الخطـائيين. وقد سمعت هذه الرواية من أحد أبنـاء ملـوك الموصل، وفي مدينة لكهنوتي وكان هذا الأمير في بلاد الهندوستان في حضـرة دهلـي أجلهـا الله، وكـان معروفـا بخداونـدزادة موصـل أي ابـن أمير الموصـل، وأيضًا هم أسلاف السلطان سعيد شمس الدنيا والـدين- طـاب ثـراه- الذي يقرر:

إن أباني جميعًا كانوا عبيدًا للسلطان سنجر، وكان هو الابن الثامن لهؤلاء الترك الخطائيين.

وحاصل الأمر أن السلطان نور الدين الذي كان ملكًا للشام كان ملكًا عادلا، وفعل أفعال خير كثيرة، وقام بجهاد وغزوات لا حصر لها، وكان الكثير من ملوك الكرد والعرب والترك يلازمون خدمته كثيرًا، وتوجد آثار خير كثيرة من السلطان نور الدين في بلاد الشام، وكانت مدة ملكه طويلة، وحينما توفي خلفه ابنه وكان يسمى عليًا جلس مكان أبيه[1] والله أعلم.

الثاني: الملك الصالح

الملك الصالح علي بن محمود بن زنگي جلس على عرش الشام بعد والده في مدينة دمشق، وخدمه الأمراء والملوك، ودخل في حوزته وتحت تصرفه بلاد الشام وحلب وديار بكر[2]، وحينما وصل خبر وفاة نور الدين- رحمه الله- إلى مصر كانت مملكة مصر في هذا الوقت في يد السلطان صلاح الدين، ولما كان للسلطان نور الدين حقوق كثيرة في ذمة صلاح الدين؛ لذا سافر من مصر وأتى لخدمة الملك الصالح، وأدى له واجب العزاء والخدمة، وبارك له على ملك الشام ورجع إلى مصر، ثم أتى بجيش من مصر إلى الشام، وحينما وصل إلى حدود الشام، انتشر خبر وصوله في دمشق، فوقع الخوف والفزع

(1) ابن نور الدين كان يسمى الصالح إسماعيل. (المترجم).

(2) ذكرت في النص باللغة الفارسية: ديار ديگر وترجمتها "ديار أخرى" ولكن الأستاذ حبيبي ذكر في حاشيته أن هذه الكلمة ربما تكون: ديار بكر، وقد رأينا أن هذا هو الأصوب، جـ١، ص ٢٨٧، طبقات ناصري. (المترجم).

في قلب الملك الصالح، فتشاور مع الجميع وذكر لهم أن وصول صلاح الدين أصبح وشيكا فماذا يجب أن نفعل؟ وكان هناك خادم من خدم الملك الصالح ومن الخدم القدامى لوالده السلطان نور الدين وكان يدعى يمين، فقال للملك الصالح: الصواب أن تذهب إلى حلب حينما يصل صلاح الدين. وتترك له دمشق والشام، فقد استقرت هيبته في القلوب، ولديه مال وجيش كثير، وسوف يستطيع أن يضبط الملك، وهو طيب حسن السيرة من أرومة حلال، وسوف يرعى جانبك وهو حافظ لحقك معترف بنعمة أبيك، فإذا عاديته أو خاصمته فلن تكون لديك قدرة أو طاقة لخصومته وعدائه، فاستقر رأي الملك الصالح على هذا النحو، وذهب من دمشق إلى حلب، وسلم ممالك الشام لصلاح الدين، وظل بقية عمره في حلب في عز وجلال، وقدم له صلاح الدين خدمات كثيرة، وحفظ حقه ورعى حرمته، ولم ينقض العهد أو يخل بالشروط دقيقة واحدة، رحمة الله عليه.

الثالث: الملك أيوب بن شادي[1]

الملك أيوب بن شادي والملك أسد الدين بن شادي، كلاهما أخوان، وكانوا من ملوك الكُرد في بلاد الشام. وظلوا أعوامًا في بلاط السلطان نور الدين، وعملوا أعمالا عظيمة، قاموا كثيرا بالغزو والجهاد على حدود الشام والمغرب تصحبهم جيوش كثيفة، وحينما توفي الملك أيوب بن شادي، خلف أربعة أبناء:

---

[1] ذكر في بعض المصادر العربية أيوب بن شاذي. (المترجم).

الأول صلاح الدين يوسف بن أيوب، والثاني الملك العادل أبو بكر بن أيوب، والثالث شهنشاه بن أيوب، والرابع سيف الإسلام بن أيوب.

وحينما توفي أيوب، كان أبناؤه في خدمة عمهم الملك أسد الدين[1]، وأول شخص منهم صار ملكًا على مصر: كان أسد الدين هذا، وأول شخص صار ملكًا في الشام: هو صلاح الدين يوسف كما سيأتي بعد ذلك إن شاء الله تعالى.

الرابع: الملك أسد الدين بن شادي في مصر

يروي ثقات الرواة: إن جماعة من العلويين في المغرب ادعوا الخلافة، وأتوا بجيش من المغرب إلى مصر وأخرجوا مصر من أيدي الخلفاء العباسيين، وكان زعيمهم يدعى المستنصر بالله، وينسبهم بعض العلماء للقرامطة، وقد ظلت هذه المملكة في يد أبنائهم، حتى ذلك العهد الذي اتجه فيه جيش الإفرنج من بلاد الروم لمصر واغتصب هذه البلاد، ولما لم تكن للعلويين في مصر قوة لمقاومتهم وصدهم؛ لذا طلبوا المدد والعون من السلطان نور الدين في الشام، فعين السلطان نور الدين الملك أسد الدين بن شادي ليصد كفار الإفرنج عن البلاد المصرية، فطلب الملك أسد الدين شادي؛ من السلطان أن يعين معه صلاح الدين يوسف ابن أخيه، وحينما وصلوا إلى حدود مصر علم كفار الإفرنج بوصول جيوش الشام فخافوا وتوقفوا على الحدود التي كانوا قد وصلوا إليها، ودخل جيش الشام إلى مصر واستولى عليها، ولما كان لهذا الجيش قوة وشوكة كبيرة خاف العلويون في مصر وندموا على الاستعانة بهم، حيث لم يكن

(1) توفي أسد الدين شيركوه ٥٦٤هـ وتوفي نجم الدين أيوب ٥٦٨هـ (المترجم).

لديهم قوة ليمنعوا جيوش الشام من الاستيلاء على البلاد والتصرف فيها، وكان لسيدي[1] الذي كان يجلس على مسند الخلافة في مصر وزير يدعى شاور فطلبه في السر وأمره: ابعث برسالة سرية إلى كفار الإفرنج وقل لهم: إننا وجيشنا لم نطلب المدد من الشام، ولا نرغب في معونتهم فيجب أن تأتوا إليهم وتحاربوهم، وتدفعوا هذا البلاء ويسلمون لكم غنائم، وأراد المصريون أن يسلموا جيش الشام بهذا الغدر لأيدي الكفار الإفرنج، وأتى كفار الإفرنج للقتال ودَفع جيوش الشام بناء على هذه الرسالة وهذا الطلب، وكان عدد جيش الكفار ثمانين ألف رجل، وعدد جيوش الشام سبعمائة فارس. وحينما اشتبك الجيشان وبدأ القتال وبدأت الصولات والجولات، لم تكن لجيوش الشام قدرة بسبب قلة عددهم وكان من المحتم أن يهزموا، وأخذ المحاربون في الفرار من مصر حتى أتوا إلى موضع يسمى بلبيس، وكان هذا المكان ربضا وحصنا فلجأوا إليه وتحصنوا فيه، وعسكرت جيوش كفار الإفرنج حوله، وأقاموا معسكراتهم، واستعدوا للاستيلاء عليه، وحينما شاهد جيوش الشام أحوالهم وأحوال عجزهم وحصارهم، وغدر العلويين في مصر بهم حينما رأوا هذا كله، فكروا في طريق للنجاة والخلاص، فقال الملك أسد الدين وصلاح الدين: التدبير هو الفداء والتضحية إما مَلكٌ وإما هَلكٌ واتفقوا على التوكل على الله، واعتصموا بالباري تعالى وتقدس، ونفضوا قلوبهم من أرواحهم الغالية وفجأة ومرة واحدة خرجوا من حصونهم وبدأوا

([1]) يقصد الخليفة الفاطمي العاضد الذي حكم من ١١٦٠م، إلى ١١٧١م. (المترجم).

الجهاد، ووصل النصر من السماء، وجاءهم المدد من الله سبحانه وتعالى كما وعد ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1].

وانهزم جيش الكفار، وانتصر أنصار الحق، وكوموا القتلى من بلبيس حتى أبواب مصر، والحمد الله على نصر الإسلام، وقدم جيش الإسلام بهذا الفتح مرة واحدة إلى أبواب مصر واستقبلهم شاور وزير مصر استقبالا حافلا، وحينما وقع نظر صلاح الدين عليه ضربه بيده المباركة بالسيف ضربة فصلت رأسه عن جسده أمام الملك أسد الدين، واتفق أهل مصر والشام على تأمير الملك أسد الدين، وصار ملكًا على مصر وجلس على العرش وترك العلويين في مصر في جانب ولم يتعرض لهم، وظلت الخطبة باسمهم كذلك، وأرسل أخبار هذا الفتح إلى الشام، وضبط ممالك مصر حتى الحدود وأقام مدة في مصر ثم توفي، والسلام على من اتبع الحق. والله أعلم بالصواب.

*الخامس: السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب

كان ملكًا غاية في العظمة والكمال، غزا كثيرا، وجاهد كثيرًا، وقاتل قياصرة الروم وكفار الإفرنج، وقد حالفه الحظ في كل أعماله فكان النصر عطاءً إلهيًا ومنحة ربانية وفتوحات سماوية، ودخلت في حوزته ممالك الشام ومصر والقدس والحجاز واليمن، وهكذا أراد الحق- سبحانه وتعالى- أن ينصر دينه، وتعلن دولة الإسلام في آخر الزمان، إذ يصطفي الله- سبحانه وتعالى- من كل أسرة مالكة ملكًا، ويفتح بمفتاح الجهاد أبواب الفتح في بلاد الكفار، مثلما حدث في

---

(1) سورة الروم: آية ٤٧.

ممالك المشرق، حينما خص الله- سبحانه وتعالى- السلطان معز الدين محمد سام الشنسباني الغوري بفتح البلاد حتى أقصى بلاد الصين، وخص السلطان صلاح الدين يوسف الكردي بفتوح ديار المغرب والإفرنج، حتى تم الكثير من الفتوحات على يديه، وأعاد ملك مصر من أيدي العلويين الذين كانوا رءوس الباطنية والقرامطة تحت حكم خلفاء بني العباس، وخلص القدس وعكا والكثير من ممالك الروم وفلسطين من أيدي كفار الفرنجة، وأحوال صلاح الدين كما يلي:

حينما توفي والده الملك أيوب بن شادي إلى رحمة الله، كان صلاح الدين في خدمة عمه الملك أسد الدين، وقد تقدم ذكر ذلك، وكان دائمًا ملازمًا للخدمة في بلاط السلطان نور الدين الكردي، واشتهر شهرة بالغة بالرجولة والمهارة والشهامة. وكان منافسًا للسلطان في لعب الكرة والصولجان، ويروي أحد الثقات: ذات يوم كان السلطان نور الدين يلعب الكرة فسقطت الكرة بين صلاح الدين والسلطان، فخطف صلاح الدين الكرة بقوة ومهارة وسرعة من أمام السلطان بضربة واحدة، ومن شدة ضربة الصولجان أطار صلاح الدين الكرة في الهواء، وغابت في نور الشمس وسقط ظلها على رأس نور الدين، وحينما شاهد السلطان هذا الأمر، استشاط غضبًا، ووقع الصولجان من يده بغيظ وغضب، وخرج من الميدان، ولهذا السبب استولى الخوف على صلاح الدين، وأخفى نفسه عن نظر السلطان نور الدين، وكان يأتي أمام السلطان قليلا، وسُمِعَ من خواجه هرمز التاجر في هذا الوقت أن السلطان صلاح الدين رأى رؤيا في الليل هي: أن قوما في مصر قبضوا عليه، وحملوه إلى قصر الإمارة، ووضعوا حبلا حول رقبته،

وعلقوه في نافذة قصر الإمارة، فاستيقظ من الخوف من هذا المنام، وازداد خوفه، وسيطر على تفكيره، وفجأة وصل رسول العلويين من مصر، وطلبوا العون والمدد من السلطان نور الدين، كما ذكرنا قبل ذلك، وعين السلطان عم صلاح الدين الملك أسد الدين، وطلب أسد الدين صلاح الدين، فاستولى الخوف والفزع على صلاح الدين بسبب هذه الرؤيا، وذهب إلى معبر للرؤى وقص عليه رؤياه، فقال له المعبر: مبارك عليك ملك مصر، فلا تدع للتفكير طريقا إلى نفسك، فسوف يجعلك الحق- تبارك وتعالى- ملكا عظيمًا في مصر، وبقوة هذا التفسير امتلأ قلبه بالنشاط والقوة، وأتى مصر بأمل كبير، ومرت الأحداث عليه وعلى عمه، وحينما توفي عمه ولحق بالرفيق الأعلى، اتفق أهل مصر وجيش الشام على إمارته عليهم، فلم يقبل مطلقًا، وحينما زاد إلحاح الناس عن الحد، قال لهم السلطان صلاح الدين: سوف أفي بطلبكم بشرط أن تفوا بطلبي، فوافقوا واستجابوا لطلب ما يريد، فقال صلاح الدين: تجتمعون غدًا في المسجد الجامع، لأقول لكم طلبي وملتمسي وأقبل إمارتكم، فتعاهدوا جميعًا على ذلك، وفي اليوم التالي اجتمعوا جميعًا في المسجد الجامع، وطلبوا منه الإعلان عن طلبه وملتمسه، فطلب صلاح الدين البيعة والخلافة والإمامة لخلفاء بني العباس، فقبل الجميع أن يبايعوا آل العباس، وقد جعل الخطبة باسم آل العباس، في عهد دولة أمير المؤمنين المستضيء بأمر الله، وكتب بهذا الفتح إلى دار الخلافة، وأرسل لواء الإفرنج منكوسًا مع أعلام القرامطة لخدمة المستضيء بالله، وطلب من حضرة الخلافة أن يخاطبوه بالملك الناصر، وصار ملكًا على مصر، وفي هذا الوقت توفي السلطان نور الدين، فذهب السلطان صلاح الدين إلى الشام، وصار

ملكًا كما تقدم ذكر ذلك، وأعطى ابنه الملك العزيز مملكة مصر، وجعل الملك الأفضل وليَّ عهده.

أما شقيقه الملك العادل فقد أعطاه ملك ديار بكر، ويحكى أحد الثقات الكبار: حينما وصل خبر جلوس السلطان صلاح الدين إلى ممالك الروم وقياصرة الإفرنج قدم جيش لا يحصى من الكفار إلى الشام واشتبكوا مع السلطان صلاح الدين على أبواب دمشق، وهُزم جيش الإسلام، وفر السلطان في داخل دمشق، وعسكر الكفار على أبواب دمشق، وحلت بالمسلمين نكبة كاملة، وجمع السلطان صلاح الدين أهل دمشق في موضع ليبايعوه على القتال ودفع الكفار والغزو، وأرسل في طلب أحد العلماء الصالحين المشهورين ليقول كلمات في الترغيب في الجهاد، ويحث الناس على الغزو، فاتجه هذا العالم الرباني مخلصًا صادقًا لصلاح الدين، وقال: إن رائحة بول الشيطان تنبعث من فمك وشاربك، فكيف يستحكم عهدك مع الله ومتى يستقيم؟ فأثر هذا الحديث في قلب السلطان المبارك- رحمة الله عليه- فنهض وعلى يد هذا العالم المبارك الرباني، رحمة الله عليه، تاب عن الخمر وجملة المعاصي وبايعه الخلق للجهاد برغبة صادقة، ومن هناك اتجهوا للجهاد، وخرجوا جميعًا من المدينة وضربوا بشدة على جيش الكفار، فنصرهم الحق تبارك وتعالى، وحلت الهزيمة بأعداء الدين وذهبوا إلى النار وبئس المصير من ضربات سيف أنصار الحق التي لا تعد ولا تحصى.

وأسروا جميع ملوك الإفرنج وأمراءهم وكبارهم، وحينما انتصر المسلمون وظفروا فكر السلطان في موضوع الأسرى مع الناس، وأخيرًا اتخذ القرار بشأنهم أن يطلقهم جميعًا، وتابوا، وأنعم عليهم إنعامات كثيرة، وحينما ساروا مسافة أرسلوا رسالة إلى السلطان: إننا عبيدك الذين أطلقت سراحهم، فأرسل لكل واحد منا حلقة، لنضعها في آذاننا وعندئذ نذهب، فأمر السلطان بحلقة من الذهب لكل واحد، وأرسلها إليهم، ولبس الجميع الحلقات في آذانهم ورجعوا، ولم يأت واحد من هذه الجماعة مطلقًا لحرب جيش السلطان صلاح الدين.

وقوى شأن صلاح الدين وآثاره باقية في الإسلام، وقد أدار شئون الملك فترة ثم توفي عليه الرحمة، وكان له ستة أبناء ألقابهم كالتالي: الملك الظاهر، والملك الفاضل، والملك العزيز، والملك المحسن، والملك هاشم، والملك الصالح.

السادس: الملك الأفضل

الملك الأفضل علي بن يوسف بن أيوب الكردي، كان ولي عهد السلطان صلاح الدين يوسف، وحينما توفي السلطان جلس الأفضل على عرش دمشق ومملكة الشام وخدمه الجميع ووافقوا عليه، أما شقيقه العزيز ملك مصر فقد ذهب بجيش إلى الشام يطلب الملك، وانضم الملك العادل أبو بكر أيوب شقيق السلطان الذي كان ملكا على ديار بكر إلى الملك العزيز، وحاصروا الملك الأفضل في دمشق، ودب الخصام بين الطرفين مدة مديدة، ثم انتهت الفتنة على

أن تسلم دمشق للملك العزيز صلحا، وأن يعطوا بلاد الحدود[1] وهي أطراف من الشام للملك الأفضل، وكان الملك الأفضل رجلا عالمًا وافر الفضل، ضمن حاله في بيتين وأرسلهما لدار الخلافة إلى الخليفة الناصر لدين الله، حيث وصل عهد الخلافة للإمام الناصر وهذان البيتان هما:

مولاي إن أبا بكر[2] وصاحبه عثمان قد غصبا حق علي

انظر إلى حظ هذا الاسم كيف لقي من الأواخر ما لاقى من الأول

وبعد مدة توفي العزيز ملك مصر، فاستدعوا الملك الأفضل فذهب إلى مصر ومن هناك ذهب بجيش إلى الشام، وكان الملك العزيز قد أعطى الشام لعمه الملك العادل، فاشتبك الملكان الأفضل والعادل، وهُزِمَ الملكُ الأفضل ثم اتفق مع الملك العادل على ألا يتحاربا، وأعطى العادل سميساط للملك الأفضل، وظل هناك مدة، ثم توفي رحمة الله عليه.

السابع: الملك العزيز

اسمه عثمان، حينما ضبط السلطان صلاح الدين الشام وممالك مصر وديار بكر وفلسطين والإسكندرية، أعطى مُلك مصر لابنه الأكبر الملقب بالملك العزيز، فضبط الملك العزيز هذه البلاد، وكان رجلا عظيمًا، وعمل كثيرًا من

---

(1) جاءت في النص الفارسي بلاد سلخست، ولكن فيما يبدو أنها (بلاد سر حدا ست) ومعناها بلاد الحدود كما أثبتناها في الترجمة وربما جاء الخطأ من الناسخ (المترجم).

(2) وردت في النص أبو بكر والأصح أبا بكر؛ لأنها اسم إن وربما يكون الخطأ من الناسخ (المترجم).

الأعمال للمحافظة على هذه البلاد، وحينما توفي السلطان صلاح الدين ذهب الملك العزيز من مصر بجيش إلى دمشق، وانضم الملك العادل إليه، وخلص ديار بكر ودمشق من أيدي شقيقه الملك الأفضل وسلم الملك العزيز الشام ودمشق وجميع الديار لعمه الملك العادل، ورجع هو إلى مصر، وبعد مدة قصيرة وافاه الأجل، إذ وقع من فوق الجواد فكسرت رقبته وتوفي رحمة الله عليه، وبعده ذهب الملك الأفضل إلى مصر وضبط ملك مصر.

الثامن: الملك العادل

حينما جلس أبو بكر أيوب بن شادي على ملك الشام، ضبط أطراف الممالك، وتزوج بنتا من بنات قياصرة الإفرنج، وكان له منها أبناء، وكان الملك العادل عاقلا راسخ العقيدة، داهية ذكيا حاذقا، أجرى أمور الملك سنوات طويلة، وبطريق العقل والفطنة حافظ على جميع أطراف الملك تحت حكمه، وكان خصومه جميعا مرتاحين أثناء وجوده، ولم يظهروا له عداء، وكان له أبناء كثيرون مشهورون ناضجون، مثل الملك الكامل المعظم عيسى، والملك الأشرف، والملك الفائز، والملك الأوحد، والملك الممدود، والملك الأمجد، والملك الصالح إسماعيل، وكل واحد منهم كان ملكًا على طرف من أطراف الممالك، وستظل آثار خيرهم وأحوال دولتهم منشورة على صحائف الأيام حتى يوم القيامة في أرض الحجاز والشام وبلاد اليمن، فقد أعطى الملك العادل كل طرف من أطراف المملكة لواحد من أبنائه، وبنفسه كان يطوف الممالك دائمًا بجيشه، وحافظ على أطراف الملك وأكنافه بالعدل والكياسة، وكان يحمل قوسه دائمًا في ساعده، وكان من القوة لدرجة أن أحدًا لم يكن يستطيع أن يحمل قوسه مهما كان

فارع القامة، وكان معروفًا عند الأعداء والأصدقاء بصدق القول، وكان جميع أعدائه من كفار الروم والإفرنج يعتمدون على قوله، فلم يكن غبار الخلاف يقر له قرار على قوله، ولم يظلم مخلوقًا في مملكته، وأجرى أمور الملك ما يزيد على ثلاثين عامًا، وتوفي في أمن وراحة بال، عليه الرحمة والمغفرة.

التاسع: الملك المعظم عيسى بن أبي بكر أيوب

كان ملكًا عالمًا وافر الفضل، أكرمه الله تعالى بعلم كثير، كان من بين أبناء الملك العادل الذي كان على المذهب الشافعي، ولكن الملك المعظم كان على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، رضي الله عنه، وفي حوادث ممالك العجم هاجر كثير من علماء خراسان وما وراء النهر في أحداث كفار الصين، وهم: الإمام شرف الدين الذي كان آية في علم الفقه، والإمام جلال الدين الحصري، الذي كان برهانًا في علم النظر، اتصل هؤلاء بحضرة الملك المعظم، وهذا الملك المعظم تتلمذ على يد هذين الإمامين وغيرهما من العلماء الكبار، واستفاد منهم ودرس الجامعان والزيادات[1] للإمام محمد بن الحسن الشيباني.

وظل مدة طويلة شريكًا ونائبًا على ملك دمشق، وأجرى أمور الملك مدة ثم توفي رحمة الله عليه.

---

(1) الجامعان كتابان للإمام محمد بن الحسن الشيباني: الأول: الجامع الكبير في الفروع، والثاني: الجامع الصغير في الفروع، ويحتويان على ١٥٣٢ مسألة فقهية وكلا الكتابين له شروح عديدة (يرجع لكشف الظنون جـ١، ص ٣٧٧) والزيادات في الفروع الحنفية له أيضًا، (كشف الظنون جـ ٢)، والإمام محمد بن الحسن الشيباني من فقهاء الحنفية العظام، ولد عام ١٣٢هـ، في واسط بالعراق، وتوفي عام ١٨٩هـ. (المترجم).

العاشر: الملك الكامل

كان الملك الكامل ولي عهد والده، جلس على عرش مصر، وبعد والده وشقيقه الملك المعظم آلت إليه ممالك الشام، وأعطى ابنه الذي كان يدعى مسعودًا مُلكَ ممالك اليمن، وضبط الحجاز، وجاهد الملك الكامل جهادا كبيرًا ضد الروم والعرب، واحترم سنة الغزو والجهاد، وتوفي بعد فترة، والله الباقي وكل شيء هالك.

الحادي عشر: الملك الصالح بن الكامل

كان الملك الصالح وليا لعهد والده، وحينما توفي الوالد، جلس الملك الصالح على عرش مصر، وأصبحت ممالك الوالد والأجداد في حوزته وتحت تصرفه، وخدم ورعى بني أعمامه وإخوته بقدر الإمكان، وحافظ على الملك، وكان عمره قصيرًا؛ إذ توفي بعد فترة، وخلف أبناءً صغارا، ويروى الثقات: في حوادث ووقائع إيران عندما ظهرت فتنة جنگيزخان، فرَّ جماعة من أتراك خوارزم والأتراك الخوارزمشاهية إلى مصر والشام بعد هزيمة السلطان جلال الدين منكبرني[1] بن محمد خوارزمشاه، وتصرفوا في ملك الأيوبيين وبعضهم توفي وبعضهم بقي، فليرحمهم الله جميعًا، وليبق الله سبحانه وتعالى سلطان السلاطين ناصر الدنيا والدين على عرش الملك. آمين.

(1) منكبرني: تكتب منكبرني ومنكبرتي وذكر الأستاذ حبيبي في هامشه أن أحد الفضلاء في بلاد ما وراء النهر ويدعى الأستاذ هاشم شايق قال له منك بلغة هذه البلاد تعني العلامة البيضاء، وبرتى تعني شارب أي ذو الشارب الأبيض، أما منكبرني فلها معنيان: الأول: صاحب الأنف الأبيض، الثاني: ألف رجل أي أن جلال الدين منكبرني كان يساوي ألف رجل. (المترجم).

الطبقـــة الســادسة عشـرة:

الخـــوارزمشـاهية

الحمد الله الأول الآخر الظاهر والباطل، لـه الحكم الجزم، والصـلاة علـى رسوله محمد سيد البشـر وخاتم الرسل وأفضل أولي العزم، وعلى آله وأصحابه الأنصار والمهاجرين ذوي الرأي والحزم.

أما بعد، فهذا ذكر ملوك الترك وسلاطين خـوارزم. يقـول العبد الضـعيف الربـاني، منهـاج السـراج الجوزجـاني وفقـه الله إلـى صـالح العمـل البـاقي عـن الركون إلى الفاني: إن ذكر ملـوك الطوائف من الأوائل والأواخر، تجتمـع فـي اسم حضـرة سلطان الترك والعجم ناصر الدين أبي المظفر محمود بن السلطان خلد الله ملكـه، ويجـب أن نـرى تسلسـل أسـرة سـلاطين وملـوك خـوارزم الـذين ارتفعـت أعلامهـم بعـد الدولـة السـنجرية وبعـد انقـراض ملـك سـلاطين الغـور وغـزنين أنـار الله بـراهينهم، والـذين أتـى ملـك إيـران كلـه فـي حـوزتهم وتحـت تصرفهم، وقاموا بالغزو والجهاد كثيرًا، وبقيت آثار خيراتهم في البلاد الإيرانية زاخـرة وافـرة، وتخـرج عـن الحصـر والعـد، وحقيقـة صـاروا الختـام لسـلاطين الإسلام رحمة الله عليهم وعلى من تبعهم.

الأول: الملك قطب الدين أيبك

نذكر نسب الملك تاج الدين ينالتكين طاب مرقده؛ ففـي شـهور سـنة اثنتـي عشـرة وستمائة قدم من كرمان بمدد الأبناء وعونهم إلى ملك النيمروز فـي بـلاد سيستان، وسلمت له ممالك النيمـروز، وكاتـب هذه السـطور منهـاج السـراج قدم

إلى فراه بسيستان إلى الملك تاج الدين ينالتگين رحمه الله، من طرف الملك السعيد ركن الدين محمد عثمان مرغني من خايسار الغور برسالة لتقوية الود واستحكام العهد، ويذكر منهاج السراج في ثنايا الحكاية وقت اللقاء فيقول: إن الملك قطب الدين أيبك التركي قدم مع قبائله من جانب صحاري القفچاق وقبائلهم إلى أطراف بلاد جند وخوارزم.

وبقي مدة في تلك البلاد في طاعة خوارزمشاه أبي بكر، وخوارزمشاه مأمون وأبنائهم، وكان يقضي الوقت في هذه الصحاري والغياض والرياض، ولما كان قطب الدين أيبك أميرًا جلدا شجاعًا قوي العهد، متميز الأخلاق، مطيعًا استقر الرأي عليه أن يقود جيوش ملوك خوارزم، وبتقدير إلهي توفي ملك خوارزم في هذا الوقت، ولم يكن له ابن يرثه، وبقي العرش خاليًا، وكانت له بنت؛ لذا اتفق جميع أمراء خوارزم أن يزوجوا هذه البنت للمك قطب الدين أيبك، وعقدوا عقد الزواج، وصار المُلك باسم هذه البنت، وصار النائب على الملك هو قطب الدين أيبك، وقد أدخل في حوزته وتحت تصرفه جميع بلاد خوارزم وأطراف الملك.

وحافظ على سقسين والبلغار والقفجاق، وكان تقدير الحق- تبارك وتعالى- أن ينجب الملك قطب الدين ابنًا من هذه البنت، وأسماه محمدًا، وبعد وفاة والدته وأبيه وصل إليه مُلك خوارزم رحمة الله عليه. والله أعلم.

الثاني: الملك تاج الدين محمد أيبك

حينما توفي والده ووالدته جلس على مُلك خوارزم مكان والدته ووالده، وكان له من والديه شقيق أصغر، فطلب إمارة قنكلي والقفچاق، وأجاب الملك تاج الدين محمد طلب أخيه وأعطاه تلك البلاد، وأنجب شقيقه أبناءً عظامًا وملوكًا كبارًا في خراسان والعراق، وفي عهد تكش ملك خوارزم وابنه السلطان محمد كانوا هم ملوك خراسان مثل ألغ خان أبي محمد الذي كان ملك گرزوان[1] وصار ونس أزان ملك العراق باسم الأتابك سلطان ركن الدين غوريشانستي بن محمد خوارزمشاه، وكان لألغ خان أبي محمد ولدان: الأكبر هو تاج الدين أزبر شاه، والأصغر هو نصرت الدين قتلغ شاه، وأبناء إخوة ألغ خان أبي محمد كانوا في الهندوستان مع ملك النيمروز التتمش بن سالار، وذهب مع الملك تاج الدين ينالتگين إلى سيستان من الهندوستان، وهذه الرواية منه رحمة الله عليهم، وهذا الملك تاج الدين محمد أيبك كان ملكا شجاعًا وعادلا وحازمًا اتصل بخدمة سلاطين السلاجقة، وعمل أعمالا عظيمة، وعدل مع الرعية وأحسن إليهم، ثم توفي، والله الباقي وكل شيء هالك.

الثالث: الملك جلال الدين أتسز بن خوارزمشاه

أدخل أتسز بن محمد بعد والده ممالك خوارزم تحت تصرفه، وعدل بين الرعية وأحسن إليهم، وانفصل عدة مرات عن خوارزم بعضها بالضرورة وبعضها بالاختيار، وقاد الجيوش إلى أطراف جند وتركستان والقفچاق، وكان له نصيب وافر من الفضل والمكرمات والعلم.

---

(١) هذه المدينة تسمى الآن گرزيوان وهي في ميمنة بأفغانستان، وتقع على سفوح الجبال، وهي حسنة الماء والهواء. ارجع إلى حواشي حبيبي، جـ١، ص ٢٩٩، طبقات ناصري. (المترجم).

وصارت حضرة خوارزم مجمعًا للفضلاء بواسطة فضله وإحسانه، وبعد العهود الموثقة التحق بخدمة السلطان سنجر، وظل فترة بحكم أمر الخدمة في البلاط، حتى صار مقرونا بشرف الرضا فأعطاه السلطان سنجر، ملك خوارزم، وحينما مضت مدة رجع بسبب حركة على الجتري الذي كان ملكًا على هرات وشق عصا الطاعة على أتسز، ولوى رأس الانقياد من ربقة الطاعة والخدمة.

وحينما وصلت الدولة السنجرية إلي النهاية سلم لأتسز وتقرر له ملك خوارزم وجميع ممالك التركستان وجند، واتصل بخدمته جميع أفاضل الحضرة، وألف الإمام رشيد الدين الوطواط باسمه كتاب حدائق السحر في دقائق الشعر[1].

وكان لأتسز علاقات ود ومحبة مع السلطان علاء الدين الغوري جهانسوز الذي كان في البلاط السنجري، لدرجة أن السلطان علاء الدين حينما رجع إلى عرش الغور، مَنّ الله تعالى عليه بابن أسماه أتسز. وأدار أتسز بن محمد دفة الملك فترة، وتوفي في خوارزم ولحق بالرفيق الأعلى.

الملك الرابع: ايل أرسلان بن أتسز

كان ملكا عظيمًا، جلس على عرش خوارزم بعد والده وجعل جميع ممالك خوارزم في حوزته وتحت تصرفه، وعدل بين الرعية وأحسن إليهم، وتعهد بأن يعطي كفار الخطا المال الذي كان يعطيه كل عام، واتصل بخان

---

(1) هذا الكتاب ترجمه إلى العربية أستاذنا المرحوم الدكتور ابراهيم أمين الشواربي. (المترجم).

القفچاق، وحافظ المحافظة الواجبة على أطراف الممالك بهذه الطريقة بقدر الإمكان.

ونشبت بينه وبين البعض من عبيد سنجر الذين كانوا ملوك خراسان منازعات وخصومة، وتم الصلح على الوجه الذي كان ميسرًا، وأدار دفة الملك فترة ثم توفي، وخلف أولادًا مثل علاء الدين تكش، وسلطانشاه محمود، فليرحمهم الله جميعًا.

الخامس: السلطان تكش بن إيل أرسلان

كان السلطان تكش بن إيل أرسلان ملكًا عظيمًا للغاية، وكان له حظ ونصيب كبير من العلم والكرم والفضل، وكان يجيد الموسيقى، وحينما جلس على العرش، أدخل تحت حكمه وفي حوزته، أطراف ممالك خوارزم وأجزاء من خراسان بالحرب وبالصلح، واتصل بخان القفچاق وكان يدعى أقران، وتزوج ابنته، وكانت هذه المرأة سيدة عظيمة وكانت ذات شهرة ذائعة في الدنيا، خاصة في عهد ابنها السلطان محمد خوارزم شاه، كانت امرأة عظيمة ذات قوة وحمية ومستقلة بذاتها، وفي عهد ابنها كانت تخاطب خداونده جهان أي ملكة الدنيا، ووصلت قوة غضبها وتنكيلها إلى حد أنها حينما تضايقت من زوجها السلطان تكش بسبب الجارية التي كان يحبها، أغلقت عليه باب الحمام وكان الحمام ساخنًا[1] لدرجة أن تكش أوشك على الهلاك، وقدم جماعة الأمراء

([1]) الحمامات في هذه المناطق تسخن إلى درجة شديدة وذلك لشدة البرد، وتصل سخونتها أحيانًا أن الإنسان يغمى عليه فيها، وكان لي تجربة في أحد هذه الحمامات في أفغانستان إذ لم أتحمل السخونة الشديدة وأحسست أن روحي تنسل من جسدي، فأخرجوني بسرعة في الهواء الطلق حتى عدت إلى طبيعتي، ولم أكرر هذه التجربة أبدا بعد ذلك، وكان هذا في أواخر عام ١٩٦٨م. (المترجم).

والأعيان وكسروا باب الحمام، وأخرجوه وأصيب بالصفراء وضاعت إحدى عينيه عفا الله عنها. وكان السلطان تكش ملكا عادلا ويحكون عن الطائفة: في وقت من الأوقات كتب صاحب حاجة إليه ورقة، وقال: لو تعطيني مائة دينار، فماذا سينقص من خزائنك؟.

فكتب بقلمه عنوانًا للورقة هو: مائة دينار.

وهذا الجواب عند أهل الفضل في غاية اللطف، وكتب شخص آخر ورقة إليه وقال فيها: إنني شقيقك حسبما تقضي الشريعة الإسلامية، فاجعل لي نصيبا من خزائنك فأمر أن يعطوه عشرة دنانير ذهبًا، وحينما وصل هذا الإنعام إلى هذا الشخص المحتاج كتب قصة أخرى: إنني أنا شقيقك ولك خزائن كثيرة ولم يصلني منك أكثر من عشرة دنانير ذهبًا. فكتب له الجواب! لو طلب إخوتك الصغار نصيبهم لن يصل إليك هذا القدر. رحمه الله.

وقد أدخل السلطان تكش نصف خراسان في حوزته وتحت تصرفه بالقوة، وانقاد له ملوك مازندران، واستولى على جزء من العراق، وأسر السلطان طغرل عراق عراقه[1] ابن شقيق السلطان سنجر، ودب النزاع بينه وبين دار الخلافة بسبب ممالك العراق، وصد ابن القصاب الذي كان وزيرًا لدار الخلافة تكش خوارزم شاه عن العراق، ورجع تكش عن بغداد مهزومًا

---

(1) اسمه طغرل عراق (المترجم).

مدحورًا، وهذا البغي والظلم كان سببًا في زوال دولة تكش كما يقول ظهير الدين الفاريابي[1]، رحمه الله قطعة في هذا المعنى:

أيها الملك لقد استسلم العجم لسيفك وجيشك، فأرسل جيشًا إلى مخدع المصطفى.

ثم خرب الكعبة، وأحضر الميزاب، وانثر تراب الحرم ذرات في الهواء.

وبعد أن يمزقوا أستار الكعبة ضعها في خزائنك، وأرسل للروضة ذراعين أو ثلاثة أذرع من الحصير.

وحتى تكفر تمامًا اهجم على محلة الكرخ في بغداد، وعندئذ اقتل الخليفة وأرسل رأسه إلى بلاد ترك الخطا[2].

ولما كان للسلطان تكش عهد مع سلاطين الغور. ولذلك بسبب خصومة بغداد قدم ابن الربيع من بغداد إلى ملك الغور وغزنين، وأتى ابن الخطيب مرة ثانية إلى فيروزكوه، وخطب في يوم الجمعة، وفي أثناء الخطبة قال هذه الكلمات في حضور السلطان غياث الدين محمد سام أنار الله برهانه: يا أيها الغياث المستغاث، المستغاث من التكش الطاغي الباغي. وعند عودة ابن الخطيب توفي

---

(1) ظهير الدين الفاريابي (ت ٥٩٨هـ): شاعر من شعراء القصيدة المعروفين في القرن السادس الهجري، وقد أمضى فترات شبابه الأولى بمدينة فارياب بأفغانستان، ثم سافر إلى نيشابور ومازندران وآذربيجان، كان مطلعًا على الآداب العربية، عارفا بالحكمة وعلم النجوم، وقصائده تشبه كثيرًا سبك الأنوري، ويعتبر أستاذًا في الغزل. (المترجم).

(2)
شاها عجم چوگشت مسلم بتيغ تو — لشكربسوى خوابگه مصطفى فرست
پس كعبة را اخراب كن وناودان بيار — خاك حرم چوذره بسوى هوافرست
دركعبة جامه مى چكند درخزانه نه — وزبهر روضه رادوسه گزبوريا فرست
تا كافر تمام شوى سوى كرخ تاز — وآنگه سرخليفه بسوى خطا فرست.

والد هذا الداعي إلى الله مولانا سراج منهاج- رحمة الله عليه- على حدود مكران، وبهذا الخصوص وصل الأمر منْ حضرة خلافة الناصر لدين الله: وأما السراج المنهاج فقد وقع في الطريق أجره على الله، ورحمة الله عليهم أجمعين.

وكان للسلطان تكش مع الخطا عهودًا مستحكمة، ويروي الثقات: أنه أوصى ابنه السلطان علاء الدين محمد قائلا له: احذر أن تعادي كفار الخطا، وسيكون الإسلام شاهدًا عليك، وكن كما قال الملك العادل الذي يذكرون عنه في هذا الأمر أنه قال: ستكون القيامة قيامتين إحداهما: الوقت الذي وعده الله تعالى، والأخرى: حينما أنتقلُ من الدنيا بسبب فتنة الكفار. وقد أجرى السلطان تكش أمور الملك أعوامًا ثم توفي، والسلام.

السادس: السلطان جلال الدين محمد إيل أرسلان

يسمونه سلطانشاه، كان ملكا صلبا شجاعًا، وحينما وصلت نوبة عرش خوارزم إلى شقيقه ظهر العداء بينه وبين أخيه، فذهب سلطانشاه من خوارزم إلى خراسان، ومن خراسان إلى الغور والتحق بخدمة السلطان غياث الدين محمد سام، فأنزله السلطان غياث الدين وملوك الغور منزلا عزيزًا، إذ كانت بين السلطان تكش وسلطان الغور عهود مستحكمة فقد استولى على أجزاء من خراسان كانت في أيدي الغز، وبعضها كانت في أيدي العبيد السنجرية، وبعضها كان يتعلق بحضرة فيروزكوه وباميان. واشتبك مع أخيه وحاربه فطلب سلطانشاه من ملوك الغور المدد والمساعدة ليخلص خراسان من شقيقه وأمراء الغز ويخليها له.

فهيأوا له إقطاعا واستقبل ضيفًا، وأبقوا على عهدهم مع أخيه، وتأنوا في مدده ومساعدته، فذهب سلطانشاه من ممالك الغور إلى تركستان فيما وراء النهر، وأحضر ردًا وجيشا من خان خانان الخطا، وخلص خراسان من أيدي المعتدين وصلف أمراء الغز وظلمهم، وجعل مدينة مرو دارًا للملك، وأحضر جيشًا إلى هراة، وحاصر فوشنج، وهجم على ممالك الغور، واشتعلت الفتن، والتحق به بعض ملوك سنجر وعبيده مثل: بهاء الدين طغرل الذي كان ملكًا على هراة، وكان يناوش دائمًا حدود ممالك الغور، فأمر السلطان غياث الدين طاب ثراه، أن يجتمع السلاطين فيكون من غزنين السلطان الغازي معز الدين محمد سام، والسلطان شمس الدين محمد من باميان، والملك تاج الدين حرب من سيستان أمر أن يجتمعوا جميعًا، وفي خدمة السلطان غياث الدين يتجهون لصد سلطانشاه، وقدموا إلى أطراف رود بار مرو أي نهر مرو، وأقاموا معسكرًا بين دزق[1] ومرو الرود، واتجه سلطانشاه بجيش من الأمراء إلى أعلى، ولمدة ستة أشهر كان يسرع كلا الجيشين الغوري والتركي لملاقاة بعضهما البعض وكان سلطانشاه يبدي جرأة وشجاعة وأسر الأمير الموكل بالعلف، وكان الملك قطب الدين أيبك الهندوستاني في ذلك العهد هو الأمير الموكل بالعلف في غزنين، فأسر بيد حشم سلطانشاه، وبدأت المعركة بعد ستة أشهر. ولم يكن لسلطانشاه طاقة المقاومة والثبات، إذ عبر جيش غزنين من نهر مرغاب وضرب جيش سلطانشاه؛ فهزم وتفرق جيشه، ورجع إلى مرو، وسقط بهاء الدين طغرل ملك هرات الذي كان يناصر جيش سلطانشاه في أيدي جيش باميان، وأتوا برأسه للسلطان غياث الدين فأمر أن يحملوها إلى هرات، وحصل السلطان شمس

---

(1) دزق العليا من قرى مرو (المترجم).

الدين باميان في هذا اليوم على المظلة وتشرف بلقب سلطان، وحينما أحضروا رأس طغرل إلى هرات، قال شاعر هذا البيت:

رأس طغرل التي كانت أعلى من أوج الفلك.

قدمت دون جسد إلى هرات لينظر إليها من شدة حبه لها، وتعلقه بها.

كانت الرأس مزدانة بالزينة والتاج من الكبر والغطرسة[1].

وحينما هُزم سلطانشاه وتفرق جيشه وذهب إلى مرو، كان هذا الحال والفتح في شهور سنة ثمان وثمانين وخمسمائة، وكان سلطانشاه يعاني مرضًا، وكان يتناول كل عام قدرًا من السم لدفع هذا المرض وهذه العلة، وفي هذا العام اشتد عليه المرض، وزادت عليه العلة، ولدفعه تناول كمية من السم أكبر فهلك وتوفي.

السابع: يونس خان بن السلطان تكش

حينما استولى السلطان تكش على العراق، وأخرجها من أيدي الأتابك أبي بكر بن محمد، وخلصها للمرة الثانية من أيدي السلطان طغرل، أعطاها ليونس خان ابنه وكان ملكا حسن السيرة، صاحب أخلاق رفيعة وزان عصره بالخلق الجميل، وضبط العراق، وبدأ الخصومة مع جيش دار الخلافة.

وصارت تلك الحادثة مؤلمة لدولة والده وأسرته، وبقي مدة يجري أمور الملك في العراق، ثم توفي، والله الباقي.

---

(1) طغرل كه سر أزأوج فلك برترداشت — ازبس كه هوا هاى هرى درسر داشت
بى تن به نظارة هرى آمده بـــود — وزنخوت وكـبر، زيور وأفسر داشت.

الثامن: ملك خان بن السلطان تكش

وهو الابن الأكبر للسلطان تكش، وكان ملكًا جبارًا ومتكبرًا، ولكنه كان في غاية الكياسة والعقل والشهامة والشجاعة، وحينما أخرج والده نيشاپور وأطراف تلك الممالك من أيدي عبيد سنجر، وكذلك أخرج أبناء الملك المؤيد طغانشاه وسنجرشاه من نيشاپور، أعطى عرش نيشاپور لابنه الملك خان، وحينما جلس على هذا العرش استولى على ممالك الأطراف حتى أبواب العراق، واجتمع كثير من الأكابر في حضرته وأجرى أمور الملك فترة ثم توفي، وأعقب ابنًا هو هندوخان بن ملك خان، وكان أميرًا شجاعًا ينظم الشعر، وبعد وفاة والده وجده، بدأ الزحف على خراسان، فضايقه السلطان تكش عمه، فأنشد هندوخان بيتًا وأرسله إلى عمه:

لك مآت الكنوز، ولنا الخناجر البتارة.

ولك الأروقة والشرفات، ولنا الميادين والمراكب الكرارة.

فإذا أردت أن تثير الفتنة بيننا،

فلك خوارزم أيها الملك ولنا خراسان[1].

فكتب السلطان محمد عمه هذا البيت جوابًا له:

يا روح العم إن هذا الجموح يأخذ طريق الجنون

ولن تؤثر فيك ولا في هذه النصيحة.

---

(1) صدگنج تراخنـــــجر بران مارا — كاشانه ترا، مركب وميدان مارا
خواهي كه خصومت ازميان برخيزد — خوارزم تراشها ، خراسان مارا.

وفي الوقت الذي تُلوث فيه مقابض السيوف بالدم، يرتفع وهج الحظ واليمن والإقبال[1].

ولم يكن لهندوخان قدرة على مقاومة عمه فقدم إلى ممالك الغور، وطلب المدد فلم يتيسر له، فذهب إلى ديار الخطا، وكان لديه الجلد، ولكن لم يحالفه الحظ فاستشهد في باميان رحمة الله عليه.

التاسع: عليشاه بن تكش

كان عليشاه بن تكش أميرًا عظيمًا. وحينما وصلت نوبة ملك خوارزم إلى شقيقه، آل إليه ملك نيشاپور، وحينما فتح سلاطين الغور- طابت مراقدهم- نشاپور، خرج الملك عليشاه عن العهد مع الملوك الآخرين من ملوك خوارزم، والتحق بخدمة السلطانين غياث الدين ومعز الدين، فأتوا بالملك عليشاه إلى غزنين، وحينما أتى السلطان محمد للمرة الثانية إلى أبواب نيشاپور، وأخرج الملك ضياء الدين بعد معاهدة شقيقه، وأرسلوه إلى بلاد الغور، ثم أرسل سلاطين الغور الملك عليشاه لخدمة شقيقه، فأعطاه شقيقه السلطان محمد عرش صفاهان، والعراق، وظل هناك فترة، وفجأة تسلل الخوف إليه فقدم من هناك إلى بلاد الغور والتحق بالحضرة بفيروزكوه، وفي هذه الأيام كان عرش فيروزكوه وصل إلى يد السلطان غياث الدين محمود شاه بن محمد سام، فأرسل السلطان محمد أرسلان من خوارزم إلى غياث الدين فقبض على عليشاه، وقيده ولكن في النهاية افتداه جماعة من خدمه وقتلوا محمود بن محمد بن سام، وحينما وصل العرش إلى أبناء محمود، قدم جيش خراسان لضبط الغور، كما سيأتي ذكره بعد ذلك،

---

(1) أى جان عم ! إين غمزدة سوداگيرد إين پند نه در تو ونه درماگيرد
تا قبضة شمشير كه آلايد خــــون تا آتش إقبال كــه بالاگـــيرد.

وكانوا قد خلصوا عليشاه من القيد، وفي اليوم الذي فتح فيه الغوريون فيروزكوه ذهب عليشاه إلى غزنين وظل فترة هناك، وبعد ذلك أرسل محمد خوارزمشاه أشخاصًا، ووعد عليشاه وعودا طيبة. لدرجة أنه اطمأن إلى أن يلتحق بجيش خوارزم وهو في غزنين، فقدم إلى گرم سير تكناباد[1] فعين محمد خوارزمشاه جماعة من خوارزم فقتلوه في شهور سنة تسع وستمائة، رضوان الله عليهم أجمعين.

العاشر: السلطان علاء الدين محمد بن تكش خوارزمشاه

كان للسلطان علاء الدين محمد خمسة أبناء هم: الأول پيروزشاه، والثاني غوريشانستي، والثالث جلال الدين منكبرني، والرابع أرزلوشاه، والخامس آق سلطان. وكان محمد ملكًا عظيمًا، عالمًا، مقدامًا، معطاءً ومحبًا للعلماء وفاتحا ومهاجما شجاعًا، كانت له كل أوصاف الملوك العظام ذوي العدل والشجاعة والإقدام، أكرمه الله تعالى بكل الفضائل والمكرمات، لقب في حياة والده بقطب الدين، وحينما توفي شقيقه ملك خان، أعطاه والده عرش نيشاپور، وجعل الملك شرف الدين مسعود حسن أتابكًا له، وبعد فترة عينه قائدًا على جيوش خوارزم، وكان من جانب والدته أميرًا على القفچاق، فقد كانت والدته ابنة قدرخان القفچاق، ومنذ طفولة السلطان علاء الدين محمد بن تكش كانت مخايل الشجاعة والنجابة والذكاء تظهر على ملامحه، وفي أي مهمة كان والده يبعثه بها إلى الجَنْد وتركستان كان يتمها ويقوم بها على أحسن ما يكون، وحينما وافى الأجل السلطان تكش، كان السلطان محمد في جَنْد وتركستان،

---

[1] سبق التعريف بها.

وحينما سمع بوفاة والده أتى إلى خوارزم، وجلس على العرش، وفي شهور سنة خمس وتسعين وخمسمائة ضبط ممالك أبيه ضبطا كاملا، فأعطى عرش نيشاپور لأخيه عليشاه كما ذكرنا قبل ذلك، وأرسل الرسل إلى الحضرة في غزنين والغور، وطلب الصلح، وقد سمعت أنا منهاج السراج كلام ثقة من ثقات ملك الغور أن إحدى رسائل السلطان محمد وملتمساته كانت كما يلي: أنا العبد محمد تكش أطلب أن يقبلني السلاطين ابنا لهم، وإذا كنت لا أصلح ابنا فليأخذ السلطان الغازي والدتي وهى سيدة نساء العالم جارية له، ويقبلني أنا محمد ابنا وعبدًا، فأفتح أنا العبد كل الدنيا باسم جنابكم الأعلى وسكته وأجعل الخطبة لحضرتكم السامية، وبالسيف أجعل الدنيا بأسرها عبيدا لتلك الحضرة، وأكون أنا أحد هؤلاء العبيد.

وحينما تليت هذه الرسالة أمام السلطان، غياث الدين وافقت مزاجه المبارك، ولكن السلطان معز الدين لم يأخذ بشأنها رأيا أو قرارًا. وجمع السلطان معز الدين جيشًا وذهب إلى خراسان، وضبط الأمور في خراسان، وحينما رجع، قدم السلطان محمد في أثره على بعد منزلين أو ثلاثة، وفي النهاية لم يهزمه هزيمة كاملة، وأظهر شجاعة ورجولة, ولما كان السلطان معز الدين عظيمًا فإنه لم يبد طاقة أو قوة للمقاومة، وحينما مضى سلطان الغور، قدم السلطان محمد إلى باب هرات والتحق بخدمته الملك عز الدين حسين خرميل الغوري، وهو الذي ضبط كل خراسان، وحينما أحضر السلطان محمد جيشًا إلى أبواب هراة بأمر حسين الخرميل، رمى خواجه سعد الدين الترمذي نفسه في المدينة من معسكر السلطان محمد، وظل مدة أحد عشر شهرًا وهو يلاحظ مدينة هرات، وسد جيش خوارزم بتدبير حسين الخرميل مياه نهر هراة،

وصـارت أطـراف المدينـة بحـرًا، وفـاض المـاء بحيـث إذا لـم تكـن قلعـة المدينـة موجـودة، كانـت الميـاه علت أسـطح منـازل المدينـة، وأغرقتهـا، ومـرة ومـرتين شقوا الأرض في داخل المدينة، وخرجت المياه من المدينة ولكنها كانـت تندفع، ولمـدة ثمانيـة أشـهر ظـل الأمـر كـذلك، وكانـت حـرب أهـل المدينـة ضـد جـيش خوارزم في السفن، وحينما انقضى على الحصـار أحد عشـر شـهرًا قدم السـلطان من خوارزم وأمر ففتحوا سدود المـاء، وجـرت الميـاه فجرفت أمامهـا مـا يقـرب من ثلاثمانة ذراع من سور المدينـة وانفتحت بـه ثغـرة، وبعد ثمانيـة عشـر يومًـا فتحـوا المدينـة بالسيف، وبعـد الفتح ذهـب السـلطان إلـى بلـخ، وفـتح بلـخ كـذلك، وأرسل الملك عماد الدين عمر الأهوازي إلى خوارزم، وكان ملكًا على بلخ من قبـل سـلاطين باميـان، ومـن بلـخ ذهـب السـلطان عـلاء الـدين تكـش إلـى مـا وراء النهـر وتركسـتان، والتحـق بخدمتـه جميـع ملـوك وسـلاطين الأفراسيابيين الـذين كانوا في ممالك ما وراء النهر وفرغانة.

ثم اتجه إلى القفجاق في بلاد الخطا، وصـارت الخطبـة والسكة باسـمه فـي جميـع الـبلاد، وكـذلك الخطـا وفـي تركسـتان وبلاسـاغون وكاشـغر، ثـم قـدم إليـه جيش الخطـا الـذي كـان يزيـد عـن الحصـر والعـد، وكـان زعيمهـم تـاينكو طـراز رجلا مسنًا، ولكنه كان مظفرا في الحـروب، حارب خمسا وأربعين معركـة كـان النصر والظفر حليفه فيها جميعها، وقد هزم السلطان سـنجر ملكشـاه، والسـلطان معز الدين محمد سام فـي أنـدخود[1] وفـي الوقـت الـذي كـان تيـانكو طـراز زعيمًـا علـى الخطـا احتـدمت المعركـة بينـه وبـين السـلطان محمـد، فنصـر الله السـلطان

---

(1) أندخود: هي أندخوي الحالية التي توجد في محافظة ميمنة بأفغانستان. (المترجم).

محمدًا نصرا ربانيا، وهزم جيش الخطا وأسر السلطان علاء الدين تاينكو طراز وأسلم على يديه، فأنزله منزلا عزيزًا، وأكرمه إكرامًا بالغًا.

ويروى ثقة من الثقات: حينما أسلم تاينكو طراز كان السلطان محمد يقدره ويحترمه احترامًا بالغًا، وكان دائمًا يطلب منه، ويسأله عن أحوال السابقين من الخطا والملوك الماضين الذين حاربوا ضده، وسأله أثناء هذه القصص والحكايات: كم من المعارك خضتها؟ وكم من الملوك هزمتهم، ومن هؤلاء جميعًا، من كان الأشجع والأقوى فقال تاينكو طراز: أنا لم أر شخصًا أشجع ولا أقوى يدًا ولا مقدامًا أكثر من الغوري، ولو كان هو وجيشه، قد استراحوا لم يكن في استطاعتي أن أهزمهم، ولكنه عاد إلى جيش خوارزم، وقد بقي معه عدد قليل من الفرسان، والجياد الهزيلة النحيفة. فقال السلطان محمد: لقد صدقت، رحمة الله عليهم أجمعين.

وحينما أتم الله على السلطان محمد هذا الفتح، زحف في العام التالي بجيش قوامه أربعمائة فارس مدرعين إلى بلاد الخطا وهزم گورخان زعيم زعمائهم، وغنم جميع مواشي وذخائر الخطا وأتباعهم، وفر أمامه زعيم زعماء الخطا مهزومًا مدحورًا، وقدم كشلوخان التتار من تركستان، فهجم عليه السلطان محمد فجأة وأسره، واستسلم ملك الخطا بكل ما يملك للسلطان محمد وأبعد سلاطين الخطا وسمرقند وسلاطين أفراسياب وقتل بعضهم، ومن هناك قدم إلى العراق واستسلمت له ممالك العراق وآذربايجان وفارس وأسر الأتابك سعد في المعركة، كما ذكرنا، وهزم أتابك يوزبك، فأقام مكانه على عرش العراق ابنه السلطان ركن الدين غوريشانستي، وأمر أن يكون ألغ خان أبو

محمد أتابكا ونائبا لـه، وعين ملوك الغور ورجع، وسلك طريق باميـان بغتـة، وقبض على السلطان جلال الدين علي سام في باميـان وقتلـه ورجـع، وفـي عـام اثنـي عشر وستمائة قدم من بلاد مـا وراء النهر إلـى غزنين، فاستولى عليها فجأة، وذهب السلطان تاج الدين يلذر من ناحية سنگ سوراخ إلى الهندوستان، وأصبحت ممالك غزنين وزاولستان وكابل حتى شاطئ السند تحت نفوذ أمراء خوارزم، وأجلس على غزنين خانسالار[1]، وأعطى لابنه الأكبر السلطان جلال الدين منكبرني ممالك غزنين وبلاد گرمسير، وكذلك عرش كل من السلطان غياث الدين ومعز الدين محمد بن سام- طاب مرقدهما- ثم رجع إلى بلاد ما وراء النهر، وفـي سـنة خمس عشرة وستمائة ذهب إلـى التركستان فـي إثـر قدرخان ابن أمير التتار، حتى وصل إلـى أقصـى التركستان من ناحيـة الشمال، ووصل إلـى أقصـى القطب الشمالي فـي موضـع لا يغيب صبحه والنهار فيه طـالع دائمًا، وعن وجوب صلاة العشـاء فـي هذا الـديار توجد فتـاوى فـي هذا المعنى لعلماء بخارى، إذ عندما لا يغيب بياض الصبح هل تجوز صلاة العشاء أم لا؟ واتفق الجميع أن صلاة العشاء لا تجوز؛ لأن الوقت بالنسبة لهؤلاء الناس الذين يعيشون في هذه البلاد غير موجود.

---

(1) خانسالار: وظيفة تعادل رئيس الديوان في القصر الملكي، ويذكر الأستاذ حبيبي في حاشيته أنه كان يدعى كربر. (المترجم).

وحينما انتصر قدرخان على التتار، ظهرت حادثة كفار الصين وأطلت ظلمة الفتنة برأسها، وكانت بداية لهزائم أهل الإسلام ونكبة دين محمد عليه الصلاة والسلام، وهذا الأمر كما يلي:

كان لجنگيزخان ابن أكبر من كل أبنائه يدعى توشي، وفي هذا الوقت قدم توشي من ممالك الصين في إثر جيش التتار بأمر من جنگيزخان، وتحرك السلطان محمد من أطراف ما وراء النهر وخراسان أيضًا إلى هذه الناحية، والتقى الجيشان واشتعلت بينهما المعارك.

ودام الحرب والنزال من أول اليوم حتى صلاة المغرب، واصطف الجيشان على شكل دائرة، وهزمت ميمنة المسلمين ميسرة الكفار، وتغيرت الأماكن فهزمت ميسرة الكفار ميمنة جيش المسلمين، ثم تغيرت الأوضاع أيضًا، وعلى شكل الدائرة المستديرة دامت الحرب وظل الاشتباك من الصباح حتى المساء، وحينما حل الظلام انفصل الجيشان كلاهما عن الآخر، وكان هناك نهر فشربوا وقدم الجيشان كلاهما متقابلين أمام شاطئ النهر، وضربوا خيامهم ومنازلهم، وحينما طلع الصبح حزم جيش المغول أمتعته، وأوقدوا نارًا عظيمة وتركوها ورحلوا، وحينما شاهد السلطان محمد هذه الحرب وهذا القتال ورأى جلد جيش المغول وشجاعته وإصراره، رجع في اليوم التالي عن هذا الموضع وتمكن الخوف من المغول من قلبه وعقله، ولم يتقدم أمامهم كثيرًا، وكان سبب ما حل بالإسلام من حادثات هو هذا، والسبب الثاني أن جنگيزخان خرج من بلاد الصين وطمغاج وأعالي التركستان وتغلب على آلتون خان

طمغاج ملك التركستان العليا وكذلك ملك قرا خطا، وخلصت له ممالك طمغاج وتنگ والأويغور والتتار، ووصل هذا الخبر إلى مسامع السلطان محمد فوقع هوس تَمَلُّك الصين في رأسه، وأراد أن يتحقق من جيش المغول وحال جنگيزخان فأرسل السيد الأجل بهاء الدين الرازي مع جماعة آخرين برسالة إلى الصين، وحينما وصل هؤلاء الرسل إلى الصين أرسل جنگيزخان المعتمدين لديه بهدايا وتحف كثيرة إلى السلطان، وقد سمعت من السيد بهاء الدين الرازي رحمه الله: إننا حينما وصلنا إلى جنگيزخان، أحضر الوزير طمغاج وابن وعمه ألتون خان، ثم استدعانا واتجه إليهم قائلا: إنكم ترون أن أسباب عظمتي وملكي وصلت إلى درجة أن ملكا غربت شمسه أرسل إليَّ رسلا، وفي النهاية وهو يودعنا طلب تبادل الرسل بين الطرفين وكذلك التجار والقوافل يجب أن يأتوا إلينا بنفائس السلاح والأقمشة وطرائف الطرفين، وكذلك يحملون من هنا، وكانت بين الجانبين عهود ومواثيق موثقة مستحكمة، وأرسل التجار معهم، محملين بأحمال خمسمائة بعير من الذهب والفضة والحرير والطرغو[1] والطرائف والظرائف الأخرى حتى يتاجروا، ودخلوا إلى ديار الإسلام عن طريق أترار، وكان في أترار حاكم يدعي قدرُخان، فعرض على السلطان أمر كثرة الأموال وطلب الإذن في الخيانة والقبض على هذه الطائفة، وبعد ذلك أصدر أمرًا بقتل جميع الرسل والتجار.

([1]) نوع من الحرير الأحمر الثمين (المترجم).

واستولى على جميع الأموال وأرسلها إلى السلطان ومن بين جماعة الرسل والتجار، كان واحد من رعاة الإبل في الحمام، فهرب عن طريق موقد الحمام[1] وأطلق ساقيه للريح في الصحراء، ورجع إلى الصين، وروى أهوال الغدر والقتل التي تعرضوا لها من قدرخان حاكم أترار، فاستعد جنگيزخان للانتقام، واستعدت جيوش الصين وتركستان، وروى الثقات أن جنگيزخان أخرج سبعمائة علم من المكان الذي كان فيه، ورتب تحت كل علم ألف فارس، وأمر أن يأخذ كل عشرة من الفرسان ثلاثة خراف مغولية من القديد[2]، ووعاء من الحديد، وانطلقوا في الطريق ومن هناك حتى أترار ثلاثة أشهر في الطريق وسار بمعية الجيش جياد لا حصر لها ومهارى وخصي لإدرار الألبان والركوب، وقطعوا هذه الصحراء في مدة وجيزة، ووصلوا إلى أترار، واستولوا على المدينة وقلعتها، وقتلوا الناس جميعًا، ومن هناك ذهبوا إلى بخارى، وكان يوم عيد الأضحى سنة ست عشرة وستمائة، فاستولوا على بخارى، وقتلوا أهلها وقتلوا العلماء وأحرقوا الكتب.

ويروون: أن الإمام ركن الدين إمام زاده- رحمه الله- حينما كانوا يقتلونه قال هذا الرباعي:

---

(1) من شدة البرودة في هذه المناطق توجد حمامات للاستحمام خارج المنازل؛ لأنها تحتاج إلى تدفئة شديدة، وبدون هذه التدفئة يتعرض الإنسان للتجمد والموت، والتدفئة تكون في حجرة خاصة خارج الحمام وملحقة به، ويوضع في المواقد بهذه الحجرة الفحم والأخشاب، ويخصص موظف يسمى الحمامي لمتابعة النار دائمًا حتى تظل مشتعلة لتدفئ الحمام ويدفع الناس أجرا زهيدا للاستحمام خارج المنازل (المترجم).

(2) اللحم القديد: هو اللحم المجفف، ويجففونه في الهواء وينثرون عليه كمية كبيرة من الملح حتى لا يفسد. (المترجم).

قلت: إنه قلبي. قال: أنت الذي صنعت نزيفه لنا.

قلت: روحي، قال: أنت الذي جعلتها خلف أستارنا.

قلت: إنكم الذين أطلقتم كلب حيكم علينا.

قال: اصمت. أنت الذي هيأت هذه الفرصة لنا[1].

وذهب جنگيزخان بعد حادثة بخارى إلى سمرقند، وترك السلطان محمد خوارزم شاه ستين ألف فارس متنوعين من أصناف الخلق: تركي وغوري وخراساني، ورؤساء جيوش الغور كانوا من هؤلاء الجماعات، واستولى جنيگزخان على سمرقند بعد عدة أيام في محرم سنة سبع عشرة وستمائة، وقتل الخلق واستشهدوا، ووصل حديث هذه الوقائع إلى أسماع محمد خوارزمشاه، وكان أغلب الحشم الذين معه كلهم عسكر من التتار والخطا، أما الحشم والخدم القدامى فقد تركوا بلاد ما وراء النهر، أما الطائفة التي كان يعتمد عليها اعتمادًا كليا، فقد ظلت معه وعقدت هذه الطائفة العزم على أن تأسر السلطان، ويجعلون هذا الغدر سببا في خلاصهم، فيقبضون عليه ويقدمونه هدية إلى جنگيزخان، وقدم واحد من هؤلاء الجماعة لخدمة السلطان وأخبره واهتم بأمره، وخرج السلطان ليلا من المعسكر، وحتى يتحقق الغدر به من هؤلاء الجماعة قدمت هذه الطائفة في منتصف الليل وأحاطت بخيمة السلطان، وضربوا حلقة حولها، ولما لم يجدوا السلطان فيها انقضوا على المعسكر واشتبك الجيش كله، وفر

---

(1) گفتم كه دلم ، گفت كه خون كرده ماست — گفتم جانم، گفت كه در پرده ماست
گفتم كه سگ كوى تو افتاده مـــــاست — گفتا: مزن اين دم كه فرا كرده ماست.

السلطان محمد مهزوما مدحورًا إلى نيشاپور، وكتب الفرمانات إلى الملوك والأمراء في كل طرف من أطراف ممالكه بأن يحافظوا على قلاع الغور وخراسان والعراق ويعمروها، وعمت الفتنة في جميع ممالك الإسلام وحينما علم جنگيز بهزيمة جيوش المسلمين وتفرقهم بعد فتح سمرقند، عين ستين ألف فارس من المغول تحت قيادة اثنين من المغول العظام، أحدهما يمه، والثاني سودة بهادر، وحينما عبروا نهر جيحون، ذهب السلطان محمد من نيشاپور إلى الأطراف الداخلية في مازندران، وعسكر على رأس وادي تميشة[1]، وفجأة وصل إليه جيش المغول وهُزِمَ هناك، وذهب مترجلا إلى الجبال، ومن جبل إلى جبل ذهب إلى داخل مازندران، وكان ابن رئيس مدينة مازنداران في خدمته، وذهب معه ابنه السلطان جلال الدين منكبرني إلى بحر الخزر وظلا فترة في جزيرة خربة، ولما لم يجد جيش المغول السلطان في مازندران خرج في اتجاه العراق، وخرج محمد خوارزمشاه وعدد من الفرسان الذين كانوا معه من الجزيرة وغلبت عليه علةُ البطن، وظهرت عليه أعراض الماليخوليا، وأصبح مبطوئا معتوها، وقال لابنه جلال الدين: اجتهد أن تحملني إلى خوارزم، فإن دولتنا تبدأ من هناك وكان يكرر هذا البيت:

حينما يضطرب الناس في أمورهم، وتختل عقولهم

([1]) تميشة: مدينة ناحية الديالمة وقد ذكرها الفردوسي، حينما قال: أز آمل گذر سوى تميشه كرد وترجمتها عبر من آمل إلى تميشة، ارجع إلى حواشي طبقات ناصري لحبيبي، ص٣١٢، جـ١. (المترجم).

من الأفضل لهم أن ينقطع حبل حياتهم[١].

وحينما تغلبت عليه علة البطن، لم يبق هناك مجال إلا الركوب، فحصلوا له على بعير، وأجلسوه في هودج، وساروا إلى خوارزم، وفي أثناء الطريق وفي شهور عام سبعة عشر وستمائة توفي إلى رحمة الله، فحمله السلطان جلال الدين إلى خوارزم ودفنه إلى جوار السلطان تكش، وكانت مدة ملكه واحدًا وعشرين عامًا، وكان له ستة أبناء، عليه الرحمة والمغفرة وأدام الله الدولة السلطانية الناصرية المحمودية والله أعلم[٢].

الحادي عشر: قطب الدين أرزلوشاه بن محمد شاه بن تكش

أرزلوشاه هو ابن السلطان محمد، وكانت والدته من أقرباء والدة السلطان محمد، من أسرة قدِرْخان القفچاق، وكان ولي العهد على عرش خوارزم، وحينما ظهرت حادثة جنگيرخان وهزم السلطان محمد حول بلخ على شاطئ نهر جيحون، وذهب إلى أطراف نيشاپور، اتفقت والدة السلطان محمد وأهل خوارزم من الملوك والأمراء وأجلسوا قطب الدين أرزلوشاه على عرش خوارزم، واستعد الجميع، أما السلاطين والملوك الذين كانوا محبوسين في خوارزم من المشرق وإيران وتوران فقد أغرقوهم جميعًا في نهر جيحون، ولم يتركوا أحدًا منهم على قيد الحياة، وعندئذ خرج ابن جنگيزخان ويدعى توشي بجيش جرار من تركستان واتجه

---

(١) مردم چو بكار خويش سرگشته شود   به ازان نبودكه برسررشته شود.

(٢) وردت في النص: (وأدام دولت السلطانية الناصر المحمودية) طبقات ناصري، ص ٣١٣، جـ١، ونظن أن مثل هذه العبارات خطأ من الناسخ، وقد صححنا العبارة. (المترجم).

صوب خوارزم، ولما لم تكن لأرزلو قوة على الحرب والمقاومة ضد توشي فقد أخذ أتباعه وأخواته وأمهاتهن وحرم السلطان محمد وخداونده جهان- أي سيدة العالم- والدته وأرسلهم إلى أطراف طبرستان وما زنداران، وتحصن هو في قلعة لال بطبرستان، وحينما واصل توشي بن جنكيرخان بالحرب على أبواب خوارزم، استولى في أيام معدودة على مدينة خوارزم وقتل الناس واجتث المدينة، إلا أنه أبقى على كوشك أخجك وكان قصرًا قديمًا، وكذلك جبانة تكش خوارزم شاه. وبعد ذلك أسر جميع أتباع أرزلوشاه وأشياعه وحريمه.

الثاني عشر: السلطان ركن الدين غوريشانستي

السلطان ركن الدين بن محمد خوارزمشاه، كانت ولادته في الليلة التي تلا يومها تقهقر السلطان معز الدين محمد سام- طاب ثراه- عن خوارزم، وكان ذلك في شهور سنة إحدى وستمائة، ولهذا السبب أسموه غوريشانستي، يعني قاهر الغوري، وحينما صارت مملكة العراق في حوزة السلطان محمد أعطاه عرش العراق، وزوجه ابنة الملك ألغ خان أبي محمد، وكان من بني أعمام الخوارزمشاهيين وجعله نائبًا للسلطان ركن الدين، وترك في خدمته كل ملوك الغور وجيوش الجبال، وحينما رجع محمد من العراق، اجتمع أتراك العراق وكانوا عبيدا للأتابكة، وحاربوا، وكان الفتح والنصر للخوارزمشاهيين، وفي شهور سنة أربع عشرة وستمائة أجرى الأمر في ملك العراق، وحينما وصل جيش المغول إلى العراق، وهزم المسلمون أسروا جميع الخوارزمشاهيين واستشهد الكثير منهم، في شهور سنة سبع عشرة وستمائة.

الثالث عشر: غياث الدين آق سلطان محمد خوارزمشاه رحمه الله

آق سلطان ابن السلطان محمد، حينما تيسر عرش كرمان ومسند گواشير للسلطان محمد أجلس خواجه زوزن على عرش كرمان، وبعد عدة أعوام توفي خواجه زوزن إلى رحمة الله، وكان رجلا خبيرًا محنكا، أقام في خراسان مدارس ورباطات مشهورة، وعمر وشيد قلعة سلا مهيرزوزن، وحينما توفي أعطى السلطان محمد عرش كرمان لابنه آق سلطان، وذهب إلى كرمان، وضبط هذه الممالك حتى مياه البحر وأطراف مكران، وحينما ظهرت الأحداث والملمات بالإسلام، وتغلب جنگيزخان على إيران، ذهب جماعة الخطائيين وعسكر السلطان محمد مع براق الحاجب الخطائي إلى كرمان، وكان براق حديث عهد بالإسلام، وبدأ مع غياث الدين آق سلطان الخصومة والعداء، ولم تكن لغياث الدين قدرة على مقاومة الخطائيين، فذهب ناحية العراق إلى شقيقه السلطان ركن الدين، وترك الأمير شجاع الدين أبا القاسم نائبًا وكوتوالا في مدينة گواشير التي كانت دار الملك لكرمان، وجلس براق الحاجب الخطائي مع عسكر كثيف على أبواب مدينة گواشير، وقامت الخصومة بينهما، ومكث مدة هناك، حتى خرج السلطان جلال الدين منكبرني من بلاد السند، وذهب من مكران ناحية كرمان، وحينما وصل إلى أطراف تلك المملكة وعلم براق الحاجب بمجيء السلطان جلال الدين، فاستقبله، ووصل شجاع الدين إلى مدينة گواشير، وكان معه قليل من الحشم فخاف من براق الحاجب، فأعطاه مملكة كرمان، وذهب هو إلى ناحية العراق، وحينما استولى براق الحاجب على كرمان، دبت الخصومة بين آق سلطان وشقيق الحاجب، فرجع آق سلطان إلى كرمان واستشهد على يد براق الحاجب عليه الرحمة والغفران.

الرابع عشر: السلطان جلال الدين منكبرني ابن السلطان محمد

السلطان جلال الدين منكبرني هو أعظم أبناء السلطان محمد خوارزمشاه، كان في غاية الشجاعة والإقدام وفي غاية اللباقة والحصافة، حينما تسلم السلطان محمد بلاد الغور وغزنين، وأودعت له هاتان المملكتان، نصب نوابه على هذه الممالك، فأعطى غزنين للملك كربر، وأعطى فيروزكوه لمبارز الدين الشيرازي، وأعطى الوزارة لشهاب الدين ألب السرخسي، وأعطى كرمان لملك الأمراء، أما برشور[1] وبوبكر پور فقد أضافهما إلى ملك اختيار الدين محمد على خرپوست، وحينما ظهرت أحداث جنگيزخان، كان السلطان جلال الدين في خدمة الوالد كما ذكرنا، وحينما أحضر الوالد إلى خوارزم ودفنه كان شقيقه قد جلس على عرش خوارزم، وهو شقيقه الأصغر، وكلاهما كان خائفا من الآخر، فبدأ قطب الدين أرزلوشاه الهجوم على جلال الدين، فخرج من خوارزم، واتجه إلى صحراوات شارستان ومن هناك ذهب إلى غربي نيشاپور وصحراء خراسان ودخل إلى كرمان، وعزم على الذهاب إلى غزني، وقد روى الثقات: أنه رأى الخضر- عليه السلام- في الصحراء وبشره بالملك، ولكنه أخذ عليه العهد ألا يراق دم مسلم على يديه.

فقدم من هناك إلى بلاد النيمروز وبلاد بست وداور ثم ذهب إلى غزنين، وملك خان هرات الذي كان يدعى أمين الحاجب قتل في أول الأحداث محمد خرنك الغوري، وذهب إلى الهندوستان قبل مجيء جلال الدين، وفي هذا الوقت حينما قدم السلطان إلى غزنين اتصل به ملك خان، وأرسل جنگيزخان جماعة من الحشم في أثر جلال الدين إلى غزنين، وكان على رأس هؤلاء الحشم قوتو قونوين صهر جنگيزخان، فتصدى جلال الدين لحشم المغول وهزم الكفار إلى

---

(١) پيشاور الحالية حواشي طبقات ناصري، ص ٣١٥، جـ١. (المترجم).

حدود پروان[١] واشتبك معهم في ثلاث معارك، وفي هذه المعارك الثلاث كتب له الفتح والنصر.

وحينما وصلت أخبار انتصاراته إلى جنيگيزخان، وكان جنگيز في الطالقان بخراسان أتى بجيوشه إلى غزنين، ولم تكن لجلال الدين قوة على مقاومته فذهب إلى پرشور واندلعت المعركة على شواطئ نهر السند، وهزم جلال الدين فرمى بنفسه بالنهر وعبره مهزوما إلى الهندوستان، فأرسل إليه السلطان السعيد شمس الدنيا والدين شخصًا وأخذه إلى أطراف أچه والملتان، ومن هناك ذهب إلى أرض كرمان وفارس وزوجه الأتابك أبو بكر فارس أخته، واستضافه، ومن هناك ذهب إلى آذربيجان وهزم گرج الكافر، وضبط هذه الممالك، واشتبك مع جيش الروم والشام وهُزم، وفي النهاية تم الصلح بينه وبين جيش الشام، وفر إليه من عند جنگيزخان ترني المغولي وهو الذي كان قد حاصر الملتان فأسلم على يديه، وذهبت جيوش المغول عدة مرات متعقبة جلال الدين ولكن كان النصر له، وفي النهاية وفي شهور سنة ثمان أو سنة تسع وعشرين وستمائة عسكر على حدود آذربيجان ناحية الشام وديار بكر، فباغته جيش المغول وهزموه فوصل إلى مكان من ولاية أخلاط ونزل في قرية، فعرفه شحنة[٢] القرية حينما كان في صفوف الجند مع الشاميين، وكان جلال الدين قد قتل أشقاء الشحنة وأبناءه، وحينما تغلب الشرطي عليه قتله، وفي اليوم التالي أعلموا ملك الشام فتأسف وحزن كثيرًا، وعاقب قاتله، وعلى أثر هذه الحادثة قدمت شقيقة أتابك فارس إلى الشام فأكرموها وأنزلوها منزلا عزيزًا، وأعادوها إلى فارس، وانتهت دولة الخوارزمشاهيين، وتفرقت بقايا ملوكهم وحشمهم في الشام ومصر، رحمة الله عليهم أجمعين، وأدام الدولة السلطانية الناصرية.

---

(١) پروان: هي محافظة من المحافظات المهمة في شرق أفغانستان وعاصمتها چاريكار. (المترجم).

(٢) شحنة: الموكلون بأعمال الشرطة (المترجم).

الطبقة السابعة عشرة:

السلاطين الشنسبانية وملوك الغور

(أنار الله براهينهم)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله مكون الظل والنور، ومقدر الكمون والظهور، والصلاة على نبيه محمد صاحب الكتاب المسطور، والصلاة على آله وأصحابه سادة القرى وقادة الجمهور، أما بعد: فهذه ذكرى السلاطين الشنسبانية وملوك الغور.

يقول العبد المؤمل في رحمة الله سبحانه منهاج السراج الجوزجاني، عصمه الله من الغفلة والفتور: إن هذه الصحائف هي لمعة من شمس سلالة السلاطين المنصورين، وباكورة من الشجرة الطيبة لملوك الجبال والغور، طيب الله ثراهم وجعل الجنة مثواهم، على سبيل المثال، سوف أتحدث من أول صبح الدولة وصحوة إشراق السلطنة، وأكتب سلسلة نسبهم الرفيع حتى انتهاء حكمهم وسلطنتهم، حتى آخر ملوك تلك الأسر الحاكمة رحم الله الماضيين منهم، على غرار ما ذكر الأساتذة المتقدمون في التاريخ، وذلك حتى تجمل وتزدان كسوة هذا المجموع بالذكر العاطر لهم، وبذلك أكون قد أديت حقوق هؤلاء السلاطين العادلين وأياديهم- نور الله مراقدهم- التي وضعوها في ذمة هذا العبد الضعيف وأسرته، وستكون الفائدة للقراء إن شاء الله تعالى، وبالله التوفيق وإليه السداد.

اعلم أن ملك الكلام مولانا فخر الدين مبارك شاه المروزي[1] طاب ثراه، نظم سلسلة نسب هؤلاء السلاطين المشهورين في عقد، ونظم تلك الجواهر في سمت صحيح سليم، وربط بداية عقد هذه اللآلئ بصدف الشرف للملك الضحاك العربي، وذكر جميع الملوك أبا عن جد من بداية عهد هؤلاء السلاطين حتى أول دولة الضحاك العربي، وهذا الداعي منهاج السراج كاتب هذا الكتاب كان في كنف الجليلة سيدة ملوك الدنيا زبيدة[2] العصر والزمان، جليلة الدنيا والدين، سلطانة الملكات في العالمين ماه ملك بنت السلطان السعيد غياث الدنيا والدين أبي الفتح محمد بن سام قسيم أمير المؤمنين أنار الله برهانه، ففي شهور سنة اثنتين وستمائة كان تحت رعاية عرشها المعظم.

وهذه الملكة للدنيا والعالم هي التي ربت ورعت هذا الضعيف في كنف ملكها كما يربي الأبناء في عناية الملوك، فوجد الرعاية ليلا ونهارًا تحت نظرها المبارك مع صغر سنه في كنفها، ولهذه الأميرة كثير من المناقب والمآثر: أول هذه المآثر أنها انتقلت بجمال السجايا والشمائل الفطرية من دار الفناء إلى دار البقاء، الثاني أنها كانت تحفظ كلام الله، الثالث أنها حفظت كل شيء يتعلق بالشهادة، الرابع أنها كان لها كل عام قيام تختم القرآن فيه في ركعتين، الخامس حينما توفي والدها السلطان غياث الدين محمد سام اعتكفت

---

(1) فخر الدين مبارك شاه الغوري توفي عام ٦٠٢هـ، وكان حسن الشعر في العربية والفارسية وكانت له منزلة عظيمة في بلاط الغوريين. (المترجم).

(2) إشارة إلى زبيدة زوجة أمير المؤمنين هارون الرشيد (المترجم).

سبعة أعوام لا ترى ضياء الشمس، وفي هذه الأعوام السبعة اعتكفت وانزوت تؤدي شعائر الصلاة رحمها الله رحمة واسعة ورزقنا شفاعتها.

حاصل الأمر أن ملك الكلام فخر الدين مبارك شاه كتب كتاب النسب هذا باسم السلطان علاء الدين حسين جهانسوز، وسمعت في البداية هذه الرواية من كلام زبيدة الزمان وخديجة الأوان الملكة جلالي طاب مرقدها: حينما رتب ونظم بعض الكتاب والمؤرخين سيرة الملوك الشنسبانية أهمل هذا النظم وهذا الترتيب بسبب التغير المزاجي الذي ظهر على فخر الدين مبارك شاه، وحينما ازدان عرش الملك بعظمة المبارك السلطان غياث الدين محمد سام وجلاله ووقاره تم هذا التاريخ وتزين بألقابه المباركة. فيقول والله أعلم بالحقيقة: يسمونهم الشنسبانيين، ويقولون في نسب الأب: بعد نقل الأبناء كبر الضحاك في بلاد الغور صار شهما قويا، واشتهر، وأغلب الظن أنه كان في عهد أمير المؤمنين علي- رضي الله عنه- وأسلم على يديه، فعقد له العهد واللواء، وكل من كان يجلس على العرش من هذه الأسرة كانوا يعطونه عهد علي ولواءه، وكان راسخًا في أذهانهم محبة الأئمة. وأهل بيت المصطفى- صلى الله عليه وسلم- رحمهم الله، والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

ذكر الأوائل منهم ونسبتهم وآبائهم إلى الضحاك الذي يعرف بالتازي أي العربي.

جاء ذكر الضحاك في طبقات ملوك الأوائل وأن مدة ملكه كانت ألف عام إلا نصف يوم، وللعلماء وأهل التاريخ اختلافات كثيرة في نسبه ونسب آبائه

حتى آدم ونوح- عليهما السلام- بسبب طول المدة، وهذه الجماعة التي تعرفه بأنه من أبناء نوح عليه السلام يقولون: هو الضحاك بن علوان بن علاق بن غوض بن آرم بن سام بن نوح عليه السلام، ثم قالوا: اسمه بيوراسپ بن أروانداسب بن طوح بن كابه بن نوح عليه السلام، وبعضهم قال: بيرواسپ بن رنبكاو بن تازيو بن سد بن فراول بن سيامك بن مشي بن كيومرث، بن آدم عليهما السلام.

ويروي أصحاب التواريخ: أن أروانداسپ والد الضحاك هو ابن ابن تازيو برسد وباتفاق أهل التواريخ جميعًا تازي برسد هو والد جميع العرب (وهو شقيق هوشنك الملك)، ويسمون العرب تازي نسبة إليه، وكانت له السيادة والإمارة على العرب وكذلك لأتباعه، ثم إلى ابنه زنبكاو، ومنه إلى ابنه أروانداسپ، وكان أروانداسپ رجلا عادلا وعاقلا ويخاف الله، وجاء له ابن أسماه الضحاك وكان كثير القتل والظلم والفتنة كما كان جبارا أبعده الشيطان عن جادة الطريق حتى إنه حفر في طريق أبيه بئرا، وكان والده هرمًا عجوزًا فسقط فيها وهلك، وصار الضحاك ملكًا للعرب، وسيطر على الدنيا بأسرها بعد جمشيد، وضبط الدنيا كلها بالسحر والظلم.

ويكتب صاحب تاريخ المقدسي: كان له ناي مصنوع من الذهب، وكان لهذا الناي سبع نغمات، وكل نغمة باسم إقليم من الربع المسكون، وأهل أي إقليم يعصونه كان يصنع سحرا في النغمة التي باسم هذا الإقليم، ثم ينفخ فيه فيظهر القحط والوباء في هذا الإقليم، وحينما مضى ألف عام من ملكه خلص الحق

تعالى الدنيا من عدوانه وظلمه، ووصل الملك إلى أفريدون فقبض على الضحاك، وحبسه في بئر دماوند بالعراق. يفعل الله ما يشاء.

ذكر بسطام ملك الهند والسند

ملك بسطام هذا مملكة الهندوستان من قِبَل الضحاك، وهو واحد من أبناء الضحاك، وهو بسطام بن مشهار بن نريمان بن أفريدون بن مرساس بن سيامند بن سبيداسپ بن الضحاك بن سهراب بن شيداسب بن سيامك بن مرساس بن الضحاك.

وحينما أسر الضحاك، أرسل أفريدون جيشًا إلى الهندوستان، ولم يكن لبسطام قدرة على مقاومة جيش أفريدون، فذهب إلى جانب جبال شقنان[1]، وباميان، وسكن هناك، فتعقبه جيش أفريدون، وقدم بسطام للصيد من شقنان وطخارستان إلى جبال الغور عدة مرات، وسمي هذا الموضع لكثرة ما تفجرت فيه من العيون هزار چشمه- أي الألف عين- وقدم بسطام في هذا الوقت بسبب جيش أفريدون إلى الغور، وسكن في روضة في سفح جبل زار مرغ، وفي هذا الصدد هناك روايتان من أصحاب التواريخ: الرواية الأولى هي: ما ذكرناها، والرواية الثانية من منتخب ناصري: ذكرها أحد أكابر غزنين في عهد السلطان الغازي معز الدين محمد سام نور الله مضجعه، فيقول: حينما تغلب أفريدون على الضحاك واستولى على الممالك، ذهب شقيقاه وابناه إلى نهاوند، الشقيق

---

[1] شقنان هي إحدى مناطق قطغن الأفغانية، ويسمونها الآن شغنان، وجاءت شكنان في حدود العالم (المترجم).

الأكبر وكان يسمى سور صار أميرا، والشقيق الأصغر وكان يدعى سام صار قائدًا للجيش، وكان للأمير سور ابنة ولشقيقه قائد الجيش ابن وكلا أبناء العم من صغرهما كانا مخطوبين، وتعلق قلب أحدهما بالآخر وتوفي سام السپه سالار، ونضج ابنه وكان شجاعًا جميلا مبارزًا، ولم يكن له نظير في هذا الزمان في الرجولة والجلد. وبعد وفاة أبيه ظهر له حساد كثيرون وشوا به للأمير سور، فأوغروا صدر العم عليه، وصمم أن يزوج ابنته لملك من ملوك الأطراف، وحينما علمت البنت أخبرت ابن عمها فقدم ليلا وفتح باب القلعة، وتخير عشرة جياد من حظيرة الأمير سور وفكها، وأركب البنت وأتباعها، وحمل ما يمكن حمله من النقود، وسار في الطريق، وعلى سبيل العجلة سار في سفوح جبال الغور، ثم أقام هناك وقالوا: زومنديش أي لا تفكر فيه، فأطلقوا على هذا المكان منديش[1] واستقام أمرهما هناك، وفي الرواية الأولى حينما أقام الأمير بسطام وأتباعه في هذا الموضع أخبروا أفريدون فأراد للمرة الثالثة أن يعين جيشا ليقمع بسطام ويخطفه ويحضروه إليه، وكان أبناء أفريدون تور وسلم قتلا شقيقهما إيرج، الذي كان على عرش إيران غدرًا، واغتم أفريدون لهذا السبب، وظهرت الفرقة والانقسام فلم يصل إلى بسطام، وحينما حانت الفرصة لبسطام اتجه لعمارة الجبال وأطراف الغور، وأرسل المعتمدين لخدمة الشاه أفريدون وطلب الصلح، ووافق أفريدون، وحينما وجد بسطام الأمان اتجه أتباع العرب

---

(1) منديش: اسم ولاية في بلاد الغور وبها قلعة سميت باسم الولاية، وقد سجن بها الأمير محمد نجل السلطان محمود الغزنوي، وهذه القلعة حصن منيع شديد الضخامة والارتفاع. وقد علق عليها سلم لا تحصى درجاته. البيهقى – الترجمة العربية ص ١٢ ٧٠ ، ٧٥ . (المترجم).

وأشياعهم وقبائلهم الذين كانوا من أصل الضحاك من الأطراف إلى جبال الغور وسكنوا في هذه المملكة، وكان عدد هذه القبائل كثيرًا، وحينما أراد الحق- سبحانه وتعالى- أن يكون من هذا الأصل وهذه الأرومة ملوك متدينون موفقون بارك في هذه القبائل، فأدركوا عهد الإسلام، وانتظمت من معادن أصلابهم جواهر السلطنة في عقد الملك والحكم وشيدوا آلاف المنابر والمحاريب بدلا من المعابد القديمة وبيوت الأصنام والأزلام، وعلت شعائر الإسلام ووصلت حتى نهاية بلاد الهند وستان وبحر الصين. رحمة الله عليهم أجمعين.

وكان لهؤلاء السلاطين عبيد راسخون، كل واحد منهم نشر بساط العدل على بسيط الدنيا، ورفع قصور الإحسان والبذل والعطاء، وإلى يومنا هذا فإن وارث هذه السلطنة والقائم بأمور هذه المملكة في صدف السعادة هو السلطان المعظم ناصر الدنيا والدين أبو المظفر محمود بن السلطان قسيم أمير المؤمنين خلد الله ملكه وسلطانه، فليدم في السلطنة والملك.

ولقد قسموا سلاطين أسرة الشنسبانية إلى أربع طبقات: أولى هذه الطبقات هي التي نذكرها وعاصمة هؤلاء السلاطين هي فيروزكوه. والثانية طبقة سلاطين باميان وهي شعبة من هذه الدوحة الملكية، والطبقة الثالثة سلاطين غزني التي كانت دار الملك للسلطان معز الدين محمد سام الغازي وخاصة عبيده الذين جلسوا على العرش بعده، والطبقة الرابعة هي سلاطين الهندوستان الذين وصل إليهم عرش هذه المملكة وهذه الدولة، ومنهم الأسرة الشنسبانية التي وصلت إلى مسند الملك. رحم الله الماضين وخلد دولة الباقين منهم إلى يوم

الدين، وهذا هو القدر المعلوم الذي كتبناه عن تواريخ هذه الأسرة، ولم يكن في ترتيبها مشكلة.

الأول منهم: الأمير فولاد غوري الشنسبي

الأمير فولاد الغوري أحد أبناء الملك شنسب بن خرنك، وكانت أطراف جبال الغور تحت تصرفه، وقد أحيا اسم آبائه، وحينما خرج صاحب الدعوة العباسية أبو مسلم المروزي، وأزعج أمراء بني أمية وأخرجهم من ممالك خراسان، أرسل الأمير فولاد حشم الغور لمدد أبي مسلم، وعمل أعمالا كثيرة لنصره العباسيين وأهل بيت النبي، وظل ينسب إليه مدة طويلة تعمير منديش، وأضيف إليه حكم بلاد الجبال والغور، وتوفي وترك الإمارة لأبناء أخيه، ولم تعرف أحوالهم بعد ذلك حتى عهد الأمير بنجي نهاران (والله أعلم).

الثاني: الأمير بنجي نهاران الشنسبي

كان أميرًا عظيمًا وذاع اسمه في الغور، ويعدونه من كبار ملوك الغور، وكل السلاطين من أبنائه، ونسبته أكتبها كما يلي وكما وجدت: الأمير بنجي بن نهاران بن درميس بن وزن بن هين، بن بهرام، بن حجش بن حسن بن إبراهيم بن معدل، بن باسد بن سداد بن الضحاك.

وكان الأمير بنجي جميل الطلعة، حسن الأخلاق، وكان ممدوحًا بكل الأوصاف، وكانت آثاره رائعة، معروفة وحينما استقام الأمر لبني العباس، ضبط ممالك الأسلاف في خدمة خلافائهم، وأول شخص ذهب إلى دار الخلافة

من هذه الأسرة وأحضر العهد واللواء كان الأمير بنجي بن نهاران، وكان سبب ذهابه إلى حضرة أمير المؤمنين هارون الرشيد هو: أن الغور كانت بها قبيلة يسمونها الشيشانيين، وادعوا أن أول جد لهم أسلم، والشنسبانيون يسمون محمدا حمدا بلغة الغور، وعندما أسلموا أسموهم الحمديين أي المحمديين، وفي عهد الأمير بنجي كان في قبيلة الشيشانيين رجل يدعى شيث بن بهرام، وفي لغة الغوريين يسمون شيث شيش ولهذا السبب سموا هذه القبيلة الشيشانيين ووقعت مشادة بين الأمير شيش والأمير بنجي في أمر تعمير بلاد الغور، وظهرت الفتنة بين أهل الغور، واتفق جماعة من الطرفين أن يذهب كلا الأميرين بنجي وشيث إلى حضرة الخلافة، وكل من يحضر العهد واللواء من دار الخلافة سيكون أميرا، واستعد الاثنان للسفر واتجها إلى دار الخلافة، وكان عرش الخلافة مزدانا بهيبة ووقار أمير المؤمنين هارون الرشيد، ويحكي الراوي: أن تاجرا كان هناك في تلك الديار، أي في بلاد الغور، وكان يهوديًا على دين موسى- عليه السلام، وكان هذا التاجر تربطه علاقة محبة بالأمير بنجي، وكان هذا التاجر يسافر كثيرًا ويذهب للتجارة، ورأى ملوك الأطراف، وعرف آداب البلاط للملوك والسلاطين، فصحب الأمير بنجي، وعرفه بالمقصود والمطلوب، وقال للأمير بنجي: إنني سوف أعلمك الآداب، وأفطنك بالحركات والسكنات، لأن المعرفة بمراتب بلاط الخلافة والسلاطين التلقين فيها واجب، وذلك لتؤول إليك ممالك الغور، وعاهدني أن يكون في كل ممالكك وفي كل موضع أريده أن تعطيني مكانًا تسكن فيه جماعة من بني إسرائيل المتبعين لموسى- عليه السلام، ليرتاحوا في ظلك وظل الملوك من أبنائك وحمايتهم، فتعاهد بنجي نهاران مع

هذا التاجر من بني إسرائيل، وقال له: حينما تعلمني أسباب النصيحة وآداب الملوك وخدمة بلاط الخلافة، سوف أفي بجميع ملتمساتك وأجيب كل مقترحاتك، وحينما استحكم العهد بينهما طفق تاجر بني إسرائيل في تعليمه آداب الملوك وخدمة بلاط الخلافة والسلاطين وشرائط تعظيم دار الخلافة. وجعله يستعد بلبس القباء والعباءة والقلنسوة والحذاء والسرج، وكان يفهمه ويلقنه كيفية استعمال الأسلحة والفروسية، ولم يكن لمنافسه شيش بن بهرام أي علم بهذه الأمور، وحينما وصلوا إلى دار الخلافة ذهب شيش بن بهرام بلبسه وثيابه الغورية العادية البسيطة المعروفة في موطنه، أما الأمير بنجي نهاران فقد قدم إلى حضرة الخلافة بلباس الأمراء، وزي العظماء وبكافة الاستعدادات والآداب، وبعد أداء الخدمة في بلاط الخلافة وحينما سنحت الفرصة لكليهما، أبلغوهما إلى موقف العرض مع تأدية شرائط الخدمة، وذكروا أمر المنازعة بين كليهما للوزير وأستاذ الدار، وعرضوا أمامه المقصود والمطلوب كله، وبعد أن عرف أمير المؤمنين هارون الرشيد قصتهما وتفقد بنظره المبارك حالهما رعا حق الأمير بنجي نهاران؛ ذلك لأن الأمير بنجي نهاران كان له من الجمال نصيب شامل، ونصاب كامل، وازدان بحسن الطبيعة وبهاء الزينة، وجرى اللفظ المبارك لأمير المؤمنين، وقال: هذا قسيم يعني بنجي هذا جميل الوجه والطلعة ويجمع آداب الإمارة وأسباب الحكم والولاية، وحسن الصورة وصفاء السريرة، وأمر أن تكون له إمارة الغور، وأن تكون قيادة جيش ممالك الغور لشيش بن بهرام، وتشرف كلاهما من دار الخلافة بهذه الألقاب ورجعا إلى بلاد الغور، وامتثلا لأمر حضرة الخلافة، ومنذ ذلك العهد صار لقب السلاطين

الشنسبانية بناءً على اللفظ المبارك لأمير المؤمنين هارون الرشيد قسيم أمير المؤمنين- رحمهم الله أجمعين.

وحينما رجع هذان الشخصان إلى بلاد الغور كان لأحدهما إمارة الشنسبانيين وللآخر قيادة الجيش، والأمر على هذه الحال حتى هذا العهد، فالسلاطين جميعًا أنار الله براهينهم من الشنسبانيين، والقادة والأبطال مثل مؤيد الدين فتح الكرماخ[1]، وأبو العباس الشيش وسليمان الشيش جميعهم من الشيشانيين- رحمة الله عليهم أجمعين.

الثالث: الأمير سوري بن محمد رحمه الله

من عهد الأمير بنجي حتى هذا العهد لم يوجد شيء عن إمارة الغور في التواريخ التي جاءت مفصلة؛ لأن اتساق هذه الطبقات في الحضرة العليا لدهلي لا يزال أمرًا غير مدرك؛ لأن الاختلاف والفرقة ظهرا في ديار المسلمين بواسطة فتنة الكفار المغول خذلهم الله، فلم تتهيأ إمكانية النقل من كتب التاريخ في بلاد الغور، وللضرورة حصلنا عليه من تاريخ ناصري وتاريخ ابن الهيصم النابي وبعضه حصلنا عليه بالسماع من مشايخ الغور فأرجو العفو من القراء.

---

(1) كرماخ: ربما تكون كرماج وهي منطقة بين كابل ونهر السند في محافظة بكتيا جنوب كابل، وربما تكون هي التي ذكرت عند ابن بطوطة باسم كرماش وهي حصن بين جبلين. (المترجم).

وهم يروون: كان الأمير سوري رجلاً عظيمًا، وكانت أكثر بلاد الغور في حوزته، ولما كانت بعض بلاد الغور مثل والشتان العليا ووالشتان السفلى[1] لم تتشرف بالإسلام، لذا دبت الخصومة بينهما في هذا الوقت وقدم الصفاريون من بلاد النميروز إلى بست وبلاد الداور، وضرب يعقوب بن الليث لك لك أمير تكين آباد في بلاد الرخج، وتحصنت طوائف الغور على حدود السند، وظلوا سالمين، ولكن ظلت الخصومة بينهم، مثلما ظلت الحرب بين أهل الإسلام وأهل الشرك بحيث كان الكوشكي يحارب كوشكيًا آخر، وظلوا يتنازعون، وبسبب حصانة الجبال التي في بلاد الغور لم يستول غيرهم على الحكم، ومن جملة عظماء الشنسبانيين كان الأمير سوري. وفي بلاد الغور خمسة أنواع من الجبال العالية العظيمة، ويتفق أهل الغور أنها من راسيات جبال العالم، أحدها: زار مرغ في ولاية منديش، ويذكرون أنهم أقاموا قصر ملك الشنسبانيين في سفح هذا الجبل، ويذكرون أن العنقا التي ربت زال زر والد رستم كانت في هذا الجبل وبعض سكان سفوح هذا الجبل يذكرون: أنه في سنوات بين خمسمائة وستمائة أتت من هذا الجبل أصوات صياح ونواح ورثاء؛ لأن زال زر توفي، الجبل الثاني يسمى: سرخ غر وهو أيضًا في ولاية منديش في حدود تجيز، الجبل الثالث: في أشك بولاية تمران وعظمته ورفعته أكثر من جميع جبال بلاد الغور، وتوجد بلاد تمران في شعاب هذا الجبل وأطرافه، والجبل الرابع هو: ورني في بلاد الداور، وتقع والشت وقصر كجوران في شعابه وأطرافه، والجبل الخامس هو: جبل

---

(1) والشتان أو بالشتان: وتقع الآن في شمال غرب قندهار في ثغور الغور على بعد سبعين ميلاً. (المترجم).

رونين في بلاد الغور وهو حصين منيع غاية في المنعة والحصانة والرفعة، وقالوا الخامس هو: فج خيسار طوله وامتداده وارتفاعه يخرج عن حدود الخيال والإدراك والأفهام والأذهان، وفي شهور سنة تسعين وخمسمائة وجدوا عليه قصرا مصنوعًا من شجر الأبنوس يزن أكثر من ألفي مَنْ[1] ولم يعرف شخص مطلقا كيفية وضعه وماهية موقعه.

الرابع: الملك محمد بن سوري

يذكر صاحب التاريخ أبو الحسن هيصم بن محمد النابي: حينما آلت إلى سبكتگين إمارة خراسان وزاولستان من السامانيين والصفاريين، قاد سبكتگين الجيوش عدة مرات من بسُت إلى أطراف جبال الغور وقاتل قتالا شرسًا، وحينما وصل العرش إلى محمود بن سبكتگين كانت إمارة الغوريين مع الأمير محمد بن سوري الذي ضبط ممالك الغور، حتى إنه كان أحيانًا لا يطيع السلطان محمودًا، وأحيانًا كان يسلك سبيل العصيان، ويظهر التمرد، ويمنع ما كان مقررًا من خراج الإسلام، بل يستمر في المخالفة معتمدًا على قلاعه الحصينة وشوكته وعدته الوفيرة، ولهذا السبب كان قلب السلطان محمود مغتمًا دائمًا من هذا الأمر، وكان لا يغيب عن خاطره عوامل القوة والحدة والشوكة لهؤلاء الناس ثم حصانة الجبال وارتفاعها.

---

(1) مَنْ: وحدة للوزن تعادل ثلاثة كيلوجرامات، وقد سبق التعريف بها. (المترجم).

فقاد السلطان جيشًا جرارًا إلى بلاد الغور، وحاصر قلعة آهنگران وظل يحاصرها مدة طويلة، وقاتل قتالا عنيفا وبعد مدة وبطريق الصلح نزل الملك سوري من القلعة، والتحق بخدمة السلطان محمود، وصحبه السلطان محمود هو وابنه الأصغر وكان يدَعى شيش إلى غزنين، ولهذا السبب كان السلطان محمود يحب الأمير محمد بن سوري، ويعتبره ابنه الأصغر، وحينما وصلوا إلى حدود گيلان[1] توفي الأمير محمد بن سوري ويذكر البعض: أنه حينما أسر لم يطق الذل والمهانة ولشدة غيرته وحميته ابتلع سما، كانوا قد عبأوه تحت فص خاتمه فأثر فيه السم وتوفي، فأعاد السلطان محمود ابنه شيش ثانية إلى بلاد الغور، وأعطى إمارة الغور للابن الأكبر الأمير أبي علي بن محمد بن سوري كما سنكتب بعد ذلك إن شاء الله العزيز، والسلام على من اتبع الهدى.

الخامس: الملك أبو علي بن محمد بن سوري

كان الأمير أبو علي رجلا حسن السيرة متميز الأخلاق، موصوفا بحسن الاعتقاد، وفي الوقت الذي كان لوالده إمارة الغور وجبال منديش، رنت أنظار جميع الخلق إليه، وكانت محبته مركبة في الأمزجة، متمكنة في الأفئدة، وعلى الرغم من أن والده كان يتمرد على الأمير سبكتگين والسلطان محمود رحمهما الله، كان الأمير أبو علي يظهر دائمًا إخلاصه وولاءه لخدمة السلطان، وكانت المكاتبات التي يرسلها إلى الحضرة في غزنين تظهر الطاعة والولاء، وتحرر

---

[1] گيلان: يوجد مكان بهذا الاسم في محافظة غزني بأفغانستان حتى الآن، حواشي حبيبي، ص ٣٢٩، جـ١ (المترجم).

الأقلام المحبة والإخلاص، وحينما تجاوز تمرد والده حد الاعتدال أتى السلطان بجيش كثيف من غزنين، وبعد سعي وجهد فائق استطاع أن يقبض على الأمير محمد سوري، وصحبه معه إلى غزنين[1]، وأعطى الأمير أبا علي إمارة الغور وحينما نُصب الأمير أبو علي على إمارة الغور، عامل الناس بخلق حسن فقد شيد أبنية للخير وأقام المساجد الجامعة في بلاد الغور، وبنى المدارس، وحدد لهذه الأبنية أوقافا كثيرة، وعظم الأئمة والعلماء وأجلهم واعتبر تعظيم الزهاد والعباد من لوازم أموره، وعاش الناس في عهده في ممالك الغور في عز ورفاهية، وعاش شقيقه شيش بن محمد في ظل حمايته ورعايته، وحينما انقضت مدةٌ على دولته، وآلت مملكة غزنين من محمود إلى مسعود كان للأمير شيش ابن يدعى عباسًا، حينما نضج وكبر كان في غاية القوة والشوكة، رفع عباس لواء العصيان وقبض على عمه الأمير أبي علي وضبط ممالك الغور، والسلام على من اتبع الحق والهدى.

السادس: الملك (الأمير) عباس بن شيث[2] بن محمد بن سوري

كان الأمير عباس رجلا شجاعًا، غير هياب وكان صنديدا لا يرحم، وكان في غاية الرجولة والشهامة، ولقد ثار حينما وصل إلى مرحلة الشباب

---

(1) ذكر الشاعر فرخي سيستاني (ت ٤٢٩هـ) معركة السلطان محمود ضد الغوريين في مدائحه للسلطان مسعود ابنه؛ لأن السلطان مسعود اشترك في هذه المعركة مع والده وأبدى شجاعة فائقة. ارجع إلى د. عفاف السيد زيدان: فرخي سيستاني شاعر المشرق الإسلامي في القرن الرابع الهجري، ص ١٩. (المترجم).

(2) ذكر المؤلف هذا الاسم بشكلين: شيش، شيث. (المترجم).

وغاية القوة وتعاهد سرًا مع جماعة من الأحداث والشباب، ورفعوا معه لواء العصيان وفجأة خرج، وقبض على الأمير أبي علي عمه، وأوثقه بالقيود، وحبسه، وتصرف في كل أمواله ودفائنه وذخائره، وضبط ممالك الغور وكان في غاية الصرامة والشدة والظلم والجور، وكان الجور والقسوة والظلم مركبًا في طبيعته، وعامل الناس دون اعتبار أو تقدير وتعلق بأموالهم وأملاكهم، واستولى عليها، وكانت الرعية والحشم حيال أمره في عجز وضيم، ولمدة سبعة أعوام في عهده لم يلد حيوان مطلقًا من الجياد والإبل والخراف ومنعت السماء الأمطار، وفي إحدى الروايات: أنَّ النساء لم تضع مولودًا.

ويقول الراوي عن شؤم ظلمه: كان له كلبان عجيبان كان الكلبان دائمًا مقيدان بالسلاسل والقلائد الحديدية، أطلق على أحدهما اسم إبراهيم الغزنوي، وعلى الآخر عباس الغوري، وكانوا دائمًا يحضرون الكلبين أمامه ويفكون السلاسل عنهما ويترك كلاهما يحارب الآخر ويصارعه، وفي الوقت الذي كان الكلب الذي سمي باسمه يغلب وينتصر كان يغتبط ويفرح في هذا اليوم ويمنح العطايا والهبات، وفي اليوم الذي كان الكلب الآخر يغلب وينتصر كان يغضب في هذا اليوم ويؤذي الخلق والناس، ولا يعطي فرصة لشخص من خاصته أن يتحدث معه، ومع وجود هذا الظلم والتعدي كان له نصيب كامل في علم النجوم، وتحمل في هذا الأمر آلامًا كثيرة وأظهر جهدًا وافرًا في تحصيل هذا العلم، وحصل على حظٍ كاملٍ، وفي ولاية منديش في خطة سنگه[1]، وفي القلعة التي بناها بسطام أمر بتجديد عمارتها، وفي سبيل هذا ومن أجل تشييد القلعة جاء بالأساتذة البارعين من جميع الأطراف والأنحاء، وجعلوا الحوائط على

---

(1) سنگه = سنجه: هي إحدى مدن بلاد الغور. (المترجم).

شكل أسوار وارتفعوا بها من سفح الجبل إلى القمة، وفي سفح ذلك الجبل وعلى تلة مرتفعة شيد قصرًا عاليًا، له اثنا عشر برجًا، في كل برج بنى ثلاثين نافذة وستة أبراج شرقية وشمالية، وستة أبراج غربية وجنوبية، وفي كل برج نقش صورة برج من الفلك، وقد صنع هذا بحيث إن كل يوم تشرق الشمس وتضيء من نافذة تكون على الدرجة التي تكون مطلعًا لها، فيكون معلومًا لديه أن الشمس في ذلك اليوم تكون على أي درجة وفي أي برج، وهذا الوضع دليل على براعة الأمير عباس في علم النجوم وأستاذيته، وفي عهده شيدت قصور الغور وكثرت، ولكن الخلق انفضوا عنه لشدة ظلمه وتعديه وجوره، وكان عهد دولة غزنين وعرش السلطنة قد وصل إلى السلطان الرضي إبراهيم عليه الرحمة، فأرسل جماعة من أكابر الغور وأشرافهم وأمرائهم مكاتبات استغاثة إلى غزنين، وبناءً على هذا الطلب والالتماس تحرك السلطان إبراهيم بجيش كثيف من غزنين، وحينما وصل إلى بلاد الغور، التحق جيش الغور بخدمة السلطان إبراهيم، وسلموا له الأمير عباس، فأمر السلطان إبراهيم بن مسعود- عليه الرحمة- بحبسه وأرسله إلى غزنين، وأعطى ممالكه لابنه الأمير محمد، والسلام على من اتبع الهدى.

السابع: الأمير محمد بن عباس

حينما قبض السلطان إبراهيم بن مسعود على الأمير عباس وأرسله إلى غزنين، أعطى ممالك الغور بالتماس أشراف الغور وأكابرهم للأمير محمد بن عباس، وكان الأمير محمد بن عباس في غاية حسن الخلق، ونهاية لطف المزاج، كان عادلا للغاية متميز الأخلاق، حسن السيرة، ومنصفًا ورحيمًا، محبًا للعلماء منصفًا لهم راعيًا للضعفاء وكل غلظة وظلم وصفة غير محمودة

وعدوان لوالده قابلها في طبيعة الأمير محمد آلاف الصفات المتميزة والمعاني الطاهرة، وحينما صارت ممالك الغور باسمه، انقاد له جميع أشراف ولاية الغور وأكابرهم، وبقدر الإمكان أظهر الجد والجهد في إحياء مراسم الخير والبذل والعدل والإحسان، وكان يخدم السلاطين في غزنين طوعًا ورغبة ويمتثل لهم وينقاد، ويرسل لهم المال المعهود، وفي عهده فتحت أبواب الراحة على الخلق في بلاد الغور، وسار الجميع في راحة الزمان وأمنه، وعمت النعمة والخصب والرخص، وحتى نهاية امتداد ملكه نعم الرعية والحشم بالهدوء والراحة حتى توفي ولحق برحمة الحق، عليه الرحمة والغفران.

الثامن: الملك قطب الدين حسن بن عباس

الملك قطب الدين حسن جد السلاطين العظام في بلاد الغور، كان أميرًا عادلا وكان عهده جميلا، وكان جميل الوجه حسن الطلعة، وظهرت آثار عدله ومرحمته وإحسانه وشفقته على أهل بلاد الغور، وانشغل بقمع الجماعة التي تمردت عليه وقهرها، وكان على يقين أن إصلاح المفسدين من ألزم اللوازم، ولما كانت أصول بلاد الغور جميعها من القبائل العربية، وكان نموهم ونشأتهم وتربيتهم في سفوح الجبال، فقد ركب في طبيعة كل قبائل الغور ومزاجهم الاستبداد والغلظة والسطو والعظمة والتمرد والعصيان، ودائمًا يكون القتال والخصومة بين قبيلتين، وكل عام كان يظهر الخلاف في طرف من أطراف ممالك الغور فيمتنعون عن أداء واجبات الأموال المقررة.

وحتى هذا العهد الذي هو آخر دولة السلاطين كان يشاهد حال هذه الطوائف على هذا النحو، وفي وقت من الأوقات في عهد الملك قطب الدين الذي كان جدًا للسلاطين شق جماعة من ساكني تگاب من ولاية وجيرستان[1] عصا الطاعة، فقدم الملك قطب الدين بالحشم وأمراء الغور إلى سفح قصور تلك الجماعة وقلاعهم ودعاهم للطاعة فلم يذعنوا ولم ينقادوا وانشغلوا بالقتال، وفجأة- وبتقدير السماء- انطلق سهم من قوس القدر، من ناحية العُصاة، ودخل عين الملك قطب الدين، وتوفي على أثر هذا الجرح فقد أصاب منه مقتلا، وفي الوقت الذي شاهد فيه الخدم والحشم ضربة السهم أظهروا الفداء والجلد واستولوا على هذه القصور وهذه القلاع، وقتلوا العصاة جميعهم وخربوا هذه الأماكن، وحتى آخر عهد سلاطين الغور وانقراض دولة الشنسبانية لم ينشغل ملك قط بتعمير هذه القصور أو تشييد تلك القلاع إلا الأمير خرنك، حيث كان حول هذه القلاع نهر ضيق فقادوه حتى تلك الحدود، وحينما توفي الملك قطب الدين حسن جلس ابنه عز الدين حسين على العرش (والله أعلم).

التاسع: أبو السلاطين الملك عز الدين الحسين بن الحسن نور الله مـــــراقدهم

أولاد الملك عز الدين هم: الملك شهاب الدين محمد خرنك ملك مادين والغور، والملك فخر الدين مسعود أمير باميان وطخارستان، والسلطان علاء الدين حسين ملك الغور وغزنين وباميان، السلطان سيف الدين سوري ملك

---

(1) تكاب، وجيرستان: تقع تگاب في شمال شرق كابل، أما وجيرستان فهي الآن باسم أجرستان في غرب غزني واصطلاح تگاب موجود حتى الآن في جبال الأفغان بمعنى الوادي المملوء بالماء، خصوصًا، في محافظة ميمنة وجوزجان القديمة. ارجع إلى حواشي طبقات ناصري، ص ٣٣٣، جـ١ (المترجم).

الغور وغزنين، السلطان بهاء الدين سام ملك الغور، وملك الجبال قطب الدين محمد أمير الغور وفيروزكوه، والملك شجاع الدين أمير خراسان والغور.

وكان الملك عز الدين حسنين ملكًا جميل العهد جميل الوجه حسن الاعتقاد، موصوفًا بكل الأوصاف المتميزة ومعروفًا بجميع الأخلاق الحميدة، وكان مُلك الغور وبلاد الجبال في عهد إمارته معمُورًا، وارتاح الخلق وسكان تلك الديار في ظل الأمن وحماية الأمان.

وجعل العلماء والعباد والزهاد وسائر الرعايا كل واحد متفرغًا لحاله ومقاصده ويسعد بعطاياه الدائمة ومنحه الموصولة، وأعطاه الحق تعالى- ببركة اعتقاده وحسن سيرته- سبعة أبناء، وكان ذكر ممالكهم وسلطنتهم منتشرًا في الأقاليم السبعة، فأربعة أبناء منهم وصلوا إلى الملك والسلطنة، وكان منهم أيضًا أبناء مشهورون صاروا ملوك الدنيا وسادتها، كما سيأتي ذكره ويكتب بعد ذلك، وكان لعز الدين حسين مع الدولة السنجرية والسلطنة السلجوقية اتصال ومحبة مستحكمة، وكان يرسل كل عام لخدمة بلاط السلطان سنجر أشكالا وأنواعًا من الأسلحة، مثل الجواشن والدروع والخوذات، وفي بلاد الغور كلاب عجيبة تتساوى في حجمها وقوتها مع الأسود، فكان يرسل عددًا من هذه الكلاب بالقلائد الثمينة القيمة لخدمة السلطان سنجر، وكانت تصل إلى سلطان الغور تشريفات وتحف كثيرة، وكان السلطان سنجر يسلك مع سلطان الغور وغزنين طريق المودة طالما كانت إمارة الغور في يده، وتحت سيطرته.

وكـان لـه سبعة مـن الأبنـاء: أكبـرهم جميعًـا الملـك فخـر الـدين مسـعود، وسوف يـأتي ذكره فـي طبقـة أخرى يذكر فيهـا سلاطين باميـان، وهذه الطبقـة ستكون مبنية على ذكره، وسوف تكتب في موضعها.

العاشر: ملك الجبال قطب الدين محمد بن حسين

وهو من الأبناء السبعة للملك عز الدين حسين، كـان الأكبـر الملك فخـر الـدين مسـعود، وكانـت أم مسـعود جاريـة تركيـة، وكـان بعده ملك الجبـال قطـب الـدين محمـد، وكانـت أمـه سيدة لـيس لهـا نسـب عظـيم، وكانـت حاجبـة لأمهـات السلاطين الآخرين وخـادمة لهن، وقد كتبنا أسماءهم وألقابهم.

حينمـا تـوفي الملـك عـز الـدين حسـين والـد السـلاطين- رحمـة الله عليـه، جلس مكانـه علـى العرش السلطان سـوري، وقسم ولايـة باميـان بين الأشـقاء، وسوف نورد ذكر السلطان سوري في طبقة سلاطين غزنـي، إن شاء الله.

وبشـأن هذا التقسيم أعطـى السلطان سـوري ولايـة ورسـار لملك الجبـال وكانـت دار ملكـه هنـاك، وبعد ذلك تيسـر لـه أن يطلـب موضـعًا ليبنـوا لـه قلعـة حصينة، ومكانًا منيعًا يليق بالحضـرة، فأرسل المعتمـدين إلـى الأطـراف واستقر رأيـه علـى مكـان فيروزكـوه، فبنـى قلعـة فيروزكـوه ومـدينتها، وجعـل سـلطان سـوري مدينـة أسـتيه[1] وقلعتـه دار ملكـه، وأعطـى الملـك ناصـر الـدين محمـودًا مادين، وأعطى بهاء الـدين سـام خطـة سنگه ودار الملـك منديش، وأعطـى قلعـة

([1]) ذكرت أستيا أيضًا وهى اسم جبل بين غزنين وهرات بأفغانستان، ولكن أستيه أحد قلاع الغور، ارجع إلى حواشي حبيبى طبقات ناصري، ص ٣٣٦. جـ١ (المترجم).

وجير للسلطان علاء الدين حسين جهانسوز، أما الملك فخر الدين فأغلب الظن أنه عين له ولاية كشـي[1]، ومن التقديرات السماوية أن وقعت مشاحنات بين ملك الجبال بفيروزكوه وإخوته الآخرين، فغضب ملك الجبال من إخوته وذهب إلى غزنين وكان عهد دولة بهرامشاه، وكان لملك الجبال هذا نصيب وافر من الحسن والجمال زيادة على المروءة والكمال، وحينما وصل إلى غزنين فتح يد البذل والمروءة والعطاء، فاستحكمت وتأصلت محبته في قلوب الخلق بحكم أن الإنسان عبيد الإحسان، وأحبه أهل غزنين، فخرج عليه جماعة من الحاسدين، وأوصلوا أمره إلى أسماع بهرامشاه فاعتقد أنه خائن لحرمة المُلك وأنه يبذل الأموال ليخرج على الملك، فأمر بهرامشاه فأعطوه شرابًا مهلكًا في السر فلحق بالرفيق الأعلى، ودفنوه بغزنين أيضًا، وظهرت الخصومة والعداء لهذا السبب بين أسرة المحموديين والشنسبية وآل الضحاك، وحينما وصل حديث هذه الحادثة إلى مسامع السلطان سوري، أتى بجيش إلى غزنين، كما سيأتي بعد ذلك وسوف نذكر أحوال السلطان سوري أيضًا، ولما كان أول شخص من هذه الأسرة أخذ اسم السلطنة فقد جلس على عرش غزنين، وسوف يأتي ذكره في طبقة أخرى بداية من ذكر سلاطين غزنين، والله الموفق.

الحادي عشر: السلطان بهاء الدين سام بن حسين

أبناؤه: السلطان الأعظم معز الدين أنار الله برهانه، والسلطان الأعظم غياث الدين والدنيا أنار الله برهانه.

---

(1) كشي أو كشه: هي الآن كسي فى چـخچران بالغور في الشمال في أفغانستان (ارجع إلى حواشي طبقات ناصري، ص ٣٣٦، جـ١) (المترجم).

بناتـه: أم ألـب الغـازي ملـك خراسـان تزوجـت قـزل أرسـلان ابـن أخـي سنجر.

حـرة جلالـي: أم تـاج الـدين ملكـة جبـال الغـور تزوجـت السـلطان شـمس الدين، وحينما ذهب ملك الجبال إلى غزنين وأهمل عمارة فيروزكـوه، قـدم بهـاء الدين من سنگه إلى فيروزكوه، وعمر المدينـة، وأتـم تشـييد الأبنيـة وبنـى قصـر السلطنة كما بنى قلاع الغور وحصونها، واتصل بحكام غرستان[1] وكان جلوسه بفيروزكوه في شهور سنة أربع وأربعين وخمسمائة، وحينمـا عُمـرت العاصـمة فيروزكـوه بـأمره، أمـر ببنـاء أربعـة قـلاع حصـينة فـي أطـراف ممالـك الغـور وگرمسـير، وغرسـتان والجبـال وهـرات وبنـى قصـر كجـوران فـي گرمسـير والغور، وقلعـة شورسنگ فـي جبـال هـرات، وقلعـة بنـدار فـي جبـال غرسـتان، وقلعة فيروز بين غرستان وپارس، ولما كان السلطان بهاء الدين سام بعد شهادة السلطان سوري هـو الأكبر بين إخوتـه الخمسـة؛ لذا سلم لـه مُلك بـلاد الغـور، وكانت زوجته هي الملكة گيلان، وكانت من نسب الشنسبانيين أيضًـا، وكانـت ابنة الملك بدر الدين گيلان، وقد أكرم الحق تعـالى هذه الملكـة العظميـة النسـب بولدين وثـلاث بنـات، الأبنـاء هـم: السلطان غيـاث الـدين محمـد سـام، والسلطان معز الـدين محمـد ســـام - أنـار الله برهانيهمـا، وقـد كانـت بسـطة ملكهمـا تحـوي الربـع الشـرقي للـدنيا، أمـا مـا لـهمـا مـن آثـار الغـزو والجهـاد والعـدل والإحسـان فسـوف تظـل ظـاهرة واضـحة حتـى نهايـة الأدوار فـي أخـر الزمـان علـى وجـه

---

[1] كان لقب حكام غرستان (شار) وجمعها (شاران). (المترجم).

البسيطة، وسوف نذكر بعضًا من الآثار والتواريخ على سبيل المثال عند ذكرهما إن شاء الله تعالى.

أما البنات: الأولى: هي ملكة الجبال والدة الملك تاج الدين زنگي، والثانية: حرة جلالي أم السلطان بهاء الدين سام ابن السلطان شمس الدين محمد بن الملك فخر الدين مسعود البامياني، والثالثة ملكة خراسان والدة ألب الغازي ابن الملك قزل أرسلان السلجوقي ابن شقيق السلطان سنجر.

وحينما وقعت النكبة والحادثة للسلطان سوري في غزنين بسبب مخالفة خدم آل محمودي وغيرهم- عفا الله عنهم- وصل الأمر إلى أسماع السلطان بهاء الدين، فصمم على الانتقام من أهل غزنين ولم ينشغل بأمر تقبل العزاء في شقيقه، وجمع جيشا من أطراف جروم[1] وغرستان وأكنافهما ونظمه ورتبه واتجه صوب غزنين لينفذ هذه المهمة بكفاءة، ونهض على أتم الاستعداد، وسار كثير من الحشم في خدمته وتحت رايته، وحينما وصل إلى خطة گيلان كان في غاية الهم والغم والتفكير في أمر إخوته، وتغلب المرض على قوة الحمية والرجولة، وتوفي في هذا المكان، وقبل أن ينتقل من دار الفناء فعل السلطان سوري مثلما فعل وقت ذهابه للاستيلاء على غزنين، كان قد سلم عرش الغور وممالكها للسلطان بهاء الدين، وفوض له حكم هذه الممالك، وفي هذا الوقت حينما زحف السلطان بهاء الدين سام-عليه الرحمة- بجيش تجاه غزنين، سلم أيضًا عرش ممالك الغور وحكم الجبال للسلطان علاء الدين حسين جهانسوز،

---

(1) يقصد گرمسير، وهي المناطق الحارة (المترجم).

وترك له الأتباع والأبناء والأمراء والأشياع، وحينما توفي السلطان بهاء الدين في گيلان، ولحق بالرفيق الأعلى، ووصل هذا الأمر إلى أسماع السلطان علاء الدين لم ينشغل بالتعزية وجهز جيشًا على سبيل السرعة، واتجه صوب غزنين، والله أعلم وأحكم.

الثاني عشر: الملك شهاب الدين محمد بن الحسين

الملك شهاب الدين محمد كان شقيق السلطان سام، وكانت ولاية مادين معه، وأعطي ولاية من أطراف الغور باتفاق الإخوة بعد وفاة الوالد، وكان له ولدان أحدهما يدعى الملك ناصر الدين حسين، وقد أجلسوه على عرش فيروزكوه أثناء غياب السلطان علاء الدين حسين في خراسان في خدمة البلاط السنجري، كما سيأتي ذكر هذا.

والثاني هو الملك سيف الدين سوري، الذي جلس مكان أبيه في ولاية مادين بعد وفاته، وكان لسيف الدين سوري ثلاثة أبناء: بنت وولدان، وهذه البنت كانت أكبر من شقيقيها وكانت متزوجة من السلطان الشهيد الغازي معز الدين سام- أنار الله برهانه- ورزق السلطان الغازي منها بابنة توفيت وهي بكر صغيرة وقبرها في حضرة غزنين، وقد خلف الملك سيف الدين سوري ولدين: الأول هو شهاب الدين علي مادين الذي استشهد على يد أتراك خوارزم وقت استيلائهم عليها، والثاني هو الملك ناصر الدين أبو بكر.

وكاتب هذه السطور كان ملتحقًا بخدمته في ولاية گزيو[1] وتمران في شهور سنة ثماني عشرة وستمائة، وشاهد ورأى مروءته وشجاعته، وفي هذا العهد تزوج كاتب هذه السطور إحدى بنات الأكابر من أقرباء الملك ناصر الدين أبي بكر، وكان هذا في أول الشباب، وفي هذا العام عبر جنگيزخان الملعون نهر جيحون إلى خراسان، واتجه صوب غزنين، القصة أن منهاج السراج الجوزجاني طلب من الملك ناصر الدين أبي بكر - عليه الرحمة- جوادًا، وكذلك طلب الزواج من إحدى قريباته، وعرض طلبه نظما، وردًا على هذه القصة وللجواب عليها كتب الملك ناصر الدين بقلمه هذا الرباعي، وأعطاه للداعي في يده، وهذا الرباعي هو:

إن شاء الله سوف ينجلي الغم عن قلبك،

وسوف يُنْظَمُ درك الثمين عقدًا،

ليس هناك مانع أو عذر في أمر هذا الجواد الذي طلبته مني،

ولكن مع الجواد الآخر سوف تذكر طلبات أخرى كثيرة[2].

---

(1) گزيو: ينطقها الناس الآن گزو ويكتبونها گزاب وهي في أرزگان بمحافظة قندهار بأفغانستان وتقع أيضا بالقرب من أجرستان (وهي وجيرستان التاريخية). ارجع إلى حواشي حبيبي ص٣٣٩، جـ١، طبقات ناصري (المترجم).

وجدير بالذكر أن ارزگان الآن أصبحت محافظة بين محافظات أفغانستان، وعدد محافظات أفغانستان الآن ثلاث وثلاثون محافظة. (المترجم).

(2) **إن شاء الله غم دلت رفته شـــود — وآن درگران بهاي توسفته شـــود**

أسپي كه زمن خواسته عذري نيست — با آن أسپ بسى عذر دگر گفتة شود.

وأرسل إلى الداعي (منهاج السراج الجوزجاني) جوادا أصفر سنه ثلاثة أعوام محكم الوثاق، فليتقبله الحق تعالى منه، وهذا الأمير ذهب إلى حضرة دهلي بعد حوادث غزنين والغور والتحق بخدمة بلاط السلطان السعيد شمس الدنيا والدين- طاب ثراه- وذلك في شهور سنة عشرين وستمائة، رحمة الله عليه.

الثالث عشر: الملك شجاع الدين علي بن الحسين

توفي الملك شجاع الدين علي بن الحسين في أوليات شبابه، وانتهى ذكره في ريعان شبابه، وكان له ابن هو الملك علاء الدين أبو علي، وفي وقت تقسيم بلاد الغور فوض إليه الإخوة بالاتفاق ولاية جرماس[1] وحينما توفي الملك شجاع الدين علي بن حسين، أجلسوا ابنه علاء الدين أبا علي على ولاية جرماس، وزوجوه من ابنة ملك الجبال قطب الدين محمد الذي استشهد في غزنين، وحينما تزوجته- طاب ثراه- هذه السيدة العظيمة، وهبهم الله ابنًا حج إلى بيت الله الحرام، وكان مجاهدًا غازيًا، وهو الملك ضياء الدين محمد أبو علي، وقصته كما يلي:

حينما توفي الملك علي الدين أبو علي وكبر هذا الولد، وفق الله سبحانه وتعالى والدته أن تذهب إلى الحج، ولم يذهب واحد من ملوك الغور في هذا الوقت للحج، وذهب الملك ضياء الدين في خدمة والدته عن طريق خراسان وهرات ونيشابور للحج، وفي هذا الوقت كان السلطان تكش خوارزمشاه في

([1]) جرماس: في محافظة الغور بأفغانستان (المترجم).

نيشاپور، فذهب الملك ضياء الدين إليه في بلاطه مرتديًا لباس السادات، وله جديلتان مفتولتان، وتشرف بتقبيل أيادي السلطان تكش، ويسر له الحج وفق الشرائط والآداب الكاملة، وبنى خانقاه في مكة وجهز تلك العمارة وأتمها وهيأها، ونصب المعتمدين "وبعد إتمام فريضة الحج"[1] رجع الملك ضياء الدين في خدمة والدته إلى بلاد الغور، وصار اسم والدته الملكة الحاجة، وقد بنى الملك ضياء الدين كثيرًا من المدارس والمساجد فليتقبلها الله تعالى منه والسلام (وليبق الله في الملك السلطان ناصر الدنيا والدين آمين)[2].

الرابع عشر: السلطان علاء الدين حسين بن حسين بن سام

حينما قاد السلطان بهاء الدين سام بن حسين جيشًا إلى غزنين ليثأر للسلطان سوري وملك الجبال- طاب ثراهما- توفي في گيلان، وجلس السلطان علاء الدين على عرش ممالك الغور وحضرة فيروزكوه، وجمع جيوش الغور وغرستان، وصمم على الذهاب إلى غزنين، وحينما علم السلطان يمين الدولة بهرامشاه- طاب ثراه- بهذه الحال وهذا العزم والتصميم جهز جيش غزنين والهندوستان واتجه صوب بلاد زمين داور وبلاد گرمسير من الرخج وتكناباد[3] وحينما وصل السلطان علاء الدين بجيشه إلى زمين داور أرسل

(1) أضفنا العبارة التى بين القوسين حتى يستقيم الكلام. (المترجم).

(2) يضع المؤلف دعاءه للسلطان ناصر الدين محمود بين الأقواس أحيانا، وفي كثير من الأوقات لا يضع هذه الأقواس، ونحن نلتزم بالشكل الذي وضع دعاءه فيه. (المترجم).

(3) تكناباد وتكيناباد كلاهما صحيحة وكانت مدينة معروفة بالقرب من قندهار الحالية بأفغانستان. (المترجم).

السلطان بهرامشاه الرسل إليه أن ارجع إلى بلاد الغور واستقر في مملكة أسلافك، فليست لك قدرة أو طاقة على مقاومة حشمي وسوف أحضر الفيل معي. وحينما أبلغ الرسل الرسالة بكل أمانة إلى علاء الدين، أجاب السلطان علاء الدين: إذا كنت ستحضر معك الفيل فسوف أحضر معي الخرميل[1] ولكن أخطأت إذ قتلت إخوتي ولم أقتل أحدًا من أقربائك ألم تسمع قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴾[2].

وحينما رجع الرسل استعد الجيشان للقتال وتهيأوا للنزال، واستدعى السلطان علاء الدين بطلين من أبطاله، فقد كانا قادة الجيش والمبارزين المعروفين في جميع ممالك الغور، وكلاهما كان يُسمي خرميل أحدهما خرميل سام حسين والد الملك ناصر الدين حسين، والثاني خرميل سام بنجي وكلاهما كان في الشجاعة أسطورة عصره، وأخبرهما السلطان علاء الدين: إن بهرامشاه أرسل إليَّ رسالة، وقال سوف أحضر الفيل وقد أجبته بأنك إذا كنت ستحضر الفيل فسوف أحضر أنا الخرميل، واليوم يجب أن يكون كل واحد منكما فيلا ليصرعه. فقبل كلاهما الأرض وانصرفا، واصطف الجيشان في موضع يسمى كته باز[3] وفي وقت النزال ترجل البطلان وفكا الدروع عن

([1]) خرميل: شقيقان كانا قادة الجيش فى بلاد الغور، وكانا مبارزين معروفين. (المترجم).
([2]) سورة الإسراء: آية ٣٣.

خاصرتيهما ودخلا للنزال، وحينما هجمت فيلة بهرامشاه دخل كل واحد من البطلين إلى فيل وانسل تحت درعه ومزق بخنجر بطنه، وظل خرميل سام بنجي تحت أقدام الفيل فوقع الفيل فوقه وأهلكه، وأما خرميل سام حسين فقد أوقع الفيل، وخرج سالمًا، وحينما استقامت الصفوف وبعد أن ارتدى السلطان علاء الدين كامل أسلحته، أمر أن يحضروا قباءً من الأطلس الأحمر ليرتديه فوق كل أسلحته، فسأله الخواص والمقربون: ما حكمة الملك من أن يغطي الأسلحة بقباء أحمر؟ فأجاب: لأنهم إذا جرحوا جسمي بسهم أو حربة أو سيف فإن الدماء الحمراء لن تظهر على أسلحتي بسبب هذا القباء؛ لأن الدماء لو ظهرت فسوف تنفطر قلوب حشمي (رحمه الله).

ورتب جيش الغور استعدادًا لحرب المشاة وقد صنعوا لكل محارب لباسًا حاكوه من جلد البقر، كانوا يملأونه بقطن كثيف وكرباس، واسم هذا اللباس الحربي كاروه[1]. كان مشاة الغور يرتدونه، وكان يغطيهم من الرأس حتى أخمص القدم، وحينما يشقون الصفوف يكونون كأنهم الحوائط المنيعة ولا يؤثر فيهم سلاح من الأمام أو الخلف لكثرة القطن والكرباس، وحينما بدأت المعركة واصطفت الصفوف هجم دولتشاه بن بهرامشاه بفوج من الفرسان وهو يمتطي صهوة الفيل، فأمر السلطان علاء الدين أن يفتح المشاة من صفوف سلاح الكاروه طريقًا حتى يدخل دولتشاه بن بهرامشاه مع كافة فرسانه.

---

(1) يذكر الأستاذ حبيبي في حاشيته على طبقات ناصري أن هذه الكلمة باللغة البشتو، وهي لا تزال مستعملة (وكان المحاربون القدماء في أفغانستان يرتدون هذا اللباس ليصدوا به السهام والحراب) حواشي حبيبي على طبقات ناصري، ص ٣٤٣، جـ١. (المترجم).

ففتحوا الصفوف وحينما دخل دولتشاه مع فوج الفرسان والفيل، سد مشاة الكاروه الثغرة التي فتحوها لهم، وأطبقوا عليهم من كل طرف، وقتلوا دولتشاه مع كافة فرسانه، وقتلوا الفيل.

وحينما شاهد جيش بهرامشاه هذه الحادثة وهذا القتال، انهزموا، واندحروا، وتعقبهم السلطان علاء الدين من منزل إلى منزل حتى وصلوا إلى موضع يسمونه جوش آب گرم[1] بالقرب من تكناباد حيث رجع السلطان بهرامشاه، وأقام معركة مرة ثانية، فانهزم مع كل من اجتمع حوله من العسكر في المعركة للمرة الثانية ووصل إلى أبواب غزنين مهزوما، وتعقبه علاء الدين غاضبًا، وللمرة الثالثة جمع بهرامشاه حشم غزنين وأهل المدينة ومشاة كثيرين، وأقام المعركة للمرة الثالثة، ولكن لم تصبح لديه طاقة أو قدرة على المقاومة، فهزم، واستولى علاء الدين بالقوة على غزنين، وأضرم فيها النيران سبعة أيام بلياليهما فأحرقها وطغى واستكبر.

ويقول الراوي: وفي هذه الأيام السبعة أظلمت الأجواء من كثرة اسوداد الدخان وصار النهار كأنه الليل، أما الليل فمن كثرة ألسنة النيران المستعرة في مدينة غزنين بدا وكأنه النهار، وفي هذه الأيام السبعة فتحت الأيدي للسلب والنهب والسرقة والقتل، وقتلوا كل من وجدوه من الرجال وأسروا النساء والأطفال، وأمر فأخرجوا جميع سلاطين المحموديين من قبورهم وأحرقهم، إلا

---

(1) جوش آب گرم: يوجد مكان الآن يسمى (گرم آب) في شمال غرب قندهار على بعد خمسة وسبعين ميلا تقريبًا، ومن الجائز أن يكون هو ذلك المكان؛ لأن تگين آباد في هذا المكان أيضًا. حواشي حبيبي، ص ٣٤٣، جـ١. (المترجم).

السلطان محمود (الغازي)[1] والسلطان مسعود والسلطان إبراهيم، وأقام السلطان علاء الدين أسبوعًا كاملا في قصور سلاطين الغزنويين، وانشغل بالشراب واللهو والطرب، وفي هذا الوقت أمرهم أن يعرفوا قبر السلطان سيف الدين سوري، وقبر ملك الجبال، وصنع لكل منهما صندوقا وأعد الجيش وكأنه مهيأ للغزو، وحينما انقضت سبعة أيام وفي الليلة الثامنة كانت المدينة قد تخربت تمامًا واحترقت، أنشد السلطان علاء الدين في هذه الليلة عدة أبيات يمدح فيها نفسه، وأمر المطربين أن يضربوا أمامه على العود والدف وينشدوا، وهذه الأبيات هي[2]:

إن الدنيا بأسرها تعلم أنني سلطان العالم،

وأنا مصباح أسرة العباسيين.

أنا علاء الدين حسين بن الحسين،

---

(1) السلطان محمود الغزنوي يلقب بالغازي لكثرة الغزوات التي قام بها في الهند ونشره الإسلام هناك. (المترجم).

(2)
جهان داندكه سلطان جهانم — چراغ دودة عباسيانم
علاء الدين حسين بن حسينم — كه باقي بادملك جاودانم
چوبر گلگونه دولت نشيم — يكي باشد زمين وآسمانهم
أمل مصرع زن گرد سپاهم — أجل بازيگر نوك سنانم
همه عالم بگيرم چون سكندر — بهر شهري شهي ديگر نشانم
بران بودم كه با أوباش غزنين — چو رود نيل جوي خون برانم
وليكن گنده پيرانند وطفلان — شفاعت ميكند بخت جوانم

بيخشدم بد يشان جان إيشان
كه بادا جان شان پيوند جانم.

فليبق وليدم ملكي خالدًا.

حينما أجلس على عرش الدولة الملطخ بالدماء،

تتساوى عندي السماء والأرض.

تراب جيشي يصرع الآمال،

وأسنة رماحي تلعب بالآجال

إنني أسيطر على الدنيا بأسرها مثل الإسكندر،

وأنصب على كل مدينة ملكا آخر.

ولقد حاربت أوباش غزنين،

فأجريت نهيرات الدماء مثل نهر النيل.

ولكن العجزة والأطفال،

تشفع لهم طالعي السعيد.

فمنحتهم أرواحهم،

لتتصل أرواحهم بروحي.

وقال: لقد عفوت عن بقية أهل غزنين، ونهض من المجلس وذهب إلى الحمام وفي فجر اليوم الثامن ذهب مع حشم الغور والملوك إلى قبر إخوته، وارتدى ملابس العزاء مع سائر الجيش وتقبل العزاء على قبورهم سبعة أيام بلياليها وختم القرآن، ووهب الصدقات ووضع صناديق إخوته على هوادج

الإبل وترك غزنين، وأزمع الرحيل إلى بلاد الداور وبُست، وحينما وصل إلى مدينة بُست هدم جميع قصور المحموديين وعمائرهم التي لم يكن لها مثيل في الآفاق، وخرب جميع الولايات التي كانت ملكًا للمحموديين ودمرها، ورجع إلى بلاد الغور، ودفن إخوته إلى جوار أسلافه، وفي غزنيين أمر أن ينتقم من عدد من السادات قصاصًا للسيد مجد الدين الموسوي الذي كان وزير السلطان سوري وشنقوه مع السلطان سوري وعلقوهما على أحد قباب غزنين، أحضروا هؤلاء السادات لخدمة السلطان علاء الدين، وملأوا عدة أجولة بتراب غزنين وعلقها في رقابهم، وأتوا بهم إلى الحضرة في فيروزكوه، وحينما وصل إلى فيروزكوه، قتل هؤلاء السادات ومزج دماءهم بتراب غزنين الذي أحضره معه وصنع من هذا التراب عدة أبراج على جبال فيروزكوه، وهذه الأبراج باقية حتى هذا العهد، عفى الله عنه.

وحينما انتقم هذا الانتقام، ورجع إلى الحضرة أراد أن ينشغل باللهو والطرب والغناء فجمع الندماء والمطربين وأمرهم أن يضربوا الدفوف ويدقوا المزامير، ويضربوا على آلات الطرب فغنوا وطربوا وفرحوا:

للزمان الحق أن يفتخر بعدلي،

فأنا الذي تئن الخزائن وتتألم من عطائي وبذلي.

يعض العدو بنان الندم

حينما أضع إصبعي على أوتار قوسي

حينما يقفز جوادي الكميت من مكان إلى مكان بين الصفوف،

فإن العدو يتحير ولا يعرف المنزل من الشارع.

حينما جرد بهرامشاه القوس لينتقم مني،

اقتلعت بالحربة السهام من خاصرته.

مع أن الخصم كان يعضده ملوك الهند وملكاتهم،

فإنني قد قطعت رءوس الملوك والملكات بأسلحتي وعتادي.

تعلمت الآن إظهار الانتقام والثأر بالسيف،

من ملوك العصر وسلاطين الزمان.

أيها المطرب المبدع حينما تفرغ من الحرب،

أنشد الشعر ولحِّن هذا النشيد.

وحينما تستقر الدولة ويتم النصر لا يجب أن يترك

غناء المغنى أو الخمر الصافية للمغان [1].

عفا الله عنه وعنا. ويروي الثقات: حينما جلس السلطان علاء الدين على عرش فيروزكوه، أمر بحبس أبناء إخوته وهما غياث الدين محمد سام، ومعز الدين محمد سام وهما أبناء السلطان شهاب الدين سام، وذلك في قلعة

---

(1) آنم كه هست فخر زعدلم زمانه را　　آنم كه هست جور ز بذلم خزانه را
انگشت دست خويش بدندان كند عدو　　چون برزه كمان نهم انگشتوانه را
چون جست خانه كميتم ميان صف　　دشمن زكوى باز ندانست خانه را
بهرامشه بكينه من چون كمان كشيد　　كندم به نيزه ازكمر اوكنانه را
پشتی خصم گرجه همه رايِ ورانه بود　　كردم بگرز خورد سر رايِ ورانه را
كين توختن بتيغ در آموختم كنون　　شاهان روزگار وملوك زمانه را
أى مطرب بديع چو فارغ شديِ زجنگ　　برگوى قول را وبزن اين ترانه را
دولت چو بركشيد نشايد فروگذاشت　　قول مغنى ومى صاف مغانه را.

وجيرستان وعين لهما راتبًا، وبدأ في طريق الاستبداد ضد السلطان سنجر، وسلك طريق المناوءة ومنع ما كان معروفًا أن يرسله ملوك الغور من أنواع الأسلحة والتحف كل عام إلى بلاط السلطان سنجر حتى وصل الأمر منتهاه، فجمع السلطان سنجر جيشًا من خراسان وصمم على الذهاب إلى بلاد الغور، فجمع السلطان علاء الدين جيش الغور، وذهب إلى سنجر حتى حدود قصبة ناب بين فيروزكوه وهرات في وادي نهر هريو، حيث توجد صحراء واسعة شاسعة يسمونها سه گوشه ناب، وفي هذا الموضع نشبت المعركة بين الفريقين وأمر السلطان علاء الدين قبل المعركة بيوم أن تغمر الأرض التي في ظهر جيش الغور كلها بالماء، ونادى أن الأرض خلفكم غمرت بالماء فمن يهرب فسوف يغوص في الطين، وحينما بدأت المعركة وتقابل الجيشان تحول من جيش الغور ما يقدر بستة آلاف فارس من الغز والترك والخلج وانضموا للسلطان سنجر وخدموا، فحلت الهزيمة بجيش الغور، وبقي جميع الأفراد والمبارزون وبقية عسكر الغور في هذه الأرض المغمورة بالماء فاستشهد بعضهم وأسر بعضهم وقبضوا على السلطان علاء الدين فأمر السلطان سنجر أن يقيدوه فأحضروا أغلالا من الحديد ليضعوها في أرجله، وأمر أن يتم عرضه عليه، وقال له: هل تصنع معي هذا؟ لقد كنت أثق فيك، ولذلك أحضرت لك أغلالا من الذهب ليظل قدرك محفوظًا مصونًا، وطلب السلطان أثناء عرضه ذلك القيد فكان كما ذكر فقيدوا به أرجله وأركبوه على بعير ورجع من عند السلطان، ولما كان ذكر لطافة طبع وشهامة عقل علاء الدين في هذا العصر مذكورة ومشهورة ووصلت هذه الصفات وهذه المعاني إلى الأسماع

المباركة الكريمة للسلطان سنجر؛ لذا طلب السلطان سنجر علاء الدين في اليوم التالي أو بعد عدة أيام وأظهر له الإعزاز والتقدير والإخلاص، ووضع طبقًا من الجوهر الثمين أمام مسنده، ومنحه لعلاء الدين، فأظهر له علاء الدين الولاء والإخلاص، وأنشد هذا الرباعي على البديهة:

لقد أسرني السلطان ولم يقتلني في صفوف المعركة

على الرغم من أنني كنت أستحق القتل على وجه اليقين.

لقد منحني طبقًا من الدر الثمين.

هكذا يكون المنح وهكذا يكون العطاء[1].

فاعتبره السلطان سنجر صديقه ونديمه، ولم يكن هناك مجلس من مجالس الطرب دون حضوره، وذات يوم- وفي أثناء الطرب- وقع نظر علاء الدين على كف رجل السلطان المباركة وكان في كف رجل السلطان سنجر خال كبير، وكان جالسًا على العرش وأرجله ممدودة، فنهض علاء الدين وقال هذا الشعر[2].

يا أيها الملك الذي تراب قصرك تاجي وعزي

---

(١) بگرفت ونكشت شه مرا در صف كين — هرچند بدم كشتني ازروى يقين
بخشيد مرايك طبق در ثمين — بخشايش وبخشش چنان بود وچنين.

(٢) أى خاك درسراي تو أفسر من — وي حلقة بنده تو زيور من
چون خال كف پاي ترابوسه زنم — إقبال همي بوسه زند برسر من.

ويا من قيد عبوديتك هو زينتي وإكليلي.

حينما قبلت خال كف أقدامك،

وضعت تلك القبلة الإقبال والسعادة على مفرقي[1].

ولقد أمر له السلطان سنجر بعرش الغور، وأمر أن يعطوه المدخرات والخزائن وجميع قطعان الجياد وقطعان الأغنام الخاصة، وقطعان الإبل قال له السلطان سنجر: يا علاء الدين أنت بمنزلة أخي، فاحمل كل هذه الخزائن والمواشي معك، وانقلها إلى بلاد الغور، فإذا كان التقدير الإلهي، ونكب الحق- تبارك وتعالى- هؤلاء الغز ودحرهم، ونصرني عليهم إذا طلبتها فأعدها إلى، أما إذا انتهت دولتي وتفرق سلك الملك عن انتظامه فستظل لك، وهذا أفضل من أن تقع في أيدي الغز.

وفي هذة المدة وأثناء غيبة السلطان علاء الدين عن عرش الغور، اتفق جماعة الأمراء وأكابر الجبال في ولاية الغور، وأتوا بالملك ناصر الدين حسين مادين ابن شقيق علاء الدين، وأجلسوه على عرش فيروزكوه، أما جماعة المتمردين في ولاية كشي فقد أفسدت كثيرًا، وهؤلاء الجماعة عرفوا من جميع أهل الغور بالاستكبار والاستبداد فأفسدوا كثيرًا، وتصرفوا في الخزائن

---

(1) ذكر قبل ذلك أن علاء الدين حينما رأى الخال في كف رجل السلطان سنجر نهض وقبل ذلك الخال. وهو يذكر هذا في الشعر الذي أنشده. (المترجم).

والأموال السلطانية بهمجية بأمر من الملك ناصر الدين وذلك في لباس الإنعام والصدقات والتشريفات.

وحينما قدم السلطان علاء الدين بهذه الخزائن والمواشي والثروة من خراسان إلى بلاد الغور، ذهب في البداية إلى ولاية كشي وخرب جميع قصورهم، وكانت تزيد على ألف موضع وكانت من الحصانة والارتفاع في الفضاء إلى درجة تخرج عن حد الوهم والتصور، وبعد الانتقام من المتمردين في ولاية كشي وفي الجبال الأخرى، قدم إلى العاصمة فيروزكوه، وقبل قدومه قتلوا الملك ناصر الدين حسين، كما سيأتي ذكره بعد ذلك.

وحينما قدم السلطان علاء ا لدين إلى فيروزكوه وجلس على العرش اتجه إلى فتوحات أخرى، وضبط بلاد باميان وطخارستان، واستولى على بلاد جروم والداور وبست أيضًا، واستولى من خراسان على قلعة تولك في جبال هراة بعد ستة أعوام، وكان هناك شاعر في حصن تولك يسمى عمر سراج، وحينما انتهت الحرب وفتح قلعة تولك صلحًا أنشد هذا البيت ومن اللائق أن أكتبه:

لقد امتطيت صهوة الجواد وصعدت به إلى أعلى وهويت به إلى أسفل،

وكان مقصودك تولك فهذه هي تولك لك[1]

---

(1) براسپ نشسته وورلك فولك مقصودتو تولك است اينك تولك.

وبلغتهم يقولون ورلك هي الصعود بالجواد إلى أعلى، وفولك تعني الهبوط به إلى أسفل، رحمهم الله. ومن هناك اتجه إلى فتح غرستان، وأحضر مع نسائه من مُلك غرستان الحرة نور الملك ابنة شاه إبراهيم بن أردشير شاپور وتزوجها، وأدخل في حوزته ساحة وادي مرغاب[1]، وكذلك القلاع والحصون، أما في قلعة سبكجي فقد حارب ست سنوات، ومكث من هذه المدة ثلاثة أعوام متواصلة حتى صارت مسلمة، وفي آخر العمر أتى رسول الملاحدة من قلعة ألموت إلى السلطان علاء الدين فأنزلهم منزلا عزيزًا، ودعاهم سرًا إلى كثير من مواضع الغور، وتملك الملاحدة الطمع في ضبط بلاد الغور وانقياد أهلها لهم، فأثار هذا المعنى غبار سوء السمعة على نهاية دولة علاء الدين، ولم يبق الكثير من عمره ولحق بالرفيق الأعلى ودفنوه إلى جوار أسلافه وإخوته بخطة سنگه في بلاد الغور. عفا الله عنهم وعنا برحمته.

الخامس عشر: الملك ناصر الدين الحسين بن محمد ماديني

حينما أسِرَ السلطان علاء الدين حسين في المعركة وهو يحارب السلطان سنجر، وبقيت مملكة الغور والجبال خالية، وبدأ المتمردون والعصاة في العصيان والتمرد في بلاد الغور، واتخذ الناس مساكنهم في الشعاب والجبال حصونًا لهم، وبدأوا الحرب بين بعضهم البعض، أحضر جمع من الأكابر الموجودين الذين ظلوا على قيد الحياة الملك ناصر الدين حسين بن محمد

(1) وادى مرغاب من مناطق شمال غرب أفغانستان، ويجري في هذا الوادي نهر مرغاب وينبع من سلسلة جبال كوه بابا في الشمال الغربي من منطقة الهزارجات وطول هذا النهر حوالى ٩٩٠ كيلو ويصب فى صحراء قراقورم في تركمنستان بآسيا الوسطى. (المترجم).

مـاديني مـن مـادين وأجلسـوه علـى عـرش فيروزكـوه، فتصـرف فـي خـزائن السلطان عـلاء الدين وخزائن ابنـه السلطان سيف الدين، وتصـرف فـي جميـع النفـائس والأمـوال والطرائـف سـواء بالضـرورة أو بغيـر ضـرورة ووهبهـا للأمراء والأكابر والأراذل وتصرف في ممالك الغور، وكانت قوتـه ومدده من المتمـردين فـي ولايـة كشـي وهـذا الملـك ناصـر الـدين كـان مولعًـا بالنسـاء والجـواري، وقد أحضـر بعضًـا مـن الجـواري والسـراري من قصـر السـلطان علاء الدين وجعلهم في خدمتـه، وكـان متعلقًا بهن وحينمـا اتجـه السـلطان عـلاء الدين إلى ممالك الغور تاركًا خدمة السلطان سنجر بالإعزاز والإكرام، ووصـل إلى ولاية جبال هرات، أتوا بخبر وصـول راياته إلـى الحضـرة فـي فيروزكـوه، فـألقى فـي جميـع القلـوب الرعـب والخـوف منـه ومـن عقابـه، فـأغرى جمـع مـن المخلصين لدولة علاء الـدين جـواري عـلاء الـدين الـذين كـانوا فـي قصـر الملـك ناصر الدين في خفية وفي سرية كاملة وحرضوهم فتحينوا الفرصـة، وعندما نام الملك ناصـر الـدين فـي فراشـه وضـعوا وسـادة علـى وجهـه وأمسـكوا الأطـراف الأربعـة للوسـادة بقـوة حتـى مـات، رحمـة الله عليـه ، والله أعلـم بـأحوال العـالم والصلاة على محمد وآله وسلم.

السادس عشر: السلطان سيف الدين محمد بن الحسين[١]

حينما توفي السلطان علاء الدين جلس ابنـه السلطان سيف الدين محمد على عرش فيروزكوه باتفاق جميـع الملـوك[٢]، وأمراء الغور، وكـان ملكـا شـابًا صـاحب جمال وبهاء، وكان كريم الطبع عادلا محبًا للرعية عطوفًا علـى أتباعـه

---

(١) وهو السلطان سيف الدين محمد بن السلطان علاء الدين حسين (المترجم).

(٢) وتعني حكام الأقاليم (المترجم).

وغلمانـه، وكـان سـخيًا معطـاءً، واسـع القلـب، متواضـعًا طالبًـا الرضـا مـن الله سبحانه وتعالى، وكان متدينًا سنيًّا وكان صلبًا في الإسلام لا يلين.

وحينما جلس على العرش، رد المظالم في البداية، ورد كل تعدٍ وظلم وجور فعله أبوه، وسار على قاعدة الإنصاف وجادة العدل حتى النهاية وطلب هؤلاء الرسل الذين قدموا من ألموت ودعوا الناس سرًا إلى البطلان والبدعة والضلالة وأمر بقتلهم جميعًا، وكل مكان وجد فيه روائح فتنتهم أمر فأخذوا بالملحدين من جميع البلاد وقتلوهم وطهر ساحة ممالك الغور وجعلها معدن الدين وراعية الشـريعة، وطهرها بالسيف من سوء خبث القرامطـة، وبذلك الغزو، وبسنة محمد، رسخت محبته في قلوب أهل الغور وممالك الجبال، وخضع الجميع له تمام الخضوع، وأخلصوا له غاية الإخلاص، وأحد آثار مظلة ملكه وخيره وسلطنته أن ابني عمه السلطان غياث الدين محمد سام، والسلطان معز الدين محمد سام، طاب ثراهما، خلصهما من قلعة وجيرستان، وعطف عليهما وجعلهما طلقاء أحرارًا وتمتع الخلق في عهده بالراحة والدعة والأمن الكاملين.

ولكن هذا الملك السعيد الطالع الحسن السيرة كان قصير العمر، لم يدم ملكه أكثر من سنة وعدة أشهر رحمه الله، وسبب وفاته- رحمه الله- هو: أنه ذات يوم كان في خيمته يرمي سهامًا على الهدف، وأمر أمراء الغور أن يكونوا في خدمته ويرافقوه، وكان القائد درميش بن شيش الذي كان شقيق أبي العباس وشقيق سليمان شيش في خدمته، وكان رسم أمراء الغور وملوك الجبال في هذا

العصــر أن كـل مـن يشــرفوه ويقـدروه يمنحـوه عصـا مـن الـذهب مرصـعة بالجواهر كذلك كانوا يمنحون المنطقة في هذا العصر.

وكان في يد هذا القائد درميش بن شيش اثنتان من العصــي المرصـعة منحهما له الملك ناصر الدين الحسين بن محمد ماديني، وكانت هذه العصــي من خزانة السلطان سيف الدين ومن أملاكه، ولما رأى السلطان هذه العصــي التي هي ملكه في يد القائد استعرت نيران الغيرة والرجولة وحمية السلطنة في داخله، وظهرت عليه نيران الغضب، وقال: اذهب يا درميش وأحضر سهمي من الهدف فاتجه درميش بحكم الأمر ليحضـره وكان ظهره في مواجهة السلطان فوضع السلطان سيف سهمًا في القوس وشده حتى شحمة أذنه وأطلقه على ظهر درميش، فخرج السهم من صدره وتوفي في الحال.

وحينما وصلت دورة الدولة السنجرية إلى آخرها استولى عليها أمراء الغز وسيطروا على أطراف ممالك خراسان، ووصل فسادهم ونهبهم إلى جميع الأماكن والأنحاء، ووصلت متاعب هذا الفساد إلى ممالك الغور وأطراف جبال غزنين وغرستان. ولما ضبط السلطان سيف الدين مملكة أبيه جمع الجيوش واتجه صوب الغز لدفع الفساد وذهب إلى حدود غرستان وولاية قادس[1]، ومن هناك اتجه إلى نهر مرو وعبر إلى دزق وهي مدينة كبيرة، واشتبك في معركة مع الغز، وكان القائد هو أبو العباس شيش بطل الغور وهو من أسرة

---

(1) يذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان أن قادس من قرى مرو بالقرب من دزق العليا. ولكنها الآن إحدى المدن شمالي محافظة هرات الأفغانية (المترجم).

الشيشانيين، وكان الثأر لأخيه درميش بن شيش مستقرًا في قلبه وكان يتحين الفرصة، ويوم المعركة مع الغز دخل خلف السلطان سيف الدين وطعنه بالحربة في كتفه، فأسقطه من فوق صهوة جواده، وقال له: إن الأبطال لا يقتلون الرجال أمام هدف التصويب كما قتلت أخي، بل يقتلونهم في مثل هذه الأماكن.

وحينما هوى السلطان من فوق صهوة جواده انهزم جيش الغور، وترك الجيش السلطان في مكانه، فوصل إليه أحد الغز، وكان لا يزال حيا وحينما رأى الثياب والمِنْطَقة الملكية أراد أن يفك المنطقة فلم يفك رباطها بسرعة، فمزق الرباط بالسكين ونفذت رأس هذه السكين بقوة في بطن السلطان سيف الدين فاستشهد بسبب هذه الضربة، ومات عليه الرحمة والغفران. فليبق الحق تعالى ملك الدنيا وسلطان الزمان ناصر الدنيا والدين ظل الله في العالمين على عرش الملك أعوامًا مديدة آمين.

السابع عشر: السلطان الأعظم غياث الدنيا والدين

أبو الفتح محمد سام قسيم أمير المؤمنين

يروي الثقات تغمدهم الله برحمته: إنَّ السلطان غياث الدين والسلطان معز الدين- طاب مرقداهما- كلاهما من أم واحدة، وكان غياث الدين أكبر من معز الدين بثلاثة أعوام وعدة أشهر، وكانت والدتهما ابنة الملك بدر الدين

الگيلانـي[1] وهـو مـن أصـل بنجـي نهـاران، ومـن نسـل الشنسـبانيين، والملكـة والدتهما- نـور الله مرقدها- أطلقت علـى غيـاث الـدين اسم حبشـي، وعلـى معز الدين اسم زنجي، وفي الأصل كان اسمه المبارك غياث الدين محمد، وكان معز الدين يسمى محمدًا أيضًا، وفي لغة الغور يطلقون اسم أحمد (بالخـاء) علـى من يسمى محمدًا، وحينما توفي السلطان غياث الدين سام- عليه الرحمة- في گيلان، جلس السلطان علاء الدين على العرش، ثم أمر أن يحبس أبناء أخيه غياث الدين ومعز الـدين فـي قلعـة وجيرستان، وعين لهمـا أقل القليـل ممـا يحتاجـان إليـه، وحينمـا تـوفي السـلطان عـلاء الـدين خلصـهما السـلطان سيف الـدين مـن قلعـة وجيرستان، وأطلق العنان لهما، وأقام غيـاث الـدين برفقة السلطان سيف الـدين بفيروزكوه، أما معز الدين فقد ذهب إلى باميان في خدمة عمه الملك فخـر الـدين مسعود- عليه الرحمة، أما غياث الدين الذي ظل في خدمة سيف الدين فقد ذهب مع الجيش لصد الغز، وكان لديه أقل الاستعداد، وبسبب قلـة المـال والمنـال كـان كل شخص من خدم الوالد والوالدة يقدم سرًا كل مـا يقدر عليـه من الخدمات، وكـان غيـاث الـدين دائمًـا فـي خدمـة السـلطان سيـف الـدين، وحينمـا حـل القضـاء انتقل السلطان سيف الدين من دار الفناء من عرش الحياة الملكية إلـى دار البقـاء فوق خشبة الموت الحتمية.

---

[1] وينسب إلى گيلان في غزني بأفغانستان. (المترجم).

وقدم جيش الغور مهزومًا من ولاية رودبار وأطراف دزق إلى غرستان عن طريق وادي أسير ولويز، ومر في مدينة أفشين التي كانت عاصمة لملك غرستان، وحينما قدموا إلى القصبة وزاورد، التحق القائد أبو العباس شيش بخدمة غياث الدين، وأبو العباس هذا هو الذي رمى السلطان سيف الدين بالحربة، وقد جمع كل من حضر من الأكابر والأمراء وأشراف الغور وغرجستان، وأعدهم جميعًا ليبايعوا غياث الدين على السلطنة، وأجلسوه على عرش السلطنة وبارك له، وأمر فبنوا القلعة، وكانت هذه القلعة قصبة معمورة حتى حلت أحداث المغول، وأتوا به من هناك إلى فيروزكوه، وحينما وصلوا إلى المدينة أجلسوا غياث الدين على عرش السلطنة، وقبل ذلك كان لقبه السلطان شمس الدين ولقب أخيه شهاب الدين، وبعد فتوح خراسان صار لقبه السلطان معز الدين رحمة الله عليهما.

وحينما عرف أخوه في باميان بأحوال غياث الدين استأذن من عمه، وقدم إلى فيروزكوه حيث عين حاكمًا وحول إليه أخوه ولاية أستيه وكجوران[1] وحينما أخرجوا السرادق الملكي من مدينة فيروزكوه إلى بلاد الغور بدأ متمردو الغور في الخلاف، وكان القائد أبو العباس الذي أجلس السلطان غياث الدين على العرش في غاية القوة والمكنة، وكان متمردو الغور يلجأون إليه، وكان كلا الأخوين يخفي في داخله الثأر لمقتل ابن عمهما السلطان سيف الدين.

---

(1) أستيه وكجوران هما من بلاد الغور بأفغانستان. (المترجم).

فدبر كلاهما مع الآخر، واستقر رأيهما: أن يكلفوا أحد الأتراك أنه حينما يدخل أبو العباس في البلاط، ويقف في الوسط للخدمة سوف يضع السلطان معز الدين يده على قلنسوته عندئذ يضرب التركي عنق أبي العباس. وتم لهم ذلك، وهكذا فعلوا وحينما قتل أبو العباس قوى السلطان غياث الدين، وازداد رونق الملك، أما عمهما مسعود الباميانى كان الأخ الأكبر لسبعة من السلاطين، ولم يبق من هؤلاء الإخوة أحد، فطمع في ملك الغور وعرش فيروزكوه، وطلب المدد من الملك علاء الدين قماج السنجري ملك بلخ وأرسل الرسل إلى تاج الدين يلدز في هرات وطلب المدد، ومن الأطراف والجوانب اتجه إلى فيروزكوه جيش باميان وجيش بلخ وجيش هرات، ولما كان عمهما هو الملك فخر الدين الباميانى، وظل أمراء الغور في خدمته كثيرًا؛ لذا طلب الملك ميراثًا له، وذهب في المقدمة، ثم قدم الملك علاء الدين قماج من بلخ مع جيشه في عقبه، وبعده بعدة فراسخ، عن طريق غرستان العليا، أما تاج الدين يلدز فقد كان الأقرب؛ لذا قدم من هرات إلى فيروزكوه بجيشه عن طريق نهر هريو[1]، وخرج السلطان غياث الدين ومعز الدين من فيروزكوه إلى موضع يسمى راغ زر وتجمع معهم جيش الغور فتعجل الملك تاج الدين يلدز الذي قدم من هرات على طمع أن يكون فتح فيروزكوه وقمع جيش الغور على يديه، وحينما وصل بالقرب من جيش الغور والتقى الجيشان واستعدا للقتال ولم يفصل الجيشين سوى نصف فرسخ، ونظر الجيشان كلاهما للآخر، وتعاهد مبارزان من جيش

([1]) نهر هريو: أي نهر هرات ويسمى أيضًا هري رود وكانت تسير فيه السفن. وقد سجل ذلك الشاعر فرخي سيستاني (ت ٤٢٩هـ) في ديوانه. (المترجم).

الغور، وقدما أمام الصفوف لخدمة السلطان وترجلا، ووضعا وجهيهما على الأرض، وقالا نحن الاثنين سوف نكفيك جيش هرات، وامتطيا صهوة جواديهما بأمر السلطان وتحركا وأثارا صفوف الركبان وامتشقا سيفيهما، ودخلا في صفوف الترك كأنهما الريح الصرصر العاتية والسحب المدوية وكانا يصيحان: أين يلدز؟ إننا نطلب الملك يلدوز[1]، وكان يلدوز واقفا تحت مظلة، فأشار جيشه إليه، وحينما صار معلومًا للمبارزين الغوريين من هو يلدوز سقط كلاهما على يلدوز وكأنهما أسود العرين الجائعة أو الفيلة الجامحة، وضرباه بالسيف وأسقطاه من فوق صهوة جواده، وحينما رأى جيش هرات هذه الشجاعة وهذه الجرأة وهذه الشهامة تحطموا وانهزموا، وجعل الحق- تبارك وتعالى- كلا من السلطان غياث الدين ومعز الدين ظلا لرحمته، وأكرمهما بهذا النصر وهذا الفتح، وفي اليوم التالي عينوا عدة آلاف من الفرسان الشجعان الصناديد المتعطشين للدماء، فلاقوا عسكر قماج في بلخ وباغتوا جيشه، وقبضوا على قماج وقتلوه، وأتوا برأسه إلى السلطان غياث الدين ومعز الدين، فأمرا فوضعوها في مكان ثم أعطوها لفارس وأرسلاها لخدمة عمهما الملك فخر الدين مسعود لتكون في استقباله، وكان الملك فخر الدين مسعود قد وصل لتوه، وحينما أرسل الملك غياث الدين والملك عز الدين الرأس ركبا في عقب الجيش، وذهبا إلى عمهما الملك فخر الدين، وحينما حمل ذلك الفارس رأس قماج إلى فخر الدين صمم على العودة، وعندما همَّ بالمسير كان فرسان الغور قد أحاطوا بالمكان من كل جانب.

---

(1) كتبها منهاج السراج يلدز ويلدوز (المترجم).

وعندئذ وصل السلطان غياث الدين ومعز الدين، فنزلا عن جواديهما وترجلا في خدمة عمهما، وقالا: إن الملك يجب أن يعود وأتيا به إلى معسكرهما وأجلساه على العرش، وترجلا أمامه واستعدا لتأدية الخدمة له، ولهذا السبب غلب الخجل والندم على الملك فخر الدين ومن الخجل منهما تفوه بعدة كلمات عدائية ونهض: وقال لهما: إنكما تسخران مني، فساقا له أعذارًا كثيرة ورافقاه في سيره وأعاداه إلى باميان، وصفا ملك الغور للسلطان غياث الدين. وبعد ذلك ذهب إلى جانب گرمسير وزمين داور وخلص هذه الديار وسُلِمَ له مُلك الغور، وحينما قُتل قائد هرات تاج الدين يلدوز ورجع جيشه مهزومًا مدحورًا إلى هرات، أدخل بهاء الدين طغرل، وكان من عبيد السلطان سنجر، هرات في حوزته، وظل مدة يرعاها ويهتم بها حتى أرسل أهل هرات مكتوبات استدعاء لخدمة الملك غياث الدين، وتم له هذا الفتح، وبعد عدة سنوات دخل في حوزته قادس[1] وولاية كاليون وفيوار وسيفرود كل هذه البلاد دخلت في حوزته، وحينما أصبح له التصرف عليها تزوج ابنة عمه الملكة تاج الحرير جوهر الملك بنت السلطان علاء الدين، وسُلمت له كل بلاد غرستان وطالقان وجرزوان[2]، وأعطى بلاد جروم وتكناباد للسلطان معز الدين، وبعد ذلك رجع من سجستان وأرسل الفرسان واستولى على غزنين وولاية زاول وجروم وما حولها، وكانت بلاد كابل وزاول وغزنين في ذلك العهد في أيدي قبائل الغز، وكانوا قد استولوا عليها من أيدي خسروشاه، وكان عهد خسروشاه قد انقرض وانتهى، وكان ابنه خسرو ملك قد اتخذ من لوهور قاعدة لملكه. فأمر السلطان غياث الدين؛ فاجتمع حشم الغور والقدر الذي دخل في حوزته من خراسان

---

(1) قادس: معروفة مشهورة في هرات حتى الآن، أما كاليون فهي من مدن خراسان وقد ذكر الإصطخري أنها بين مدن هرات ومرو (المترجم).

(2) جرزوان معرب گريوان الحالية وهي في محافظة ميمنة بأفغانستان. (المترجم).

واتجهوا صوب غزنين، وكان أمراء الغز في غزنين، ولما لم تكن لهم قدرة على مقاومة جيش الغور؛ لذا سدوا الطرق، وثبت الغز حتى حلت الهزيمة بجيش الغور، ووضعوا الموانع والسدود فأرسل السلطان المدد[1]، وفجأة هجم فوج من محاربي الغز، وخطفوا شاه علم الغوري ووضعوه بين حواجز صفوفهم، فظنَّ عسكر الغور في الميمنة والميسرة، أن شاه علم ذهب بشجاعة ودخل إلى قلب صفوف جيش الغز بين الحواجز والموانع فهاجموا الأطراف، وحطموا سدود الغز وموانعهم واستولوا عليها، وهُزم جيش الغز، ووصل الخبر إلى السلطان غياث الدين، وأمعن حشم الغور القتل في الغز، وأسقطوا منهم خلقا كثيرًا على الأرض، واستسلمت مملكة غزنين، وتم هذا الفتح للسلطان في شهور سنة تسع وستين وخمسمائة، وحينما فتحت غزنين، أجلس السلطان غياث الدين شقيقه السلطان معز الدين على العرش المحمودي، ورجع هو إلى فيروزكوه، وبعد عامين استدعى الجيوش، وجعل جيوش الغور وغزنين على أهبة الاستعداد، وذهب إلى أبواب مدينة هرات، وأظهر له أهل هرات مظاهر الحب والود، وحينما رأى بهاء الدين طغرل هذه المعاني، ترك مدينة هرات، وذهب إلى الخوارزمشاهيين، وفتحت هرات في شهور سنة إحدى وسبعين وخمسمائة، وبعد هذا الفتح بعامين فُتحت فوشنج.

وبعد هذا الفتح أرسل ملوك النيمروز وسجستان الرسل وانتظموا في سلك الموافقة لخدمة الملك، وبعد ذلك انقاد ملوك الغز في كرگان، وأصبحت أطراف ممالك خراسان، وهي التي تتعلق وترتبط بهرات وبلخ مثل الطالقان

---

[1] رجع السلطان غياث الدين وأرسل من الغور جمعًا من الغوريين لمدد السلطان معز الدين. (المترجم).

وأنـدخود وميمنــة وفاريــاب وپنجـده ومـرو الـرود ودژق[1] وخلـم، وكـل هـذه القصبات تحت تصـرف عبيد السلطان غيـاث الدين، وازدانت الخطبـة والسكة باسم السلطان غياث الدين، وبعد ذلك هُزم السلطان شاه جلال الدين محمود بن إيل أرسلان خوارزمشاه عدة مرات أمـام جيوش الغور وغزنين، وفـي النهايـة نقل السلاطين عن السلطان غيـاث الدين أن الخلـع الفاخرة من دار الخلافـة فـي عهد أمير المؤمنين المقتفي بـأمر الله وأمير المـؤمنين الناصـر لـدين الله وصـلت إلى السلطان غياث الدين- طـاب ثـراه- عدة مرات، ففـي المرة الأولـى قدم ابـن الربيع وذهب معه إلى دار الخلافة القاضي مجد الدين القدوة، وفي المرة الثانيـة قدم ابن الخطيب وعين للذهاب معـه إلـى دار الخلافـة والـد هذا الـداعي مولانـا سراج منهاج طـاب مرقده، وحينما وصلت الخلعة من حضـرة النـاصر لـدين الله، كانت السنة الخامسة للسلطان غياث الدين.

واتسعت سلطنته وكبرت فمن الهندوستان في المشرق ومن حدود الصـين وما بعد الصين حتـى أبـواب العراق ومـن نـهر جيحـون وخراسـان حتـى شـاطئ بحر هرمز ازدانت الخطبة بالاسم المبارك لهذا الملك، وظل مدة ثلاثة وأربعين عامًا يدير أمور الملك ووصلت إنعاماته وعطاياه إلى أطراف مملكة الإسلام من الشـرق حتـى الغرب ومـن العجم والعرب والتركستان والهنـد إلـى أهل الخير وأصحاب العلم والزهد والصفوة، وجميع المستحقين للصدقات والعطايا في هذه الممالك أسماؤهم مذكورة في دواوينه ودفاتره.

([1]) دژق: هي دزق التي سبق ذكرها. (المترجم).

وحينما انتقل من دار الفناء إلى دار البقاء كان عمره ثلاثة وستين عامًا، وكان ذلك في مدينة هرات يوم الأربعاء السابع والعشرين من شهر جمادى الأولى سنة تسع وخمسين وخمسمائة.

وقبره في جوار المسجد الجامع في هرات[1] رحمه الله رحمة واسعة، ولقد زين الحق- تبارك وتعالى- ذات السلطان غياث الدين محمد سام- طاب ثراه- بأنواع العنايات الظاهرة والباطنة وازدانت حضرة ملكه وقصبة سلطنته بأفاضل العلماء وأكابر الفضلاء وجماهير الحكماء ومشاهير البلغاء، وصار بلاطه بعظمته وجاهه ملجأ الدنيا وملاذها، ومرجع المعروفين المشهورين في الدنيا، واجتمعت في بلاطه فرق من جميع المذاهب وحضر الشعراء المفوهون وملوك الكلام في النظم والنثر وجميعهم انتظموا في سلك الخدمة في بلاطه.

ففي بداية الأمر كان الأخوان- السلطان معز الدين والسلطان غياث الدين نور الله مرقديهما- على مذهب الكرامية[2] جريا على عادة أسلافهما وبلاطهما، ولكن حينما جلس السلطان معز الدين على عرش غزنين، وكان أهل هذه المدينة والمملكة على مذهب الإمام أبي حنيفة الكوفي رضي الله عنه، فقبل السلطان معز الدين مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة الكوفي موافقة لهم، ولكن السلطان غياث الدين- طاب ثراه- رأى في المنام أنه يجلس في المسجد مع

---

(1) تشرفت برؤية المسجد الجامع في هرات حينما زرت مدينة هرات عام ١٩٦٩م أثناء دراستي في أفغانستان، والمسجد تحفة معمارية رائعة ويعتبر أكبر مساجد قارة أسيا. (المترجم)..

(2) الكرامية: هم أتباع محمد بن كرام المتوفى عام ٢٥٥هـ اشتهروا بالتشبيه في صفات الله، والقول بالإرجاء، وطوائف الكرامية اثنتا عشرة فرقة منها: العابدية، والنونية. (المترجم).

القاضي سعيد وحيد الدين المرورودي- رحمه الله- وكان القاضي سعيد على المذهب الشافعي ويقتدي به الشافعية، وفجأة دخل الإمام الشافعي- رحمه الله- وذهب إلى المحراب، وأقام الصلاة واقتدى السلطان غياث الدين والقاضي وحيد الدين كلاهما بالإمام الشافعي، وحينما استيقظ من النوم أمر السلطان فأحضروا في الصباح الباكر القاضي وحيد الدين في البلاط، وحينما جلس على الكرسي قال في ثنايا حديثه: يا ملك الإسلام إن العبد لله رأى رؤيا منامية وقال له نفس الرؤيا التي رآها السلطان، وكان قد رآها هو أيضًا، وعندئذ نزل من فوق الكرسي وذهب الإمام لخدمة السلطان، وفي الحال أمسك السلطان باليد المباركة للقاضي وحيد الدين- عليه الرحمة- وقبل مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه، وحينما شاع أمر انتقال السلطان إلى المذهب الشافعي ثقل هذا على قلب علماء مذهب محمد بن الكرام– رحمة الله عليه– ومن هذه الطائفة أي الكرامية علماء كبار، أما في هذا العصر فإن أفصحهم الإمام صدر الدين على هيصم النيشاپوري، وكان يدرس ويسكن في مدينة أفشين بغرستان، وقال قطعة شعرية ينقل فيها اعتراضه على السلطان لهذا النقل، وحينما وصلت هذه القطعة إلى السلطان تغير خاطره من ناحيته، رحمة الله عليهما، ولم يترك لصدر الدين مجالا ولا مقامًا في ممالك الغور والقطعة كما يلي:

يوجد في خراسان كثير مثل الشافعي يقفون على أعتاب كل ملك أيها الملك صاحب الملك والسلطان.

ومن الأفضل أن تدلني على ملك شافعي المذهب في الأقاليم السبعة، ولن تجد له علاقة أو عنوان.

وإن قال شخص إن الخليفة شافعي المذهب، فحاشا لله فليس لإنسان عاقل لبيب أن يظن مثل هذا الظن.

لقد اتخذ الخلفاء مذهب العباس- رضوان الله عليه- في الخلافة، ولا حاجة لمخالفة ذكر هذا المعنى بذلك.

وخلاف آخر أنه لم يرتبط بلبس السواد، ومتى يكون هذا التصور ممكنًا في شعار صبغة الله.

ليس لخليفة أن يقتدي بغير العباس مطلقًا، ولا يكون متسساغًا أبدًا الخلاف بين الجد والعم في هذه الأسرة.

لقد أردت أن تخالف الأب، فلماذا لم تقتد بشعار الملوك الآخرين وسلوكهم؟.

فإذا لم تفعل هذا ولن تفعله فسوف تمضي حياتك الدنيا،

واطلب حجة الباري بكل سبب وعذر في الحياة الأخرى

وحينما ينهض كل شخص مع إمامه يوم المحشر

فسوف تظل وحيدًا خالدًا في تقليدك

ووالله سيقول الشافعي وأبو حنيفة

ليس جميل لأنه دون سبب بدل هذا بذلك ودخل هذا دون ذلك[1].

ولهذا السبب انتقل صدر الدين من ممالك الغور، وذهب إلى نيشاپور وظل عامًا هناك، وبعد ذلك أرسل قطعة شعرية إلى حضرة السلطان، فطلبه وأرسل في تشريفه، وعاد من نيشاپور إلى الحضرة.

****

جلال حضرتكم غوثنا وأنت غياث بيمن عهدك يتيسر أمرنا المكناث

أنت غياث الخلق حيثما يعلنون النفير.

وبقوة الفلك تصير أنت رائد الدولة والأحداث.

من بين ملوك العالم أنت الوحيد في الدنيا،

الذي لك الملك والسلطان ميراث حق من الجد والعم والأب.

ومن بين علماء الدنيا أنا الذي لي حق الدعاء لك وهو إرث أيضًا لي،

---

(1) در خراسان خواجه گونه شافعي بسياربود بردرهر خسرو صاحب نشان
ليك اندر هفت كشور پادشاه شافعي بهترك معلوم كن تاهيچكس دارد نشان
وركسي گويد خليفة شافعي مذهب بود حاش لله هيج زيرك رانبا شد اين گمان
مذهب عباس را اندر خلافت بى خلاف حاجتى نبود مخالف ذكر اين معنى بدان
زوخلاف آخر چو در لبس سيه صورت نبست درشعار صبغة الله اين تصور كي توان
كي كند هرگز خليفه جز بعباس اقتدا كي سزد هرگز خلاف جدو عم زان خاندان
پس توپارى چون پدررا خواستى كردن خلاف چون نرفتى برشعار وراه ديگر خسروان
ورنه آن كردى وني اين درجهان خودبگذرد حجستى باري طلب كن بهر عذر آن جهان
تاچو هركس با إمام أهل خيزد روز حشر تودرين تقليد خود تنها بمانى جاودان
شافعي وبو حنيفه والله اين خواهند گفت خوب نبود بى سبب زان در بدين زين در بدان.

منذ الأجداد الذين ناموا في الأجداث

حينما أدعو لك على منابر الإسلام،

يزداد الدعاء آلافا وآلافا لأنك بالفضل والعدل غياث

أيا غياث لدنيا ديننا فأغث بعثك من هو غوث العباد يوم يغاث

فلتكن دائمًا لك الدنيا منزلا والفلك سقفًا

فاجعل قاعدته وأساسه وأثاثه من عدلك وفضلك

إن الدعاء لدولتك فرض على القوى والضعيف،

والثناء على حضرتك فرض على الذكور والإناث[1].

ويروي الثقات: أن السلطان غياث الدين في أول شبابه كان يحب المتعة والترف ويحب الصيد، ومن حضرة فيروزكوه التي كانت دار ملكه حتى مدينة داور التي كانت دار الملك الشتوية لم يعط لمخلوق مجالا مطلقًا أن يصطاد،

([1]) جلال حضرتكم غـوثنا وأنت غيـاث — بيض عهدك يتيسر أمـرنا الملثـاث
غيات خلق توني پس كجـا برند نفير — زصـولـت فلك پيرود ولت أحـداث
زخسروان جهان درجها تونى كه تـراست — زجد وعم وپدر سلطنت زحق مـيراث
زعالمان جهان نيزهم منم كه مـراست — دعات ارث ز أجـداد خفـته در أحـداث
چوبر منابر إسـلام خوانـده ايم تـرا — هزار بارفزون كاي بفضل وعـدل غياث
أيا غيـاث لدنيـا دينـنـا فاغـث — يغثك من هو غـوث العبـاد يوم يغاث
هميشة خـانه دنيا وسقف گـردون را — زعدل وفضل توبادا نهاد أسـاس وأثاث
دعاي دولت تو فرض برقوى وضعيف
ثناي حضرت تو فرض بر ذكـور وإناث.

وبين هاتين المدينتين أربعون فرسخًا، فأمر فأقاموا قضبانًا معدنية على كل فرسخ، وأنشأ في أرض الداور بستانًا أسماه بستان إرم.

والحق أنه لم يكن لملك قط في العالم مثل هذا البستان في البهجة والجمال، وطول هذا البستان على قدر ميدانين وأكثر، وكل خمائله كانت مزدانة بأشجار الصنوبر والأبهل وأنواع الرياحين، وأمر السلطان فجعلوا حول الروضة ميدانًا فسيحًا طول هذا الميدان وعرضه مثل طول البستان وعرضه، وكان كل عام يعطي أمرًا ليزيدوا الميدان عن خمسين وستين فرسخًا ليجذب الغزلان، وكان يلزمه شهر ليصيد كل زوجين من الغزلان بسهم واحد، وكانوا يحضرون في هذا الميدان أكثر من عشرة آلاف صيد من الوحوش والبهائم والسباع وكل الأجناس، ويوم الصيد كان السلطان يخرج من القصر إلى الحديقة، ويأمر بتهيئة مجلس الطرب، والعبيد والملوك وحدانا وحدانا يمتطون صهوة الجياد، ويدخلون إلى الميدان، ويصيدون تحت نظره المبارك، طاب ثراه، وذات مرة أراد أن يذهب إلى الصحراء للصيد فوقف فخر الدين مبارك شاه، وأنشد هذا الرباعي فألغى السلطان عزمه على الصيد وانشغل بالطرب واللهو[1]:

إنك لو تُفْتَن وتتعلق بالخمر والمعشوق فإن هذا أفضل من تعلقك بالصيد.

---

(1) اندرمى ومعشوق ونگار آويزي   به زان باشدكه در شكار آويزي
آهوي بهشتى چو بدام تودرست   أندر بزكوهي بچه كار آويزي ؟.

وإن حورية الجنان حينما تقع في شباكك، لن يكون مجديا ولا مفيدًا أن تحب تيوس الجبال وتتعلق بها.

فليعف الحق تعالى عنهم، وليجعل رحمته نثارًا لأرواحهم وليبق سلطان الملك وعرشه.

ويروي الثقات طيب الله ثراهم: لقد تاب السلطان غياث الدين- طاب مرقده- عن الشراب وانشغل بالصفاء والإحسان، وفي عهد سلطانشاه خوارزمشاه الذي أتى بجيش الخطا إلى خراسان، وجعل قصبة الملك مرو، وأخذ في إثارة القلاقل على الحدود مع ممالك الغور، وأحضر جيشه إلى بلدة دهانه شير بسرخس، أرسل رسولا لخدمة السلطان غياث الدين وقدم فروض الولاء والطاعة وأمر السلطان، فأقاموا احتفالا للرسول، وهيأوا مجلسًا للطرب واللهو، وأعطوا أمراء الغور وملوكهم الشراب، وأنزل الرسول بالإعزاز والتقدير وسقاه خمرًا حتى يستطيع السلطان في حال سكر الرسول أن يعرف المغزى لمزاج سلطانشاه من إرساله، وبالنسبة لخاصة السلطان غياث الدين فقد وضعوا عصير الرمان في الأقداح، وعندما كان الدور يصل إلى السلطان كانوا يصبون له من عصير الرمان في كأس خاص ويقدمونه له، وحينما أثرت قوة حرارة الخمر في رسول سلطانشاه نهض من مجلسه وطلب من المطربين أن يغنوا هذا الرباعي[1]:

---

[1] زان شيركه با شير دهانه است مقيم | شيران جهان ازو هراسند عظيم
أى شيرتو يعنى سرودندان بنماي | كين هاهمه در دهان شيرند زبيم.

إن أسود العالم في خوف ووجل،

من الأسد المقيم في شيردهانه.

أيها الأسد أظهر رأسك وأسنانك،

وسوف يكون هؤلاء جميعًا في فمك من الخوف والفزع.

وحينما أراد الرسول أن يغني المطرب هذا البيت ويشدو به على العود، تغير لون السلطان غياث الدين، طاب ثراه، وثبت ملوك الغور في أماكنهم.

وكان خواجة صفي الدين محمود من أعظم وزراء البلاط، وكان آية في الظرف واللطف وكان شاعرًا، يقرض الجيد من الشعر فنهض من مكانه ووضع وجهه على الأرض تحية للسلطان، وإجابة على بيت الرسول طلب من المطرب أن يشدو بهذا البيت:

إنه اليوم الذي ننشر فيه راية الثأر،

ونقيد بالأغلال ونصفد بالقيود عدو مملكة الدنيا، ونقضي عليه ونجهز.

ولو يظهر الأسد أسنانه من فمه،

فسوف نسقط أسنانه في فمه بحرابنا ورماحنا[1].

---

(1) آن روزكه ما رايت كين أفرازيم / وزد شمن مملكت جهان پردازيم
شيري زدهانه گر نما يد دندان / دندانش بگرز در دهان اندازيم.

فسر السلطان غياث الدين- طاب ثراه- سرورًا بالغًا، واختصه بإنعامات وافرة وتشريفات ثمينة.

واحتفى به جميع الملوك والحكام، فليرحم الله الجميع وليغمرهم في فيض مغفرته ورحمته، وليؤيد الله سلطان الإسلام وملك الأقاليم السبعة الملك المعظم سيد ملوك الترك والعجم، ناصر الدنيا والدين، علاء الإسلام والمسلمين، مغيث الملوك والسلاطين الحامي لبلاد الله، الراعي لعباد الله، المؤيد من السماء، المظفر على صفوف الأعداء، ذا الأمان لأهل الإيمان، وارث ملك سليمان أبا المظفر محمود بن السلطان (ألتتمش) قسيم أمير المؤمنين فليبقه الله في الملك أعوامًا كثيرة، وقرونًا وفيرة، ويكون الملجأ والملاذ للدنيا بحق محمد وآله أجمعين وسلم تسليمًا كثيرًا كثيرًا.

السلطان المعظم غياث الدنيا والدين (أبو الفتح) محمد (بن) سام [قسيم أمير المؤمنين].

أولاده :

الملكة المعظمة جلال الدنيا والدين (طاب ثراها)

السلطان غياث الدين محمود

الوزراء الذين كانوا يد السلطان، ويعتمد عليهم اعتمادًا كاملا:

شمس الملك عبد الجبار الگيلاني، وفخر الملك شرف الدين فروري، ومجد الملك ديوشاهي داري، وعين الملك سورياني، وظهير الملك عبد الله سنجري، وجلال الدين ديوشاري.

دار ملكه الصيفية: حضرة فيروزكوه، دار الملك الشتوية: بلاد الداور.

أعلامه وراياته: الأسود للميمنة والأحمر للميسرة.

توقيعه الميمون: حسبي الله وحده.

قضاة ممالكه: قاضي القضاة معز الدين الهروي، والقاضي شهاب الدين الخرمابادي[١] (رحمه الله).

مدة ملكه الميمون: واحد وأربعون عامًا.

الملوك والسلاطين من أقربائه: السلطان شمس الدين محمد مسعود السيستاني، والملك تاج الدين حرب محمد السيستاني، والملك ضياء الدين دُر الغوري، والملك تاج الدين حربي، والسلطان بهاء الدين محمد سام، والملك نصر الدين غازي بن قرا أرسلان، والملك تاج الدين زنگي مسعود البامياني، والملك قطب الدين يوسف التمراني، والملك ناصر الدين سوري ماديني، وملكشاه وخشي، والملك تاج الدين مكراني، والملك سيف الدين مسعود تمران.

الفتوحات:

فتح مُلك هرات، وفتح قماج، وفتح داور، وفتح فارس، وفتح كاليور، وفتح فروار، وفتح سيف برد، وفتح غرستان، وفتح الطالقان، وفتح حزدوان،

---

(١) خرماباد: كانت مدينة جميلة فى العراق العجمي وهي الآن خرائب. (المترجم).

وفتح جروم، وفتح تكناباد، وفتح نيشاپور، وفتح لوهور، وفتح الملتان وقتل ملكها، وفتح سلطانشاه، وفتح مرو الرود، وفتح پنجده، وفتح فارياب، وفتح خُجند، وفتح النيمروز، وفتح سجستان، وفتح فوشنج، وفتح ردبل (زابل)، وفتح كابل، وفتح غزنين، وفتح بهاء الدين طغرل بهرات.

الثامن عشر: الملك الحاج علاء الدين محمد بن أبي علي بن الحسن الشنسبي

الملك علاء الدين ابن الملك شجاع الدين أبي علي هو ابن عم السلطانين غياث الدين ومعز الدين، وكان أكبر منهما، وكان غازيا حاجًا، وكان السلطانان غياث الدين ومعز الدين يخاطبانه بلفظ خداوند أي الملك.

وكان متزوجًا من ابنة السلطان غياث الدين وكانت تدعى ماه ملك، وتلقب بجلال الدنيا والدين، ووالدتها بنت السلطان علاء الدين جهانسوز، وهذه الأميرة كانت في غاية العظمة، وكانت تحفظ القرآن الكريم، وأخبار الشهادة[1] وكان خطها مثل الدر الثمين، وكانت تصلي كل عام ركعتين تختم فيهما القرآن، توفيت وهي بكر؛ لأن قبلها كان للملك ضياء الدين جارية تركية، وكانت أم ولده وكان لديه عقدة بأنه لن يقدر على هذه الملكة، وهذه الملكة- أي جلال الدنيا والدين– لم يكن لها مثيل في الدنيا بأسرها في الجمال والعفة والزهد، ووالدة كاتب هذا الكتاب كانت ترْبَتّها في الرضاع وفي المدرسة، وقد تربى كاتب هذا

([1]) هكذا في النص. (المترجم).

الكتاب في كنف عنايتها وحرم عصمتها، وظل حتى أوان البلوغ في خدمة بلاطها، وأخوال كاتب هذا الكتاب وأجداده لوالدته كانوا جميعًا في خدمة بلاطها وبلاط والدها، وآثار عطفهم وإحسانهم كثيرة في ذمة هذا الضعيف جزاها الله خيرًا. وكانت شهادتها ووفاتها أثناء حادثة دخول الكفار إلى بلاد العراق رحمة الله عليها رحمة واسعة، وفي حياة السلطان غياث الدين كانت خطة الغور وخطة بُست، وجير وگرمسير، ودرمشان[1] وروزگان[2]، وغزنين، من إقطاع الملك علاء الدين، وقد حارب پتهورا راجا أجمير في جيش غياث الدين ومعز الدين وهزموه، وكان في خدمة السلطان الغازي، وفي هذا السفر أدى خدمات جليلة كانت في مكانها، وحينما ذهب سلاطين الغور إلى خراسان وفتحت نيشاپور، نصبوه على مُلك نيشاپور، وظل مدة في مدينة نيشاپور وسلك مع الخلق طريق العدل والإحسان، وحينما قدم محمد خوارزمشاه من خوارزم إلى أبواب نيشاپور حاصر نيشاپور فترة، ثم تم الصلح بينهما، وسلم نيشاپور للسلطان محمد خوارزمشاه، ورجع إلى بلاد الغور، وحينما توفي السلطان غياث الدين أعطاه السلطان الغازي معز الدين عرش فيروزكوه وممالك الغور وغرستان وزمين داور، وصار خطابه في الخطبة الملك علاء الدين، وقبل ذلك كانوا يعرفونه بالملك ضياء الدين في بلاد الغور، ولمدة أربعة أعوام كان له ملك فيروزكوه وممالك الغور وغرستان وفي سنة إحدى وستمائة، حينما قاد

---

(1) درمشان: حتى الآن موجودة بهذا الاسم شمال غربي قندهار، وجزء منها يرتبط بزمين داور والجزء الآخر بنواحي الغور. تعليقات حبيبي، ص ٣٧٠، جـ١. (المترجم).

(2) روزگان أو أرزگان: تقع في شمال قندهار أمام بلاد الغور، وهي اليوم بالاسم نفسه، وهي محافظة من محافظات أفغانستان. (المترجم).

السلطان الغازي معز الدين جيشًا إلى خوارزم، قاد الملك علاء الدين جيشًا من الغور إلى قهستان وملحدستان، وذهب إلى أبواب مدينة قاين واقترب من ناحية جناباد قهستان، وفتح قلعة كاخ جناباد، وقام بغزوات كثيرة، وجاهد جهادا لا يعد ولا يحصى، ثم رجع إلى بلاد الغور.

وحينما استشهد السلطان الغازي معز الدين، قدم السلطان غياث الدين محمود بن محمد سام من بست، وكانت من إقطاعه، إلى زمين داور، والتحق ملوك الغور وأمراؤهم بخدمة السلطان محمود، طاب ثراه، واتجهوا إلى الحضرة في فيروزكوه، وقدم الملك علاء الدين من فيروزكوه إلى غرستان، وحينما وصل إلى رأس الجسر على نهر مرغاب وصل السپه سالار حسن عبد الملك في عقبه ورده، وبأمر محمود حبسه في قلعة أشيار غرستان، وحينما استشهد محمود، ووصل ملك الغور إلى السلطان علاء الدين آتسز حسين، خلص الملك علاء الدين من محبسه في قلعة أشيار بغرستان، وأتى به إلى فيروزكوه، وأنزله منزلا عزيزًا، وأمره أن يقتل السپه سالار عمر سليمان ثأرا لأخيه الملك ركن الدين محمود، والسبب في ذلك أن الملك علاء الدين حينما أسر في عهد محمود بن محمد سام ذهب ابنه الملك ركن الدين إيران شاه محمود- عليه الرحمة- إلى غزنين، وكان أميرا عظيما للغاية صاحب علم وفضل عميم، وعقل في غاية الكمال والاتزان، وكان معروفًا بالشهامة والجلد وقدم من غزنين إلى گرمسير، ومن هناك ذهب إلى بلاد الغور، وجمع من الخلق الذين كانوا من متمردي الغور ما يقرب من خمسين ألف رجل، فاجتمعوا معه، وخرج غياث الدين محمود من فيروزكوه بمعية خمسمائة فارس وألفين أو ثلاثة من المشاة، ونشبت الحرب بينهما ووقعت الهزيمة للغوريين، ورجع الملك ركن الدين مهزوما إلى غزنين، ثم ذهب إلى طرف گرمسير فأسره خداوند

زاده سيف الدين التمراني، وأتى به لخدمة السلطان محمود فأمر السلطان بحبسه في وثاق الأمير الحاجب عمر سليمان، وفي اليوم الذي استشهد فيه السلطان ثار عبيد محمود الأتراك، وكان أحدهم يدعى الأمير منكورس زرد أمروه أن يقتل الملك ركن الدين محمودًا، ويقول كاتب هذه السطور: لقد كنت في سن الثامنة عشرة من عمري في شهور سنة سبع وستمائة على أبواب السلطان وفي الحضرة في فيروزكوه، وكما يفعل الشباب كنت أقف وأرى، وقدم الأمير منكورس زرد راكبًا وعلق في يده توبرة يتساقط منها الدم، وكانت رأس الملك ركن الدين- طاب ثراه- موضوعة في هذه التوبرة، ودخل إلى قصر السلطان عفا الله عنهم.

أرجع إلى الغرض: في عهد السلطان علاء الدين آتسز حسين حينما وجد علاء الدين محمود الفرصة قبض على الأمير عمر سليمان، وقال له: إنك أسرفت في دماء ابني إذ قتلته في الليل، وفي الصباح حينما أعلموا علاء الدين آتسز، واستغاث أمراء الغور، أعطى الأمير علاء الدين آتسز فرمانًا أن يحبسوا الملك علاء الدين محمدًا مرة ثانية بقلعة بلروان غرستان عليه الرحمة، وسوف تقال أخباره في آخر هذه الطبقة؛ لأنه في الكرة الثانية قدم إلى عرش فيروزكوه، وإلى أين وصل حاله, والله أعلم بأحوالهم والسلام.

التاسع عشر: السلطان غياث الدين محمود بن محمد سام الشنسبي (تغمده الله برحمته)

كان السلطان غياث الدين محمود بن السلطان غياث الدين محمد سام، طاب ثراهما، ملكًا يغلب على طبيعته جمال الأخلاق، وحسن العشرة، وطيب المعاشرة، وحينما توفي والده السلطان غياث الدين محمد سام طمع أن يسلمه

عمه السلطان معز الدين غازي عرش والده، ولكنه لم يف بهذا التوقع، وأعطى عرش فيروزكوه للملك علاء الدين في الغور؛ لأن ابنة السلطان غياث الدين كانت زوجة له، وأعطى بلاد بست وفراه وأسفزار للسلطان غياث الدين محمود، وفي العام الذي قاد فيه السلطان الغازي جيشًا إلى خوارزم قاد السلطان غياث الدين محمود جيش بُست وفراه وأسفزار إلى خراسان، وذهب حتى أبواب مرو شاهجان، وكان له في هذا السفر آثار واضحة، وحينما استشهد السلطان الغازي معز الدنيا، قدم غياث الدين محمود من بست قاصدًا فيروزكوه، وحينما وصل إلى زمين داور التحق بخدمته أمراء الخلج في گرمسير بحشم كثير، واستقبلهم أمراء الغور جميعًا في شهور سنة اثنتين وستمائة بفيروزكوه، وسلموا له عرش الغور، ودخلت ممالك أبيه تحت تصرفه فذهب الملك علاء الدين من فيروزكوه إلى غرستان، فقُبض عليه هناك، وحبسوه في قلعة أشيار، وقد سبق ذكر ذلك، وصارت أطراف مملكة الغور مثل غرستان وطالقان وگرزوان وبلاد قادس وگرمسير كلها تحت تصرف عبيده، فالسلطان تاج الدين يلدوز، والسلطان قطب الدين أيبك وغيرهم من ملوك الترك وأمرائهم الذين كانوا عبيدًا للسلطان معز الدين كان لكل واحد منهم معروف أرسله إلى البلاط، والتمسوا منه خطوط العتق والتفويض لملك غزنين والهندوستان، فأرسل للسلطان تاج الدين يلدوز المظلة والمرسوم لتكون ممالك غزنين تحت تصرفه، وحينما قدم السلطان قطب الدين إلى غزنين وأرسل نظام الدين محمد إلى فيروزكوه، في سنة خمس وستمائة أمر له بالمظلة الحمراء ومرسوم ممالك الغور وغزنين وهندوستان، وجميع ملوك الغور وغزنين والهندوستان جعلوا الخطبة والسكة باسم السلطان غياث الدين محمود محمد

الـوارث لملـك أبيـه وعمـه، فقـد عظمـه الملـوك والسـلاطين جميعهم فـي هـذه الممالك، ودانوا لـه بالطاعـة والـولاء، وحينمـا مضـى عـام علـى ملكـه قدم الملـك ركن الدين إيرانشاه محمود ابن الملك علاء الدين من غزنين إلى بلاد الغور كما ذكر قبل ذلك، فخرج السلطان غياث الدين محمود من فيروزكوه واشتبك معه وهزمـه، وأسكن علـى أرض زمـين داور مـا يقـرب مـن خمسـة آلاف رجـل مـن الغور، وبعد مدة عامين ونصـف الغـام ذهـب السـلطان عـلاء الـدين آتسـز حسـين ابـن عـم والـده مـن بـلاد باميـان إلـى خـوارزم، وطلـب المـدد مـن خدمـة السـلطان محمد خوارزمشاه، لضبط ممالك الغور، فعين للمدد له ملك الجبال ألـغ خـان أبـا محمد، والملك شمس الدين آتسز الحاجب، وكانـا مـن الملـوك التـرك العظـام فـي الخوارزمشاهية ليكونوا مع جيوش بلخ ومرو وسرخس ورودبار، وقصدوا بلاد الغـور عـن طريـق طالقـان، وأخـرج السـلطان غيـاث الـدين محمـود جيشًـا مـن فيروزكـوه، إلـى حـدود ميمنـة وفاريـاب، فـي موضـع يسـمى سـالوره واشـتبك الجيشـان، ومَنَّ الحـق- سبحانه وتعـالى- بالنصـر علـى السلطان محمـود وهُزم عـلاء الـدين آتسـز وملـوك خوارزمشـاه وجيش خراسـان، وحينمـا مضـى أربعـة أعوام على ملك السلطان محمود لجأ إليه الملك علاء الدين عليشاه ابـن السـلطان تكش خوارزمشاه من خدمـة أخيـه، وحينمـا أخبـر السـلطان محمـود خوارزمشـاه بـذلك، أرسل خوارزمشـاه المعـارف والكبـار إلـى فيروزكـوه، وفـي عهـد حيـاة السلطان الغازي معز الدين محمد كـان بـين محمـود بـن محمد سـام وبـين محمـد تكـش خوارزمشـاه عهـدًا بـأن يكـون بـين الجـانبين موافقـة ومؤالفـة، وألا يكـون أحدهما خصمًا للآخر، وفي هذا الوقت أرسل نسخة هذا العهد وكان له ملتمسـان وهما: يجب القبض على عليشـاه؛ لأنـه عدو مُلكـي، وبحكـم هـذه المعاهـدة قـبض

السلطان محمود على عليشاه عدوه، وحبسه في القصر الذي يسمونه قصر بركوشك وهذا القصر هو بناء لا يوجد مثيله في الهندسة في أي مُلك أو حاضرة مُلك من حيث الارتفاع والعرض والأركان والمناظر والرواقات والشرفات، ففي أعلى القصر توجد خمس شرفات ذهبية مرصعة، كل واحدة ارتفاعها ثلاثة أذرع ويزيد، وعرضها ذراعان ووضعوا على سطح القصر طائرين من طيور الهما[1] من الذهب، كل واحدة منها بقدر جمل كبير، وهذه الشرفات والهما الذهبية أرسلها السلطان الغازي معز الدين من فتح أجمير على سبيل الخدمة والهدية لحضرة السلطان غياث الدين محمد سام، مع كثير من التحف الأخرى، مثل حلقة من الذهب مع زنجير من الذهب وبطيخة دائرتها خمسة أذرع في خمسة، وطبلان من الذهب أحضروه على عجلات، وقد أمر السلطان غياث الدين أن يعلقوا هذه الحلقة والزنجير والبطيخة أمام محراب المسجد الجامع في فيروزكوه، وحينما خرب السيل المسجد الجامع أرسلوا هذا الطبل والحلقة والزنجير والبطيخة إلى مدينة هرات، حيث جعلوا هذه الأشياء من أسباب تعمير المسجد الجامع في هرات بعد أن كان قد احترق. تقبل الله منهم.

وكان السلطان غياث الدين محمود ملكًا عظيم الكرم حليمًا معطاءً عادلا، وحينما جلس على العرش فتح باب خزينة الوالد، وجعل الخزينة في مكانها، ولم يكن لدى السلطان معز الدين أي تعلق بهذه الخزنية، وقد قالوا: كان بها من الذهب أربعمائة حمل بعير، وثمانمائة صندوق. والله أعلم.

---

(1) هُما: هو طائر العنقاء، وهو طائر أسطورى ويُعتقد أن البركة والسعادة تكون من نصيب من يُظله هذا الطائر. (المترجم).

أما الكنوس الثقال والطرائف والمرصعات فقد كانت على هذا الوجه الذي ذكر، وكذلك الأجناس الأخرى فقد كان يخرجها ويبذلها في كل مناسبة، وفي عهده رَخُصَ الدر والنضار والثياب والأديم والأجناس الأخرى بسبب عطاياه وإحسانه، واشترى كثيرًا من العبيد الترك وأكرمهم جميعًا، وجعلهم أصحاب ثروة ونعمة، وكانت عطاياه وإنعاماته تصل إلى الخلق جميعًا، وفي يوم من أيام العام الثاني لحكمه توفي ابن عمه الملك تاج الدين وهو ابن أخت السلاطين، ولم يكن له وريث، وكانت أمواله وخزائنه من النقود والذهب والفضة كثيرة وفيرة وقد أحضروها إلى السلطان الذي أمر أن يقيموا احتفالا ومجلسا وضيافة على باب القصر وسط فيروزكوه، وأمرهم أن يسعدوا ويبتهجوا، ومن صلاة الظهر حتى صلاة المغرب كانوا ينثرون جميع هذه النقود، من الدراهم والدنانير من نوافذ القصر سواء منها ما كان موضوعًا في صرر أو في الجرار، وكان اليوم كأنه حفل عام لكل صنف من أصناف الخلق في الحضرة وكان الإنعام للخاص والعام، كانوا يتوافدون جماعات جماعات أسفل القصر، وأظهروا أنفسهم للسلطان فأمر لكل صنف بنصيب كامل، من الأطباق والأقداح والشمعدانات والطشوت والأباريق، وأطباق النقل والأحواض وحواملها والأطباق وكل جنس، وكانت كلها من الذهب والفضة، كما كان في هذا العطاء ما يزيد على ألف عبد من الغلمان والجواري اشتراها من مالكيها، وامتلأت المدينة بأسرها من هذا العطاء بالذهب، وكان لهذا الملك كثير من الأخلاق المتميزة، فوصلت صدقاته وإنعاماته وتشريفاته إلى جميع أصناف الخلق، وحينما حل القضاء والأجل كان سببا في ظهور هذه الحادثة؛ لأنه بحكم الطلب والالتماس الذي

صدر من خوارزمشاه قبض السلطان محمود على شقيقه عليشاه، وحبسه، وكان لعليشاه أتباع كثيرون من العراقيين والخراسانيين والخوارزميين والأتراك، وكان معه أمه وابنه وزوجته، وهؤلاء جميعًا بايعوه، وعدة مرات وفي خفية أرسل أشخاص من الأعيان والمعارف رسائل إلى الخدمة لدى السلطان محمود فيها: نأمل من خدمة الملك ما يلي:

إننا جميعًا في خدمة عليشاه جئنا نلجأ إليكم، ورمينا أنفسنا في ظل دولتكم وحمايتكم فلا يجب أن تعيدنا إلى الخصم وتسلمنا له، وحذاري من الأسر والأخذ فلن يكون هذا مباركًا، وإلا سوف نضحي بأنفسنا ولا يجب أن يكون لدى السلطان من ناحيتنا خوف على روحه، وحينما حل القضاء وحم الأجل، لم يكن مفيدًا هذا الكلام الذي عرضوه في خدمة السلطان، وصعد جمع منهم في الليل على جبل عال أمام قصر مخدع السلطان وجلسوا متخفين، وأصبح تحت نظرهم مخدع القصر والطريق إليه، حتى ليلة الثلاثاء السابع من صفر سنة سبع وستمائة، صعد أربعة من هؤلاء الجماعة إلى قصر السلطان، وقتلوه، ثم ذهبوا من الطريق الذي حضروا منه، وعبروا من نهر فيروزكوه الذي يجري أمام القصر، ثم صعدوا على مرتفع وصاحوا: يا أعداء الملك استيقظوا لقد قتلنا السلطان، فانهضوا واطلبوا الملك، وحينما انبلج النهار، اضطربت المدينة وهاجت وماجت، ودفنوا السلطان في القصر، ثم بعد ذلك نقلوه إلى هرات

ودفنوه في گازرگاه[1]، وأجلسوا الابن الأكبر للسلطان وهو بهاء الدين سام على العرش. والله أعلم والصلاة على محمد وآله وسلم.

العشرون: السلطان بهاء الدين سام بن محمود بن محمد سام

السلطان بهاء الدين سام بن السلطان غياث الدين محمود بن محمد سام كان في الرابعة عشرة من عمره، وكان شقيقه الملك شمس الدين محمد في العاشرة من عمره ووالدتهما هي ابنه الملك تاج الدين التمراني، وكان في الحرم أيضًا بنتان من هذه الملكة وحينما استشهد السلطان محمود، طاب ثراه، اجتمع جمع غفير من أمراء الترك والغور في الصباح الباكر، وأجلسوا بهاء الدين سام على عرش الملك في فيروزكوه، وحرضت الملكة مُعِزيَّة والدة بهاء الدين، أبناء غياث الدين محمود من العبيد الترك على قتل أعداء الملك، فقتلوا من هذه الطائفة الملك ركن الدين محمود بن علاء الدين محمد بن أبي علي، وذلك كما سبق وكتبت قبل ذلك، وحبسوا الملك قطب الدين التمراني، وكذلك الملك شهاب الدين علي ماديني ابن عم السلطان، ثم تهيأ واستعد أمراء الترك والغور أمام العرش استعدادًا كاملا وربطوا مناطقهم[2]، وبعد خمسة أيام حينما رأى أتباع عليشاه أن المدينة هدأت، وعليشاه لا يزال في الحبس، دبروا فتنة أخرى، ووضعوا رجالاً كثيرين في صناديق بحجة أنهم يحضرون خزائن من خارج المدينة إلى داخلها وذلك ليقوموا بعمل فتنة أخرى في المدينة، فقدم واحد من

---

(1) گازرگاه: منطقة في مدينة هرات بها قبور الكثير من الأئمة العظام والملوك. (المترجم).
(2) ربطوا مناطقهم هي ترجمة الجملة الفارسية: (كمربستند) وهي كناية عن الاستعداد الكامل. (المترجم).

بينهم وهو الذي فكر هذه الفكرة الفاسدة وأخبرهم: فأمسكوا الصناديق على أبواب المدينة، ووقع في أيديهم خمسة وأربعون رجلا ثلاثة منهم هم قتلة السلطان- عليه الرحمة- مثلوا بهم وقتلوهم، ورموا اثنين من أعلى الجبل، ورموا أربعين شخصًا تحت أقدام الفيلة، وفي غوغانية وثورة قتلوهم، عفا الله عن الجميع، وبعد ذلك قدم للخدمة الملك حسام الدين محمد أبو علي جهان پهلوان من فيوار وكاليون، وحينما مضى على ملك بهاء الدين سام ثلاثة أشهر، كان السلطان علاء الدين آتسز حسين في خدمة السلطان محمد خوارزمشاه، فطلب منه المدد لضبط ممالك الغور، فعين من خراسان ملك خان هرات الذي لقبوه في أول عهد دولة خوارزمشاه أمين حاجب وكان من الترك العجم، وهو قاتل محمد خزنك عينه لمدد الملك علاء الدين آتسز حسين، فقدم ملك خان مع حشم خراسان لمدد السلطان علاء الدين آتسز وذهب لضبط فيروزكوه، وحينما وصلوا بالقرب من فيروزكوه، قال ملوك الغور وأمراؤهم: يجب أن يخرج عليشاه من محبسه ويجب إعزازه وتكريمه فكثير من جنود جيش خوارزم سيحبون التوافق معه، وهو أيضًا خصم لأخيه، وموافقة لهذه الدولة سوف يحارب ضد جيش خراسان، فخلصوا عليشاه من محبسه، وعينوا الأمراء حول أطراف المدينة، فالملك قطب الدين حسين بن علي بن أبي علي والأمير عثمان خرفش وغيرهم من الأمراء والحشم جعلوا قمة الجبل ميدانًا، والأمير عثمان المرغني، وكان قائدًا، عين مع فوج من الحشم ليكونوا فوق قمة جبل شاهق الارتفاع. والأمراء الآخرون مثل محمد عبد الله، وغوري السلمني عينوا على بوابة ترائين، ويوم الخميس في وضح النهار، وعلى أطراف المدينة والجبال

اشتعلت الحرب، فاستولوا على المدينة يوم الجمعة منتصف جمادى الأولى سنة سبع وستمائة، وانتهت دولة أسرة محمد سام وظل الأمراء الذين عينوا فوق الجبال سالمين وخرج عليشاه والملك حسام الدين محمد بعلي كاليواني من بوابة ريگ بُست، وقصد كل واحد منهم إلى ناحية، فذهب حسام الدين إلى كاليوان، وذهب عليشاه إلى غزنين، وأجلسوا السلطان علاء الدين آتسز على العرش ورجع ملك خان إلى هرات. والسلطان بهاء الدين سام وشقيقه وأخواته ووالدته حملوهم مع ما وجد من الخزائن وكذلك عمتهم الملكة جلالي بنت غياث الدين محمد سام التي كانت زوجة الملك علاء الدين حملوهم جميعًا إلى خراسان مع تابوت السلطان غياث الدين محمود، ووضعوا تابوت محمود في گازرگاه بهرات، ونقلوا الأتباع والسيدات وذوات الخدور والملكات إلى خوارزم، وظلوا هناك معززات مكرمات حتى عهد حادثة كفار الصين.

ويروون أن المغول حينما ظهروا أغرقت والدة محمد خوارزم هذين الأميرين أي بهاء الدين وشقيقه في نهر جيحون بخوارزم. رحمهما الله وعفا عنها، أما ابنتا غياث الدين محمود، فحتى تاريخ هذه الطبقات، إحداهما كانت في بخارى والأخرى في بلخ كانت زوجة أمير بلخ ابن ألماس الحاجب- عليه الرحمة- والسلام.

الحادي والعشرون: علاء الدين آتسز بن حسين

السلطان علاء الدين آتسز ابن السلطان علاء الدين حسين جهانسوز كان عاقلا لبيبًا، وقد كبر في خدمة السلطانين غياث الدين ومعز الدين، وكان أكثر

مكوثه في غزنين في خدمة معز الدين، ويروي الراوي: حينما ابتلى معز الدين بمرض القولنج وانقطع أمل الخلق من حياته اتفق أمراء الغور سرًا فيما بينهم إذا توفي السلطان سوف يجلسون السلطان علاء الدين آتسز على عرش غزنين، ولكن الحق تعالى أرسل من صيدلية (وإذا مرضت فهو يشفين)[1] شربة الصحة للسلطان معز الدين، وشفي وتعافى وأبلغ الجواسيس هذا الحال والتدبير لخدمة السلطان، فأمر السلطان: إن علاء الدين يجب أن ينتقل من حضرة غزنين ولا يجب أن يصل إليه مكروه بسبب غضب إنسان، فذهب علاء الدين إلى باميان عند أعمامه. وكان عرش باميان قد وصل إلى السلطان بهاء الدين سام بن السلطان شمس الدين بن الملك فخر الدين مسعود، وحينما ذهب علاء الدين هناك أكبره وعززه وفوض إليه ولاية من باميان، وبعد فترة زوّج ابنته للنجل الكبير للملك علاء الدين محمد، وسوف يكتب ذلك عند تحرير طبقات ملوك باميان، إن شاء الله تعالى.

وحينما طوت حوادث الأيام بساط مملكة غياث الدين ومعز الدين وتوفي السلطان بهاء الدين سام، ذهب علاء الدين آتسز من حضرة باميان إلى السلطان محمود خوارزمشاه لطلب مُلك الغور، وعرش فيروزكوه، فوجد هناك ترحيبًا كبيرًا، وأكرم إكرامًا ملكيا بالغا، وعين لمدده أمراء خراسان مثل ألغ خان أبي محمد والملك شمس الدين آتسز، ومجد الملك وزير مرو مع جميع جيش خراسان، واتجهوا صوب بلاد الغور لضبطها. فقصدهم السلطان محمود من

([1]) سورة الشعراء: آية (٨٠).

فيروزكوه واتجه إليهم وهزم جمعهم، كما تقدّم قبل ذلك فرجع علاء الدين والتحق بخدمة السلطان محمد خوارزمشاه وبعد استشهاد السلطان محمود، قدم ملك خان هرات وآتسز الحاجب مع جيوش خراسان واتجهوا صوب فيروزكوه، ونصبوا علاء الدين آتسز على عرش الغور ورجعوا، وانقاد له ملوك وأمراء الغور، ولكن ظهر العداء بينه وبين أمراء غزنين والملك تاج الدين يلدوز، واشتبك في حرب مع مؤيد الملك محمد عبد الله السيستاني الذي كان وزير غزنين، واشتبك معه ملك نشان على حدود گيلان ومرغ نوله فهُزم جيشه، وكان السلطان علاء الدين آتسز ملكا عالمًا وعادلا وكان يحفظ كتاب المسعودي في الفقه، وكان جادًا بليغا في تقوية العلماء وتربية أسرة أهل العلم، وكل من كان يجده من أبناء العلماء مجتهدًا كان يختصه بعطفه وجنانه وحبه، وحينما جلس على العرش خلّص الملك علاء الدين محمدًا من سجن أشيار في غرستان، وبسبب قتل عمر سليمان حبسه مرة أخرى في قلعة بلروانش، وقد أجرى أمور الملك أربعة أعوام حتى عاد الملك نصير الدين حسين أمير الصيد من غزنين واشتبك معه في وسط الغور على حدود جرماس، وكان على ميمنة السلطان علاء الدين الملك قطب الدين حسين بن علي بن أبي علي، فهجم على ميسرة الملك نصير الدين حسين، فكسر جيش غزنين وألحق به الهزيمة، وهجم الملك نصير الدين حسين على قلب جيش السلطان، ورمى السلطان بحربة، وضرب تركي من جيش غزنين السلطان على رأسه بدبوس لدرجة أن خرجت عيناه المباركتان، وسقط من فوق جواده، فرفع الملك نصير الدين حسين السلطان فوق جواده، ورجع الملك قطب الدين عقب الهزيمة، ثم هجم

على الملك نصير الدين وأخذ السلطان وحمله إلى خطة سنگه، وفي الطريق توفي السلطان فدفنوه إلى جوار أسلافه من ملوك أسرة الشنسبانيين، عليه الرحمة.

وكانت مدة ملكه أربعة أعوام وعدة أشهر وحينما توفي تفرق أبناؤه، فقد ذهب الملك فخر الدين مسعود إلى غرستان بقلعة سناخانه وظل مدة هناك، والملك نصير الدين محمد ذهب إلى أعلى في قلعة بندار غرستان، وظل هناك مدة، وأما الأصغر ويدعى جمشيد فقد استشهد في حادثة كفار المغول بولاية هريو رود بوادي چشت آب، ولقد استشهد الولدان الكبيران وملك خان هرات على يد عبيد السلطان محمد خوارزمشاه، ولقد جاهدا جهادًا كبيرًا، ولكن لم يقدر لهما أن يصل أحدهما إلى الملك، فليبق الحق تعالى ملك المسلمين أعوامًا كثيرة (والله الباقي والدائم).

الثاني والعشرون: السلطان علاء الدين محمد بن أبي علي خاتم الملوك

لقد جاء ذكره في عدة مواضع قبل ذلك، فقد لقبوه في أول العهد بالملك ضياء الدين في الغور، وبعد أن جلس السلطان غياث الدين محمد سام على عرش فيروزكوه صار لقبه الملك علاء الدين، وحينما قتل الملك نصير الدين حسين السلطان علاء الدين آتسز، في هذا الوقت، دخلت فيرزكوره وممالك الغور تحت حكم أمراء جيش غزنين والغور، وبالاتفاق أجلسوا الملك حسام

الـدين حسـين عبـد الملـك السـردار[١] علـى عـرش فيروزكـوه، فعمـر قلعـة فيروزكـوه وفـي وسـط المدينـة والجبـل أقـاموا قلعـة بركوشـك فـي سـياج حديـدي وشيدوا السور، ووضعوا المقاتلين فيها وأخرجوا الملك علاء الدين محمد من حصن أشيار، وأخذوه إلى غزنين وهذه الحوادث في سنة عشر أو إحدى عشرة وستمائة.

وحينما وصل الملك علاء الدين إلى غزنين احترمه السلطان تاج الدين يلدوز - عليه الرحمة- احترامًا بالغًا وأعزه إعزازًا كبيرًا، وأمر أن يرفعوا مظلة السلطان معز الدين من فوق روضته ويضعوها فوق رأسه، وأعطاه اسم السلطان وأرسله إلى فيروزكوه، وحينما عاد إلى بلاد الغور أجرى الملك عامًا وعدة أشهر، وصارت الخطبة والسكة باسمه، وأطلقوا عليه في الخطبة لقب سلطان، وأرسل إليه السلطان محمد خوارزمشاه العهد الذي أخذه منه في نيشابور بألا يجرد السيف عليه، وفي شهور سنة اثنتي عشرة وستمائة سلم السلطان علاء الدين محمد مدينة فيروزكوه لمعتمدي السلطان خوارزمشاه، وأخذوه إلى خوارزم، وأعزوه وأكرموه إكرامًا بالغًا وأنزلوه عند الملكة جلالي زوجته وهى ابنة السلطان غياث الدين محمد سام، وظلوا معا مدة في خوارزم، وحينما حل القضاء لحق بالرفيق الأعلى، وفي عهد إمارته ومملكته أرسل المعتمدين؛ فعينوا موضع مرقده، ولقد دفن إلى جوار الشيخ أبي اليزيد

---

(١) كتب اسمه في النص حسام الدين حسين عبد الملك سرزراد، ولكننا وجدنا السردار هي المتوافقة مع النص، لاسيما أن الأستاذ حبيبي أشار إلى هذا في الهامش (المترجم).

البسطامي- عليه الرحمة- وقبره معروف، وحينما توفي أوصى أن ينقلوه من خوارزم إلى بسطام، وحينما أحضروه- حسب وصيته إلى بُسطام- رأى خادم خانقاه بسطام الشيخ أبا اليزيد ليلا في الرؤيا يقول له: إنني سوف أسافر غدًا وسوف يحل هنا ضيف كريم، ويجب أن تؤدوا له شرائط الاستقبال كما يجب.

فخرج خادم الخانقاه في الصباح الباكر على مشارف بسطام وعندما انقضى شطر من النهار وصلت محفة السلطان علاء الدين محمد على مشارف خوارزم، وأدخلوه بسطام بالإعزاز والتقدير ودفنوه، وبنهايته ختم ملوك الغور والسلاطين الشنسبية.

رحمة الله عليهم أجمعين، وأدام الله الدولة السلطانية الناصرية المحمودية.

الطبقة الثامنة عشرة

(في ذكـــــــر)

السلاطين الشنسبية بطخارستان وباميان

الحمد لله الذي أعز عباده بالإحسان، وعمر بلاده بالفضل والامتنان، وشرف بملوك الدين ديار طخارستان، والصلوات على محمد المبعوث من أشرف بطن عدنان، والصلوات والسلام على آله وأصحابه سادات الإيمان، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد، فيقول أقل العباد في الحضرة الربانية منهاج السراج الجوزجاني: إن الحق- تبارك وتعالى- جعل من أسرة الشنسبانيين الذين كانوا ملوك جبال الغور سلاطين عظامًا، وملوكًا كبارًا، وكثيرًا ما كانت ممالك ديار العجم والهندوستان في قبضة تصرفهم وطوع أمرهم وإشارتهم.

وإحدى هذه الممالك طخارستان وجبال باميان، ففي أزمنة الدهر القديم جميعها كان ملوك هذه البلاد موصوفين ومعروفين بعظمة المكان وكثرة الأموال والخزائن ووفور المعادن والدفائن، وفي بعض الأوقات كانوا يقهرون ملوك العجم مثل قباد وفيروز، وهذه البلاد معروفة ومشهورة في أقصى ممالك الدنيا بمعادن الذهب والفضة، والياقوت، والبلور، والبيجادة[1] وغير ذلك، وحينما أشرقت وعلت شمس دولة ملوك وسلاطين الغور من أعلى المشارق، وفرغ السلطان علاء الدين حسين جهانسوز من الانتقام من أهل غزنين، اتجه

(١) هو نوع من أنواع الياقوت أيضًا (المترجم).

لفتح تلك الديار، ثم نصب شقيقه الأكبر الملك فخر الدين مسعودًا- عليه الرحمة- بعد الفتح في تلك المملكة، وكان من أصلابه أولاد كبار وملوك كرام ونشرت وذاعت آثار عدلهم وإحسانهم وصيت بذلهم وامتنانهم في كافة أنحاء الربع المسكون، رحمة الله عليهم أجمعين.

الأول: الملك فخر الدين مسعود بن الحسين الشنسبي

الملك فخر الدين مسعود بن الحسين، كان الأكبر من بين ستة[1] من الأخوة، وكانت والدته تركية، وكان ملكًا عظيمًا للغاية، ولما لم تكن والدته أم السلاطين؛ لذا لم يعطوه مجالا للعرش في ممالك الغور؛ لأنه كان يوجد خمسة من الإخوة كانوا شنسبانيين من الأم والأب، وملك الجبال محمد الذي استشهد بغزنين كان من أم أخرى كانت خادمة لأم السلاطين، وأما الملك فخر الدين مسعود فقد كانت أمه جارية تركية كما ذكرنا.

وحينما انتهى علاء الدين من الانتقام من أهل غزنين ومن تخريب قصور بست التي كانت مقامًا لآل محمود، هيأ جيشا من الغور، وذهب إلى طخارستان وأظهر في فتح هذه البلاد جلدًا كبيرًا وشجاعة فائقة، وكذلك أظهر أمراء الغور في هذا الجيش كثيرًا من الشجاعة والمبارزة بحيث لو كان رستم دستان حاضرًا كان سيروي قصة شجاعتهم وجرأتهم، وحينما استسلمت تلك البلاد أجلس السلطان علاء الدين الملك فخر الدين مسعود على عرش باميان وأسلم له تلك

---

(1) ذكر المؤلف أن الإخوة كانوا ستة، ولكن فيما يبدو أنه حدث خطأ من الناسخ؛ لأنهم سبعة كما ذكر هو بعد ذلك. (المترجم).

الديار، وحينما جلس الملك فخر الدين على هذا العرش، ضبط أطراف بلاد جبال شغنان وطخارستان وممالكهما حتى درواز والبلور[1] وأطراف تركستان حتى حدود وخش وبدخشان، وكان للملك فخر الدين أبناء لائقون نابهون، وحينما أراد قماج من بلخ ويلدوز من هرات- وكانوا عبيد السلطان سنجر- أن يزعجوا السلطان غياث الدين، ويضبطوا البلاد حتى فيروزكوه، وكانت الدولة الغياثية لا تزال في أول مطلعها، أمدهم الملك فخر الدين بشرط أن ما يكون من خراسان فهو لهم وكل ما يكون من حدود الغور فهو للملك فخر الدين، وحينما نصر الحق- تبارك وتعالى- السلطان غياث الدين وقتل يلدوز وأرسل رأسه إلى عمه الملك فخر الدين، وكان جيشه قد اقترب، فقدم السلطان غياث الدين في عقبه وهزم الملك فخر الدين وأدركه السلطان غياث الدين وأعاده وأخذه إلى معسكره وأجلسه على العرش، ووقف غياث الدين ومعز الدين أمام عرشه متهيئين لخدمته، ويروي الرواة: أن الملك فخر الدين تملكه الغضب، وقال لهما بالألفاظ: إنكم أولاد زانية تضحكون علي وتهزءون بي. رحمة الله عليهم أجمعين.

وكان لهذا الكلام وقع وتأثير (ومع هذا) فإن القراء يدركون الصفات الحميدة لهؤلاء الملوك، وإلى أي حد حافظوا على الرحمة والشفقة والحرمة والتعظيم لعمهم، وإلى أي حد تحملوا جفاءه وغلظته فهذان السلطانان حينما

([1]) درواز والبلور: درواز موجودة في بدخشان بأفغانستان حتى الآن بهذا الاسم، وبلور وبلورستان كانت معروفة حتى عهد بابر بهذا الاسم وهي الآن تسمى نورستان، وهي إحدى محافظات أفغانستان. (المترجم).

فرغا من أعبائهما، استعدا وتهيآ لإعادة عمهما وأعادا له جميع أمرائه وعبيده معززين مكرمين، ورجع الملك فخر الدين إلى باميان، وأخذ الأمور هناك بقوة شديدة، وكان ملوك الغور وسلاطينها دائمًا في خدمته، ووصل حاله في الملك إلى منتهاه، وقد أجرى أمور الملك فترة ثم توفي، وكان له أبناء لائقون، كان السلطان شمس الدين هو أكبرهم، والملك تاج الدين زنگي، والملك حسام الدين علي، ليرحمهم الله تعالى وليشملهم الله بمغفرته بحق محمد وآله أجمعين.

الثاني: السلطان شمس الدين محمد بن مسعود

حينما توفي الملك فخر الدين مسعود في باميان، أجلسوا ابنه الكبير السلطان شمس الدين محمدًا على عرش باميان، وكانت أخت السلطان غياث الدين ومعز الدين زوجته، وكانت تلقب بحرة جلالي، وكانت أكبر من كلا السلطانين، وهي والدة السلطان بهاء الدين سام بن محمد، وحينما جلس السلطان شمس الدين على عرش باميان بوصية الوالد، واتفاق الأمراء، أرسل إليه السلطان غياث الدين التشريفة وأعزه الإعزاز الوافر الذي يجب، ودخلت في حوزته جميع ممالك طخارستان، وبعد ذلك دخلت في حوزته أيضًا مدينة بلخ وچغانيان ووخش وجروم وبدخشان وجبال شغنان، فقاد جيشًا في كل طرف وأصبح نافذ الأمر، على كل هذه البلاد، وفي العام الذي قاد فيه سلاطين الغور وغزنين جيشًا إلى ولاية رود بار مرو لصد سلطانشاه الخوارزمي أحضر السلطان شمس الدين محمد بأمر السلاطين جيش باميان وطخارستان لخدمتهم، وحينما هزم سلطانشاه التحق الملك بهاء الدين طغرل، وكان عبيد السلطان سنجر بخدمة سلطانشاه، من هرات وهو مهزوم، وفي هذه المعركة وقع في أيدي جيش باميان فقتلوه، وأتوا برأسه لخدمة السلطان غياث الدين، فوافق

دفاعه وشجاعته السلطان غياث الدين، وفي هذا اليوم أصبح لقب شمس الدين السلطان، وحصل على المظلة السوداء، وقبل ذلك لم يكن لوالده الملك فخر الدين مظلة، وكانوا يخاطبونه شمس الدين، وحينما حصل المظلة أصبحوا يخاطبونه بالسلطان، ووجد الإعزاز والتقدير من أبناء عمه غياث الدين ومعز الدين، ووهبه الحق تعالى أبناء لانقين، إذ أكرمه الله بستة أبناء، وبقي ملك طخارستان مدة في حوزة عبيده وربى علماء عظامًا، ولقد حل الهدوء والسكنية في ممالكه، وأحسن إلى الرعية وعدل بينها وتوفي إلى رحمة الله واسمه عظيم وسيرته عطرة، وبعده وصل الملك إلى السلطان بهاء الدين سام.

الثـــالث: السلطان بهاء الدين سام محمد

كان السلطان بهاء الدين سام ملكًا عظيمًا عادلا راعيًا للعلماء ناشرًا للعدل، وفي عهده كان علماء العالم متفقين أنه لا يوجد ملك مسلم أكثر منه رعاية للعلماء، ولهذا السبب كانت جلساته، وأحاديثه، ومذكراته مع علماء الفرق، وكان من ناحية أبيه وأمه شنسبانيًّا، فأمه حرة جلالي بنت السلطان بهاء الدين سام، والأخت الكبرى للسلطان غياث الدين ومعز الدين رحمهم الله.

والقاضي تاج الدين الزوزني ملك الكلام في عصره، وكان يعظ في قصره وفي أثناء الدعاء للسلطان، قال: إنني أزف مَمْلَكةً أجد على وجه سلطنتها خالين[1] أحدهما غياث الدين، والثاني معز الدين، رحمة الله عليهما.

وفي الجملة فإن حسن اعتقاد هذا الملك وجمال عاطفته في حق علماء الإسلام أكثر بكثير من أن تحتويه دائرة كتابة أو تحرير، فعلامة الدنيا والعالم

---

(1) استعار كلمة الخال الذي يكون في الوجه فيزيده جمالاً وبهاءً، وهو يشبه المملكة بالعروس التى لها خالان هما: السلطان غياث الدين والسلطان معز الدين. (المترجم).

فخر الدين محمد الرازي- رحمه الله- ألف الرسالة البهائية باسمه، وظل مدة طويلة في ظل عطفة وحمايته، وشيخ الإسلام ملك العلماء جلال الدين وَرْسَلْ- رحمة الله عليه- وصل في عهده إلى منصب شيخ الإسلام في خطة بلخ.

ولقد طلب في السر مولانا أفصح العجم وأعجوبة الزمان سراج الدين منهاج - رحمه الله- من حضرة فيروزكوه، وأرسل إلى مولانا خاتمًا له فص من الفيروز نقش عليه سام، وطلب مولانا بالإعزاز والتقدير، وكان كاتب هذا الكتاب منهاج السراج- أصلح الله حاله- في هذا الوقت في الثالثة من عمره، ولما كان استدعاء السلطان بهاء الدين سام- طاب ثراه- لمولانا متواترًا ومتعاقبًا، وكان السبب في ذلك أن مولانا- طاب مرقده- ذهب في عهد الملك شمس الدين من غزنين إلى باميان، وفي هذا الوقت كان بهاء الدين سام يحكم ولاية بلوران فأدرك خدمة مولانا وأظهر إمكانية الاحتفاظ بمولانا وإعزازه، ورأى وسمع كلماته المنعشة للروح، ومواعظه الفاتحة للقلوب وذوق هذه الكلمات والمواعظ كانت راسخة في طبيعة الملك فأراد أن ينال نصيبًا كاملا من نعمة كلام مولانا نور الله مرقده، وحينما وصل إلى عرش باميان طلب مولانا كرات ومرات، وفوض له جميع المناصب الشرعية، وأرسل له خاتمه الخاص، فذهب مولانا- عليه الرحمة- من حضرة فيروزكوه دون إذن السلطان غياث الدين إلى الحضرة في باميان، وحينما وصل إلى هناك وجد إعزازًا وتقديرًا كبيرًا، وفوض له جميع مناصب المملكة مثل: قضاء الممالك، والقضاء في شكاوى الحشم، ومخاطبة الممالك، وحساب كل شيء بالأمور الشرعية، كما فوض له مدرستين بإقطاع وإنعام وافر، ومثال ذلك جملة من المناصب كانت بخط وزير مملكة باميان، ولقد بقيت في خريطة منشورات ومراسيم الداعي حتى هذا التاريخ الذي كتبت فيه الطبقات باسم همايون السلطان المعظم ناصر

الدين خلد الله ملكه وسلطانه، وكذلك بقى معي- الداعي- وفي خريطتي العلم وعمامة التشريفة، رحمة الله عليهم أجمعين.

ولقد جرى القلم بهذه المعاني لأحكي فيه عن حسن اعتقاد هذا الملك المتدين- رحمة الله عليهم أجمعين.

في الجملة كان ملكًا عظيمًا، ولقد عظمت مملكته وازدادت رقعة ملكه، فشملت ممالك طخارستان ومضافاتها، وممالك أخرى فبلغت من الشرق إلى حدود كشمير، ومن الغرب حتى حدود ترمذ وبلخ، ومن الشمال حتى حدود كاشغر، ومن الجنوب حتى حدود الغور وغرستان، وفي كل هذه الممالك كانت الخطبة والسكة باسمه، وجميع ملوك غزنين وأمرائهم من الغور والترك والممالك الثلاثة مثل الغور وغزنين وباميان كانوا جميعًا يعتقدون فيه بعد السلطانين[1]. وحينما استشهد السلطان الغازي معز الدنيا والدين محمد سام اتفق ملوك الغور وغزنين والترك وأمرائهم على طلب السلطان بهاء الدين محمد سام فقصد غزنين من باميان، وسار مع الجيش إلى هذه الجهة، وحينما وصل إلى خطة گيلان ظهرت عليه أعراض مرض البطن، وتوفي بعد استشهاد السلطان الغازي معز الدين بتسعة عشر يومًا وكانت مدة ملكه أربعة عشر عامًا.

الرابـــع: السلطان جلال الدين (علي بن سام)

حينما استشهد السلطان الغازي معز الدين، ولحق السلطان بهاء الدين بالرفيق الأعلى في الطريق، ظل وارثو الملك فريقين: أحدهما سلاطين باميان من الشنسبانيين، والآخر سلاطين فيروزكوه، وحينما تحركوا بمحفة السلطان

---

(1) غياث الدين ومعز الدين (المترجم).

من دميك[1]، أخرج الترك- وهم عبيد السلطان من الملوك والأمراء العظام- المحفة والخزائن الوافرة، والصناديق من أيدي أمراء غزنين، وكان لأمراء الغور الذين كانوا في جيش الهندوستان مَيْل إلى جانب أبناء السلطان بهاء الدين، أما أمراء الترك فكان ميلهم لطرف السلطان غياث الدين محمد بن محمد سام، وهو ابن شقيق السلطان معز الدين، أما أمراء الغور الذين كانوا في غزنين مثل السپه سالار خروش وسليمان شيش وغيرهم، فقد كتبوا مكتوبات لخدمة علاء الدين وجلال الدين، واستدعوهم فقدموا إلى غزنين، وسوف يذكر هذا بعد ذلك في طبقة سلاطين غزنين، وحينما أجلس جلال الدين شقيقه على عرش غزنين، رجع هو وجلس على عرش باميان، ويروى أحد الرواة الثقات: لقد قسموا خزائن غزنين فجاء قسم جلال الدين مائتين وخمسين حملا من الذهب الخالص المرصع، وهذا الذهب والفضة حمله معه إلى باميان، ومرة أخرى جرد جيشا من الغور والغز وأطراف الممالك وذهب إلى غزنين، فأسر ولكنه نجا وذهب إلى باميان، واستولى عمه السلطان علاء الدين في غيبته على عرش باميان، ورجع جلال الدين وباغته وقت السحر بنفر قليل وانقض على عمه وقبض عليه وقتله، وسلخ جلد الصاحب الذي كان وزير والده، وضبط أمور الملك، وأجرى شئونه مدة سبعة أعوام، حتى عبر السلطان محمد خوارزمشاه من شاطئ نهر جوركش[2]، وهجم عليه فجأة، وقبض عليه، واستولى على كل الخزائن التي جاء بها من غزنين وكذلك خزائن باميان، وقتل جلال الدين

---

(1) ذكر أن هذا المكان كان إحدى قرى غزنين، ولكن ذكر في دائرة المعارف الإسلامية أنها على نهر السند. طبقات ناصري، جـ٢، ص ٣٤٩، ٣٥٠. ونظن أن الرأي الأول هو الأصح، وذلك لقرب غزنين من مسرح الأحداث (المترجم).

(2) من الممكن أن يكون نهر خوار، وخوار مدينة صغيرة في طبرستان ونهر خوار يجري من قلعة فيروزكوه إلى دماوند، ارجع إلى حواشي حبيبي، طبقات ناصري، ص٣٩١، جـ١ (المترجم).

ورجع، وكان جلال الدين ملكًا عظيمًا زاهدًا، وكان في غاية الشجاعة والجلد، وكان صنديدًا مغوارًا مناضلا طوال مدة عمره لم يصل إلى فمه المبارك أي نوع من المسكرات، ولم يخلع ثيابه لارتكاب حرام، وكان في الشجاعة والرجولة إلى حد أنه لم يوجد أمير من الشنسبانيين في قوته وشجاعته وقوة حمله لسلاحه، فقد كان يرمي سهمين في ميدان الحرب بإبهامه، ولا يخطئ السهمان ولا ينجو صيد أو خصم من سهامه، وفي الوقت الذي تعقبه أتراك غزنين في هزار درخت[1] بغزنين، ضرب سهمًا على شجرة فشطرها نصفين متساويين وظلت في مكانها وكل تركي من المحاربين كان يصل إلى تلك الشجرة كان يؤدي فروض الولاء والطاعة ويرجع وجعلوا لهذا السهم مزارًا، ومع كل هذه الشجاعة والقوة كان حليما وكريمًا يحب الفقراء ويعطف عليهم ويحب العلماء ويعطف على المحتاجين.

ولكن الرجولة والشجاعة لا تجدي مع القدر، فحينما حان وقت الأجل توفي، فليبق الحق تعالى ملك المسلمين ناصرًا للدنيا والدين بحق محمد وآله أجمعين، والسلام على من اتبع الهدى.

الخامس: السلطان علاء الدين مسعود بن شمس الدين محمد (رحمة الله عليه)

جلس علاء الدين مسعود على عرش باميان في الوقت الذي أسر فيه في غزنين أبناء السلطان بهاء الدين سام علاء الدين وجلال الدين، وتزوج ابنة

---

(1) هزار درخت من الجائز أن تكون مدينة بين غزنة وگرديز، ارجع إلى حواشي حبيبي، طبقات ناصري، ص ٣٩١ (المترجم).

ملكشاه وخش[1] التي كانت زوجة أخيه السلطان بهاء الدين سام، وأعطى الوزارة لصاحب باميان، وأخضع ممالك طخارستان، وحينما نجا جلال الدين من غزنين اتجه إلى باميان، وذهب إلى قلعة كنارنك[2] لزيارة أحد العلماء الربانيين أصحاب الكرامات، وكانوا يسمونه الإمام شمس الدين أرشد، وذهب جلال الدين لزيارته للتفاؤل والتبرك وكان عالمًا ربانيا صوفيا أعرض عن الدنيا بعد دراسة كل العلوم الشرعية، وشغل بعبادة الحق سبحانه وتعالى، واتجه إلى الحضرة الربانية، وكان صاحب كشف وكرامات، وحينما زاره جلال الدين، أخذ المدد من سريرته المباركة، وقال له الشيخ: يا جلال خذ عرش باميان، ولكن احذر لا تقتل عمك؛ لأنهم سيقتلونك، فزاره السلطان جلال الدين ورجع، ولم يكد يستدير حتى قال له الإمام الرباني: مسكين يا جلال الدين سوف يقتل العم ويقتلونه كذلك، وكانت النهاية ما جرى على لسان وحيد عصره، فجلال حينما كان هناك هجم على عمه في وقت السحر، وقبض عليه وقتله، وسلخ جلد الصاحب الذي كان وزيرًا كما ذكرنا قبل ذلك (رحمهم الله جميعًا).

---

(١) وخش: في مدينة ختلان ببلاد ما وراء النهر، ويجري فيها نهر وخشاب، ارجع إلى طبقات ناصري حواشي حبيبي، ص ٣٩٢، جـ١. (المترجم).

(٢) كنارنك وتعني حاكم إقليم في الحدود، وقد وجدت هذه الكلمة في اللغة الفارسية القديمة. ارجع إلى طبقات ناصري حواشي حبيبي، ص ٣٩٢، جـ١. (المترجم).

الطبقة التاسعة عشرة:

في ذكر سلاطين غزنين من الشنسبانية

الحمد الله الذي نصر الدين وقهر المشركين، وجعل حضرة غزنة دار السلاطين، وأيدهم بالظفر والنصرة على المشركين، وعلى كسر أصنام الهند، وقهر العتاة من المتمردين، والصلاة على محمد خاتم النبيين، والسلام على آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد: فيقول الداعي الضعيف المحتاج منهاج السراج عصمه الله تعالى من الإعوجاج: إن هذه الطبقة مقصورة على ذكر السلاطين الشنسبانية الذين ازدان عرش حضرة غزنين بعظمتهم وشوكتهم، وتفاخرت ممالك الهند وخراسان بدولتهم، وأولهم من أسرة الشنسبانية هو السلطان سيف الدين سوري، وبعده استولى السلطان غياث الدين حسين على غزنين، ولكنه لم يملك، وبعده تولى السلطان معز الدين محمد سام وتوفى، وتسلم هذا الملك عبد السلطان تاج الدين يلدوز وختمت به رحمة الله عليهم أجمعين.

الأول: السلطان سيف الدين سوري

كان السلطان سيف الدين سوري ملكا عظيمًا، وكان له نصيب وافر من الشجاعة والجلد والمروءة، والعدل والإحسان والجمال والبهاء وعظمة الملك، وكان هو أول من أطلق عليه لقب سلطان من هذه الأسرة، وحينما وصل إليه خبر حادثة شقيقه ملك الجبال، صمم على الانتقام من السلطان بهرامشاه، وأعد جيشًا كبيرًا من ممالك الغور، واتجه صوب غزنين وهزم بهرامشاه، فذهب إلى

الهند، وجلس السلطان سوري على عرش غزنين، وسلم ممالك الغور إلى شقيقه السلطان بهاء الدين والد غياث الدين ومعز الدين، وحينما انضبطت أمور غزنين، انقاد له جميع الأمراء والحشم وأعيان غزنين وأركانها وأطرافها، فأنعم على هذه الطوائف إنعامات وافرة، كذلك غمر بأياديه حشم بهرامشاه ورعيته، وحينما دخل فصل الشتاء استأذن حشم الغور أن يرجعوا إلى ديارهم، وظل معه حاشية وحشم وعمال بهرامشاه، واعتمد عليهم، وبقي مع السلطان ووزيره سيد مجد الدين موسوي ونفر معدود من خدمه القدامى، أما باقي الخدم في البلاط وفي الولاية فقد كان جميعهم من حشم غزنين، وحينما انهمرت الثلوج واشتدت البرودة، وانسدت الطرق في الوديان وفي الأعالي والوهاد في بلاد الغور من كثرة الثلوج المنهمرة[1]، وتيقن أهل غزنين تمامًا أن من المستحيل وصول حشم أو مدد من بلاد الغور إلى غزنين، وسرًا، وفي خفية كاملة، كتب أهل غزنين إلى بهرامشاه، وأرسلوا إليه أنه لم يبق في كل مدينة غزنين وأطرافها من جيش الغور مع السلطان سوري سوى نفر معدود، والباقون هم خدم المحموديين، فلا تدع الفرصة تفلت من يديك، واعزم أيها الملك على المجيء إلى غزنين، وبناءً على هذه المراسلات وهذا الاستدعاء قدم بهرام شاه فجأة من الهند إلى غزنين، وهجم على السلطان سوري، فخرج السلطان سوري مع خاصته الذين كانوا من الغور ومعهم الوزير سيد مجد الدين موسوي، وسلكوا طريق الذهاب إلى بلاد

---

(1) هذا الأمر طبيعي في أفغانستان في فصل الشتاء ووقت أن تنهمر الثلوج وتهطل فإن كثيرًا من الطرق تسد ويصبح الخروج منها أو الدخول إليها مستحيلا وخصوصًا في المناطق التي يتحدث عنها منهاج السراج (المترجم).

الغور فتعقبهم فرسان بهرامشاه، وأدركوهم على حدود سنگ سوراخ واشتبك السلطان سوري بما معه من أفراد قلائل مع فرسان بهرامشاه في معركة، وظل يقاتل وهو على صهوة جواده حتى حدود الإمكان، وحينما ترجل لجأ إلى جبل، هو ووزيره وخاصته، وما دامت السهام في جعبتهم لم يكن لشخص مجال مطلقًا أن يقترب من السلطان، وحينما فرغت السهام من جعبة السلطان، أمسكوه بعد العهد، وبعد أن عاهدوه ويده اليمنى في أيديهم وجاءوا به، وحينما وصل على أبواب غزنين أحضروا جملين وأجلسوا السلطان سوري على واحد، وعلى الآخر وزيره سيد مجد الدين موسوي، وطافوا بهما حول مدينة غزنين وشهروا بهما، وغمروا رأسيهما المباركة بالقاذورات والفضلات والنجاسة، حتى وصلوا على رأس جسر طاق غزنين فصلبوهما على الجسر، لقد فعلوا مثل هذا الظلم وهذه الفضيحة لهذا الملك الجميل الوجه المحمود الأخلاق والسيرة، والعادل الشجاع فنصر الحق- تبارك وتعالى- السلطان علاء الدين حسين جهانسوز شقيق السلطان سوري لينتقم من هذا العمل، وهذه الفضيحة كما تقدم قبل ذلك وذكرناه .

الثاني: السلطان المعظم معز الدنيا أبو المظفر محمد بن سام قسيم أمـــــير المؤمنــــــين

يروي الثقات تغمدهم الله برحمته: حينما توفي السلطان علاء الدين حسين جهانسوز، وجلس ابنه السلطان سيف الدين على عرش الغور، خلص كلا السلطانين غياث الدين ومعز الدين اللذين كانا محبوسين في قلعة وجيرستان،

وقد ذكرنا ذلك عند ذكرنا السلطان غياث الدين. واستقر السلطان غياث الدين في حضـرة فيروزكوه في خدمة السلطان سيف الدين، وذهب السلطان معز الدين لخدمة عمه الملك فخر الدين مسعود حسين الباميـاني في باميـان، وحينما استقر السلطان غياث الدين في مملكة الغور وصل بعد حادثة سيف الدين، ووصل هذا الخبر إلى باميان. فقال الملك فخر الدين لمعز الدين: لقد عمل شقيقك عملا، فماذا أنت فاعل؟ يجب ألا تتحرك وفق رغبتك فوضع معز الدين وجهه على الأرض أمام عمه، وخرج من البلاط واتجه إلى الحضـرة بفيروزكوه، وحينما وصل إلى خدمة غياث الدين صار قائدًا، ووقف للخدمة- كما ذكرنا ذلك آنفا- وخدم شقيقه عامًا، ولكن شيئًا ما كدر خاطره المبارك، فذهب إلى سجستان عند الملك شمس الدين السجستاني، وأمضى الشتاء هناك، فأرسل السلطان غياث الدين المعارف والأعيان، وأحضروه، وفوض إليه ولاية قصر كجوران وأستيه، وحينما ضبط بلاد گرمسير تمامًا، أحال إليه مدينة تكيناباد وكانت من أعاظم بلاد گرمسير، وتكيناباد هي المكان الذي كان سببًا في النزاع بين آل محمد بن سبكتگين، وضبط هذه المدينة كان على أيدي سلاطين الغور رحمهم الله، ونظم السلطان الغازي علاء الدين رباعي وأرسله إلى خسرو ملك بن بهرامشاه[1]:

إن والدك شيد بنيان الحقد والكراهية في البداية فوقع الناس جميعا في الظلم، احذر ولا تضح من أجل تكيناباد بملك آل محمود بأسره فيذهب أدراج الرياح.

---

(1) أول پدرت نهاد كين رابنيـــاد — تاخلق جهان جمله به بيداد أفتاد
هان تاندهى زبهريك تكنـــاباد — سر تاسر ملك آل محمـــود بباد.

رحم الله السلاطين من الطرفين، وعندما صار السلطان معز الدين ملك تكيناباد، قدم جيش أمراء الغز الذي هزم على أيدي جيش الخطا إلى غزنين، وأخرج الغز مملكة غزنين اثنتي عشرة سنة من أيدي خسروشاه أي خسرو ملك، وضبطوا الأمور فيها، وكان السلطان معز الدين يهاجم الغز من تكيناباد في أطراف غزنين، وكلف البلاد الشطط والمتاعب، وفي شهور سنة تسع وستين وخمسمائة فتح السلطان غياث الدين غزنين، وأجلس السلطان معز الدين على العرش فيها ورجع هو إلى بلاد الغور كما ذكرنا آنفا.

وحينما ضبط السلطان معز الدين أطراف غزنين فتح گرديز في شهور سنة سبعين وخمسمائة، وفي العام الثالث قاد جيشا إلى الملتان وخلصها من أيدي القرامطة، وفي سنة إحدى وسبعين وخمسمائة شق أهل سنقران عصا الطاعة، وأفسدوا كثيرًا حتى كانت شهور سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة قاد جيشًا إلى أطراف سنقران وقتل أكثرهم، وكما ذكروا: أن أكثر طائفة السنقريين كانوا من قراء القرآن وقد استشهدوا، ولكنهم أثاروا الفتنة والعصيان فكان من الضروري أن يقتلوا بالعقاب الملكي، وبعد هذا الفتح وفي العام التالي قاد السلطان معز الدين جيشًا عن طريق أچه والملتان إلى نهرواله، وكان راجا نهرواله بهميديو رجلا مجربًا صاحب خبرة، وكان لديه فيلة كثيرة وحشم كثير، وحينما احتدمت المعركة هزم جيش المسلمين، ورجع السلطان الغازي مضطرًا، وكانت هذه الحادثة في شهور سنة أربع وسبعين وخمسمائة، وفي شهور سنة خمس وسبعين وخمسمائة قاد جيشًا إلى فرشور وفتحها، وبعد ذلك بعامين قاد جيشًا إلى لوهور، وحينما انتهت دولة المحموديين وأصبحت قواعد دولتهم واهية، أرسل خسروملك ابنه للصلح، وأرسل معه فيلا، وكان هذا الحال

في شهور سنة سبع وسبعين وخمسمائة، وفي العام التالي- حيث حلت شهور سنة ثمان وسبعين وخمسمائة- قاد السلطان الغازي جيشًا إلى ديول[1] وضبط جميع هذه البلاد التي على شاطئ البحار، واستولى على الأموال ورجع، وفي شهور سنة ثمانين وخمسمائة ذهب بجيش إلى لوهور واستولى على جميع ولايات هذا الملك، ووقت العودة شيد حصن سيالكوت، وعين هناك حسين الخرميل، وحينما رجع السلطان الغازي، جمع خسروملك جيوش الهندوستان وجمع من قبائل كوكهران، وقدم إلى أبواب سيالكوت ومكث فترة ورجع دون رغبته، وبعد ذلك قدم السلطان الغازي في شهور سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة إلى أبواب مدينة لوهور، ولما كان أمر دولة المحموديين قد وصل إلى آخره، وغربت شمس دولة سبكتگين وسلطنتهم، وخط كاتب القضاء بقلم القدر أمر العزل لخسروملك؛ لذا لم تكن لديه قدرة على المقاومة، فتقدم طالبًا الصلح، وحتى يلتقي بالسلطان خرج إليه فأخذه وحبسه، وسُلِمَتْ لاهور للسلطان الغازي فضبط ممالك الهندوستان، ونصب السپه سالار على كرماخ والملتان ولوهور، أما والد الكاتب مولانا أعجوبة الزمان أفصح العجم سراج الدين منهاج- عليه الرحمة، فقد صار قاضي جيش الهندوستان، وارتدى تشريفة السلطان معز الدين، وكان يعقد مجلس العلم في قاعدة الجيش، وعينوا اثني عشر بعيرًا لنقل كرسيه ولوازمه، رحمة الله على السلاطين الماضين والمتقدمين والملوك المسلمين الباقين.

---

(١) هذه المدينة مشهورة بين المؤرخين والجغرافيين العرب، وهي على حدود كراچي الحالية. (المترجم).

وبعد ذلك رجع السلطان الغازي إلى غزنين وأخذ معه خسروملك وأرسله من حضرة غزنين إلى بلاط السلطان الأعظم غياث الدنيا والدين- طاب ثراه- بفيروزكوه، ومن هناك إلى غرستان، حيث سجنوه في قلعة بلروان، وسجنوا ابنه بهرامشاه بقلعة سيفرود في بلاد الغور، وفي شهور سنة سبع وثمانين وخمسمائة ظهرت فتنة سلطانشاه الخوارزمي وعم العصيان وقتلوا خسروملك وابنه.

وبعد ذلك أعد السلطان الغازي جيش الإسلام وذهب إلى قلعة تبرهنده[1] وفتح هذه القلعة، وأعطاها للملك ضياء الدين قاضي تولك محمد عبد السلام النساوي التولكي والقاضي ضياء الدين هو ابن عم جدة الكاتب منهاج السراج، والقاضي مجد الدين التولكي- رحمة الله عليه- بالتماس منه اختار ألفي ومائتي رجل تولكي، وأمر أن يكونوا جميعًا من فرسانه، وأن يجعلهم يتحصنون في هذه القلعة على شرط أن يحافظ عليها ثمانية أشهر، حتى يحضر السلطان الغازي من غزنين، ولكن راجاكوله پتهورا اقترب، فرجع السلطان قبله إلى تراين، وانضم جميع راجاوات الهند مع راجاكوله، وحينما بدأت المعركة، أخذ السلطان الغازي حربة، وهجم على الفيل الذي كان يركبه راجا دهلي گوبند راي، وكان يبدي شجاعة وجرأة في أول الصفوف، وكان السلطان الغازي في الشجاعة في امتشاق الحراب وحيد زمانه، وفي البسالة رستم الثاني، فقد هجم بالحربة على هذا الفيل وضرب گوبند راي على فمه بالحربة، وهو على ظهر

([1]) يسمونها بتهنده. ارجع إلى حواشي طبقات ناصري، ص ٣٩٨، جـ١. (المترجم).

الفيل، فأسقط سنتين في فم هذا الملعون، فتمكن من سلطان المسلمين وأحكم له ضربة على ساعده، فترنح السلطان فوق الجواد، ومن شدة الضربة لم تكن لديه طاقة أكثر للمقاومة على ظهر الجواد، وحلت الهزيمة بجيش الإسلام، وكأنها لم تحل بإنسان قبل ذلك مطلقًا، وأوشك السلطان أن يقع من فوق الجواد، فعرفه خلجي محارب من العيارين فأركب السلطان خلفه وعلى ظهر الجواد احتضنه وانتحى به جانبًا، وصاح في الجواد وحثه على السير وخرج من صفوف المعركة، ولما لم ير أهل الإسلام السلطان هدأت الحرب في نفوس الناس ووصل الجيش المهزوم إلى منزل يأمنون فيه من تعقب الكفار، وفجأة، رأى جماعة الأمراء وغلمان الغور والمعارف والأعيان السلطان بين أحضان هذا الفتى الخلجي الأسد الشجاع، وعرفوا الأمور فاجتمعوا، وكسروا الحراب وصنعوا محفة ومرقدًا، وحملوا السلطان على الرءوس والأعين وأوصلوه إلى منزل يرتاح فيه ويعالج فهدأ الناس، ومرة أخرى قوي دين محمد بحياته، واجتمع الجيش المتفرق ورجع بقوة حياة ذلك الملك الغازي واتجه لديار الإسلام، وترك قاضي تولك في قلعة تبرهنده، وقدم راجا (پتهورا) إلى أسفل القلعة، وواصل الحرب ثلاثة عشر شهرًا ويزيد.

وفي العام التالي جمع السلطان الغازي جيش الإسلام، واتجه صوب الهندوستان انتقامًا للعام الماضي وسمع الداعي[1] من أحد الثقات من أعيان بلاد

(1) عبر الكاتب منهاج السراج عن نفسه بالداعي في الكتاب كله، وقد سبق أن ذكرنا ذلك. (المترجم).

تولك والجبال، وكان يدعى معين الدين أنه قال: لقد كنت مع السلطان الغازي في هذا الجيش، وكان عدد فرسان جيش الإسلام في هذا الوقت مائة وعشرين ألفًا من المدرعة، وحينما وصل السلطان الغازي- طاب ثراه- بهذا الاستعداد إلى راجاكوله فتح قلعة تبرهنده صلحًا، وعسكر على حدود تراين، وعبأ السلطان الجيش، فجعل خلفه بثلث فرسخ القلب والذخيرة والرايات والعلامات والمظلات والفيلة، ثم صف صفًا مستقيمًا، وكان يتقدم ببطء وجعل الفرسان العراة المجردين أربعة أفواج، يلفون الكفار من أربع جهات، وقال لهم: إنكم يجب أن تحيطوا بالجهات الأربع لجيش الكفار الميمنة والميسرة والخلف والأمام، وفي كل طرف عشرة آلاف فارس من رماة السهام يمطرون جيش الكفار، وحينما تهجم فيلة الملاعين وفرسانهم استديروا وأسرعوا في الابتعاد عنهم، وأعجزت جيوش الإسلام الكفار على هذا المنوال ونصر الحق- تبارك وتعالى- الإسلام، وهزم جيش الكفار، وكان راجا يتهورا على ظهر فيل فنزل، وركب جوادًا وذهب مهزومًا مدحورًا إلى حدود نهر سرستي[1] فقبضوا عليه وقتلوه وذهب إلى النار وبئس المصير، وقتل كوبند راجا دهلي في الحرب وعرف السلطان رأسه من سنتيه المكسورتين، وفتحت دار الملك أجمير وجميع مدن سوالك مثل: هانسي وسرستي وغيرها من الديار، وكان هذا النصر والفتح في شهور سنة ثمان وثمانين وخمسمائة، ونصب السلطان الملك قطب الدين أيبك على قلعة كهرام، ورجع، وقدم قطب الدين من كهرام إلى ميرت، وفتحها،

---

(1) سرستي: أحد روافد نهر البنجاب (المترجم).

وفتح حضرة دهلي، وأيضًا في هذا العام فتح قلعة كول في شهور سنة تسع وثمانين وخمسمائة، وقدم السلطان في شهور سنة تسعين وخمسمائة من غزنين إلى بنارس وقنوج، وعلى حدود چنداول هزم راجاجي چند، وغنم في هذا الفتح ما يزيد على ثلاثمائة فيل، وفي ظل حماية هذا السلطان الغازي والعادل- طاب ثراه، انتصر عبده الملك قطب الدين، وفتح جميع ولايات أطراف ممالك الهند، مثل بلاد نهر واله وتهنكر وقلعة كاليور وبداون، وسوف نكتب عن تاريخ كل واحدة في الفتوح القطبية، إن شاء الله تعالى.

وحينما توفي السلطان السعيد غياث الدين محمد سام في مدينة هرات، كان السلطان الغازي معز الدين محمد- طاب ثراه- على حدود طوس وسرخس بخراسان فقدم إلى هرات عن طريق بادغيس لإقامة عزاء أخيه، وحينما أقام العزاء عين الملوك على إقطاعات ممالك الغور، فأعطى مدينة بست وولاية فراه وأسفزار لابن شقيقه السلطان غياث الدين محمود ابن السلطان غياث الدين محمد سام، وأعطى الملك ضياء الدين قلعة الغور؛ فقد كان ابن عم السلطانين وصهر السلطان غياث الدين (محمد سام)، وأعطاه كذلك گرمسير الغور، وكذلك عرش فيروزكوه وشهر رود وزمين داور، وأمر له بفيلين، أما الملك ناصر الدين ألب غازي بن قره أرسلان السلجوقي وهو ابن أخت السلطانين فقد أعطاه مدينة هرات.

وبعد ذلك رجع السلطان معز الدين إلى غزنين، وأخذ معه لخدمته بعض ملوك الغور وأمرائهم في غزنين، وأخذ يستعد للسفر إلى خوارزم، وفي شهور

سنة إحدى وستمائة قاد جيشًا إلى خوارزم، وهُزم محمد خوارزمشاه أمام جيش غزنين، وحينما قدم السلطان الغازي إلى أبواب خوارزم، واستمرت الحرب عدة أيام، ومن مياه نهر جيحون، في الطرف الشرقي لخوارزم صنع أهل خوارزم بحيرة كانوا يطلقون عليها اسم قراسو، وبدأ أهل خوارزم يحاربون على شاطئ هذه البحيرة، واستشهد وأسر عدد من أمراء الغور، وحينما لم يتم فتح خوارزم بسبب قلة استعداد جيش غزنين، وطول المدة للجيش، مع قلة العلف؛ لذا رجعوا من خوارزم على شاطئ نهر جيحون إلى بلخ، وقدم جيش الخطا وملوك تركستان على شاطئ نهر جيحون، وقطعوا الطريق على جيش الإسلام، وحينما وصل السلطان الغازي إلى أندخود وصلت فرق استطلاعات جيش كفار تركستان جواسيسهم يوم الثلاثاء في صلاة العصر إلى معسكر السلطان واستعرت الحرب.

وكان على مقدمة جيش الإسلام القائد حسين الخرميل فهزم الكفار، وكان الخرميل من ملوك الگرزوان، وفي الحال عرض على السلطان الغازي: في حال نصرة المسلمين وهزيمة جيش الكفار، يكون الصواب أن يأمر ملك الإسلام بأن يستعد الجيش هذه الساعة وأن يتعقب الكفار المهزومين ويفاجئهم حتى يتم الفتح العظيم.

فقال السلطان الغازي: أعوامًا طويلة كنت أطلب مثل هذا الغزو ولا يكون مني عذر أو تقاعس وبتوفيق من الله تعالى سأواجه المعركة، وسوف يمن الله تعالى بالنصر ويتحقق لي ثواب الجهاد حسب السنة، وحينما شاهد الملك عز الدين حسين الخرميل مزاج السلطان معز الدين الغازي على هذا النحو، أدرك

أن السلطان يقول هذا الكلام من قوة الإسلام وحمية الدين، وإلا فإن جيش الكفار أتى بلا حصر ولا عدد وكلهم مرتاحون ولقد تعب جيش الإسلام في السفر إلى خوارزم وضعفت الخيول، وليس لها قدرة أو طاقة على المقاومة ، فخرج من خدمة السلطان بكامل جيشه وحشمه وذهب مع خمسة آلاف فارس ليلا إلى گرزوان وأكثر الحشم الذين كان لهم جياد نحيفة ذهبوا، وفي الصباح الباكر بقي مع السلطان قليل من فرسان القلب[١]، وخاصة عبيده، فاحتدمت المعركة وتواصلت الحرب وتحلق جيش الكفار حول جيش الإسلام وأحاطوا بهم، ومهما كان يقول السطان للعبيد: لقد بقي من حشم الإسلام قلة قليلة ولا ينبغي الفرار، وكان السلطان الغازي يراقب المكان حتى بقي معه من الفرسان والعبيد ما يقدر بمائةفارس، وعدد قليل من الفيلة وبعض العبيد الأتراك، ورؤساء عشائر غوريين كانوا من خواص السلطان كانوا يبذلون أرواحهم أمام جواده ويرمون الكفار ويستشهدون.

ويروي الثقات: لقد استبسل السلطان حتى إن مظلته المباركة صارت من سهام الكفار كأنها القنفذ، ولكن لم يفر ولم يول ظهره للكفار مطلقا، حتى قدم عبد من عبيده الأتراك يدعى ربيه جوكي وأمسك بعنان جواده المبارك وذهب إلى قلعة أندخود وأدخله فيها، وفي اليوم التالي توسط الملك عثمان السمرقندي، وكان في الحصافة كأنه يوسف الثاني، وملوك التركستان الأفراسيابيين كانوا مسلمين، وتم الصلح، ورجع جيش الكفار، ورجع السلطان إلى غزنين، وأمر أن يستعد الجيش الذي سيحارب تركستان في ثلاثة أعوام، حيث قرر الذهاب إلى الخطا، وفي هذا الوقت شقت جماعة متمردة من كوكهران[٢] وقبائل جبال الجود

---

(١) من تشكيلات الجيش فى المعركة كما هو معروف الميمنة والميسرة والقلب. (المترجم).
(٢) كوكهران: قبائل في البنجاب (المترجم).

عصا الطاعة، فذهب السلطان في هذا الشتاء إلى الهندوستان وقتل هذه الطائفة من المتمردين، وأمر بغزو بسنتي، وجرت قنوات الدم من هذه الطائفة، وحينما رجع إلى غزنين استشهد على يد متهورين من الملاحدة في منزل دميك في شهور سنة اثنتين وستمائة رحمه الله، ونظم أحد الفضلاء نظمًا في هذا المعنى، وقد كتبتها لتكون تحت النظر بالنسبة لملك المسلمين:

استشهد الملك معز الدين ملك البَحْر والبَر.

ومنذ بدء الخليقة لم يأت ملك مثله.

الثالث من غرة شعبان عام ستمائة واثنين،

سقط في طريق غزنين في منزل دميك[1].

فليبق وليحفظ الحق- تبارك وتعالى- سلطان الزمان وملك الدنيا، ناصر الدنيا والدين ظل الله في العالمين محور ممالك الدنيا، مظهر الكلمة العليا، وارث ملك سليمان أبا المظفر محمود بن السلطان على سرير الملك ومتكأ السلطنة بحق محمد وآله أجمعين.

أما ذكر ما كان من عدل هذا الملك في الدنيا فلا يحتويه كتاب، فقد انتهى قرناء هذا الملك الذين حافظوا على سنة المصطفى- صلى الله عليه وسلم- وحافظوا على الذهاب في الغزوات على طريق الإسلام، ويروون عن المصطفى- صلى الله عليه وسلم- أنهم سألوا عن القيامة، فقال: بعدي بستمائة عام ويزيد وشهادة ذلك الملك في التاريخ هي ستمائة واثنان، وفي هذا العام

---

(1) شهادت ملك بحر وبر معــــز الدين | كزابتداي جهان شه چواو نيامديك
سيوم زغره شعبان بسال شش صدودو | فتاده دره غزنين بــــمنزل دميك.

ظهرت أول علامات القيامة، وعرف هذا العام بعد ذلك بأنه عام خروج جنگيز المغول وخروج الترك.

وكان من المعروف أن هذا الملك في الرباط المحكم للإسلام، وحينما استشهد فتح باب القيامة، فما كان من أموال الغزو جعله في خزانة غزنين، ولم يخبر ملكًا آخر عما في الخزانة، لدرجة أن خواجه إسماعيل الخازن- عليه الرحمة- قال في حضرة فيروزكوه: وقت إحضار التشريفة إلى الملكة جلالي بنت غياث الدين محمد سام كان يوجد من الجواهر في خزينة غزنين من جنس الألماس الذي يعتبر أنفس الجواهر ما زنته ألف وخمسمائة مَنّ، وقس على هذا أنواع أخرى من الجواهر والنقود فليبلغ الحق- تبارك وتعالى- عاطر الثناء والرحمات والبشرى والكرامات إلى مرقد هذا الملك الغازي ومضجعه. وليبق السلطان ناصر الدنيا والدين على عرش الملك حتى يوم القيامة بمحمد وآله الأمجاد وصلى الله على محمد إلى يوم التناد.

السلطان المعظم معز الدنيا والدين (أبو المظفر)

محمد بن [سام] ناصر أمير المؤمنين

مدة ملكه: اثنان وثلاثون عامًا وثمانية أشهر.

دار الملك الصيفية: حضرة غزنين وخراسان

دار الملك الشتوية: لاهور والهند.

القضاة: قاضي الممالك الصدر الشهيد نظام الدين أبو بكر، وبعده الصدر السيد شرف الدين أبو بكر بن الصدر الشهيد نظام الدين في غزنين.

قاضي الجيش وكل الممالك: شمس الدين البلخي وبعده ابنه.

الملـــــوك والأقـــــــرباء

الملك حسام الدين على كرماخ، الملك عز الدين الخرميل، الملك مبارز الدين محمد عيش، الملك ناصر الدين حسين أمير الصيد، الملك اختيار الدين حامل المظلة، الملك شير ملك وجيري، ملك الدين سور الگيلاني، الأمير حاجي غازي.

دائرة السلاطين

الملك ضياء الدين في الغور [سلطان باميان]، والسلطان علاء الدين محمود، والملك بدر الدين الگيلاني، وقطب الدين، والملك ناصر الدين بامين.

توقيعه: نصر من الله.

الأعلام والرايات: الأسود على اليد اليسرى، والأحمر على اليد اليمنى.

الأمير الحاجب: حسين محمد حسيني، والأمير سليمان شيش، والأمير داود، والأمير حاجب خان، والملك ناصر الدين تمران، والملك مؤيد الدين مسعود، والملك شهاب الدينماديني.

الـــــــــــوزراء

ضياء الملك الدرمشي، ومؤيد الملك محمد عبد الله السنجري، وشمس الملك عبد الجبار الگيلاني.

عبيده الذين وصلوا إلى السلطنة

السلطان تاج الدين يلدز في غزنين، والسلطان ناصر الدين قباچة في الملتان وآچه، والسلطان قطب الدين أيبك في لاهور، والسلطان غياث الدين عوض الخلجي في لكهنوتي.

دائرة فتوحاته

فتح كاليور، وفتح مالوه، وفتح بهار، وفتح لكهنوتي، وفتح كالنجر، وغزو كوكران، وغزو تراين ومانبوراي، وفتح بنوراك كوكه، وفتح مرو، وفتح طوس، وفتح جناباد، وفتح نسا، وفتح باورد، وفتح سبزوار، وفتح شارستان، وفتح پنجده، وسفر خوارزم، وفتح لاهور، وفتح گرديز، وفتح سنقر قان، وفتح الملتان، وغزو القرامطة وآچه، وفتح سيالكوت، وفتح تبرهنده، وفتح أجمير، وفتح أحماد، وفتح هانسي، وفتح سرستي، وفتح كهرام، وفتح ميرت، وفتح دهلي، وفتح كول، وفتح بنارس، وفتح تهنكر، وفتح وغزو نهرواله، وفتح بداون، وفتح سوالك، وفتح الهندوستان.

الثالث: السلطان علاء الدين محمد بن سام الباميانى

حينما استشهد السلطان الغازي معز الدين محمد سام في دميك، ولحق السلطان بهاء الدين بن محمود- طاب ثراه- في الطريق برحمة الحق كما ذكرنا قبل ذلك، صار أعداء مُلك الغور وغزنين وباميان والهند من أسرة الشنسبانيين الأول فريقين: فريق سلاطين الغور، والثاني: فريق سلاطين باميان، وحينما ساروا بنعش السلطان معز الدين من منزل دميك إلى غزنين، استولى ملوك وأمراء الترك الذين كانوا موالى السلطان الغازي على نعش السلطان مع الخزائن الفاخرة من أيدي الأمراء والملوك بالقهر والقوة، وأصبح في قبضتهم

وحينما وصلوا إلى كَرَمان[1] عينوا مؤيد الملك وزير محمد عبد الله السنجري - رحمه الله- مع عدد من معارف وأعيان أمراء الأتراك ليذهبوا إلى غزنين مع نعش السلطان، وذلك بالإتفاق مع الملوك والملك تاج الدين يلدوز الذي كان زعيم ملوك الترك، وأعظم عبيد السلطان، فأقام في كَرَمان فترة، وحينما وصل المرقد إلى غزنين، وبعد يومين وصل من باميان إلى غزنين سلاطين باميان علاء الدين محمد وجلال الدين على أبناء السلطان بهاء الدين سام الباميانى باستدعاء أمراء الغور مثل السپه سالار سليمان شيش والسپه سالار خروش وغيرهم من معارف دار الملك غزنين وأركانها، هؤلاء وصلوا جميعًا من باميان.

وجلس الابن الأكبر علاء الدين محمد سام الباميانى على العرش، وقدم لبيعته الأمراء الحاضرون من الترك والغور، أما خزائن غزنين فمن كثرة ما كانت تحويه من الأموال والنفائس كانت خزائن قارون تعتبر عشرها، وقد قسموا كل شيء مناصفة ويروى الثقات: أن نصيب السلطان جلال الدين الباميانى الذي كان الأخ الأصغر، كان مائتين وخمسين حمل بعير من الذهب الخالص المرصع، وطرائف الذهب والفضة، وقد حملها إلى باميان وحينما مضت مدة، وكان مؤيد الملك الوزير وأمراء الترك في حضرة غزنين كتبوا مكتوبات لخدمة الملك تاج الدين يلدوز في كرمان، واستدعوه فصمم على ترك،

---

(1) كرمان هذه ليست هي كرمان المعروفة في إيران، ولكن هذه قرية في طريق غزنين والهند، وأهل أفغانستان ينطقونها كَرَمان بفتح الأول والثاني وهي تقع في جبال كرم، طبقات ناصري حواشي حبيبي، ص ٤٠٨، جـ١. (المترجم).

كَرَمان، وحينما وصل بالقرب من المدينة، استعد السلطان علاء الدين للحرب، وتقدم إليه، وخرج جلال الدين من المدينة وسار إلى باميان.

وحينما اصطف علاء الدين أمام تاج الدين، اتفق أمراء الترك من الطرفين، فيما بينهم وهُزم علاء الدين، وأسروه مع مجموعة من ملوك الشنسبانيين الذين كانوا موافين معه، وحينما قدم الملك تاج الدين يلدوز إلى غزنين سمح لملوك الشنسبانيين أن يرجعوا إلى باميان، ومرة أخرى جمع السلطان جلال الدين لمدد شقيقه علاء الدين حشم مُلك الغور وباميان، وأفواج جيش بيغو من الوخش وبدخشان وأحضرهم وأتى للمرة الثانية إلى غزنين، وضبط ملك غزنين وأجلس علاء الدين على العرش ثم رجع جلال الدين إلى باميان.

وأتى تاج الدين يلدوز مرة ثانية مع جيش من طرف كَرَمان إلى غزنين. وعين علاء الدين ملوك الغور وأمراءهم من غزنين لدفعهم.

ومن جانب الملك تاج الدين يلدوز عُين أيتكين التتري فوصل إليهم، واستقبلهم برباط شنغران وشمل الجميع الهياج وعدم التعقل، واستشهد هناك أمراء الغور والملوك العظام، ومن هناك قدم الملك تاج الدين يلدوز إلى قاعدة غزنين، وحبس علاء الدين في قلعة، وظل في الحبس أربعة أشهر، حتى قدم جلال الدين من بلاد باميان لمدد السلطان علاء الدين، ودفع جيش الترك وصده، وحينما وصل بالقرب من غزنين تقدم أمراء الترك ضده للدفاع والقتال، وهُزم جلال الدين، وأسر، وأتوا به في سفح قلعة غزنين، وفتحوا القلعة. وحينما

تصافح الأخوان عاهدهما الملك تاج الدين يلدوز وأرسل جلال الدين إلى باميان، وبعد عدة أيام ظهر التفاوت والاختلاف بين الأخوين فجلال الدين كان ملكا شجاعًا زاهدًا حازمًا فلم يتفق معه علاء الدين، وذهب من هناك لخدمة السلطان محمد خوارزمشاه، ولكن لم يفلح أن يستمر في هذا الأمر، ودالت دولته، ولم يساعده الحظ، وبعد أن ضبط السلطان محمد خوارزمشاه مُلك باميان، كان علاء الدين قد توفي ، وكان متزوجًا من بنت علاء الدين أتسز حسين، وكان له من هذه الملكة ابن، وكاتب هذه السطور منهاج السراج في شهور سنة إحدى وعشرين وستمائة سافر إلى قهستان برسالة يوضحون فيها للملكة وابنها أن تنتقل من ممالك الغور إلى حدود طبس بولاية خوسف[1] وذلك في حادثة هجوم ملاعين الصين على هذه البلاد.

الرابع: السلطان تاج الدين يلدز المعزي

السلطان الغازي معز الدين- طاب ثراه- كان ملكًا عادلا، غازيا شجاعًا، وكان الثاني بعد علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- في الشجاعة والبأس، كان قليل العيال، فلم يكن لديه سوى ابنة واحدة من ابنة عمه الملك ناصر الدين محمد ماديني، عليه الرحمة، كان لديه ولع شديد بشراء العبيد الترك، فاقتنى الكثير منهم، واشتهر كل واحد من عبيده في جميع ممالك المشرق بالجلد والشجاعة والفداء، وذاع اسم عبيده في الدنيا وانتشر حتى إن صيتهم ذاع وانتشر في حياة السلطان.

---

[1] خوسف من بلاد قهستان (المترجم).

ويروى الثقات: إن أحد المقربين للحضرة السلطانية تجرأ وقال للسلطان: لا يوجد مثلك ملك على ظهر الأرض في رفعة الجاه وعلو الشأن؛ إذ كان يحب أن يكون لك أبناء يرثون ملكك، وبعد انتهاء عهد هذه السلطنة يظل الملك في هذه الأسرة، فقال الملك- طاب ثراه: إن السلاطين الآخرين لهم ابن واحد أو ابنين أما أنا فلي آلاف الأبناء، ويقصد بذلك العبيد الترك، وستكون مملكتي ميراثا لهم، وبعدي سيحافظون على الخطبة في الممالك باسمي. وكان الأمر كما قال هذا الملك الغازي، وبعده حافظت كل ممالك الهندوستان وتحافظ على هذا النهج حتى تحرير هذه السطور سنة ثمان وخمسين وستمائة، ونحن واثقون بفضل الله- سبحانه وتعالى- أن تظل هذه البلاد في أيديهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

أتينا الآن لأول حديثنا وكان عن ذكر السلطان تاج الدين يلدوز[1]، لقد كان ملكًا قوي العقيدة حليمًا كريمًا جميل الخصال بهي الطلعة، جميل المحيا، كان صغيرًا حينما اشتراه السلطان الغازي معز الدين، ولقد رفع مرتبته منذ البداية ومنذ أن خدمه، وجعله الرئيس على عبيده الآخرين، وحينما كبر، ووصل إلى مرتبة الإمارة والولاية، أعطاه ولاية كَرْمان وسنقران مع الإقطاعات الأخرى، وكل عام كان السلطان يسافر فيه إلى الهندوستان كان ينزل في كرمان، وكان يستضيف جميع الأمراء والخواص والملوك، وكان يمنح للتشريف ألف قلنسوة وقباء، وبنفس الطريقة كان ينعم على جميع الحشم،

---

(1) كتبها المؤلف يلدز، ويلدوز. (المترجم).

وبأمر السلطان الغازي تزوجت ابنته السلطان قطب الدين أيبك، وتزوجت البنت[1] الأخرى الملك ناصر الدين قباچة.

كان للملك تاج الدين يلدوز ولدان كان المعلم يعلم أحدهما، وللتأديب والتهذيب ضربه المعلم على رأسه بوعاء للشرب، فحان الأجل، وكان هذا الوعاء سببًا في قتله، وتوفي الولد، فأخبروا السلطان تاج الدين يلدوز، وفي الحال زود السلطان المعلم بزاد الطريق وبغاية الحلم وحسن الاعتقاد، قال: يجب أن يسافر وأن يختفي قبل أن تعلم والدة الولد بحال ابنها، ولا يجب أن يلحق به أذى من حرقة فقدان الولد. وهذه الحكاية تدل على حسن السيرة وصفاء الاعتقاد لهذا الملك الحليم، رحمه الله. وفي عام آخر، وفي عهد السلطان معز الدين، حينما ذهب إلى كرمان ونزل بها، أحضر تاج الدين يلدوز ألف قباء وقلنسوة وهي عادة كل عام يقدمها خدمة إلى السلطان، واختار السلطان من جملة هذا قلنسوه وقباءً وشرف بها كسوته، وأنعم عليه بنوط أسود وفي نفسه وخاطره أنه سيكون ولي عهد غزنين بعد السلطان، وحينما استشهد السلطان الغازي، كان خاطر ملوك وأمراء الترك ومزاجهم أن السلطان غياث الدين محمود سام سوف يأتي من گرمسير إلى غزنين، وسوف يجلس على عرش عمه، وسوف يتمنطق الجميع للخدمة أمامه، هذا المعنى هو الذي كتبوه في حضرة فيروزكوه، وعرضوه؛ لأن سلاطين باميان يَعْتَدون ويطلبون ملك غزنين، فقالوا له: إنك وارث هذا الملك، ونحن عبيدك، فأجاب السلطان غياث

---

(١) ربما كانت ابنة أحد مماليكه؛ لأنه في البداية ذكر أنه لم يكن لديه إلا ابنة واحدة. (المترجم).

الدين محمود: إنني أولى بعرش والدي وعرش حضرة فيروزكوه وممالك الغور، لقد أمرت لكم بهذه المملكة، وأرسل التشريف للسلطان تاج الدين وأعطاه خطاب العتق، وأحال له عرش غزنين وبحكم هذا الأمر قدم الملك تاج الدين إلى غزنين، وسيطر على ملوك باميان وجلس على عرش غزنين، وضبط ممالكها، ومرة ثانية انفصل عن غزنين، ثم أتى إليها مرة ثانية وضبط الأمور فيها، ومرة أخرى تم له هذا الحكم، وبعد فترة اشتبك مع السلطان قطب الدين على حدود پنجاب السند فهزم، وقدم السلطان قطب الدين إلى غزنين وظل بها مدة أربعين يومًا، وفي هذه الفترة شغل باللهو والترف، ومرة أخرى قدم السلطان تاج الدين من كَرَمان إلى غزنين، ثم ذهب السلطان قطب الدين عن طريق سنگ سوراخ إلى الهند، وضبط تاج الدين الأمور في غزنين مرة أخرى، وأرسل عدة مرات جيوشًا إلى الغور وسجستان، وعين الملوك، وأرسل مرة جيشًا لمدد السلطان غياث الدين إلى هرات بسبب المخالفة التي قام بها حسين الخرميل الذي كان ملكًا على هرات واتفق مع السلطان محمد خوارزمشاه، وكان من أتباعه فهزم أمام جيش الغور وغزنين، وفي الكرة الثانية قاد السلطان تاج الدين جيشًا إلى سجستان، وبقي مدة في هذا السفر حتى وصل إلى أبواب مدينة سيستان، وأخيرًا تصالح مع الملك تاج الدين حرب الذي كان ملكًا على سيستان، وحينما رجع وفي أثناء الطريق، اختلف معه الملك نصير الدين حسين أمير الصيد، ووقعت الحرب بينهما، وهزم الملك نصير الدين، وذهب إلى خوارزم ورجع بعد مدة.

وفي سفر الهندوستان اتفق ملوك الترك وأمراؤهم في غزنين، وقتلوا خواجه مؤيد الملك محمد بن عبد الله السنجري الذي كان وزيرًا، والملك نصير الدين أمير الصيد، وبعد ذلك بأربعين يومًا قاد السلطان محمد خوارزمشاه جيشًا من طخارستان وذهب إلى غزنين، وباغت جيشه حدود طريق الهندوستان ناحية گرديز ووادي كراهيه[1]. وذهب السلطان تاج الدين يلدوز عن طريق سنگ سوارخ مهزومًا إلى جانب الهندوستان وقدم إلى لوهور، واشتبك تاج الدين يلدوز مع السلطان سعيد الدين ألتتمش- طاب ثراه- على حدود تراين، وأسر تاج الدين يلدوز وأرسله إلى مدينة بداون، حيث استشهد هناك وتوجد روضته هناك، وهو مزار للمتبركين وأصحاب الحاجاتَ من الخلق، ومدة ملكه تسع سنوات، رحمة الله عليه، والله أعلم.

الخامس: الملك الكريم قطب الدين أيبك المعزي

السلطان الكريم العادل قطب الدين أيبك، كان في الكرم حاتم الثاني، استولى على عرش غزنين من أيدي تاج الدين يلدوز الذي كان حماه، جلس مدة أربعين يومًا على العرش، وقضى هذه المدة في اللهو واللعب والمنح والعطاء، وظلت أمور الملك بسبب اللهو والترف كلها مهملة ومعطلة، وكتب أتراك غزنين والملوك المعزية إلى السلطان تاج الدين يلدوز مكاتبات سرية واستدعوه، فعزم تاج الدين على الذهاب من كَرْمَان إلى غزنين ولقرب المسافة

---

(1) وادي كراهيه: الإملاء الصحيح لهذه الكلمة كراهه؛ لأنه حتى الآن يوجد في گرديز بأفغانستان نهر كرايه أو كراهه، ارجع إلى حواشي الأستاذ عبد الحي حبيبي، ص ٤١٣ جـ١. (المترجم).

دخل غزنين مباغتة، وحينما عرف السلطان قطب الدين خرج من غزنين إلى الهندوستان عن طريق سنگ سوراخ، ولما كان أحدهما للآخر الحمو والصهر؛ أي إن كليهما للأخر بمنزلة الأب والابن؛ لذلك لم يلحق أحدهما الضرر بالآخر، وبعد ذلك أضيف ملك غزنين للسلطان محمد خوارزمشاه، ودخل في تصرف ملوك خوارزم وقد ذكرنا ذلك آنفًا.

وقد ختمت هذه الطبقة من الشنسبانيين ومماليكهم وبعد ذلك سوف أتحدث عن طبقة سلاطين الهندوستان، وأولهم ذكر السلطان قطب الدين أيبك ومآثره في الهندوستان بمقدار ما تحتمله هذه النسخة، وما يجري القلم بمنه وكمال كرمه اللهم ارحمهم جميعًا آمين.

الطبقة العشـــــرون:

في ذكر سلاطين الهند من المعزية

الحمد لله الذى جعل المماليك ملوكًا، وجوهر السلطنة في قوالب العباد مسبوكًا، والصلاة على من ختم النبوة مسلوكًا، والسلام على آله وأصحابه الذين بسيوفهم دم الأعداء مسفوكًا.

أما بعد فيقول العبد الضعيف الرباني منهاج السراج الجوزجاني عصمه الله عن الركون إلى الفاني: إن هذه الطبقة مخصوصة بذكر السلاطين الذين كانوا مماليك الحضرة وأتباع السلطان الغازي معز الدين محمد سام، طاب ثراه، ثم جلسوا في ممالك الهندوستان على عرش السلطنة، ووصل سرير هذا الملك إليهم، كما وعد بذلك وكما كتب عن هذا آنفا بأنهم صاروا ورثة الملك، وتوجت رؤوسهم المباركة بتاج الملك الموروث من هذا الملك وبقيت آثار أنوار الدين المحمدي بواسطة دولتهم على صحائف أطراف مملكة الهندوستان وأكنافها، وكما كان وسيكون، اللهم ارحم السلاطين الماضين وأيدنا بنصرة الباقين.

الأول منهم: السلطان قطب الدين المعزي

السلطان الكريم قطب الدين حاتم الثاني، طاب مرقده، كان ملكًا شهمًا كريمًا معطاءً، منحه الحق تعالى الشجاعة والكرم، ولم يتحقق هذا الملك لغيره في عالم الشرق والغرب في عصره. وحينما يريد الله- الحق تبارك وتعالى- أن يظهر على عبده العظمة والبهاء في قلوب الخلق فإنه يكون موصوفًا بالشجاعة

والكرم، وعندئذ يخص الصديق باللطف والسخاء ويخص العدو بالحرب والوغى، مثلما كان هذا الملك الكريم الغازي، فمن عطائه وسعيه وسخائه امتلأت وفاضت ديار الهندوستان من الأصدقاء والأعداء، كان عطاؤه مائة ألف ومائة ألف، وقتله للكفار مائة ألف ومائة ألف كما يقرر ملك الكلام بهاء الدين أوشي في مدح هذا الملك الكريم:

يا من عطاؤك أتى إلى الدنيا بالعدد لك "أي مائة ألف"

ويا من كفك قضى على المناجم ودمرها.

ومن الخجل من كفك دميت قلوب المناجم .

ولهذا أخرجت الياقوت الأحمر معبرة عن خجلها وعذرها[1].

لقد أتوا بالسلطان قطب الدين لأول مرة من التركستان ووضعوه في مدينة نيشابور، فاشتراه قاضي القضاة فخر الدين بن عبد العزيز الكوفي، وهو من أولاد الإمام الأعظم أبي حنيفة الكوفي- رضي الله عنه- وحاكم ممالك نيشابور ومضافاتها، وفي خدمته وطاعة أبنائه قرأ كلام الله وتعلم الفروسية والرماية، وفي مدة قصيرة ذكر ووصف بصفات الرجولة، وحينما وصل إلى مرحلة الشباب أتى به التجار إلى حضرة غزنين، فاشتراه السلطان الغازي معز الدين محمد سام من التجار، ومع أنه كان موصوفا بكل الأوصاف الحميدة،

---

(1) أى بخشش تولك بجهان أورده | كان راكف توكار بجان أورده
أزشرم كف توخون گرفته دل كان | پس لعل بهانه درميان أورده.

والخلال المتميزة فإنه في الشكل لم يكن جميلا، وخنصره كان مكسورًا، ولهذا السبب أطلقوا عليه أيبك[1] المشلول، وكان السلطان معز الدين في ذلك الوقت أحيانًا يكون مشغولاً باللهو والطرب، وذات ليلة أمر باللهو والطرب وفي هذا الحفل أمر لكل واحد من عبيد الحضرة بالإنعام والصلات، من النقود الذهبية والفضية المسكوكة والخام، وعلى الرغم مما وصل قطب الدين من الإنعام فإنه خرج من المجلس. ومنح كل هذا المال للأتراك والجواري والحجاب وغيرهم من الخدم، لدرجة أنه لم يبق معه من هذا المال قليلا ولا كثيرًا، وفي اليوم التالي أوصلوا هذا المعنى إلى المسامع العليا، فخصه السلطان معز الدين بنظر عنايته والقرب منه ونصبه على الأشغال الخطيرة بالنسبة للعرش والبلاط، وصار قائدًا ووزيرًا عظيمًا، وكل يوم كانت تعلو وتزداد مرتبته حتى صار أمير الأعلاف، وفي هذا العمل حينما ذهب سلاطين الغور وغزنين وباميان إلى خراسان أبدى شجاعة فائقة في القتال ضد سلطانشاه وهو بالنسبة لأصحاب الإسطبل ليس إلا علافًا ذهب لطلب العلف، وفجأة تعرض له بالضرب فارس السلطان ونشب بينهما قتال، فأبدى قطب الدين جلدا وشجاعة، ولأنه كان وحيدًا فقد قبض عليه وأخذوه إلى سلطانشاه، فأسر بأمر منه، وحينما قامت المعركة بين سلاطين الغور وغزنين وهزم سلطانشاه قيد عبيد السلطان قطب الدين بقيد حديدي، وأجلسوه على جمل وأتوا به لخدمة السلطان الغوري فلاطفه السلطان،

---

(1) ذكر الأستاذ حبيبي في حاشيته أن المؤرخين ظنوا أن كلمة أيبك معناها المشلول بالتركية، ولكن معنى المتن واضح وأن أيبك ليس معناها المشلول وهو اسم أصيل بالتركية ويعني العبد أو الغلام. (المترجم).

وحينما رجع إلى دار الملك غزنين أعطاه إقطاع كهرام، ومن هناك ذهب إلى ميرت، وفي شهور سنة سبع وثمانين وخمسمائة ضبط الأمور في ميرت، ومن ميرت، وفي شهور ثمان وثمانين وخمسمائة، استولى على دهلي، وفي شهور سنة تسعين كان مواكبًا للركاب الأعلى للسلطان الغازي بقيادة عز الدين حسين الخرميل وكلاهما كان على مقدمة الجيش، وعلى حدود چنداول ضربوا راجا بنارس جي چند، وهزموه، وبعد ذلك، وفي شهور سنة إحدى وتسعين وخمسمائة، فتحت تهنگر، وفي شهور سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة ذهب إلى نهرواله، وضرب راجا بهيم ديو، وانتقم للسلطان من هذه الطائفة، ثم فتح بلاد الهندوستان حتى أقصى ممالك الصين من ناحية الشرق، وفتح الملك عز الدين محمد بختيار الخلجي في عهده وبسلطانه بلاد بهار ونوديه مما سنكتبه بعد ذلك، وحينما استشهد السلطان الغازي محمد سام- طاب ثراه- أمر السلطان غياث الدين محمود محمد سام ابن شقيق السلطان معز الدين لقطب الدين بمظلة وأعطاه لقب سلطان.

وذهب- أي قطب الدين- في شهور سنة اثنتين وستمائة من دهلي إلى لوهور، وفي يوم الثلاثاء الثامن عشر من شهر ذي القعدة سنة اثنتين وستمائة جلس على عرش سلطنة لوهور، وبعد فترة وقعت بينه وبين السلطان تاج الدين يلدوز مشادة ناحية لوهور، وانجرت هذه المشادة الكلامية إلى اشتباك وضرب، وكان النصر فيها لقطب الدين، وعاد تاج الدين مهزومًا، وذهب السلطان قطب الدين إلى دار الملك غزنين وضبط الأمور فيها، وبعد أربعين يومًا على عرش غزنين، منح وأعطى الإكراميات والإنعامات إلى الخلق في غزنين، ثم رجع

إلى الهندوستان كما ذكرنا آنفا، وحينما حل الأجل وقع من فوق ظهر الجواد في شهور سنة سبع وستمائة في ميدان لعب الكرة، ووقع الجواد فوقه حيث جثم السرج على صدره ولحق بالرفيق الأعلى، ومدة ملكه من أول فتح دهلي حتى هذا الوقت عشرون عامًا، وعهد سلطنته مع المظلة والخطبة والسكة أربعة أعوام وعدة أشهر، عليه الرحمة والغفران.

الثاني منهم: آرامشاه بن السلطان قطب الدين عليه الرحمة

حينما لحق قطب الدين بالرفيق الأعلى استصوب أمراء الهندوستان وملوكها أن يجلسوا آرامشاه على العرش من أجل تسكين الفتنة وتهدئة الرعية وطمأنة قلب الجيش، وكان للسلطان قطب الدين- عليه الرحمة- ثلاث بنات: بنتان منهن تزوجتا متعاقبتين الملك ناصر الدين قباچة، والثالثة تزوجت السلطان شمس الدين، وفي هذا الوقت، وحينما توفي قطب الدين وجلس آرامشاه على العرش، ذهب الملك ناصر الدين قباچة إلى آچه والملتان، وكان لقطب الدين نظرة في تمليك السلطان شمس الدين ألتتمش وكان يعتبره ابنه، وأقطعه بداون فأتى به جميع الملوك من بداون، وأجلسوه على عرش دهلي، وكان متزوجًا من ابنة السلطان قطب الدين، وحل الأجل بآرامشاه وصارت ممالك الهندوستان أربعة أقسام:

مملكة السند جاءت تحت تصرف ناصر الدين قباچة، وأضيفت مملكة دهلي للسلطان السعيد شمس الدين، وممالك لكهنوتي كانت في حوزة ملوك وسلاطين الخلج، ومملكة لوهور أحيانًا كانت تكون في حوزة الملك تاج الدين،

وحينًا تكون في حوزة الملك ناصر الدين قباچة، وأحيانًا السلطان شمس الدين وذلك بتفاوت الأحوال كما سيكتب بعد ذلك.

الثالث منهم: الملك ناصر الدين قباچة المعزي

كان الملك ناصر الدين قباچة ملكا عظيمًا، وكان مملوكًا للسلطان الغازي معز الدين، وكان في غاية الكياسة والذكاء والتمييز والحذاقة والعلم، ولقد خدم السلطان الغازي معز الدين محمد سام أعوامًا في كل مرتبة من مراتب الأعمال، وقد وقف تمامًا على الغث والثمين في الحضرة، وعلى ترتيب الجيوش، والعناية والرعاية بالملك. ولما كان قطاع أچه والملتان ملك ناصر الدين أيتم فقد كان في معركة أندخود مع السلطان ضد حشم الخطا وملوك تركستان، ولقد أبدى شجاعة وبسالة أمام ركاب السلطان الغازي، وغزا غزوات كثيرة، وقتل كثيرًا من الكفار وبعث بهم إلى النار وبئس المصير، وعجز المبارزون في جيش الخطا من كثرة قتاله وشجاعته، وفجأة اتجهوا إليه وقاتلوه فاستشهد، ورجع السلطان الغازي من تلك الحادثة إلى عرش غزنين، وفوض أمر أچه للملك ناصر الدين قباچة وكان صهرا ببنتين للسلطان قطب الدين عليه الرحمة، ورزق من البنت الكبرى بابن يدعى علاء الدين بهرامشاه، كان جميل المنظر، حسن السيرة، مولعًا باللهو والطرب، وكان يحرص غاية الحرص على الفساد في ميعة الصبا والشباب.

حاصل الأمر: حينما ذهب الملك ناصر الدين قباچة إلى أچه بعد حادثة السلطان قطب الدين ضبط مدينة الملتان، ودخلت في حوزته سندوستان وديول

حتى شاطئ النهر، واستولى على قلاع مدن مملكة السند وقصباتها، وحمل مظلتين، وتصرف حتى حدود تبرهنده وكهرام وسرستي، واستولى على لوهور عدة مرات، واشتبك مع جيش غزنين الذي كان يأتي من جهة تاج الدين يلدوز وهزم من خواجه مؤيد الملك السنجري الذي كان وزير مملكة غزنين، وحينما صارت له ممالك السند التحق به كثير من أكابر خراسان والغور وغزنين، وقد أنعم عليهم جميعًا وأكرمهم، ودائمًا كانت بينه وبين السلطان السعيد شمس الدين- طاب ثراه- منازعات حتى كانت المعركة على شاطئ نهر السند بين جلال الدين خوارزمشاه وچنكيزخان.

فأتى جلال الدين خوارزم شاه إلى أرض السند، وذهب إلى ديول ومكران، وبعد فتح نندنه بمدة أتى جيش المغول من جديد بعسكر كثيف إلى أسفل مدينة الملتان، وحاصروا هذا الحصن الحصين أربعين يومًا، وفتح الملك ناصر الدين في هذه المقاتلة والحصار أبواب الخزانة وأحسن إلى الخلق كثيرًا، وظهرت كثير من آثار شهامته ونجابته وجلده ورجولته.

وسوف يبقى ذكر هذا على صحائف الأيام حتى يوم القيامة، وكانت حادثة هذا الحصار في شهور سنة إحدى وعشرين وستمائة، وبعد ذلك بعام ونصف اتصل ملوك الغور بخدمة ناصر الدين لجلاء الكفار، وفي آخر شهور سنة ثلاث وعشرين وستمائة استولى جيش الخلج وهو من جملة جيش الخوارزميين على أرض المنصورة من بلاد سيوستان، وكان قائدهم ملك خان الخلج، وتقدم الملك ناصر الدين لدفعهم، ونشبت بينهما معركة، وهزم جيش

الخلج، وقُتِلَ خانهم، ورجع الملك ناصر الدين إلى الملتان وأجه، وفي هذه السنة وصل إلى أجه كاتب هذه السطور منهاج السراج من خراسان عن طريق غزنين والملتان في سفينة، يوم الثلاثاء السادس والعشرين من شهر جمادى الأولى سنة أربع وعشرين وستمائة، وفي شهر ذي الحجة سنة أربع حولت لهذا الداعي مدرسة فيروزي أجه مع وظيفة القضاء لجيش علاء الدين بهرام شاه.

وفي شهر ربيع الأول سنة أربع وعشرين وستمائة، أقام السلطان السعيد شمس الدين- طاب ثراه- معسكرًا في ظاهر أجه، وذهب الملك ناصر الدين مهزومًا في سفن إلى بهكر، وأقام جيش السلطان على أبواب حصن أجه شهرين وسبعة وعشرين يومًا، وفتح قلعة أجه يوم الثلاثاء السابع من شهر جمادى الأولى، وحينما وصل خبر فتح أجه إلى الملك ناصر الدين أرسل ابنه علاء الدين بهرام شاه لخدمة السلطان، وحينما وصل إلى المعسكر في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة وصل خبر فتح بهكر، فأغرق الملك ناصر الدين نفسه في نهر السند، وانتهت حياته، ومدة ملكه في بلاد السند وأجه والملتان اثنين وعشرين عامًا.

الرابع: بهاء الدين طغرل (السلطاني) المعزي

كان الملك بهاء الدين طغرل حسن السيرة، منصفًا، مكرمًا للفقراء شفيقًا عليهم، مزدانًا بالتواضع، وكان من العبيد القدماء للسلطان الغازي معز الدين والدنيا وقد رباه تربية جليلة وجعله عظيمًا، وحينما فتح حصن تهنكر فُوضَ

إليه، وكان من مضافات ولاية بهيانة[1]، وقد عمر هذه البلاد، فتوجه إليه التجار والمعارف والأعيان من أطراف الهندوستان وخراسان، وكان يمنحهم جميعًا المنازل والأسباب، فتصير ملكا لهم، ولهذا السبب سكنوا بالقرب منه، وحينما لم يوافق هو وحشمه على السكن في قلعة تهنكر شيد في ولاية بهيانة مدينة سلطان كوت، وأسكنهم هناك، وكان دائمًا يرسل الفرسان إلى كاليور، وبعد أن رجع السلطان الغازي من أعلى قلعة كاليور، أمره: يجب أن تسلم لك هذه القلعة، وبهذه الإشارة سكن بهاء الدين طغرل مع فوج من حشمه في سفح قلعة كاليور، وبالقرب من القلعة وعلى بعد فرسخين بنى حصنًا ليستقر فرسان المسلمين ليلا هناك وكل يوم يهاجمون سفح القلعة.

وظلوا على هذه الحال عامًا، وحينما ضاق الحال على أهل القلعة أرسلوا الرسل إلى السلطان قطب الدين، وأعطوه القلعة، وكان هناك قليل من التوتر بين الملك بهاء الدين طغرل والسلطان قطب الدين. وكان الملك بهاء الدين طغرل حسن الاعتقاد، وبقيت منه في ديار بهيانة آثار خير كثيرة، وتوفي ولحق بالرفيق الأعلى، رحمة الله عليهم.

وبعد هذا سنذكر ملوك الخلج الذين كانوا من جملة دولة السلطان الكريم قطب الدين، رحمه الله، وتأتي هذه الطبقة في عداد مماليك السلطان معز الدين محمد سام، طاب مرقدهم، وذلك ليطلع القراء على ذكر كافة ملوك الهندوستان

([1]) بهيانة على بعد خمسين ميلا جنوب غربي أگره. طبقات ناصري حواشي ص ٤٢١ جـ. (المترجم).

وأمرائهم، ويذكرون المؤلف بدعاء الخير، ويطلبون من حضرة واجب الوجود دوام دولة سلطان الزمان، وملك ملوك أهل الإيمان، ناصر الدين والدنيا سلطان الحال والألوان، ويطلبون من الله تعالى بقاء هذه الدولة.

الخامس: الملك الغازي (اختيار الدين) محمد بختيار الخلجي بديار لكهنوتي

يروي الثقات تغمدهم الله برحمته: كان محمد بختيار خلج الغور وبلاد گرمسير رجلا جلدا مهاجمًا شجاعًا حكيمًا لبيبًا محنكًا، قدم من قبائله إلى غزنين وإلى حضرة السلطان معز الدين، فلم يقبلوه في ديوان العرض بسبب أن حاله كان بسيطا في نظر صاحب ديوان العرض، فذهب من غزنين إلى الهندوستان، وحينما وصل إلى حضرة دهلي لم يقبل أيضًا في ديوان صاحب العرض؛ لأنه لم يكن جميلا، فذهب من دهلي إلى بداون في خدمة رئيس مقاطعة بداون السپه سالار هزبر الدين حسن أرنب فقبله، وبعد فترة ذهب إلى أوده، في خدمة الملك حسام الدين أغلبك[1]، وعندما حصل على الجياد والسلاح الجيد، وأظهر في عدة مواضع الجلد والشجاعة، أقطعوه سليتر وسهولي ولما كان رجلا باسلا مقداما فقد أسرع إلى منير وبهار، وكان يغنم غنائم كثيرة، حتى استعد تمامًا بالجياد والسلاح والرجال، وذكر شجاعته وغنائمه ذائع ومنتشر، وقصده جماعة الخلج من أطراف الهندوستان ووصل ذكره لخدمة السلطان قطب الدين فأرسل إليه التشريف، وأمر بإعزازه إعزازا وافرًا، ولما كبر

---

(1) أغلبك وتعني بيگ، أي السيد الأمير. (المترجم).

وانتشر بسبب هذا الإكرام قاد جيشًا إلى بهار، وغنم غنائم كثيرة من هذه الولاية، وظل عامًا وعامين على هذا المنوال يسرع بين الولايات حتى استعد لحصار بهار.

ويروى الثقات: أنه ذهب مع مائتي فارس إلى أبواب قلعة بهار وتقدم للحرب مباغتة، وكان الشقيقان العالمان الفرغانيان نظام الدين وصمصام الدين- رحمهما الله- في خدمة محمد بختيار، وقد أدرك كاتب هذه السطور صمصام الدين في لكهنوتي في شهور سنة إحدى وأربعين وستمائة وهذا النقل عن صمصام الدين: حينما وصلوا إلى باب القلعة تقدموا للحرب، وهذان الشقيقان العالمان كانا بين أفواج الغزاة المحاربين، وحينما رمى محمد بختيار نفسه بقوة وشجاعة في أتون بوابة هذه القلعة وفتحوا القلعة، حصلوا على غنائم كثيرة، كان أكثر السكان في هذا الموضع من البراهمة، رءوسهم كانت حليقة، قُتلوا جميعًا، وكانت هناك كتب كثيرة فطلب أهل الإسلام جماعة ليطلعوهم على معاني هذه الكتب فلما أطلعوهم عليها قتلوهم جميعًا[1] وكانت كل هذه القلعة والمدينة مدرسة وباللغة الهندية بهار تعني المدرسة، وحينما تم هذا الفتح رجع محمد بختيار بغنائم كثيرة وقدم لخدمة السلطان قطب الدين، فوجد الإعزاز والإكرام، فتملكت الغيرة من جماعة من أمراء الحضرة لانتشار الذكر والإعزاز والإنعام الذي شاهدوه من السلطان قطب الدين- طاب ثراه- في حق

---

(1) قتلهم المسلمون؛ لأنهم أعرضوا عن الإسلام إعراضًا كاملًا، وأخذوا يحرضون من أسلموا على الردة وإذا لم يرتدوا قتلوهم. (المترجم).

محمد بختيار، وفي مجلس الطرب كانوا يتحدثون مع محمد بختيار على سبيل التحقير والإذلال والاستهزاء صراحة وضمنا، ووصل الأمر إلى حد أن أمروه بمصارعة فيل، فضرب الفيل بدبوسه على خرطومه ضربة واحدة، ففر الفيل مهزومًا أمامه فتعقبه محمد بختيار، وحينما رأى قطب الدين هذا الرونق وهذه الأبهة وهذا الجلال أنعم عليه من إنعاماته الخاصة، وأمر الأمراء أن يكثروا من الإنعام عليه بما لا يحتويه مؤلفٌ أو كتاب، وفي هذا المجلس وزع محمد بختيار جميع الإنعامات على الخلق، ورجع بالتشريف الخاص للسلطان وذهب إلى بهار، ونزل الرعب في قلوب الكفار منه، وأثر تأثيرًا كاملا في بلاد لكهنوتي وبهار وبلاد بنگ وكامرود.

ويروي ثقات الرواة رحمهم الله: حينما وصل ذكر شجاعة الملك محمد بختيار ومبارزته وفتوحه- رحمه الله- إلى راجا لكهمنية وكانت دار ملكه نودية، وكان راجا كثير الأبهة والعظمة، وظل على العرش مدة ثمانين عامًا، وقد استمعت في هذا الموضع عن حكاية من حالات هذا الراجا، وقد جرى بها قلمي وهي: حينما توفي آباء هذا الراجا كان لا يزال جنينًا في بطن أمه، فوضعوا التاج على بطن والدته، وتمنطق الجميع أمام والدته استعدادًا لخدمتها، وكانت عائلتهم من راجات الهند العظام، وكانوا يعدونهم بمنزلة خلفاء الهند، وحينما اقتربت ولادة لكهمنية، وظهرت على والدته آلام الوضع جمعت المنجمين والبراهمة لينظروا طالع الوقت فأجمعوا رأيهم وقالوا: لو تكون الولادة بعد ساعتين ستكون نحسا كاملا ولن يصل المولود إلى العرش، ولو ولدت الآن قبل

هاتين الساعتين سوف يملك ثمانين عامًا. وحينما سمعت الأم هذا الحكم من المنجمين أمرتهم أن يربطوا رجلها ويعلقونها منها وأن يجلسوا لينظروا في الطالع، وحينما حان الوقت اتفقوا أن وقت الولادة قد حل، وأمرت فأنزلوها، وفي الحال وضعت لكهمنية، وحينما نزل على الأرض ماتت والدته وهي في هذه الحالة من شدة حمله، فوضعوا لكهمنية على العرش وحكم ثمانين عامًا.

ويروي الثقات: لم يقع على يديه أي ظلم مطلقًا قليلا كان أو كثيرًا، وكان يمنح كل من يسأله العطاء مائة ألف، ويروي السلطان الكريم قطب الدين حاتم الزمان- طاب ثراه: في هذه البلاد يعطون الكودة بدلا من الجيتل كأقل عطاء وكان هو يعطي مائة ألف كودة، خفف الله العذاب عنه.

ثم نعود لذكر محمد بختيار: حينما رجع محمد بختيار من خدمة السلطان قطب الدين، وفتح بهار، ووصل ذكره إلى مسامع راجا لكهمنية وأطراف ممالكه جاء عند الراجا جماعة من المنجمين والبراهمة وحكماء المملكة، وقالوا: لقد جاء في كتبنا عن قدماء البراهمة أن هذه المملكة سوف تقع في أيدي الأتراك، وهذا الموعد قريب، والصواب هو: أن يوافق الراجا على الانتقال مع جميع الخلق من هذه المملكة حتى يسلموا من فتنة الأتراك، فأجاب الراجا: أليس لهذا الرجل الذي سوف يستولي على بلادنا علامات موجودة في كتبكم؟ فقال البراهمة: علامته حينما يقف مستقيمًا على قدميه ويطلق يديه تكون يداه أطول من ركبتيه؛ أي إن أصابع يديه تصل إلى ساق أرجله، فقال الراجا: الصواب أن نرسل معتمدين، ليفحصوا هذه العلامات كما يجب، وبأمر الراجا أرسلوا

المعتمدين، وبحثوا وفحصوا فوجدوا أن هذه العلامات في خلقة وقامة محمد بختيار رحمه الله.

وحينما تحققت لهم هذه العلامات ذهب أكثر البراهمة والساهان[1] إلى ديار سكنات وبلاد بنگ وكامرود، ولم يوافق راجا لكهمنية على ترك المملكة، وفي العام التالي أعد محمد بختيار الجيش، وزحف من بهار، وفجأة دخل باب مدينة، نودية ولم يكن معه أكثر من ثمانية عشر فارس ثم يأتي الجيش متعاقبا خلفه، وحينما وصل محمد بختيار إلى باب المدينة ولم يزاحمه أحد، وعلى هيئته في الهدوء والوقار لم يتصور شخص قط أن هذا هو محمد بختيار، وتصور أغلب الخلق أنه ربما يكون تاجرًا أتى بجياد نفيسة، وحتى وصل إلى باب قصر لكهمنية، امتشق حسامه، وبدأ الغزو، وفي هذا الوقت كان الراجا يجلس على رأس المائدة ووضعوا أمامه أطباقا ذهبية وفضية بالطعام المعهود، فتعالى الصراخ من بين قصر الراجا ووسط المدينة، وحينما تحقق للراجا الأمر كان محمد بختيار في وسط القصر، وقد جعل الناس تحت سيفه، وهرب الراجا حافي القدمين خلف قصره ووقع في أيدي محمد بختيار جملة خزائنه، وجواريه وخدمه وخواصه ونسائه وأخذوا فيلة كثيرة، وتحقق لأهل الإسلام غنائم كثيرة لا يحتويها كتاب.

---

(1) أي تجار الجواهر، وقد ذكر ابن بطوطة تجار الجواهر في مدينة دولت أباد باسم ساه وجمعها ساهان. (المترجم).

وحينما وصل جميع جيشه ودخل وصارت المدينة كلها تحت ضبطه وفي حوزته أقام فيها، وذهب راجا لكهمنية إلى السكنات وبنگ وقد شارفت مدة عمره على النهاية وأولاده حتى هذا الوقت يحكمون ممالك بنگ، وحينما ضبط محمد بختيار هذه الممالك أعاد بناء مدينة نودية، وعمرها وجعل عاصمة ملكه في مكانها، وعلى المكان الذي عليه لكهنوتي شيد دار الملك، وأخضع أطراف الممالك تحت تصرفه، وأقام الخطبة وضرب السكة في كل مدينة ومكان، وبأمره وسعيه الجميل المحمود شيد المساجد والمدارس والخانقاهات في هذه الأطراف، وأرسل من هذه الغنائم والأموال الكثيرة لخدمة السلطان قطب الدين، وحينما انصرمت عدة أعوام، وعرف أحوال جبال تركستان والتبت وأطراف مدينة لكهنوتي تصارعت في رأسه الرغبة لضبط ولاية التبت وتركستان فرتب الجيش، واستعد بعشرة آلاف فارس، وفي أطراف هذه الجبال بين التبت وبلاد لكهنوتي ثلاثة أجناس من الخلق: أحدها يسمونهم الكوچ، والثاني الميچ، والثالث الراتهارو، وجميعهم أتراك الوجوه، ولهم لغة أخرى بين اللغة الهندية والتبتية، وقد أخذ محمد بختيار أحد رؤساء الكوچ والميچ وكانوا يسمونه على ميچ، وقد أسلم على يد محمد بختيار، وقد قبل أن يكون له دليلاً وهاديًا في هذه الجبال، وقد أتى بمحمد بختيار إلى مكان فيه مدينة تدعى مردن كوت، ويذكرون: في قديم العهد رجع گرشاسب شاه من بلاد الصين، وكان يسير على أطراف كامرود وبنى تلك المدينة، ويجري أمام المدينة، نهر كبير ويسمونه بنكمتي، وحينما دخل ديار الهندوستان وجد أنهم يسمونه باللغة الهندية السمندر، وهو في العظمة والاتساع والعمق ثلاثة أضعاف نهر الگنج، وقدم جيش الإسلام وسار

بالجيش عشرة أيام في أعالي قمم الجبال، حتى وصلوا إلى موضع من قديم العهد كانوا قد أقاموا فيه معبرًا نحتوه من الصخر به ما يزيد على العشرين درجة، وحينما عبر جيشه من فوق الجسر نصب أميرين أحدهما مملوك تركي والآخر أمير خلجي على رأس هذا الجسر، ومعهم حشم كثير ليحافظوا على هذا الجسر حتى يرجعوا، وعبر محمد بختيار مع باقي الحشم من فوق الجسر، وحينما علم راجا كامرود بعبور جيش الإسلام أرسل المعتمدين، وقال: ليس من الصواب أن تحضروا إلى بلاد التبت في هذا الوقت يجب أن ترجعوا وتستعدوا استعدادًا، كاملا فأنا راجا كامرود قبلت، وسوف أستعد بجيشي العام القادم وأتقدم أمام جيش الإسلام وأسلم هذه البلاد، ولم يقبل محمد بختيار هذه النصيحة على أي وجه واتجه صوب جبال التبت.

ولقد سمعت من معتمد الدولة مقبل الركابي أنه سمع من محمد بختيار، الذي جعل سكنه في لكهنوتي بين ديوكوت وبنگاون، في سنة إحدى وأربعين وستمائة، وقد نزل ذات ليلة على سبيل الضيافة في منزله: حينما عبروا هذا الجسر ظلوا ستة عشر يومًا قطعوا فيها منازل ومراحل، بين شعاب جبال شامخة الارتفاع وسحيقة في الانخفاض، وفي اليوم السادس عشر وصل إلى صحن بلاد التبت، وكانت بلادًا وقرى تعمر بالأهل والقبائل؛ فوصلوا في البداية إلى موضع، كانت به قلعة، وحينما أطلقت جيوش الإسلام يديها في الحرب تقدم أهل هذه القلعة وما حولها للدفاع، وحمي وطيس المعركة، واستمر القتال من الفجر حتى صلاة العصر، وكان قتالا شرسًا صعبًا مريرًا، وقتل وجرح جمع

كثيف من جيوش الإسلام. وجميع أسلحة هؤلاء الجماعة كانت حرابًا من قطع الناي مثل الجواشن والدروع والخوذات والتروس كلها حزم متراصة بعضها إلى بعض، وجميع الخلق كانوا يحذقون رمي القسي والسهام بمهارة فائقة وذكروا: توجد مدينة على بعد خمسة فراسخ يسمونها كرم بتَن يوجد فيها ثلاثمائة وخمسون ألف تركي شجاع باسل من رماة السهام. وفي اللحظة التي وصل فيها فرسان المسلمين، صاح القاصدون ليُعلموا الفرسان الساهرين في الفجر، وحينما كان الداعي في لكهنوتي ذاع ذكر هذه المدينة، كانت مدينة غاية في العظمة، وجميع جدرانها من الحجر المنحوت وبها جماعة من البراهمة والبوذيين، وهذه المدينة تحت إمرة زعيمهم وبعضهم يعتنق الديانة النصرانية، كل يوم في الفجر يبيعون في سوق المدينة ما يقرب من ألف وخمسمائة جواد، وكل جياد تنكنة[1] التي تصل إلى ديار لكهنوتي يجيئون بها من هذا المكان، وطرقهم عبر الوديان، وهذا الطريق في هذه البلاد معروف، فمن بلاد كامرود حتى بلاد التبت خمسة وثلاثون واديًا في الجبال، ومن هذا الطريق يأتون بالجياد إلى بلاد لكهنوتي. حاصل الأمر: حينما عرضت لمحمد بختيار طبيعة هذه الأرض، وعجز المسلمون وأرهقوا، وفي أول يوم استشهد وجرح أعداد غفيرة، فتشاور مع أمرائه بضرورة وجوب العودة حتى يستعد استعدادًا كاملا لمرة أخرى، ويأتي إلى هذه البلاد، وحينما عادوا لم يبق في الطريق كله ورقة

---

(1) ينسب إلى تنگ وتنگستهن وتنسب إلى جبال بوتان، أما أبو الفضل في أيين أكبري فيكتب: هناك نوع من الجياد في جبال شمال الهند تسمى تانكهن وتنگن، وهى جياد شديدة قوية، وربما تكون أيضًا تنگ بستة أي محكمة الرباط (ارجع إلى حواشي حبيبي ص ٤٣٠ جـ١) (المترجم).

عشب ولا عود حطب، لقد أضرموا النيران فيها جميعها، فاحترقت وترك السكان جميعهم في الشعاب والوديان والطرق. ولمدة خمسة عشر يومًا في السير لم يحصلوا على ورقة عشب أو علف للجياد والدواب، فكانوا يذبحون الجياد جميعها ويأكلونها، وحينما وصلوا إلى جبال بلاد كامرود وصلوا إلى رأس الجسر وجدوا درجتين من السلم قد تخربتا بسبب خصومة وقعت بين الأميرين وبسبب خصومة كلاهما للآخر تركا أمر المحافظة على الجسر وسارا في الطريق، فجاء هنود بلاد كامرود وخربوا الجسر. وحينما وصل محمد بختيار بالجيش إلى ذلك الموضع، لم يجد طريقًا للعبور ولم توجد سفن فوقف عاجزًا متحيرًا. فاتفقوا أن يقيموا في مكان ليدبروا سفنا ومواسير حتى يعبروا من النهر، وأشاروا أنه بجوار هذا الموضع يوجد بيت للأصنام وهو في غاية الارتفاع والحصانة، وعمارته غاية في الجمال والبهاء، وتوضع هناك تماثيل ذهبية وفضية كثيرة، ويوجد هناك تمثال كبير وزنه بالتخمين يزيد على ألفي مثقال من الذهب الخالص، فلجأ محمد بختيار وباقي الحشم إلى هذا المعبد، وأخذوا يعملون في تدبير الأخشاب والحبال والمواسير لإقامة السدود لكي يعبروا من النهر، وأعلموا راجا كامرود بنكبة جيش المسلمين وعجزه، فأمر جميع الولايات الهندية: أن يأتوا فوجا فوجا، وأن يغرسوا حول المعبد في الأرض الأسنة والحراب، وأن يشبكوا بعضها البعض فتصير كما لو كانت أسوارا وحوائط منيعة.

وحينما شاهد جيش المسلمين هذه الحال، قالوا لمحمد بختيار: لو ظللنا هكذا سوف نسقط جميعًا في فخ هؤلاء الكفار وشباكهم؛ فيجب البحث عن طريق للخلاص فهجموا جميعًا، وخرجوا من هناك دفعة واحدة، وهيأوا موضعًا وجعلوا لأنفسهم طريقًا، ووصلوا من هذا المضيق إلى الصحراء، والهنود في أعقابهم، وحينما وصلوا إلى شاطئ النهر نزلوا وصنع كل شخص حيلة على قدر إمكانه للعبور، وفجأة خاض أحد الجنود بجواده في النهر وكان الماء ضحلا على قدر رمية سهم، فوقعت صيحة بين الجنود، لقد وجدوا ماءً ضحلا فرموا بأنفسهم جميعًا في النهر، واستولى الهنود في أعقابهم على شاطئ النهر، وحينما وصلوا إلى منتصف النهر غرقوا وماتوا جميعًا.

وعبر محمد بختيار النهر بحيل كثيرة وبفرسان معدودين مائة فارس يزيدون أو ينقصون.

أما الآخرون فقد غرقوا جميعًا، وحينما خرج محمد بختيار من النهر أخبروا الكوچيين والميچيين، فجمع علي ميچ أقرباءه، ووقفوا على الطريق وتقدموا للاستقبال، وقدموا خدمات جليلة، وحينما وصل محمد بختيار إلى ديوكوت استولى عليه الحزن والمرض، ولم يركب من كثرة الخجل من نساء الخلج وأولادهم الذين هلكوا وماتوا، وحينما كان يركب كان الخلق جميعًا من فوق الأسطح وفي الطرقات من النساء والأطفال يصيحون ويدعون دعوات سيئة ويسبون ويشتمون، فلم يركب كثيرًا، وهذه الحادثة جرت كثيرا على لسانه، وكان يقول: لعل السلطان الغازي معز الدنيا والدين محمد سام وقعت له

حادثة فتحول البخت عنا، وأصبح الحظ لا يحالفنا، وهذا ما حدث فعلا، فالسلطان الغازي- طاب ثراه- كان قد استشهد في هذا الوقت. وتألم محمد بختيار ألمًا شديدًا، وبسبب هذا الحزن مرض وأصبح ملازمًا للفراش، وانتقل إلى الرفيق الأعلى، ويروي البعض: كان هناك أمير يدعى علي مردان الخلجي، وكان في غاية الشجاعة والبسالة، وكان إقطاع ناركوتي مفوضا إليه، وحينما علم بهذه الحادثة، قدم إلى ديوكوت، وكان محمد بختيار راقدًا في سريره، ومضت ثلاثة أيام ولا يوجد مجال لشخص لرؤيته، وبطريقة ما تسلل علي مردان بالقرب منه ونزع الغطاء من على وجهه وطعنه بالسكين - طاب ثراه- وهذه الأحوال وهذه الحادثة كانت سنة اثنتين وستمائة فليعف الحق تعالى وليغفر بمحمد وآله الأمجاد.

السادس منهم: الملك عز الدين محمد بن شيران الخلجي

يقول الرواة: إن محمد بن شيران وأحمد بن شيران كانا أخوين من أمراء الخلج في خدمة محمد بختيار، وحينما قاد محمد بختيار جيشًا إلى جبال كامرود والتبت أرسل محمد بن شيران مع شقيقه في فوج من الجيش إلى لكهنوتي وجاجنگر، وحينما وصلت أخبار هذه الحوادث إليهما رجعا من هذه الأماكن إلى ديوكوت وأقاموا العزاء، ومن هناك ذهب محمد بن شيران إلى ناركوتي، وكانت إقطاع علي مردان فقبضوا عليه وقيدوه وأوثقوه انتقامًا للحركة التي قام بها وسلموه إلى كوتوال[1] هذا المكان وكان يدعى بابا كوتوال صفاهاني، ثم

(1) كوتوال: سبق التعريف بها.

ذهب محمد بن شيران إلى ديوكوت وجمع الأمراء، وكان محمد بن شيران رجلا في غاية الجد وحسن الأخلاق، وحينما نهب محمد بختيار مدينة نودية ونهب راجا لكهمنية، وتفرق عنه حشمه وفيلته، وذهب حشم الإسلام في أعقاب الغنيمة، غاب محمد بن شيران هذا عن الجيش مدة ثلاثة أيام لدرجة أن جميع الأمراء قلقوا عليه، وبعد ثلاثة أيام أخبروا أن محمد بن شيران في الغابة الفلانية قبض على ثمانية عشر فيلا أو يزيد بحراسهم وعين الفرسان وحده، وكل هذه الفيلة أتى بها إلى محمد بختيار.

وفي الجملة كان محمد بن شيران رجلا جلدًا صاحب قوة، وحينما حبس علي مردان وأوثق قيده رجع، ولما كان علي مردان زعيمًا لأمراء الخلج فقد كان الجميع يخدمه، وكل أمير كان على إقطاعه أعطى لعلي مردان طريقًا، وأخذ بيده اليمنى إلى الكوتوال فخلص من القيد، وذهب إلى حضرة دهلي، والتمس من السلطان قطب الدين أن يذهب قايماز الرومي من أوده إلى لكهنوتي، وأسكن هناك بحكم الأمر أمراء الخلج، وكان لحسام عوض الخلجي إقطاع كنكوري، فاستقبل قايماز الرومي، وذهب معه إلى ديوكوت، ثم رجع بأمر قايماز الرومي، فاجتمع محمد شيران وأمراء الخلج، وقصدوا ديوكوت ورجع قايماز الرومي من الطريق، واشتبك في معركة مع أمراء الخلج وهزم محمد شيران وأمراء الخلج، وبعد ذلك وقع الخلاف بينهم في مكسيده وسنطوس، واستشهد محمد شيران وقبره في هذا المكان رحمه الله.

السابع: الملك علاء الدين علي مردان الخلجي

كان علي مردان الخلجي في غاية الجلد والشجاعة والبسالة، وحينما تخلص من القيد والوثاق في ناركوتي قدم لخدمة السلطان قطب الدين، وذهب مع السلطان قطب الدين إلى غزنين وأسر في الثغر على أيدي أتراك غزنين، ويروي الثقات: أنه ذات يوم كان في المصطاد مع السلطان تاج الدين يلدوز ومع واحد من أمراء الخلج يدعى سالار ظفر فقال له: ماذا تقول لو أقتل بسهم تاج الدين يلدوز هذا في هذا المصطاد، وأجعلك ملكًا، وكان ظفر الخلجي رجلا عاقلا، فمنعه من هذا. وحينما رجع من هناك أعطاه جوادين ورحل، وحينما رجع إلى الهندوستان التحق بخدمة السلطان قطب الدين، فوجد التشريف والترحيب، والملاطفة، وفوض له ممالك لكهنوتي، فذهب إليها. وحينما عبر نهر كوس استقبله حسام الدين عوض الخلجي في ديوكوت، ودخلها وجلس على كرسي الإمارة، وضبط جميع ممالك لكهنوتي. وحينما توفي السلطان قطب الدين إلى رحمة الله، أمسك علي مردان المظلة، وجعل الخطبة باسمه، ولقب نفسه بالسلطان علاء الدين، وكان رجلا سفاكًا للدماء قتالا، وأرسل الجيوش إلى الأطراف وقتل أكثر أمراء الخلج، وكان راجات الأطراف في خوف دائم منه، وكانوا يرسلون إليه الأموال والخراج وأخذ يبعث بالمناشير والمراسيم إلى أطراف ممالك الهندوستان، وكان يجري على لسانه صلف لا طائل منه، وكان يقول على رءوس الجميع وفي البلاط أحاديث ملوك خراسان وغزنين والغور، وتجري ترهات لا فائدة من ورائها على لسانه، إلى حد أنهم كانوا يلتمسون منه المناشير والمراسيم في غزنين وخراسان والعراق فكان يعطي الأوامر بذلك.

ويروون: إنه كان يوجد تاجر فقير في هذه الولاية، وضاع ماله، فطلب الإحسان من علي مردان، فسأل: من أين هذا الرجل؟ فقالوا: من صفاهان، فأمر أن يحرروا المناشير إلى قطاع صفاهان، ولم يكن لشخص مجال معه من الخوف والجبن بأن يقول إن صفاهان ليست تحت تصرفنا مهما أعطيت من مراسيم في هذا الأمر، ولو كانوا يقولون ليست في تصرفنا كان يجيب سوف نستولي عليها، ثم أمر للتاجر بالمناشير لصفاهان، فهذا المسكين كان يحتاج إلى خرقة ولقمة فعرض الأكابر والعقلاء الذين كانوا هناك لمنفعة هذا الفقير: إن مقطع صفاهان يحتاج لنفقات الطريق، واستعداد الرعية حتى تنضبط هذه المدينة، فأمر لهذا الشخص بكل ما يحتاج من مال وزاد.

كانت حالة التكبر والتفكير والهمة الكاذبة لعلي مردان تصل إلى هذا الحد، يضاف إلى كل هذا كان قتالا وظالما، وكان الضعفاء والرعية والحشم- بسبب تعديه وظلمه وقتله- عاجزين ولم يجدوا فرصة للخلاص منه بأي شكل سوى بالخروج عليه؛ فاتفق جماعة أمراء الخلج وقتلوا علي مردان، وأجلسوا على العرش حسام الدين عوض، وكانت مدة ملك علي مردان عامين أكثر أو أقل والله أعلم.

الثامن: الملك حسام الدين عوض بن حسين الخلجي في ديار لكهنوتي

كان حسام الدين عوض رجلا حسن السيرة وهو من جماعة الخلج بگرمسير الغور، وقد رووا: أنه كان في سفوح جبال الغور، وحينما كان يحمل حملا على حمار إلى مكان من حدود والشتان على مرتفعات تدعى پشته

أفروز، كان يجد في السير فلحق به درويشان يرتديان خرقا بالية، فقالا له: هل لديك طعام فوق الحمار؟ فقال عوض الخلجي نعم لدي عدة أقراص من الخبز مع طعام بسيط، وأنزل الحمل من فوق الحمار وفتح السرة وقدمها للدرويشين.

وحينما أكلا كان لديه ماء فأمسك الوعاء بيديه ووقف لخدمتهما، وحينما فرغ الدرويشان مما حضر من الطعام والشراب، قال كلاهما للآخر: إن هذا الرجل الباسل خدمنا، ولا يجب أن يضيع حقه واتجها إلى الخلجي، وقالا له: اذهب قائدًا إلى الهندوستان، وقد أعطيناك القيادة هناك، حيث إنك مسلم، وبإشارة الدرويشين رجع من هناك وأجلس زوجته على الحمار ثم ذهب إلى الهندوستان والتحق بخدمة محمد بختيار.

ووصل أمره إلى أن الخطبة والسكة كانت في بلاد لكهنوتي باسمه ومنحه السلطان غياث الدين الخطاب، وجعل لكهنوتي دار الملك، وبنى قلعة بسنكوت وقصده الخلائق من جميع الأطراف، وكان رجلا في غاية الطهارة والنقاء في الظاهر والباطن، وكان متميز الأخلاق نظيف السيرة، كان صاحب مروءة عادلا معطاءً، نعم الحشم والرعية في عهده في تلك البلاد بالرفاهية والراحة، وكان للجميع نصيب كامل من بذله وعطاياه، وحصلوا على كثير من النعم وبقيت منه في هذه البلاد آثار خير كثيرة، وبنى المجامع والمساجد، وأعطى أهل الخير من العلماء والمشايخ والسادات إدارات، أما الأصناف الأخرى من الخلق فقد حصلوا على الأموال والأملاك من بذله وعطاياه.

ومثل هذا ما كان يروى عن إمام زاده من حضرة فيروزكوه، وكان يدعى جلال الدين بن جمال الدين الغزنوي، ذهب من وطنه مع أتباعه إلى الهندوستان في شهور سنة ثمان وستمائة، وبعد عدة أعوام رجع مرة أخرى إلى فيروزكوه، وأتى بنعم وأموال وافرة، فسألوه عن سبب حصوله على هذه النعم،

فأجاب: أنه حينما ذهب إلى الهندوستان، ثم صمم على الذهاب من دهلي إلى لكهنوتي، وحينما ذهب إلى هذه الحضرة، يسر له الحق- تبارك وتعالى- وقام بعمل الوعظ في بلاط غياث الدين، فهذا الملك الحسن السيرة أنعم عليه من خزائنه بطشت كبير مملوء بقطع من عملات من الذهب والفضة بقدر عشرة آلاف تنكة.

وقد أمر الملوك والأمراء والأعيان أن كل من يقدم الإنعام والإكرام في حقه يحصل على ثلاثة آلاف أخرى، ووقت العودة حصل على خمسة آلاف أخرى من الإنعامات والإكرامات لدرجة أنه وصل للإمام زاده ثمانية عشر ألف تنكة لحسن اعتقاد ملك لكهنوتي غياث الدين الخلجي في هذا الإمام، رحمه الله وتقبل منه.

وحينما وصل كاتب هذه السطور- منهاج السراج الجوزجاني- في شهور سنة إحدى وأربعين إلى ديار لكهنوتي، شاهد في أطرافها خيرات هذا الملك.

بلاد لكهنوتي جناحان على طرفي نهر الگنج الطرف الغربي يسمونه رال ومدينة لكهنور في هذا الجانب، والطرف الشرقي يسمونه بربند، ومدينة ديوكوت في ذلك الجانب، ومن لكهنوتي حتى بوابة لكهنور، ومن الأطراف الأخرى حتى مدينة ديوكوت يوجد جسر يقدر بعشرة أيام في الطريق؛ لأنه في وقت البشكال؛ أي إن هذه البلاد تغرق كلها بالماء، فإذا لم تكن هذه الجسور فإن الوصول إلى العمار لا يكون إلا بالسفن. وفي عهده كانت جميع هذه الجسور طريقًا لجميع الخلائق. وقد سمعنا أن السلطان السعيد شمس الدين حينما وصل إلى ديار لكهنوتي بعد وفاة الملك ناصر الدين محمود- طاب ثراه- لدفع فتنة الملك اختيار الدين بلكا وقعت خيرات غياث الدين الخلجي تحت نظره المبارك،

ففي كل وقت كان يذكر غياث الدين كان يخاطبه بالسلطان غياث الدين الخلجي، وجرى على لسانه المبارك أن رجلا له مثل هذه الخيرات مخاطبته بالسلطان غياث الدين لا يجب أن تمتنع أو تنكر رحمة الله عليهم.

وفي الجملة فإن غياث الدين الخلجي ملك صاحب فضل وعدل وحسن سيرة، وكانت ممالك لكهنوتي مثل جاجنگر وبلاد بنگ وكامرود وترهت كلها كانت تبعث إليه الأموال، وخلصت له بلاد لكهنوتي، وحصل على فيلة وأموال وقرائن كثيرة وعين أمراءه هناك وأرسل السلطان السعيد شمس الدين من الحضرة في دهلي إلى أطراف لكهنوتي الجيوش عدة مرات.

واستولى على بهار وعين أمراءه هناك، وفي شهور سنة اثنتين وعشرين وستمائة ذهب إلى لكهنوتي، ورفع غياث الدين السفن، وتم بينهما الصلح وأخذ ثمانية وثلاثين فيلا، وثمانين لكا من المال، وجعل الخطبة باسم السلطان. وحينما رجع السلطان أعطى بهار للملك علاء الدين الجاني، وقدم غياث الدين من لكهنوتي إلى بهار وضبط الأمور فيها ضبطًا كاملا.

وفي شهور سنة أربع وعشرين وستمائة جمع الملك الشهيد ناصر الدين محمود بن السلطان السعيد شمس الدين- طاب ثراه- جيش الهندوستان من أوده بإغراء الملك الجاني وذهب إلى لكهنوتي، وفي هذا العام قاد السلطان غياث الدين عوض بن حسين الخلجي من لكهنوتي جيشًا إلى بنگ وكامرود وأخلى مدينة لكهنوتي، فاستولى عليها الملك ناصر الدين محمود- طاب ثراه- وضبطها، ورجع غياث الدين الخلجي من هذا الجيش بسبب هذه الحادثة، وقاتل الملك ناصر الدين وأسر غياث الدين وجميع أمرائه، واستشهد غياث الدين، وكانت مدة ملكه اثني عشر عامًا فليبق الحق تعالى ملك الزمان ناصر الدين والدنيا على العرش. آمين يا رب العالمين.

الطبقة الحادية والعشرون:

في ذكر السلاطين الشمسية بالهند

الحمد لله ذي الفضل والإحسان والكرم والامتنان على أنعُم أهل الإيمان بالأمن والأمان في ظل الدولة الشمسية وجناب آل ألتتمش السلطان، وصلوات الله على محمد صاحب السيف والبرهان، والسلام على آله وأصحابه سادة القبائل وقادة البلدان.

أما بعد، فيقول أضعف عباد الحضرة الربانية منهاج السراج الجوزجاني بلغه الله أعلى الأماني: حينما جعلت الإرادة الأزلية لله تعالى وتقدس آثار العز وأنوار الملك على ناصية عبده. وحينما حملت به والدته ظهرت أنوار هذا المحمول على جبهتها، وحينما حل موعد ولادة هذا الحمل والتف هذا العظيم صاحب الشوكة في قماط مسقط رأسه، ظهر الفرح والبشر على كل وجوه من ينظرون إليه. ومن زمن الولادة حتى أيام النقل من مسكن العادة إلى منزل السعادة، كانت كل حركاته وسكناته سببًا في راحة الخلائق، وعزة الوضيع، فإذا كانت رقبته في ربقة الرق فإن مالكه يكون صاحب نعمة، وإذا أطلق قدمه في طرق قطع المنازل والمراحل، فإن رفاقه يكونون من أهل العز والدولة، مثل سيدنا يوسف- عليه السلام- أتوا به بعقد شراء مالك بن دعر، وبدعائه خرج من صلبه عشرون جوهرة من الدر الثمين، فإذا ذهب إلى منزل العزيز فإنه يصير في النهاية ملكًا لمصر وشهد على طهارة ذيله طفل في المهد، وشهد شاهد من أهلها، وفي النهاية وفي خدمته صار وزيرا له، هكذا تظهر العناية الأزلية والكفاية الأبدية، والله أعلم.

الأول: السلطان المعظم شمس الدنيا والدين

أبو المظفر آلتتمش السلطان

حينما جرى تقدير الحق- تعالى وتقدس في أزل الآزال- أن تكون ممالك الهندوستان في ظل حماية السلطان المعظم والملك الأعظم شمس الدنيا والدين ظل الله في العالمين أبي المظفر آلتتمش السلطان يمين خليفة الله ناصر المؤمنين أنار الله برهانه، وثقل بآثار العدل والإحسان ميزانه، ودولة الملوك من أبنائه، رحم الله الماضين، وأدام الدولة الناصرية المحمودية وحفظها في الأمان من فتن آخر الزمان وحوادث ووقائع الحدثان، هذا السلطان العادل الباذل المانح، المنصف الكريم الغازي المجاهد المرابط الراعي للعلماء، الناشر للعدل، الفريدوني العظمة، القبادي الأصل، الكاوسي الناموس، السكندري الدولة والشوكة، البهرامى[1] الصولة، كان من قبائل البري[2] في تركستان كأنه يوسف أعطوه للتجار فأوصلوه إلى عرش السلطنة ومسند الملك، فقوى ظهر دين محمد بدولته، وصار وجه ملة أحمد بهيا بصولته، وفي البسالة والإقدام كان الثاني لعلي الكرار في الشجاعة، والثاني لحاتم الطائي في الجود والعطاء، ومع أن السلطان الكريم قطب الدين- عليه الرحمة- أظهر المائة ألف في زمانه في العطاء، فإن السلطان السعيد الكريم شمس الدين- طاب ثراه- منح بدل المائة ألف مائة مائة ألف، ووقت الحساب سوف يحسب له هذا في الدنيا والآخرة، وكان إنعامه عامًا في حق أصناف الخلق من لابسي العمامة، إلى لابسي القلنسوة والدهاقين والتجار وغرباء الأمصار.

---

(1) أفريدون، قباد، كاوس، الإسكندر، بهرام كل هؤلاء من الملوك الذين مر ذكرهم. (المترجم).
(2) البري: من الملوك الأفراسيابيين. (المترجم).

وجمع من أول عهد دولته، وطلوع صبح مملكته العلماء المشهورين والسادات الكرام والملوك والأمراء والصدور والكبراء وبذل لهم كل عام ما يزيد عن الألف ألف، كما جمع الخلائق من أطراف الدنيا بحضرة دهلي عاصمة الهندوستان، ومركز دائرة الإسلام، ومهبط أوامر الشريعة ونواهيها، وحوزة الدين المحمدي، ومنصة ملة الأحمدي وقبة إسلام مشارق الدنيا صانها الله عن الآفات، وأحضر لها السعادات، وهذه المدينة لكثرة الإنعامات وشمول الكرامات من هذا الملك التَّقِي النَّقِي المتدين صارت محط رجال الآفاق، وكل من نجا بفضل الله من جبائل يد الحوادث في بلاد العجم ونكبات كفار المغول جعل ملجأه وملاذه ومأمنه في عاصمة هذا الملك، وإلى يومنا هذا فإن قواعد الأمن والأمان ممهدة ومستحكمة فلتظل ولتبق هكذا إلى الأبد إن شاء الله.

سمعنا من ثقات الرواة: أن السلطان شمس الدين- نور الله مرقده- حينما استجلب في صغر سنه- بمشيئة الله- من بلاد التركستان، ومن قبائل البري، وعين لسلطنة ممالك الهندوستان، كان الأمر كما يلي:

كان والده يدعى أيلخان وكان له أتباع وأقرباء وقوم كُثر، وكان لهذا الملك نصيب كامل من الجمال والكياسة وحسن الخلق، وقد حسده إخوته من حسن كياسته.

وبحجة النزهة والتفرج على قطعان الخيول أخرجوه من أحضان والده ووالدته، وكأنه يوسف ﴿ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَـٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ وحينما أتوا به إلى قطعان الخيول

باعوه لتاجر، ويقول البعض: إن البائعين كانوا أبناء عمه وأتى به التاجر إلى بخارى، وباعه لأحد أقرباء حاكم بخارى، وظل فترة في هذا الأسرة الكريمة الطيبة، حيث ربته في كنفها وكأنه أحد أولادها في الرضاع. وحكى أحد الثقات: سمعت من الملك المبارك- نور الله مضجعه- أنه قال: حينما أعطتني الأسرة عملة بسيطة، وقالوا: اذهب إلى السوق واشتر قدرًا بسيطًا من العنب واحضره، وحينما ذهبت إلى السوق، وفي أثناء الطريق فُقدت مني العملة البسيطة بسبب صغر سني، ومن الخوف من هذا الأمر انخرطت في البكاء، وفي أثناء هذا التضرع والدعاء لحق بي درويش، وأخذ يدي واشترى لي العنب، وأعطاه لي وأخذ العهد عليّ، وقال لي: حينما تصل إلى الملك إياك والفقراء والمساكين، انظر إليهم بتعظيم، واحفظ حقوقهم، فعاهدته، وكل ما حصلت عليه من العز والسلطة، وجدته من عطف هذا الدرويش رحمهم الله.

وغالب الظن أن الملك لا يأتي بحسن الاعتقاد والبكاء، وتعظيم العلماء والمشايخ كما يقول المثل: السلطنة لا تأتي في الولادة. وفي هذه الأسرة كان الذي يتصدر لعملية البيع والشراء تاجر يدعى حاجي بخارى، بعد فترة اشترى الصبي منه تاجر آخر يدعى جمال الدين چست قبا، وأتى به إلى الحضرة في غزنين، وفي هذه المدة لم يأتوا إلى حضرة غزنين بتركي في جماله وفي أوصافه الحميدة. وأخلاقه المَرْضية ومخايل رشده وبهاء عظمته، وتحدثوا عنه أمام السلطان معز الدين محمد سام- طاب ثراه؛ فأمر أن يُقيموه، وعين له مع تركي آخر في نفس السلك ويسمى أيبك ألف دينار من الذهب الخالص، فتضايق

جمال الدين چست قبا لبيعه بهذه القيمة، فأمر السلطان: إذن لن يكون لمخلوق قدرة على بيعه وأوقف الأمر.

وأقام جمال الدين چست قبا بعد ذلك في غزنين عامًا، ثم ذهب إلى بخارى وأخذ السلطان[١] إلى بخارى ومرة ثانية أتى به إلى غزنين، وبعد ذلك ظل في بخارى ثلاثة أعوام، ولما لم يكن هناك أمر فلم يشتره أحد، وظل عامًا في غزنين، حتى ذهب السلطان قطب الدين من غزو نهرواله وفتح الگجرات مع الملك نصير الدين حسين إلى غزنين، وسمع عن الغلام. فطلب من حضرة السلطان معز الدين الإذن ليشتريه، فقال السلطان: إن الأمر نافذ بألا يشتروه في غزنين، فيجب أن يأخذوه إلى دهلي ويشتروه هناك، وترك السلطان قطب الدين نظام الدين محمد لإتمام مصالحه في غزنين وأمره أن أحضر معك غلام جمال الدين چست قبا إلى الهندوستان ليشتري الغلام هناك.

وتنفيذًا لهذا الحكم أتى به نظام الدين إلى دهلي، واشتراه السلطان قطب الدين بمائة ألف جيتل[٢]، أما التركي الذي كان يدعى أيبك فقد أسماه طمغاج وصار أمير تبرهنده، وكان في جيش السلطان تاج الدين يلدوز واستشهد مع قطب الدين، وصار السلطان آلتتمش- طاب ثراه- قائدًا، واعتبره السلطان قطب الدين أيبك ابنه، وقرَّبه إليه وكل يوم كان يزيد في شرفه وفي جاهه. وحينما بدت مخايل النجابة والذكاء في حركاته وسكناته وأصبحت ظاهرة وباهرة رفعه

---

(١) لقب الغلام بالسلطان على اعتبار ما سيكون بعد ذلك. (المترجم).
(٢) هي عملة فضية. (المترجم).

من مرتبة إلى مرتبة، بحيث صار أميرًا للصيد، وبعد ذلك حينما فتحت كاليور صار أميرًا لها، وبعد ذلك حصل على إقطاع قصبة برن ومضافاتها.

وبعد ذلك بفترة حينما بدت عليه علامات الجلد والشجاعة والشهامة، وشاهد السلطان قطب الدين هذه المعاني جعله ملكا على بداونش، وحينما رجع السلطان معز الدين سام من سفر خوارزم، هزم في جيش أندخود أمام جيش الخطا، فتمردت قبائل كوكران وبدأت العصيان، فصمم في غزنين على غزو هذه الجماعة، فأخذ السلطان قطب الدين حشم هندوستان بحكم الأمر إلى هناك، وذهب السلطان شمس الدين مع حشم بداون في هذه الخدمة، وفي وقت الحرب والغزو خاض السلطان شمس الدين- طاب ثراه- بجواده مياه نهر جيلم، وكان هؤلاء الجبناء قد لجأوا إليه وحارب بضراوة وبضرب السهام هزم الكفار، وأثمر حربه عن الظفر والنصر المبين وأرسل الكفار من أوج الموج إلى حضيض النار ﴿أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾[1].

وفي أثناء هذا الجلد والجهاد نظر السلطان الغازي معز الدين- عليه الرحمة- إلى خلال الشهامة والبسالة واستطلع أحواله، وحينما استضاء رأيه الملكي عنه من هو فطلبه وشرفه بالتشريف الخاص، وأمر السلطان قطب الدين: أحسن رعاية ألتتمش، فسوف تأتي منه أعمال جيدة، وأمر فكتبوا له خط عتقه، وصار مرموقا في نظر الملوك، فأبلغوه إلى عز عتقه وتحريره، وحينما توفي السلطان قطب الدين في لوهور أرسل على إسماعيل الذي كان أمير العدل

([1]) سورة نوح: آية ٢٥.

في حضرة دهلي مع الأمراء الآخرين والصدور والأعيان مكتوبات إلى بداون لخدمة السلطان شمس الدين واستدعوه، وحينما دخلت شهور سنة سبع وستمائة جلس على عرش دهلي وضبطها، وحينما اجتمع الأتراك والأمراء القطبية من الأطراف في دهلي، واجتمع معهم بعض من الأتراك والأمراء المعزية، وبدأوا طريق المخالفة، خرجوا من دهلي، واجتمعوا حول السور وبدأوا العصيان والخروج، وخرج السلطان شمس الدين مع فرسان قلب الجيش وخدمه الخاص من دهلي إلى الخارج وهزمهم أمام صحراء الجود، وأمر فأحضروا زعماءهم تحت السيوف. وبعد ذلك عقد السلطان تاج الدين يلدوز العهد معه من لوهور وغزنين فأمر له بالمظلة والدورباش[1]، وجرت الخصومة بينه وبين الملك ناصر الدين قباچة عدة مرات في لوهور وتبرهنده وكهرام، وفي شهور سنة أربع عشرة وستمائة هزموا ناصر الدين قباچة، وعدة مرات أخرى وقعت منه المخالفات في أطراف ممالك الهند مع الأمراء والأتراك، ولما كانت العناية الإلهية حامية وناصرة له، فقد انتصر، وكان يقهر كل من يخرج عليه أو يعصي أمره. وساعدته وحفظته غاية الله ونصرته، فقد جاءت في حوزته كل أطراف ممالك حضرة دهلي وبداون وأوده وبنارس وسوالك جميعها، وهُزِمَ السلطان تاج الدين يلدوز أمام جيش خوارزمشاه، فقدم إلى لوهور، وجرت بينه وبين السلطان شمس الدين مضايقات بخصوص الحدود، وحدث اشتباك بينهما في تراين، وفي شهور سنة اثنتي عشرة وستمائة كان الفتح من نصيب السلطان

---

(1) وهي عصا مرصعة كانوا يمسكونها أمام موكب الملوك، ليعلم الناس أن الملك قادم، فيقفون على الجانبين، ويفسحون له الطريق، برهان قاطع، جـ٢، ص ٨٩٥. (المترجم).

شمس الدين، وأسر تاج الدين يلدوز، وبحكم الأوامر أحضروه إلى دهلي، وأرسلوه إلى بداون، حيث توفي ودفن هناك، وبعد ذلك وفي شهور سنة أربع عشرة وستمائة اشتبك مع الملك ناصر الدين قباچــة، ولما وقعت أحداث خراسان بسبب ظهور چنكيزخان المغولي، في شهور سنة تسع عشرة وستمائة هزم جلال الدين خوارزمشاه أمام جيش الكفار وقدم إلى الهندوستان، ووصلت فتنة الخوارزمشاهيين إلى حدود لوهور فقاد السلطان شمس الدين- طاب ثراه- جيشًا من دهلي إلى لوهور، وتوجه جلال الدين خوارزمشاه من أمام حشم الهند، وذهب إلى السند وسيوستان، وبعد ذلك وفي شهور سنة اثنتين وعشرين وستمائة قاد السلطان شمس الدين الغازي- عليه الرحمة- جيشًا إلى بلاد لكهنوتي، وانقاد له غياث الدين عوض الخلجي، وأعطاه ثلاثين فيلا وثمانين لكا[1] من المال. وجعل الخطبة باسم المبارك شمسي، وفي شهور سنة ثلاث وعشــرين وستمائة عزم على فتح رنتــپــور، وهذه القلعة في حصــانتها واستحكامها مذكورة ومشهورة، ويروون في تواريخ أهل الهند: أنه قدم ما يزيد على سبعين ملكًا أسفل هذه القلعة، ولم يتيسر فتح هذا الحصن لأحد. وبعد فترة عدة أشهر وفي شهور سنة ثلاث وعشرين وستمائة فتحت على يد عبيده بفضل الخالق سبحانه وتعالى، وبعد ذلك بعام وفي شهور سنة أربع وعشرين وستمائة عزم على الذهاب إلى قلعة مندور من حدود سوالك، ويسر له الحق- تبارك وتعالى- هذا الفتح ورجع، وغنم عبيده غنائم كثيرة، وبعد ذلك بعام وفي شهور

([1]) لك= مائة ألف. (المترجم).

سنة خمس وعشرين وستمائة قاد جيشًا من حضرة دهلي إلى بلاد أچه والملتان، وقد وصل كاتب هذه السطور- منهاج السراج- في رجب سنة أربع وعشرين وستمائة من بلاد الغور وخراسان إلى بلاد السند وأچه والملتان، وفي غرة ربيع الأول سنة خمس وعشرين وستمائة وصل السلطان السعيد شمس الدين- طاب ثراه- إلى أسفل قلعة أچه، وعسكر الملك ناصر الدين قباچة على أبواب قصبة أهروت وجعل البحر والسفن المملوءة بالذخيرة وما يتبع الجيش في الماء أمام المعسكر، وفي يوم الجمعة وبعد الصلاة وصل الرسل المسرعون وأخبروا: أن الملك ناصر الدين أيتم حاكم قطاع لاهور قدم إلى قاعدة الملتان واتجه السلطان شمس الدين إلى أچه عن طريق تبرهنده، وهُزم الملك ناصر الدين قباچة، فجلس في السفن ومع كل جيشه ذهب إلى بهكر. وأمر وزيره عين الملك حسين أشعري، أن يحمل الخزائن التي في قلعة أچه إلى قلعة بهكر، وأرسل السلطان شمس الدين على مقدمة جيشه الملوك الكبار على رأس الجيش إلى قاعدة أچه، أحدهم الملك عز الدين محمد القائد وكان الأمير الحاجب، والثاني هو كزلك خان سنجر سلطاني الذي كان ملك تبرهنده، وبعد ذلك بأربعة أيام وصل السلطان إلى قاعدة قلعة أچه بالجيش كله والعبيد والفيلة والذخيرة والأتباع ونصب المعسكر، وأرسل وزير دولته نظام الملك محمد جنيدي وملوكًا آخرين في عقب الملك ناصر الدين إلى قلعة بهكر.

واستعرت الحروب مدة ثلاثة أشهر في قاعدة حصن أچه، ويوم الثلاثاء السابع والعشرين من شهر جمادي الآخرة سنة خمس وعشرين وستمائة فتحت

قلعة أچه صلحًا، وفي هذا الشهر أغرق الملك ناصر الدين قباچة نفسه في نهر الـپنجاب من حصن بهكر.

وقبل ذلك بعدة أيام كان قد أرسل ابنه الملك علاء الدين بهرامشاه لخدمة السلطان شمس الدين- طاب ثراه- وبعد عدة أيام التحقت خزائن وبقايا حشم الملك ناصر الدين بخدمة الدرگاه أي خدمة البلاط الأعلى، وفتحت هذه البلاد حتى شاطئ المحيط، والتحق الملك سنان الدين جنيسر الذي كان والي ديول والسند بخدمة الدرگاه الشمسي، وحينما فرغ القلب المبارك لهذا الملك من فتح البلاد، اتجه إلى دار الملك المعظمة بالجلال دهلي، وهذا الكاتب- منهاج السراج- كان في خدمة البلاط الأعلى لذلك الملك وهو أهل الإيمان، ففي اليوم الأول الذي أمر فيه بنصب المعسكر في قاعدة قلعة أچه- حرسها الله- كان منهاج السراج تحت نظره ومقر عطفه المبارك، وحينما انصرف الملك الغازي عن قاعدة تلك القلعة قدم إلى حضرة دهلي- أجلها الله- برفقة حشمه، وفي شهر رمضان سنة خمس وعشرين وستمائة وصل إلى الحضرة العليا دهلي، ووصلت في هذا الوقت رسل دار الخلافة مع التشريفات الوافرة إلى حدود ناگور، ويوم الاثنين الثاني والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ست وعشرين وستمائة وصلوا إلى الحضرة، وانعقدت الاحتفالات وأقيمت الزينات وهذا الملك المعظم والملوك والأبناء - طاب ثراهم- والملوك الآخرون والخدم وجميع العبيد كلهم تشرفوا بخلعة دار الخلافة، وعم الفرح والسرور، وفي شهر جمادى الأولى سنة ست وعشرين وستمائة وصل خبر وفاة الملك السعيد ناصر

الدين محمود، وشق بلكا الخلجي عصا الطاعة في ممالك لكهنوتي، وقاد السلطان شمس الدين- طاب ثراه- جيوش الهندوستان في ممالك لكهنوتي، وفي شهور سنة سبع وعشرين وستمائة قبض على هذا الطاغي، وأعطي عرش لكهنوتي للملك علاء الدين الجاني، وفي رجب في العام نفسه رجع إلى حضرة جلال دهلي، وفي شهور سنة تسع وعشرين وستمائة صمم على فتح حصن كاليور، وحينما نصب خيمته السلطانية في قاعدة كاليور، بدأ ميلكديو بن بسيل اللعين الحرب، وأقام السلطان شمس الدين- طاب ثراه- أحد عشر شهرًا عند قاعدة القلعة. وكاتب هذه السطور توجه من دهلي في شهور شعبان من العام نفسه لخدمة درگاه السلطنة، فوجد التقدير والإعزاز، وكان لهذا الداعي في القصر الأعلى درسًا في الوعظ وعين له في كل أسبوع ثلاث مرات للوعظ، وحينما دخل شهر رمضان كان درس الوعظ كل يوم، وكذلك في العشرة الأوائل من ذي الحجة والعشرة الأوائل من محرم، وفي الشهور الأخرى تظل هذه المرات الثلاث للوعظ فقط، وقد عقد خمسة وتسعين مجلسًا للوعظ في قلب الخيمة السلطانية العليا، وفي العيدين الفطر والأضحى كان جيش الإسلام يؤدي الصلاة في ثلاثة مواضع؛ ففي يوم عيد الأضحى تكون الصلاة أمام قلعة كاليور فإن المدينة في هذه الناحية، وكان داعي الدولة منهاج السراج يقدم خطبة العيد، ويقيم الصلاة، ويَتشرُف بهذا التشريف الجليل وكان هذا في موقع الحصار، حتى كان يوم الثلاثاء السادس والعشرين من شهر صفر سنة ستمائة وثلاثين فتح الحصار وخرج ميلكديو اللعين في الليل من القلعة وهرب، وتم عقاب حوالي سبعمائة شخص على باب الخيمة الملكية، وبعد ذلك أكرم السلطان

الأمراء والأكابر وأعطى الإمارة لمجد الملك ضياء الدين محمد جنيدي، وجعل السپه سالار رشيد الدين- عليه الرحمة- كوتوالا وجعل لمنهاج السراج داعي هذه الدولة القضاء والخطابة والإمامة والحسبة وكل الأمور الشرعية، وأنعم عليه بتشريفات فاخرة وإنعامات وافرة، فليكن الحق تعالى معينًا للروح المطهر والقالب المعطر لهذا الملك الغازي الكريم والعادل والراعي للعلماء.

وفي الثاني من شهر ربيع الأول هذا العام رجع من أسفل القلعة وعلى قدر فرسخ من قاعدة القلعة اتجه إلى المعسكر وصارت نوبة السلطنة في هذا المقام خمسة، وحينما عاد إلى حضرة الملك في شهور سنة إحدى وثلاثين وستمائة قاد جيش الإسلام إلى بلاد مالوه، واستولى على حصن مدينة بهيلسان وخرب المعبد الذي كانوا قد عمروه منذ ثلاثمائة عام، وكان ارتفاعه مائة ذراع وخمسة، ومن هناك ذهب إلى أجين نگري وخرب معبد مهاكال ديو وتمثال بكرماجيت الذي كان للملك أجين نگري ومن عهده حتى هذا الوقت مضى ألف ومائتا عام وتواريخ الهنود تكتب من عهده، وعدة تماثيل أخرى من النحاس المسبوك وأتى بأحجار تمثال مهاكال إلى حضرة دهلي، وفي شهور سنة ثلاث وثلاثين وستمائة قاد جيوش الهند إلى الملتان، وفي هذا السفر تغلب الضعف على ذاته المباركة، فرجع من هناك بسبب التعب والإرهاق النفسي. ويوم الأربعاء وقت الظهر غرة شعبان باختيار المنجمين كان في حضرة دهلي عاصمة الملك الجلالي وكان جالسًا في هودج، وبعد تسعة عشر يومًا حينما اشتد عليه المرض، وفي يوم الاثنين العشرين من شعبان سنة ثلاث وثلاثين

وستمائة رحل من دار الفناء إلى دار البقاء وكانت مدة ملكه سنة وعشرين عامًا أنار الله برهانه.

فليخص الحق- تبارك وتعالى- هذا الملك السعيد الشهيد الغازي العادل المحب للعلماء الناشر للعدل في فراديس جنانه برحمته ورضوانه، وليبق الله- سبحانه وتعالى- ملك الوقت وظل الله سلطان السلاطين ناصر الدنيا والدين علاء الإسلام والمسلمين ظل الله في العالمين أبا المظفر محمود بن السلطان على العرش حتى قيام القيامة... بحق محمد وآله أجمعين.

السلطان المعظم شمس الدنيا والدين أبو المظفر

آلتتمش السلطان ناصر أمير المؤمنين

دار ملكه: حضرة دهلي .

الرايات: الميسرة: رايات حمر

الأعلام : الميمنة: أعلام سود.

دائرة ملكه:

الملك طغان ملك بداون، والملك نصر الدين ميرانشاه بن مير چاوش الخلجي، والملك عز الدين بختيار، والملك نصر الدين ملك بيدار كولان، وألپ ترك ناصر، والملك عز الدين طغرل بهائي، وملك الأمراء سنقر الناصري، والملك ناصر الدين أيتم بهائي، والملك ناصر الدين ماديني ملك الغور، والملك فيروزشاه أيلتمش، وشاهزاده خوارزم، والملك جاني أمير تركستان، والملك قطب

الدين حسن، وملك الغور عز الدين محمد شاه المهدي، والملك عز الدين حمزة عبد الجليل، والملك عز الدين كبير خان، والملك تاج الدين سنجر كزلكخان، والملك دولتشاه الخلجي ملك لكهنوتي، والملك اختيار الدين محمد ابن شقيق ملك الأمراء افتخار الدين أميركوه، والملك عز الدين الناگوري.

دائرة فتوحاته

فتح بداون وهزيمة راجامان، وفتح بنارس (وهزيمة قايماز)، وفتح حصن رنتپهور، وفتح حصن مندور، وفتح ديبل، وفتح بهار، وفتح بهكر، وفتح الملتان، وفتح أچه، وفتح سيوستان، وفتح ديول، وفتح أجين (نگري)، وفتح بيلستان، وفتح كاليور، وفتح حصن تاج الدين وأسره، وفتح لوهور وقمع الأمراء المخالفين، وفتح تبرهنده، وفتح سرستي، وفتح كهرام، وفتح مصاف ناصر الدين قباچة وهزيمته، وفتح لكهنوتي، وفتح ترهت، وفتح قنوج.

الثاني: الملك السعيد ناصر الدين محمود ابن السلطان نور الله مرقده

الملك ناصر الدين محمود هو الابن الأكبر للسلطان شمس الدين- عليه الرحمة- كان ملكًا عاقلا لبيبًا عالمًا في غاية الجلد والشجاعة والبذل والإحسان، وأول إقطاع منحه السلطان له كان منطقة هانسي، وبعد مدة وفي شهور سنة ثلاث وعشرين وستمائة فوض له أوده، ولقد ظهرت لهذا الأمير في هذه الديار آثار كثيرة محمودة وقام بغزوات كثيرة، ولقد ذاع صيته، وانتشر ذكره في جميع أنحاء الهندوستان بالرجولة والشهامة والشجاعة، ولقد أطاح ببرتوه اللعين وبعث به إلى النار وبئس المصير، وهذا الملعون هو الذي استشهد على يديه

وبسيفه ما يزيد على مائةٍ وعشرين ألفًا من المسلمين، كما قام الملك السعيد ناصر الدين بقمع الكفار المتمردين الذين كانوا في أطراف بلاد أوده وجعلهم جماعة مذعنةً للأمر والطاعة، ومن أوده ذهب إلى لكهنوتي، وتقررت له جيوش الهندوستان بفرمان سلطاني، وذهب الملوك المشهورون مثل بولان والملك علاء الدين الجاني جميعهم إلى لكهنوتي في خدمته، وسافر السلطان غياث الدين عوض الخلجي إلى ديار بنگ، وقاد جيشًا من لكهنوتي، وترك المركز خاليًا.

وحينما وصل الملك السعيد ناصر الدين بالجيوش إلى هذه الناحية، سلمت له بسنكوت ومدينة لكهنوتي. وحينما وصل الخبر إلى السلطان غياث الدين عوض الخلجي اتجه من الموضع الذي كان فيه إلى لكهنوتي؛ فرجع إليه الملك ناصر الدين بالجيوش وهزمه، ووقع في يده غياث الدين مع كافة الأمراء والأقرباء وأمراء الخلج والخزائن والفيلة وقتل غياث الدين، وحصل على الخزائن، وهناك أرسل التحف والإنعامات إلى جميع العلماء والسادات والزهاد والأتقياء وأهل الخير في دار الملك دهلي وسائر القصبات.

وحينما وصلت تشريفات دار الخلافة إلى حضرة السلطان شمس الدنيا والدين- طاب ثراه- من هذه الجملة أرسل تشريفًا ثمينًا مع مظلة حمراء إلى لكهنوتي، وتشرف الملك ناصر الدين- عليه الرحمة- بهذه المظلة، وهذه التشريفات والإكرامات، ونظر إليه الجميع من الملوك وأكابر الممالك في الهندوستان بأنه وارث المملكة الشمسية، ولكن لا تأتي التقديرات السماوية كما

يريد الخلق، العبد يدبر والله يقدر، فبعد عام ونصف وجد التعب والضعف طريقًا إلى ذاته العزيزة، وتوفي إلى رحمة الله تعالى، وحينما وصل خبر وفاته إلى حضرة دهلي، اضطرب الخلق جميعًا لوفاته فليجعل الحق- تبارك وتعالى- سلطان الإسلام ناصر الدين محمود وارث اسمه ولقبه ووارث أعمار جميع الملوك والسلاطين.

الثالث: السلطان ركن الدين فيروزشاه

السلطان ركن الدين فيروزشاه كان ملكا كريمًا جميل الطلعة والمحيا ازدان بكمال الحلم والمروءة، وكان الثاني لحاتم في البذل والعطاء، ووالدته هي سيدة العالم شاه تركان، كانت جارية تركية وكانت أعظم الحرم السلطاني، وكان لهذه المملكة صدقات وإحسان وخيرات كثيرة في حق العلماء والسادات والزهاد، وقد حصل السلطان ركن الدين في شهور سنة خمس وعشرين وستمائة على إقطاع بداون ومظلة خضراء، وصار عين الملك حسين الأشعري الذي كان وزير ممالك الملك ناصر الدين قباچة وزير السلطان ركن الدين في هذا الوقت، وحينما رجع السلطان شمس الدين من فتح كاليور وعاد إلى الحضرة، أعطى ممالك لوهور التي كانت عاصمة الملك للسلطان ركن الدين، ولما كان السلطان في آخر الجيش من ناحية بنيان السند وأنهارها فقد رجع، وأحضر ركن الدين معه إلى الحضرة ليقع نظر الخلق عليه؛ لأنه بعد الملك ناصر الدين محمود هو أكبر أبناء السلطان، وحينما رحل السلطان عن عرش الدنيا إلى ملك الآخرة، باتفاق ملوك مملكة السلطان وأكابرها جلس ركن

الدين على العرش، ويوم الثلاثاء الواحد والعشرين من شهر شعبان سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ازدان العرش والتاج بعظمته وبهائه وسر الجميع وابتهجوا بجلوسه، وارتدوا ملابس التشريفات، وحينما رجع الملوك من الحضرة، فتح ركن الدين أبواب الخزائن، وانشغل باللهو والمجون، وأفرط في بذل أموال بيت المال في غير موضع. وكان في غاية الحرص على اللهو والمجون، وأهمل في مصالح وأمور الملك وأموره وأخذت والدته شاه تركان تتصرف في أمور الحل والعقد في الملك، وتعطى الأوامر، ولما كانت قد رأت في حياة شمس الدين الغيرة والحسد من النساء الأخريات؛ لذا أضرت بالحريم وأهلكت البعض منهن بالظلم والتعدي فتغيرت خواطر أهل المملكة من عهدهما.

ومما فعلوه أن ابن السلطان الذي كان يلقب بقطب الدين وكان لائقًا وواعدًا أمروا فسملت عيناه ثم قتلوه، ولهذا السبب ظهرت معارضة الملوك، فالملك غياث الدين محمد شاه ابن السلطان الذي كان يصغر ركن الدين خالف في أوده، وتصرف في خزائن لكهنوتي التي كانوا يأتون بها إلى الحضرة، ونهب وأغار على بعض قصبات الهندوستان، والملك عز الدين سالاري الذي كان على قطاع بداون أظهر العصيان ظهورًا واضحًا، ومن ناحية أخرى كان الملك علاء الدين الجاني الذي كانت له مقاطعة لوهور والملك عز الدين كبير خاني والي الملتان والملك سيف الدين كوچي الذي كان يحكم هانسي اتحدوا جميعًا، وبدأوا طريق المخالفة والتمرد. ولدفعهم خرج السلطان ركن الدين بجيش من الحضرة، وكان وزير المملكة نظام الملك محمد جنيدي خائفًا، فذهب

من كيلوكهري إلى كول، ومن هناك التحق بالملك عز الدين محمد سالاري، وكلاهما التحق بالملك جاني وكوچي، وقاد السلطان ركن الدين جيشًا إلى كهرام، وشايعهم أمراء الترك والمماليك الخاصة الذين كانوا في القلب، وحول منصور پورورتراين استشهد تاج الملك محمود الكاتب ومشرف الممالك، وبهاء الملك حسين أشعري، وكريم الدين زاهد، وضياء الدين ابن نظام الملك الجنيدي، ونظام الدين شرقاني، وخواجه نظام الدين مايكاني، والأمير فخر الدين دبير، وجماعة العاملين التاجيك.

وفي ربيع الأول سنة أربع وثلاثين وستمائة في المدينة بدأت المناوشات بين السلطانة رضية ابنة السلطان الكبرى ووالدة السلطان ركن الدين فرجع ركن الدين مضطرًا إلى دهلي، فصممت والدة ركن الدين أن تقبض على السلطانة رضية، وتقتلها، فخرج الخلق من المدينة، وتحصنت السلطانة رضية في قصر دولت خانة، وقبضت على والدة ركن الدين، وحينما وصل ركن الدين إلى كيلوكهري، ثارت الفتنة في المدينة، وصارت والدته أسيرة فتدفق قلب الجيش من أمراء الترك جميعًا إلى المدينة، والتحقوا بخدمة السلطانة رضية، وبايعوها، وأجلسوها على العرش، وحينما جلست على العرش أرسلت فوجا من عبيد الترك والأمراء إلى كيلوكهري، فقبضوا على السلطان ركن الدين وأتوا به مقيدًا إلى المدينة فحبسته، وتوفي في هذا الحبس، وهذه الحادثة وهذا القيد كان يوم الأحد الثامن عشر من شهر ربيع الأول سنة أربع وثلاثين وستمائة، وكان ملكه ستة أشهر وثمانية وعشرين يومًا.

كان السلطان ركن الدين في العطاء والسخاء حاتم الثاني، ولقد بذل من الأموال والتشريفات الوافرة وكثرة العطايا ما لم يبذله ملك في أي عهد، والسبب في ذلك أنه كان يميل ميلا كاملا للهوى والطرب والمجون، وكان يمعن في مجونه ولهوه إمعانًا كاملا وكانت أكثر عطاياه وإنعاماته لأهل الطرب وأهل اللهو واللعب والمخنثين، ووصل عطاؤه من الذهب إلى حد أنه كان يجلس على ظهر فيل ثملا سكران ويسير وسط المدينة وينثر عملات الذهب الأحمر حتى يضحك الناس ويأخذوا ونصيبهم من الذهب، وكان يحرص على اللعب وركوب الفيلة حرصًا كاملا، وكان لحرس الفيلة نصيب كامل من دولته وإحسانه، وكان في طباعه ومزاجه ألا يؤذي مخلوقا، وهذا المبدأ هو سبب زوال ملكه؛ لأن الملوك ينبغي أن تجمع جميع المعاني فالعدل واجب حتى ترتاح الرعية، الإحسان واجب حتى يشعر الحشم بالراحة، أما اللهو والطرب والمجانسة والمخالطة مع غير المتكافئين والخبثاء فهو موجب لزوال الملك، عفا الله عنهم وعنى (فليبق السلطان ناصر الدنيا والدين في الجاه والملك آمين يا رب العالمين)[1].

الرابع: السلطانة رضية الدنيا والدين بنت السلطان

السلطانة رضية- طاب مرقدها- كانت ملكة عظيمة ومنصفة وعادلة وكريمة مُجلة للعلماء، عادلة وناشرة للعدل ومحبة للرعية، وقائدة للجيوش، كانت تتصف بجميع الأوصاف المميزة المختارة التي يجب أن يتصف بها الملوك، أما

([1]) الجمل التي وضعت بين الأقواس كانت كذلك في متن المؤلف، وبعد الترجمة أبقيناها بين الأقواس كذلك. (المترجم).

بالنسبة للرجال فلم يكن لها من جمال الخلقة نصيب فأي فائدة كانت لها من هذه الصفات المتميزة جميعها رحمها الله.

كانت حاكمة في عهد والدها السلطان السعيد الشهيد شمس الدنيا والدين- طاب ثراهم- وكانت صاحبة عظمة وأبهة بسبب أن والدتها كانت تركان خاتون أكبر حريم السلطان، وكان مقامها في قصر دولت خانة والقصر الفيروزي.

وكان السلطان يرى على وجه السلطانة رضية ملامح العظمة والشهامة والإقدام مع أنها كانت بنتا وفتاة، وبعد أن رجع السلطان من فتح كاليور أعطى أمرا لتاج الملك محمود الكاتب- رحمه الله- الذي كان مشرف المملكة أن يكتب لها ولاية العهد ويجعلها ولي عهد السلطان، ولكن وقت كتابة هذا الفرمان قال عبيد الدولة الذين كانوا ذوي قربى من حضرة السلطان مع وجود أبناء كبار لائقين للسلطان ما الحكمة فى أن تتولى ابنة ملك المسلمين العهد؟ وما وجهة النظر الملكية؟ يجب أن يرفع هذا الإشكال من خاطر الرعية، فهذه المعاني لا تسوغ لهم، فأجاب السلطان: إن أبنائي يشغلهم اللهو والشباب ولا أحد منهم تشغله هموم المملكة، ولن يضبطوا الممالك، وسيكون معلومًا لكم هذا بعد وفاتي، ولن يكون أحد أكثر لياقة للعهد منها؟ وظل الحال ما أمر به ذلك الملك السعيد العالم عليه الرحمة.

وحينما جلست السلطانة رضية على العرش أعادت كل الأعمال إلى أصولها، ولكن وزير المملكة نظام الملك جنيدي لم يوافق.

واجتمع على أبواب مدينة دهلي من الأطراف الملك جاني والملك كوچي والملك كبير خان، والملك عز الدين محمد سالاري، ونظام الملك وبدأوا المخالفة، وطالت هذه المخالفة، وفي هذا الوقت اتجه إلى حضرة دهلي الملك نصرة الدين تايسي الذي كان حاكمًا على أوده، وذلك لمدد السلطانة رضية، وحينما عبر نهر الكنج كان الملوك المخالفون على أبواب دهلي فباغتوه وانتصروا عليه بسهولة وهو متعب.

وتغلبوا عليه وقتلوه، وطال توقف المخالفين على أبواب دهلي، ولما كان جاه السلطانة رضية وإقبالها في تزايد، فقد خرجت السلطانة من المدينة ونصبت سرادقًا في موضع على شاطئ نهر جون، وقام النزاع بين أمراء الترك الذين كانوا مرافقين لركاب السلطانة وبين الملوك المخالفين، ونشب القتال بينهم وفي النهاية تم الصلح بينهم، ولكن بطريقة الحيلة والتدبير ذهب الملك عز الدين محمد سالاري والملك عز الدين كبير خان إياز سرًا إلى السلطانة، وفي الليل اجتمعوا على أبواب الخيمة وقرروا أن يطلبوا الملك جاني والملك كوچي ونظام الدين جنيدي، ويتحفظوا عليهم، ويقيدوهم حتى تسكن الفتنة، وحينما عرف الملوك ذلك ذهبوا مهزومين بعيدًا عن معسكرهم، وتعقبهم فرسان السلطانة، وقبضوا على الملك كوچي وشقيقه فخر الدين وبعد ذلك استشهدوا في الحبس، واستشهد الملك جاني على حدود پايل في موضع نكوان[1] وأتوا برأسه إلى الحضرة، وذهب نظام الدين إلى جبل سرهند بردار وبعد مدة توفي هناك.

---

(1) نكوان: بفتح الأول والثاني قرية صغيرة بجوار پايل، وپايل الان تقع على بعد أربعة وثلاثين ميلا شمال غربي مدينة پتياله في الهند (المترجم).

وحينما انتظم أمر الدولة لرضية أعطت الوزارة لخواجه مهذب، وكان نائبًا لنظام الملك وجعل لقبه نظام الملك أيضًا، وأعطت نيابة الجيش للملك سيف الدين أيبك بهتو، وكان لقبه قتلغ خان، وأعطوا الملك كبير خان إقطاع لوهور، وهدأت المملكة، وظهرت الراحة والبسطة على الدولة ومن ممالك لكهنوتي حتى ديول انقاد جميع الملوك والأمراء، وفجأة توفي الملك أيبك بهتو فأعطوا النيابة للملك قطب الدين حسن الغوري، وعينوا له قلعة رنتبهور؛ لأن الهنود بعد وفاة السلطان السعيد حاصروا تلك القلعة فقاد الملك قطب الدين جيشًا إلى هذه القلعة، وأخرج أمراء الإسلام من القلعة وخربها، ورجع إلى الحضرة، وفي هذا الوقت صار الملك اختيار الدين أيتگين هو الأمير الحاجب، ووجد جمال الدين ياقوت الذي كان أمير الأعلاف الحظوة والتقرب لدى السلطانة، لدرجة أن جميع ملوك الترك تملكتهم الغيرة من هذا التقرب، وتصادف أن خرجت السلطانة رضية دون حجاب السيدات وارتدت قباء ووضعت قبعة على رأسها وظهرت بين الخَلق ورأوها هكذا حاسرة وهي تركب فوق الفيل، وفي هذا الوقت بعثت بالجيوش إلى كاليور وأرسلت لهم إنعامات وافرة، ولما لم يكن هناك مجال للمقاومة فإن داعي الدولة القاهرة- منهاج السراج- كان في موافقة مجد الأمراء ضياء الدين جنيدي أمير العدل في كاليور مع آخرين من الأعيان والمعارف، وفي غرة شعبان سنة خمس وثلاثين وستمائة خرج من قلعة المحروسة كاليور ووصل إلى حضرة دهلي في شهر شعبان من العام نفسه، وفوضت السلطانة رضية- عليها الرحمة- أعمال المدرسة الناصرية في الحضرة مع القضاء في كاليور لهذا الداعي تقبل الله منها.

وفي شهور سنة سبع وثلاثين وستمائة بدأ الملك عز الدين كبير خان الذي كانت له مقاطعة لوهور العداء والمخالفة، وقادت السلطانة رضية جيشًا من دهلي إلى هذا المكان وأعقبها الأمراء، وتم الصلح والخدمة في النهاية، وفوضت مقاطعة الملتان التي كانت مع الملك قراقش إلى الملك عز الدين كبير خان، ورجعت السلطانة رضية إلى الحضرة يوم الخميس التاسع عشر من شهر رمضان سنة سبع وثلاثين وستمائة، وبدأ الملك ألتونية الذي كان معه قطاع تبرهنده في المخالفة واتحد معه في السر بعض أمراء الحضرة.

ويوم الأربعاء التاسع من رمضان العام نفسه اتجهت السلطانة رضية إلى تبرهنده من الحضرة بقلب الجيش لدفع فتنة ألتونية، وحينما وصلت إلى هذا المكان خرج أمراء الترك وقتلوا الأمير جمال الدين ياقوت الحبشي، وقبضوا على السلطانة رضية وقيدوها وأرسلوها إلى قلعة تبرهنده، وبالنسبة للأحداث التي وقعت في أوائل عهد السلطانة رضية كانت هذه أكبرها: فإن قرامطة الهندوستان وملاحدتهم بإغراء شخص من أدعياء العلم يدعى نور ترك اجتمع له الناس من جميع أطراف ممالك الهندوستان مثل الگجرات وولاية السند وأطراف دهلي دار الملك وسواحل جون والگنج، واجتمعوا جميعًا في دهلي وبايعوه جميعًا في السر.

وبإغراء نور الترك هذا هاجموا الإسلام، وكان يعظهم، واجتمع حوله أوباش الخلق، وكان يقول عن أهل السنة والجماعة: إنهم الصابئة[1] والمرجئة، وكان يحرض الخلق والعوام على عداوة طوائف علماء مذهبي أبي حنيفة والشافعي، وضربوا موعدًا وخرجت جموع طوائف الملاحدة والقرامطة يوم الجمعة السادس من شهر رجب سنة أربع وثلاثين وستمائة، خرجوا في فوج يقدر بألف رجل مدججين بالأسلحة والسيوف والدروع والسهام، زاحفين إلى المسجد الجامع في دهلي، الفوج الأول: دخل من ناحية قلعة نَوْمن باب المسجد الجامع من الناحية الشمالية، والفوج الثاني دخل من وسط سوق البزازين من باب المدرسة المعزية ظانين أن هذا هو المسجد الجامع، ومن الناحيتين أعملوا القتل بالسيوف في المسلمين.

واستشهد خلق كثير بعضهم بسيوف الملاحدة والبعض الآخر تحت أقدام الناس، وحينما أعلن النفير بين الخلق بسبب هذه الفتنة، نهض مبارزو الحضرة مثل نصير الدين أيتمر البلارامي رحمه الله، والأمير ناصري الشاعر[2] ورجال آخرون مدججون بالسلاح صعدوا منارة المسجد الجامع بالجواشن والدروع والخوذات والحراب والتروس ودخلوا منظمين، وأعملوا السيوف في الملاحدة أما المسلمون الذين كانوا فوق سطح الجامع فقد ضربوا الملاحدة بالحجارة

---

(1) وردت في النص الفارسي ناصبي بدلا من صابي، ولكن فيما يبدو أن هذا خطأ الناسخ. (المترجم).

(2) ناصري الشاعر من أسرة أبي سعيد بن أبي الخير من مهنة بخراسان، ولقد ذهب من خراسان إلى دهلي والتحق ببلاط ألتتمش، وكان ينظم القصائد المدحية وينال عليها مكافأة كبيرة (المترجم).

والطوب، وأرسلوا جميع الملاحدة والقرامطة إلى النار وبئس المصير، وانتهت هذه الفتنة والحمد الله على نعمة الإسلام وعزة الإيمان.

ولما كانت رضية محبوسة في تبرهنده المحروسة؛ فقد عقد عليها الملك ألتونية، وتزوجها، وجرد جيشًا إلى دهلي، لتضبط المملكة مرة أخرى، وتخلف الملك عز الدين محمد سالاري والملك قراقش عن الحضرة وذهبوا إليهم وجلس السلطان معز الدين على العرش واستشهد اختيار الدين أيتكين- الأمير الحاجب- وصار بدر الدين سنقر الرومي الأمير الحاجب، وفي شهر ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين وستمائة خرج معز الدين بجيش من دهلي لدفعهم وصدهم، وانهزمت السلطانة رضية وألتونية، وحينما وصلوا إلى كيتل تخلف عنهم جميع الجيش الذي كان معهم، وقبض على السلطانة رضية وألتونية بأيدي الهنود وقتلوهما وكانت هزيمتهما في الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول، وكان استشهاد السلطانة رضية يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين وستمائة، وكانت مدة ملكها ثلاثة أعوام وستة أيام. فليبق الحق تعالى مليكنا حتى قيام القيامة.

الخامس: السلطان معز الدنيا والدين

بهرامشاه ابن السلطان

السلطان معز الدين بهرامشاه- عليه الرحمة- كان ملكًا قاهرا شجاعًا صاحب جرأة وتهور سفاكا للدماء، ولكن كان لديه بعض الأخلاق المتميزة والأوصاف الحميدة، وكان في ذاته خجولا غير متكلف، ولم يكن لديه مطلقا ما يرغب فيه ملوك الدنيا من الحلي والحلل، وكان راغبا عن هذه الزينات في

المِنطَقة والعُدَّة والعَتاد والعَلَم. حينما حبسوا السلطانة رضية في قلعة تبرهنده المحروسة أرسل الأمراء والملوك جميعًا المكتوبات إلى حضرة دهلي، وأجلسوا السلطان معز الدين يوم الأحد السابع والعشرين من شهر رمضان سنة سبع وثلاثين وستمائة على عرش السلطنة، وحينما رجع بقية الملوك والأمراء وسائر الحشم إلى المدينة بايعوه بيعة عامة بقصر دولت خانه يوم الأحد الخامس عشر من شهر شوال من العام نفسه بشرط أن تكون النيابة لاختيار الدين أيتكين. وفي هذا اليوم قدم كاتب هذه السطور بعد البيعة هذه القطعة على وجه التهنئة، وهي في ذكر الفضل والدعاء[1]:

ما أجمل أن يكون لك قصر من ألواح الأمجاد السلطانية،

وانظر فإن في راية الملك علامات الحكم.

أنت معز الدين والدنيا ومغيث الخلق بالحق،

وكأنك سليمان ولك حكم الإنس والجان

مع أن حكم الهند إرث للسلالة الشمسية،

فالحمد لله أنك من الأبناء الثاني للشمس.

---

(1) زهي درشان تو منزل زلوح آيات سلطانى ببين در رايت شاهى، علامات جهانبانى
معز الدين والدنيا مغيث الخلق بالحقى سليمان سلتت در فرمانست هم انسي وهم جانى
اگر سلطانى هنداست، ارث دوده شمسى بحمد الله زفرزندان توني الشمس رانانى
چون نيدنت همه عالم كه برحق وارث ملكي درت راقبله گه كردند هم قاصي وهم دانى
چو منهاج سراج اينست خلقان رادعاي تو كه يارب برسرير ملك دولت جاودان مانى
بعهدت راست چون نيزه چنان گردد همه عالم كه جز بر طره پرچم نه نبيند كس پريشانى.

حينما رآك العالم أنك بحق وارث الملك،

جعلوا بابك هو القبلة للقاصي والداني،

وهؤلاء هم الخلق يدعون لك مثل منهاج السراج أبقاك الله وأدامك على سرير الملك والدولة.

ففي عهدك صار العالم بأسره مستقيمًا مثل الحربة، ولن يرى إنسان شخصا مُكدرا أو مسكينًا وهو تحت رايتك.

وحينما صار اختيار الدين أيتكين نائبًا، ضبط جميع أموال المملكة وكان الحل والعقد في الممالك بموافقة الوزير نظام الملك محمد عوض المستوفي، وحينما مضت مدة شهر أو شهرين، عظمت هذه الأمور في الظاهر أمر السلطان معز الدين، وكانت شقيقة السلطان زوجة ابن القاضي نصير الدين، وطلقت فتزوجها اختيار الدين وأقام نوبات للحراسة على قصره وكان يربط الفيل على بابه.

وكان لدى السلطان رونق للأمور، ونفوذ لدى الأمراء، حتى المحرم سنة ثمان وثلاثين وستمائة، فجأة ويوم الأحد الثامن من محرم وفي القصر الأبيض كان هناك درس ديني وبعد الدرس أرسل السلطان معز الدين شخصين ثملين من الترك وبشكل متهور صعد فوق القصر وأتيا أمام صفة الاستقبال في القصر الأبيض وقتلا اختيار الدين أيتگين بضربة سكين، وطعنا كذلك الوزير نظام الملك مهذب الدين في خاصرته بالسكين، ولكن لما لم يحن أجله فقد فر

أمامهم، وصار الملك بدر الدين سنقر هو الأمير الحاجب، وانضبطت أمور المملكة، وحينما قررت السلطانة رضية وألتونية أن يذهبا من تبرهنده إلى دهلي، ولم يتم هذا التفكير وانهزمت وقتلت السلطانة رضية وألتونية بيد الهنود وقد سبق ذكر ذلك، صار أمر بدر الدين سنقر يسير في سهولة ويسر كاملين وبسبب نفاذ أوامره وضبط مصالح الملك كل هذا كان يتم دون إذن السلطان العالي، وكان يبحث عن التفوق على الوزير نظام الملك مهذب الدين، وكان يصدر الأوامر فغير الوزير مزاج السلطان على بدر الدين سنقر، فتبدل معه تمامًا، وأدرك بدر الدين سنقر هذا المعنى وخاف من السلطان وأراد أن يدفعه عنه ويجلس أحد أشقاء السلطان على العرش، ويوم الأحد السابع عشر من صفر سنة تسع وثلاثين وستمائة، وفي قصر صدر الملك تاج الدين علي موسوي الذي كان مشرفا على الممالك، جمع الملك بدر الدين سنقر جماعة الصدور وأكابر الحضرة مثل قاضي الممالك جلال الدين الكاشاني والقاضي كبير الدين، والشيخ محمد الشامي وغيرهم من الأمراء، وحينما اجتمعوا دبروا في أمر انقلاب الملك، وأرسلوا صدر الملك إلى الوزير نظام الملك مهذب الدين ليحضر وبالاتفاق معه يبلغوا الأمر كله إلى النهاية.

وكان أحد المقربين والمعتمدين من السلطان عند الوزير حينما قدم صدر الملك إلى وثاق الوزير، وحينما سمع الوزير حديث مجيء صدر الملك أخفى معتمد السلطان في موضع بحيث يسمع الحديث، ودخل صدر الملك وأعاد

لمهذب الوزير حديث تغيير السلطنة وسبب الاستدعاء فأجاب خواجه مهذب: يجب أن تعود وسوف أجدد وضوئي، وفي أعقابك سوف أسرع لخدمة الأكابر.

وحينما رجع صدر الملك، أخرج الوزير معتمد السلطان، وقال: لقد سمعت ما قاله صدر الملك فأسرع واعرض الأمر على السلطان، والصواب أن يركب السلطان ويأتي على رأس هذا الجمع حتى يتفرقوا، وحينما ذهب المعتمد لخدمة السلطان وعرض عليه الأمر، ركب السلطان في الحال وشتت هذا الجمع، ولحق بدر الدين سنقر بحضرة السلطان ورجع السلطان، وأعطى الإذن بالمثول في البلاط وأمر بدر الدين سنقر في الحال أن يذهب إلى بداون وأن تكون له هذه المقاطعة، وعزل القاضي جلال الدين كاشاني من القضاء وخاف القاضي كبير الدين، والشيخ محمد الشامي وخرجوا من المدينة وبعد ذلك بمدة أربعة أشهر عاد بدر الدين سنقر إلى الحضرة، ولما كان مزاج السلطان قد تغير بالنسبة له لذلك أمر بحبسه وكذلك حبس تاج الدين موسوي ثم قتلهما، وكانت هذه الحادثة سببًا في تغيير أحوال الأمراء؛ إذ صار الجميع خائفين من السلطان، ولم يثق أحد كثيرًا فيه، فالوزير انتقامًا لما لحق به كان يريد أن يخرج جميع الأمراء والملوك والأتراك مع السلطان وأخافوا السلطان من الأمراء والأتراك وأخافوا الأمراء والأتراك من السلطان، وفي النهاية سرى هذا المعنى وانتشر وكان سببًا في عزل السلطان وخروج الخلق، ومن الحوادث التي وقعت في عهد معز الدين واقعة مدينة لوهور، فقد قدم جيش كفار المغول من أطراف خراسان وغزنين إلى حدود مدينة لوهور وحاربوا مدة، وكان إقطاع لوهور مع الملك قراقش وكان هو بذاته مبارزا وجلدًا وشجاعًا قوي القلب، وما كان يوافقه لا يصادف هوى في أهل لوهور فقصروا في الحراسة ليلا وكذلك

في الحرب، وحينما عرف الملك قراقش تقاعصهم واتضحت له الأمور، ركب ليلا وخرج من المدينة مع حشمه وسار في الطريق إلى حضرة دهلي، فتعقبه الكفار، ولكن الحق تعالى حفظه، وخرج سالمًا من هناك، ولم يبق في لوهور حاكمًا، ويوم الاثنين السادس عشر من جمادى الآخرة، سنة تسع وثلاثين وستمائة، تغلب الكفار على مدينة لوهور، وقتلوا المسلمين، وأسروا أتباعهم، وحينما وصل هذا الخبر المهول إلى حضرة دهلي، جمع السلطان معز الدين أهل المدينة في القصر الأبيض، وأمر الداعي كاتب هذه السطور فوعظ الناس وأمرهم بالبيعة للسلطان، وكان هناك درويش تركماني يدعى أيوب، وكان زاهدا يلتحف بالكليم وجلس مدة معتكفًا في قصر حوض السلطان[1]، ومن هناك جعلوه يتقرب لخدمة السلطان معز الدين فجعل السلطان طوع إرادته، وبدأ هذا الدرويش يتدخل في شئون الملك، وقبل ذلك كان في قصبة مهر پوره وقضى على القاضي شمس الدين مهر، وفي هذا الوقت صار كلامه معتبرا لدى السلطان فرموا القاضي شمس الدين مهر تحت أقدام الفيلة، وحينما ظهرت هذه الحادثة خاف الناس من السلطان خوفا شديدًا، والسلطان بسبب دفع المغول الذين كانوا على أبواب مدينة لوهور عين الملك قطب الدين حسين مع الوزير والأمراء والملوك والجيوش في هذه الناحية حتى يحافظوا على الحدود، وفي هذا الوقت فوض السلطان معز الدين- عليه الرحمة- قضاء الحضرة وكل

---

[1] كانوا يطلقون على هذا القصر الحوض الشمسي، وقد بناه ألتتمش وكان به حوض كبير يحمل الناس الماء منه، وقد ذكره أمير خسرو باسم قصر الحوض، وذكر أنه كان يوجد هناك مسجد وخانقاه وقد ذكره ابن بطوطة باسم قصر حوض السلطان ألتتمش. ارجع إلى طبقات ناصري حواشي حبيبي، جـ١، ص ٤٦٦. (المترجم).

الممالك لهذا الداعي[1] مع التشريف والعواطف الجياشة، وكان ذلك يوم السبت العاشر من جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وستمائة وبعد ذلك عين الجيوش، وحينما اجتمعت الجيوش على شاطئ نهر بياه للانتقام من السلطان وكان الخواجه مهذب الدين نظام الملك يريد الانتقام من السلطان حتى يخرجه بطريقة من العرش، فكتب من المعسكر للسلطان عريضة سرا يقول فيها: إن هؤلاء الأمراء والأتراك لن ينقادوا أبدا، والصواب هو أن يكون هناك مرسوم نافذ من الحضرة حتى أستطيع أنا وقطب الدين حسين أن نهلك جميع الأمراء والأتراك بأي طريقة حتى نتغلب على الأمر ويصفو الملك، وحينما وصلت هذه العريضة لخدمة السلطان فكر في هذا الأمر على عجل وطفولة، ولم يتدبر، وأمر أن يكتبوا مرسومًا على هذا النحو ويرسلوه، وحينما وصل هذا المرسوم إلى المعسكر كان المرسوم نفسه لدى الأمراء والأتراك بأن الملك يكتب في حقكم مرسومًا فتحولوا جميعًا عن السلطان، وبإشارة خواجه مهذب اتفقوا على إخراج السلطان وعزله، وحينما وصل خبر مخالفة هؤلاء الأمراء والجيش إلى الحضرة. كان شيخ الإسلام في الحضرة هو سيد قطب الدين، فأرسل السلطان إلى الملوك والجيش لتسكين الفتنة فذهب هناك وبالغ في إثارة هذه الفتنة ورجع، وأتى الجيش في عقبه إلى أبواب المدينة واستعرت الحرب.

وبذل داعي الدولة- منهاج السراج- والأئمة الكبار في المدينة كثيرًا من الجد والجهد لإصلاح وتسكين تلك الفتنة، ولكنها لم تهدأ بأي وجه، وكان مجيء الجيش على أبواب دهلي يوم السبت التاسع عشر من شهر شعبان سنة تسع وثلاثين

([1]) يقصد منهاج السراج. (المترجم).

وستمائة، واستمرت هذه الحرب حتى شهر ذي القعدة ودام الحصار، وقتل خلق كثير من الطرفين، وتخربت أطراف المدينة كلها، والسبب في طول هذه الفتنة أن كبير الحجاب[1] كان مقربًا لدى السلطان، وسيطر عليه تمامًا، وكان السلطان يفعل كل ما يقوله، وكان هذا الحاجب لا يرضى بالصلح مطلقا، ويوم الجمعة السابع من ذي القعدة أعطى المقربون من خواجة مهذب جماعة من السفهاء ثلاثة آلاف جيتل وأغرى البعض من أبناء جنس الداعي[2] عفا الله عنهم، فخرجوا من المسجد بعد الصلاة شاهرين سيوفهم على الداعي الذي كان معه عدد من الغلمان مدججين بالسلاح، وتمكن من الخروج من بين الغوغاء بالتدبير والحيلة، وفي الليل بدأ الأمراء والأتراك حصار المدينة، وفي الأحد التالي الثامن من شهر ذي القعدة سنة تسع وثلاثين وستمائة استطاعوا أن يحكموا ضبط المدينة، وقيدوا السلطان ومباركشاه كبير الحجاب الذي اجتهد في تهييج الفتنة ومثلوا بهما وقتلوهما، وفي ليلة السبت الثالث عشر من الشهر المذكور استشهد السلطان معز الدين بهرامشاه- طيب الله ثراه- ومدة ملكه عامان وشهر ونصف، والله الباقي.

السادس: السلطان علاء الدين مسعود شاه بن فيروزشاه

السلطان علاء الدين مسعود شاه ابن ركن الدين فيروزشاه كان أميرًا كريمًا حسن الخلق، وكان يتصف بجميع الأوصاف الحميدة، ويوم الأحد الثامن من ذي القعدة سنة تسع وثلاثين وستمائة حينما خرجت مدينة دهلي من يد معز

---

[1] كان يدعي فخر الدين مباركشاه فرخي (المترجم).

[2] منهاج السراج الجوزجاني. (المترجم).

الدين، وأخرج الملوك والأمراء بالاتفاق ثلاثة من الأمراء من الحبس وهم: السلطان ناصر الدين، والملك جلال الدين، والسلطان علاء الدين وأخذوهم من القصر الأبيض إلى قصر الفيروز في دولت خانه، واتفقوا على أن يتولى علاء الدين السلطنة بعد أن كان الملك عز الدين بَلبَن جلس على العرش في دولت خانه وخارج القصر نادى المنادي باسم مُلكِه وطاف حول المدينة.

ولكن لم يتم الاتفاق على هذا الأمر، وأجلسوا السلطان علاء الدين وبايعه الناس بيعة عامة، وصار الملك قطب الدين حسن الغوري نائب الملك، أما نظام الملك مهذب فقد صار الوزير، وصار الملك قراقش الأمير الحاجب، وفوضت بلاد ناگور ومندور وأجمير للملك عز الدين بلبن، وأعطوا خطة بداون للملك تاج الدين سنجر قتلق شاه، وطلب كاتب هذه السطور منهاج السراج في اليوم الرابع من فتح دهلي الاستعفاء من القضاء وظل القضاء مهملا ستة وعشرين يومًا، وفي الرابع من ذي الحجة حول القضاء إلى القاضي عماد الدين محمد شفورقاني[1].

واستولى نظام الملك على المملكة استيلاءً كاملا، أخذ منطقة كول إقطاعًا، وقبل ذلك أقام الفيل والنوبة على باب قصره، وأخرج جميع الأعمال من أيدي أمراء الترك، وتغيرت نفوس أمراء الترك منه تغيرًا كاملا، وقتله الأمراء جميعا متفقين في المعسكر أمام المدينة في صحراء حوض راني يوم

([1]) ينسب إلى مدينة شبرغان في أفغانستان وتقع على بعد ٩٠ ميلا غرب بلخ وتكتب أحيانا شبرغان وشبورغان ومعربها شفورقان وأصلها شاپورگان، وقد سبق التعريف بها. (المترجم).

الأربعاء الثاني من جمادى الأولى سنة أربعين وستمائة، وصمم كاتب هذه السطور على السفر إلى لكهنوتي في ذلك الوقت.

ويوم الجمعة التاسع من شهر رجب سنة أربعين وستمائة انتقل من دهلي، وأظهر تاج الدين قتلق في خطة بداون، وقمر الدين قيران في أوده ألطافًا وافرة بالنسبة له فليشملهما الحق تعالى بغفرانه، وفي هذا الوقت قدم طغان خان عز الدين طغرل ملك لكهنوتي بالجيوش والسفن إلى حدود كره، ولحق به كاتب هذه السطور من أوده وذهب معه إلى لكهنوتي، ويوم الأحد السابع من شهر ذي الحجة سنة أربعين وستمائة وصل إلى خطة لكهنوتي وترك الأبناء والأتباع جميعًا في أوده، وبعد ذلك أرسل المعتمدين من لكهنوتي ونقل الأتباع، وأظهر طغان خان بالنسبة للداعي ألطافًا وافرة وإنعامات لا تحصى، تقبل الله منه، وقد أقام كاتب هذه السطور مدة عامين في هذه الديار وفي هذين العامين كان للسلطان علاء الدين في أطراف الممالك فتوح كثيرة وأسند الوزارة بعد استشهاد الخواجه المعظم مهذب إلى صدر الملك نجم الدين أبى بكر، وأسند منصب أمير حاجب دار الملك إلى ألغ خان المعظم خلدت دولته، وعين له إقطاع هانسي، وفي هذا الوقت قام السلطان علاء الدين بغزوات كثيرة حسبما تقتضي السنة، ووصلت إليه أموال كثيرة من كل طرف.

وحينما رجع عز الدين طغا خان من كره إلى لكهنوتي، أرسل شرف الدين الأشعري إلى الحضرة لخدمة السلطان علاء الدين، وعين حضرة القاضي جلال الدين كاساني في لكهنوتي بالإجلال والتشريف والتقدير مع المظلة الحمراء وكان قاضي أوده.

ويوم الأحد الحادي عشر من شهر ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين وستمائة وصلت جماعة الرسل إلى لكهنوتي، وتشرف الملك طغان خان بهذا التشريف وفي هذا الوقت من المصادفات الجميلة التي كانت تليق بدولة علاء الدين هي: بالاتفاق مع ملوك وأمراء الحضرة أمر أن يطلق سراج عميه، وأطلقهما يوم عيد الأضحى وأعطى جلال الدين خطة قنوج، والسلطان ناصر الدين خطة بهرايج ومضافاتها، وكلاهما قام بغزوات في هذه البلاد، ولهما آثار محمودة في التعمير بالنسبة للرعية، وفي شهور سنة اثنتين وأربعين وستمائة قدم كفار جاجنگر[1] إلى أبواب لكهنوتي، وفي غرة ذي القعدة وصل تمرخان قيران بالحشم والأمراء إلى لكهنوتي بأمر السلطان علاء الدين وبدت جفوة بينه وبين طغان خان. ويوم الأربعاء السادس من شهر ذي القعدة تم الصلح بينهما في هذا العام، وسُلمت لكهنوتي للملك قيران، وصمم طغان خان على السفر إلى دهلي وكان وصول هذا الداعي للحضرة في مرافقته يوم الأحد الرابع عشر من شهر صفر سنة ثلاث وأربعين وستمائة وتيسرت له الخدمة في البلاط الأعلى.

ويوم الخميس السابع عشر من شهر صفر وبرعاية ألغ خان معظم خان تولى الداعي المدرسة الناصرية مع أوقافها، وكذلك قضاء كاليور ودروس المسجد الجامع كل هذا كما كان في السابق أسند للداعي، كما تشرف بالجواد المزين بالسرج واللجام، ولم يتسن مطلقًا لواحد من أبناء جنسه مثل هذا التشريف تقبل الله منهم.

---

(1) ذكر الأستاذ حبيبي في حاشيته أن بعض المحققين ظنوا أن جاجنگر ربما تكون چنگيز، ولكن چنگيزخان لم يذهب من الملتان ولاهور إلى ناحية المشرق، ولم يصل إلى بلاد البنغال. حواشي طبقات ناصري، جـ١، ص ٤٧٠. (المترجم).

وفي شهر رجب وصلت من الجهات العليا الأخبار عن جيش كفار المغول، وأنهم جاءوا إلى أچه وكان قائد هؤلاء الجماعة منكوتة[1] اللعين .

وجمع السلطان علاء الدين جيوش الإسلام من جميع الأنحاء بقصد صد الكفار. وحينما وصل إلى شاطئ نهر بياه فر الكفار من أسفل أچه وتم الفتح للمسلمين، وكان كاتب هذه السطور في خدمة البلاط، وفي هذا السفر اتفق جميع العلماء وأهل البصيرة: لم يشر أحد مطلقًا إلى تكوين مثل هذا الجيش، واجتماع مثل هذا الجمع في الأعوام السابقة، وحينما وصل خبر كثرة جيش الإسلام واستعدادهم لجيش الكفار ولوا مهزومين إلى أطراف خراسان، وفي هذا الجيش تسللت جماعة من الحقراء خفية لخدمة السلطان علاء الدين وحرضته على الإتيان بحركات وسكنات غير محمودة مثل القتل وأخذ الملوك، وكان مصممًا أن يتحول عن جميع طبائعه المحمودة من السنن والخلال الجميلة. وأخذ يميل بإفراط إلى الطرب واللهو والمجون والصيد إلى حد أن تسرب الفساد إلى الملك، وأهملت مصالح المملكة، فاتفق الملوك والأمراء وأرسلوا سرا مكتوبات لخدمة السلطان ناصر الدين- خلد الله ملكه وسلطانه- والتمسوا وصول ركابه المبارك فيما سنذكره بعد ذلك إن شاء الله تعالى.

ويوم الأحد الثالث والعشرين من شهر المحرم سنة أربع وأربعين وستمائة حبسوا السلطان علاء الدين، وتوفي في هذا الحبس إلى رحمة الله تعالى، وكانت مدة ملكه أربعة أعوام وشهرًا ويومًا فليحفظ الله تعالى مليكنا على عرش الملك أعوامًا كثيرة وليبق ملكه ويديمه آمين.

---

(1) منكوتة أحد القادة المعروفين في بلاط چنگيزخان. (المترجم).

السابع: السلطان المعظم ناصر الدنيا والدين أبو المظفر محمـــود بن السلطــــان

السلطان المعظم ناصر الدنيا والدين محمود بن السلطان قيم أمير المؤمنين، كانت ولادته بعد ذهاب ناصر الدنيا والدين- طاب ثراه- إلى دار الخلافة[1]، والسلطان السعيد شمس الدنيا والدين - نور الله مرقده، وأبقى الله هذا الملك في السلطنة- اختصه بالاسم واللقب فقد كان الابن الأكبر له، وأرسلته والدته إلى قصر قصبة لوني[2] لينشأ هناك في حجر الدولة وأبهة السلطنة. وبحمد الله هكذا رَعَتْهُ يد الفضل للخالق: فجاء موصوفًا بكل الأوصاف الحميدة، ووجد من ثدي العناية لبن الرعاية، وكان في كل الأحوال والأفعال موجبًا لبقاء المملكة وبهاء السلطنة، فكل معنى كان مكشوفًا للسلاطين المشهورين في كبر السن وبالتجارب وحوادث الأيام جملة هذه المعاني، بل أضعافها كانت في العنصر المبارك والعرض الميمون لهذا الملك الزاهر البخت، الكيواني[3] التخت[4]، المشتري[5] البهجة، المريخي الهيبة، الخورشيدي[6] الطلعة، الزهري[7] الإصباح، العطاردي الفطنة، القمري المهابة، في أول الشباب وصبح الحياة تكونت فيه صفات ظاهرة ومضمرة فهو في السكون والوقار والثبات بوقبيس

---

(1) كانت ولادة السلطان المعظم ناصر الدين محمود شاه في قصر باغ دهلي عام ٦٢٦هـ. (المترجم).

(2) تقع على بعد عدة أميال جنوب دهلي (المترجم).

(3) كيوان: اسم كوكب زحل واسم السماء السابعة (المترجم).

(4) تخت: عرش (المترجم).

(5) كوكب المشتري (المترجم).

(6) خورشيد: الشمس (المترجم).

(7) زُهرة: كوكب الزهرة (المترجم).

وحري، وفي البذل والإحسان محسود من بحر عمان، وهو تحفة البلاط الأعلى وسيظل الأعلى، وهو محاط بالمراتب الزائدة من الدعوات والثناء من كل واحد من أفاضل المملكة وأماثل السلطنة، وبعض من هذه الروائح العطرة تضوعت في أصابع من يحرر ويكتب، وهذا الضعيف الداعي لبلاط الجلال وقبلة الإقبال كتب بعض النظم والنثر وجملة من هذه الأشعار صفحتان إحداهما بشكل القصيدة والثانية بشكل القطعة الملمعة وهي مثبتة في هذه الصحائف حتى ينظر إليها الناظرون فيزيدون في الدعاء لدولة هذا الملك وهذا الشعر لمنهاج السراج أصلح الله شأنه[1]:

هذا الملك الذي كأنه حاتم في البذل والعطاء والسخاء وكأنه رستم في الشجاعة، والإقدام ناصر الدنيا والدين محمود بن آلتتمش.

هذا الملك الذي سقف الفلك من إيوانه،

وفي علو مرتبته كأنه محاط بالملائكة.

---

(1) آن شاهنشاهيكه حاتم بذل ورستم كوشش — ناصر دنيا ودين محمود بن آلتتمش است

آن جهاندار يكه سقف چرخ ازا يوان أو — درعلو مرتبت گوني فروردين پوشش است

سكه راز ألقاب ميمونش چه لدازا ست فخر — خطبة رازاسم همايونش چه پايه نازش است

راحت دلهاست روح عهد أوبا روح خلق — بندگي دودمانش زآنكه درآميزش است

چاكر ايوان أو هرجاكه ترك وتاجكي — بنده فرمان أوهر جاكه هندو گبرش است

وارث ملك بحق ديدش ز سلطان شمس دين — هركه رازانصاف درچشم بصيرت بينش است

دولتش حسادرا درهر زمان صد شيونست — صولتش أحبابرا درهر مكان صد رامش است

گرچه بشگفتش گل دولت ولى ازصديكي — چون نهاليست أوكه باغ ملك أو نوبالش است

تيغ زنگاريش چون شنگرف ريز آمد بطبع — شاخ وبرگ نفس وعمر دشمنان درريزش است

ازنهيب زخم گرزگاو سارش بين كه چون — راكب شير فلك درلرزه ودر تابش است

تاتواى بزم ملكش راست شد زير أو فتاد — حاسد اندر چنگ غم چون زيراندر نالش است

فأي فخر وعز للسكة من ألقابه الميمونة،

وأي زهو ورفعة للخطبة من اسمه المبارك.

لقد توحدت راحة القلوب وروح عهده مع أرواح الخلق

في العبودية والتبعية لأسلافه

العبد في إيوانه سواء كان تركيا أو تاجيكا،

يكون طوع أمره وكذلك الهنود والمجوس طائعون له حيثما كان

كل من لديه رؤية إنصاف في عين البصيرة،

يرى أنه وارث السلطان شمس الدين بحق.

للحساد في دولته في كل زمان المآتم والأحزان،

ولأحباب حكمه وملكه وصولته في كل مكان الأفراح والسرور

مع أن ورد الدولة ازدهر وتفتح، ولكن هذا ليس إلا واحدًا في المائة،

من غصنه الذى ازدهر منه بستان ملكه.

حينما تتساقط ذرات الصدأ من سيفه،

فإن أنفاس الأعداء وأجسادهم تكون معلقة في هذه الذرات.

من الخوف من جرح دبوسه الذي يشبه قرن الثور، فإن الراكب في برج الأسد يرتعد وينتفض.

طالما نغمة ملكه عالية ونغمة الزير خافته

فليكن للحسود في قبضة الغم التوجع والأنين، الذي يصدر وكأنه نغمة الزير.

لقد صارت القشة آمنة راسخة وكأنها الجبل[1]،

وصار لها السكون والهدوء في ظل عدله ولا تخاف من عصف الرياح.

أيها الملك إن ذيل عفوك ويدك المانحة الباذلة،

هى للمذنب والمحتاج الملجأ والملاذ.

عشرون عامًا كان منهاج السراج يعاني التعب،

ولكنه بالدعاء في هذه الحضرة صار في هدوء واطمئنان

من أجل نصرة الملك وتأييده وتأييد عبيده،

ليظل في الحرب والوغى في نصر وظفر، وفي الدعة في رغد وراحة.

ولتكن أرض إيوانك محور تاج الجلال،

طالما الأرض والفلك في هدوء وحركة،

([1]) كاه گشت ازا نقلاب جورباد ايمن چوكوه — رپناه عهد عدلش چونكه هرآ رامش است
أى شاهنشا هيكه ذيل عفو ودست بذل تو — مجرم ومحتاج راهم پوشش وهم پاشش است
بيست سالت تاكه منهاج سراج خسته را — در دعا گونى اين حضرت قرار وپاشش است
ازبراي نصرت وتاييد شاه وبندگانش — دروغا دركوشش است ودر دعا درخواهش است
محور تاج جلالت باد خاك دركهت — تاكه خاك وچرخ درآ رامش ودرجنبش است
گردش أهل زمين بروفق فرمان توباد — تا بروج آسمان گرد زمين درگردش است.

ولتكن حركة أهل الأرض وفق أمرك،

طالما بروج السماء في سيرها والأرض في دورانها.

هذه قطعة ملمعة أيضًا لمنهاج السراج(١)

ليكن الملك محمود العاقبة مثل اسمه،

وليشد بعزمه وقوته النصر وتأييد الحق.

وليكن لأصدقائه البقاء ولأعدائه الفناء،

وليكن النفع والضر موجودين في بذله وعطائه وفي سعيه وجهاده.

وليكن باب الأمان من عدله في الدنيا مفتوحًا،

وباب الظلم في عهده مغلقًا ومسدودًا

وليكن عدوه منحوس الطالع من الفلك،

وليكن طالعه في رحاب الله مسعودا .

---

(١) شاه راچو نام خويشش عاقبت محمود بـاد — نصرت وتـأييد حق باعزم أو مشدود بـــاد
دوستان زي بقا ودتشمنان رازي فنــــا — نفع وضر در بخشش ودركوشش موجود باد
درجهان باب أمان ازعدل أو مفتوح گشت — باب بيدارى بعـــهدش مغلق ومسدود بـــاد
چون حسودش شد بطلع ازفلك منحـــوس ورد — طالع او درپناه ايزدي مســـعـــود بـاد
سفره ملك جهـــا نرادوده أو شـــمع بس — چهره أعداي اودر ديدها چـــون دود بـــاد
أهل إيمانرا زچتر ورايتش أمـــن وأمـــان — سايبان دين حقند ظـــل شان مـــمدود بـاد
مقصدش بر فضل حق چون تكـــيه ى دارد مــدام — بى توقف شاه را حاصل همه مقصـــود بـــاد
ختم سرش چو نقش عدل وإحســـــــان يافتست — شاهد بخت جوان برتاج أو مشهـــود بـــاد
دولتش برملت أحمد مبارك آمــدســـــت — ملك مر محمـــود راميمون مسلم زود بـــاد
داعي اين سلطنت منهاج راورد إين دعـــا — تاكه باد وخاك وآب وآتشست موروديـــاد.

ليكن دخان الملك لأصدقائه شمعا مضيئًا ،

ولتكن وجوه أعدائه في العيون دخانا مظلما.

وليكن الأمن والأمان لأهل الإيمان في مظلته وتحت رايته،

وليكن لأصحاب الدين في ظله الممدود الحق والرفعة

مقصده إلى الفضل، دائمًا يتكئ على الحق،

فلتتحقق رغبات الملك دون توقف وليتحقق مقصوده.

لقد وجد خاتم سره نقش العدل والإحسان،

وليكن بخته المنصور مرسومًا على تاجه

إن دولته مباركة على ملة المسلمين،

فلتسر السعادة واليمن واليسر للمُلك المحمودي.

وليكن هذا الدعاء هو ورْد منهاج داعي هذه السلطنة،

ما دامت الرياح والأرض والماء والنار.

فليبق الحق تعالى ملك الوقت، ظل الله، سلطان السلاطين ظل الله في العالمين ناصر الدنيا والدين، علاء الإسلام والمسلمين، ملاذ الملك والسلاطين أبا المظفر محمود ابن السلطان على عرش الملك وسرير الأوامر والنواهي أعواما غير متناهية آمين بحق محمد وآله أجمعين .

السلطان المعظم ناصر الدنيا والدين محمود بن السلطان يمين خليفة الله قيّم أمير المؤمنين

دائرة ملوكه وأقربائه رحمهم الله.

الملك ركن الدين بن فيروزشاه، والملك شهاب الدين محمد شاه، والملك تاج الدين إبراهيم، والملك سيف الدين بهرامشاه، والملك (الكبير) المعظم قطب الدين الحسين بن العلي الغوري، والملك الكبير عز الدين محمد سالاري المهدي، والملك الكبير عز الدين طغرل طغانخان ملك لكهنوتي، والملك الكبير قمر الدين قيران تمرخان، والملك الكبير عز الدين بلبن كشلوخان ملك السند والهند، والملك الكبير قراقش خان ملك لوهور، والملك الكبير والخان المعظم بهاء الحق والدين ألغ خان بلبن، والملك الكبير سيف الدين أيبك ألب مبارك باربك الدجاني، والملك الكبير تاج الدين سنجر شيرخان (ملك أوده)، والملك الكبير جلال الدين خلج خان ملك خاني ملك لكهنوتي وأوده، والملك الكبير نصرة الدين شيرخان ملك السند ولوهور، والملك الكبير سنجان أيبك خطائي (ملك كهرام)، والملك الكبير اختيار الدين دوخان تكتم، والملك الكبير نصرة الدين أرسلان خان سنجرچست ملك أوده، والملك الكبير سيف الدين أيبك بلكاخان ساتي، والملك الكبير تمرخان سنقر عجم ملك كهرام، والملك الكبير نصرة الدين محمود طغرل البرخان، رحمهم الله أجمعين.

توقيعه: الكبرياء لله.

الأعلام والرايات: الميمنة أسود، والميسرة أحمر.

دار ملكه: حضرة دهلي، مدة ملكه، اثنان وعشرون عامًا[1].

أما ما أودعه الحق تعالى من أوصاف الأولياء، وأخلاق الأنبياء في الذات المعظمة لهذا الملك ابن الملك ومزجه في عنصره المبارك الميمون فهو: التقوى والديانة والزهد والعفاف والشفقة والمرحمة، والإحسان والعدل والإنعام والمكرمة، والحياء والصفاء، والثبات والوقار، والصيام والقيام وتلاوة الكلام والتحمل وعدم الضيق والإنصاف والصبر ومحبة العلماء ومودة المشايخ والحلم إلى غير ذلك من المعاني المختارة، والشيم المحببة التي من لوازم السلطنة ومواجب المملكة، وهي: القوة والشوكة والرجولة والجرأة والشدة والشهامة والعدل والإحسان والبذل والامتنان، وباتفاق أهل العصر إنها لم تجتمع في ذات أي ملك مطلقًا من سلاطين الأيام الماضية وملوك القرون السالفة نور الله مرقدهم.

فطهارة الذيل وصفوة الظاهر والباطن لهذا السلطان بن السلطان أعلى الله شأنه وعظم برهانه كانت عظيمة كثيرة بحيث لا يحتويها تحرير ولا يشملها تقرير. فليبقه الملك تعالى على عرش السلطنة.

اعلم أن جلوس هذا السلطان بن السلطان- خلد الله سلطانه على عرش السلطنة- كان في أوائل شهور سنة أربع وأربعين وستمائة، ومن بداية هذا

---

(1) السلطان أبو المظفر محمود بن ألتتمش توفي سنة ٦٦٤هـ وبذلك تكون مدة حكمه عشرين عامًا، ونحن لم نر ذكرًا للمؤلف بعد عام ٦٥٨هـ، وربما يكون قد توفي بعد أن أتم الكتاب وقدمه للسلطان، فهذه العبارة للناسخ. (المترجم).

التاريخ انصرم خمسة عشر عامًا فصلنا كل عام فيه ليكون قريبًا لفهم القارئ والسامع وخاطرهما.

السنة الأولى: سنة أربع وأربعين وستمائة

جلس السلطان المعظم ناصر الدنيا والدين على عرش السلطنة في حضرة دهلي بالقصر الأخضر يوم الأحد الثالث والعشرين من شهر المحرم سنة أربع وأربعين وستمائة بطالع سعد وبخت ميمون، ووقت مبارك، ودولة صاعدة ناهضة، وأسرع الصدور والكبراء والسادات والعلماء لخدمة البلاط الأعلى، وأسرعوا الخطى لتقبيل اليد المباركة لهذا الملك المبروك القدم، وجلس الجميع كل واحد على حسب لياقته للتحية والمباركة. ويوم الثلاثاء الخامس والعشرين من هذا الشهر وهو شهر المحرم في قصر دولت خانه وفي الرواق الفيروزي كان الاستقبال للعامة في البلاط وكانت بيعة عامة لجميع الخلق بالسلطنة، وامتثالا لأوامر هذا الملك الكريم، المختار السيرة، الملائكي الصورة، واستبشر الجميع بتجديد هذه السلطنة، وابتهج الناس، وسروا في جميع أطراف ممالك الهندوستان بهذا العهد المنصف فلتبق هذه الدولة- بإذن الله- حتى نهاية الحد والإمكان.

تحرك السلطان ناصر الدنيا والدين من دهلي إلى بهرايج بقدمه المبارك، وذهبت برفقته والدته ملكة العالم وجلالة الدنيا والدين أدام الله ملكها. وكان له في البلاد والجبال غزوات كثيرة فولاية بهرايج بسبب مقدمه المبارك ازدانت بكامل عمارتها، وحينما انتشر صيت دولته في أطراف الهندوستان بسبب هذه

الغزوات وهذه التعميرات خاف ملوك وأمراء الدولة من أمثال السلطان علاء الدين فأرسلوا إليه المراسلات سرًا يعرضون عليه الحضور إلى حضرته ويمثلون في دار ملكه.

وأظهرت الملكة الوالدة للخلق بتدبير صائب أنها سوف تذهب إلى حضرة دهلي للتداوي والمعالجة لعارض ألم بها، وأجلست السلطان في الهودج معها، وأخذت معها عدة رجال من المشاة والفرسان، ثم سارت من بهريچ إلى دهلي، وحينما جن الليل سترت وجه السلطان المبارك بنقاب، وركبت على سبيل التعجيل، ووصلت دهلي في مدة وجيزة لدرجة أنه لم يعرف مخلوق بوصول الموكب المبارك للملك الميمون العهد حتى اليوم الذي جلس فيه على العرش. وحينما ازدان ببهائه وجماله عرش السلطنة تحركت الرايات العلية.

في شهر رجب سنة أربع وأربعين وستمائة، خرج الجيش إلى نهر السند والملتان لقمع كفار الصين، وتحركوا بسرعة وفي استمرارية، ويوم الأحد غرة شهر ذي القعدة سنة أربع وأربعين وستمائة عبروا نهر لوهور وأمر السلطان جيش الإسلام أن يسيطروا على قمة الجبل وأطراف نندنه، وكان ألغ خان المعظم خلدت دولته في مرتبة الأمير الحاجب فعُيّن على هؤلاء رأس الحشم، وأقام السلطان بالذخيرة والفيلة على شاطئ نهر سدرة، وقاد ألغ خان المعظم هذا الجيش وبفضل الله ونصرته سيطروا على جبل الجود، وقتلوا كثيرًا من الكفار والمتمردين من الجليم وكوكران، وبعثوا بهم إلى النار وبئس المصير، وساروا إلى شاطئ نهر السند، وسيطروا على هذه الأطراف، ثم رجعوا من هناك بسبب

قلة العلف وما يحتاجه الجيش، وحينما تم للبلاط الأعلى هذا الفتح العظيم، اتجهت الرايات المباركة إلى دهلي وأقاموا صلاة عيد الأضحى في جبل جالندر، ورجعوا من شاطئ نهر سدرة يوم الخميس الخامس والعشرين من شهر ذي الحجة من العام نفسه.

ومن هناك وصلوا إلى الحضرة من منزل إلى منزل، وفي هذا اليوم تشرف الداعي كاتب هذه السطور منهاج السراج وأمر له السلطان بالجبة والعمامة والجواد والسرج الملكي الفاخر تقبل الله منهم.

السنة الثانية: سنة خمس وأربعين وستمائة

يوم الخميس الثاني من المحرم سنة خمس وأربعين وستمائة، وصل السلطان إلى دار الملك دهلي، وأقام في الحضرة بسبب كثرة الأمطار وهجوم موسم الشتاء، وفي شهر جمادى الآخرة من العام نفسه نصب المعسكر والخيمة الملكية ناحية پانى پته[1]، وفي شعبان رجع إلى ناحية الهندوستان، وسارت راياته الملكية بين نهرين، وعلى حدود قنوج كان هناك موضع حصين وقلعة متينة تسمى تلسندة وهي تحاكي سد الإسكندر في متانتها، فقد تحصن جماعة الهنود في هذا المكان، ووضعوا أرواحهم على أكفهم[2]، وفي هذا اليوم كان جيش الإسلام في خدمة الركاب العالي، وقاتلوا في هذا الموضع حتى قتلوا جميع المتمردين وذهبوا إلى الجحيم، وتيسر لهم فتح هذا الموضع، ونظم داعي

---

(١) پانى پته: مدينة مشهورة معروفة في شمال غرب دهلي (المترجم).

(٢) التعبير الفارسي: دست أزجان بشستند وتعني: غسلوا أيديهم من أرواحهم. (المترجم).

الدولة منهاج السراج عن هذا الغزو خمس صفحات أو ست، ولكنها ضاعت كلها في هذا السفر، ومنها ما كان عن الغزوات والسيطرة على الطرقات، وقتال الكفار المتمردين والاستيلاء على القلاع والفتوحات لألغ خان المعظم، وما كان في هذه الغزوات من القتل والأسر، وكتب عن دلكي وملكي[1] بالتمام والكمال في هذه الأجزاء بالنظم المفصل وأسماها باسم السلطان المبارك (ناصري نامه)، وبسبب ذلك كانت تصله كل عام إنعامات فياضة من حضرة السلطان المعظم، وكذلك من دولت خان المعظم ألغ خان، فقد أنعم عليه مرة واحدة بقرية في حدود هانسي فليبقهما الله على المسند السلطاني ومتكأ الحكم آمين.

وأعود للتاريخ: يوم الخميس الرابع والعشرين من شهر شوال سنة خمس وأربعين وستمائة، فتحت تلك القلعة بعد قتال وجهاد كثير، فبعد ذلك ويوم الثلاثاء الثاني عشر من شهر ذي القعدة سنة خمس وأربعين وستمائة كان الوصول إلى خطة كره، وقبل ذلك بثلاثة أيام قدم ألغ خان المعظم مع جميع ملوك وأمراء الجيش الذين عينوا لمرافقته، وهذا السيد العظيم الشجاع صاحب الفطرة التي تشبه رستم والباسل المقدام كأنه سهراب، والذي جسده كأنه الفيل أبدى في هذه الحرب شجاعة وجلدًا فائقا، من غزوات عجيبة إلى فتح مواضع حصينة وقلاع وحروب كثيرة، وقتل للكفار المتمردين وتحصيل للغنائم من العبيد والأسرى وأتباع الراجات العظام مما لا يمكن أن يحيط بوصفه أو كتابته الكتاب والمحررون، وقد كُتب بعض من هذا في منظومة ناصري نامه وكانت

---

(1) وهي حول نهر جون بين كالنجر وكره، حواشي حبيبي، جـ١، ص٤٨١. (المترجم).

رانه في هذه الجبال والنواحي، وكانوا يسمونها دلكي وملكي وكان لها أتباع كثر ورجال حرب لا عدد لهم، وولايات ومال دون حساب، وذات مواضع حصينة وشعاب ومضايق في غاية الحصانة، استولى عليها المسلمون جميعها وأخذوا هؤلاء الملاعين والنساء والأولاد وحصلوا على غنائم كثيرة، فمن جنس الجياد فقط استولى حشم المسلمين على ألف وخمسمائة رأس إلى غير ذلك من الغنائم على هذا القياس، وحينما وصل إلى البلاط كان الجميع فرحين بهذه الفتوحات، ورجعت الرايات العليا يوم الخميس الحادي عشر من شهر ذي الحجة سنة خمس وأربعين وستمائة من هذه البلاد، وفي هذا السفر اتصل لخدمة البلاط شقيق السلطان الملك جلال الدين مسعود شاه الذي كان له مقاطعة قنوج ونعم بتقبيل يد الأعلى- أعلاه الله- ثم رجع، وقدم جيش الإسلام والرايات المباركة إلى دار الملك الجليلة قاطعين منزلا بمنزل.

السنة الثالثة: سنة ست وأربعين وستمائة

يوم الأربعاء الرابع والعشرين من شهر المحرم سنة ست وأربعين وستمائة رجع السلطان إلى دار الملك الجليلة دهلي، وزينوا المدينة وجلس على رأس الدولة والسلطنة في مقر الملك، وحينما حصل الملك جلال الدين على الخدمة للسلطان صار له إقطاع سنبهل وبداون، وفجأة تسرب الخوف والوجل إليه فمن سنبهل ذهب على طريق جبل سنتور. وأقام الملك المعظم مدة سبعة أشهر في حضرة دهلي حتى السادس من شعبان سنة ست وأربعين وستمائة، حيث خرجت الرايات العليا من دهلي، وأمر بالغزو على طريق الجبال

والصحاري، وعين الأمراء على الأطراف، ورجع إلى الحضرة، ولم يطل الوقت في هذا السفر فعاد إلى الحضرة يوم الأربعاء التاسع من شهر ذي القعدة وذهبت جيوش الإسلام ناحية كوهپاية رتن پور، وفي هذا الجيش وهذا المقام ظهرت حالتان أولاهما: اتهام القاضي عماد الدين شفورقاني وعزله يوم الجمعة التاسع من شهر ذي الحجة في القصر الأبيض من القضاء، وذهب بحكم الأمر من المدينة إلى بداون، واستشهد الملك بهاء الدين أيبك خواجه في قلعة رن تهبور يوم الأحد الحادي عشر من شهر ذي الحجة على يد كفار الهنود.

السنة الرابعة: سنة سبع وأربعين وستمائة

يوم الاثنين الثالث من شهر صفر سنة سبع وأربعين وستمائة رجع إلى الحضرة ألغ خان المعظم سعيدًا مع جيش الإسلام والرايات العليا، وباتفاق جملة الأكابر وملوك المملكة كان ألغ خان المعظم ملاذ الدولة السلطانية، وظهير الجند ووجه المملكة، ابنته ملكة الدنيا تزوجها السلطان المعظم ناصر الدنيا والدين خلد الله ملكه، وكان هذا العقد يوم الاثنين العشرين من شهر جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وستمائة، فليحفظ الحق - تبارك وتعالى- الثلاثة في السلطة والعظمة والعصمة والدولة ليكونوا ظهرا وملاذا للدين المحمدي، وأيضًا في هذا العام يوم الاثنين العاشر من شهر رجب وصل القاضي جلال الدين الكالشاني من أوده وصار قاضي الممالك.

ويوم الاثنين الثاني والعشرين من شهر شعبان تحركت الرايات العليا من دهلي، ويوم الأحد الرابع من شهر شوال من هذا العام عبروا نهر جون عازمين

غزو الهنود، وعينوا الجيوش لهذه الناحية، ومن خراسان وصلت المكتوبات لهذا الضعيف من شقيقته فعرضها على الرأي الأعلى، فأنعم عليه بالتشريف والمنشور وأربعين نفرا من العبيد، ومائة خروار من الإنعامات، وأنعم عليه الخاقان المعظم بجواد كميت وثوب مذهب، فليبقهما الله تعالى وليخلد ملكهما، وعادت الرايات المباركة يوم الأربعاء الرابع والعشرين من شهر ذي الحجة إلى الحضرة، ويوم الاثنين التاسع والعشرين من شهر ذي الحجة عزم هذا الداعي على السفر إلى الملتان ثم إلى خراسان، فسار من دهلي، وحينما وصل إلى مقاطعة هانسي وبحكم الأمر العالي للخان الأعظم والخاقان المعظم قام بضبط القرية التي أنعموا عليه بها فكان ذهابه إلى الملتان على طريق أبوهَر(١).

السنة الخامسة: سنة ثمان وأربعين وستمائة

كانت ملاقاة شيرخان على شاطئ نهر بياه يوم الأحد الحادي عشر من شهر صفر سنة ثمان وأربعين وستمائة، ومن هناك ذهب إلى الملتان يوم الأربعاء السادس من شهر ربيع الأول سنة ثمان وأربعين وستمائة، ووصل إلى الملتان، ووصل الملك عز الدين كشلوخان قبل الأحبة للاستيلاء على الملتان، فوصل في اليوم نفسه، حيث كانت ملاقاته، وأقام هناك حتى السادس والعشرين من شهر ربيع الآخر، ولم يتيسر فتح الملتان التي كانت في أيدي خدم سنجر.

---

(١) بفتح الهاء، مدينة باكستانية قريبة من الحدود بين الباكستان والهند، وهي أول مدينة من الملتان إلى دهلي، زارها ابن بطوطة، وذكر أنها كثيرة العمارة ذات أنهار وأشجار (المترجم).

ورجع الداعي إلى الحضرة وذهب الملك عز الدين بلبن إلى أچه. ورجع الداعي إلى الحضرة عن طريق قلعة مروت إلى سرستي وهانسي في الثاني والعشرين من شهر جمادي الأولى سنة ثمان وأربعين، وفي شوال من هذا العام وصل اختيار الدين كزبر من الملتان بعد أن أسر كثيرًا من كفار المغول وأرسلهم إلى الحضرة، وازدانت مدينة دهلي بالدولة الناصرية. وفي هذا العام يوم الجمعة السابع عشر من شهر ذي الحجة توفي القاضي جلال الدين كاشاني- رحمة الله عليه.

السنة السادسة: سنة تسع وأربعين وستمائة

بدأ الملك عز الدين [كشلوخان] بلبن التمرد في ناگور، وفي هذا العام ذهبت الرايات العليا إلى ناگور، فتقدم للخدمة، ورجعت الرايات العليا وذهب شيرخان من الملتان إلى أچه فذهب الملك عز الدين بلبن من ناگور إلى أچه والتحق بشيرخان وسلمه قلعة أچه، واتجه من هناك إلى الحضرة يوم الأحد السابع عشر من شهر ربيع الآخر، وسنة تسع وأربعين وستمائة التحق بخدمة البلاط الأعلى وعينت له مقاطعة بداون، وفي هذا العام يوم الأحد العاشر من شهر جمادى الأولى سنة تسع وأربعين وستمائة للمرة الثانية وبأمر من الخان الأعلى- أعلاه الله- فوض قضاء الممالك وحكومة الحضرة لداعي الدولة منهاج السراج.

ويوم الثلاثاء الخامس والعشرين من شهر شعبان سنة تسع وأربعين وستمائة تحركت الرايات الأعلى إلى كاليور وچنديري ونروال ومالوه، وفي هذا السفر ذهب بالقرب من مالوه وهزم جاهراجا الذي كان أعظم راجات هذه البلاد والبقاع، وكان له خمسة آلاف فارس ومائتا ألف مترجل، وفتح قلعة نرول المشيدة وسيطر عليها، واستولى على ما فيها، وأظهر الخان المعظم ألغ خان الأعظم في هذا السفر كثيرًا من الجلد والشهامة ووقعت كثير من الغنائم والعبيد في أيدي حشم الإسلام. ورجعت الرايات العليا إلى الحضرة في سلام [نصرهم الله والصلاة على محمد خير البرية].

السنة السابعة: سنة خمسين وستمائة

رجعت الرايات العليا بالسلام والغنائم إلى حضرة دهلي، يوم الاثنين الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول سنة خمسين وستمائة، وبعد ذلك أقام سبعة أشهر في دار الملك المعظم الجليلة بطالع سعيد، وعز تليد، وفي هذه المدة شغل بنشر الإحسان وإقامة مراسم العدل، ويوم الاثنين الثاني والعشرين من شهر شوال من هذا العام، سارت الرايات العليا على طريق لوهور وغزنين عن طريق أچه وملتان وفي وقت الوداع وعلى حدود كيتهل منح داعي الدولة تشريفًا خاصًا منحه جوادا بكامل عدته الذهبية واللجام والسرج. وفي هذا السفر اجتمع جميع الملوك وخانات الأطراف في خدمة الركاب الأعلى، قتلغ خان من ولاية بهيانه وكشلوخان عز الدين بلبن من بداون مع حشمهم، جميعهم ذهبوا في مرافقة الرايات العليا المباركة حتى حدود بياه، وغير عماد الدين ريحان سراو

في الخفاء مزاج السلطان والملوك على ألغ خان الأعظم وجعله مزاجًا آخر عفا الله عنهم.

السنة الثامنة: سنة إحدى وخمسين وستمائة

حينما جد العام يوم السبت غرة شهر المحرم سنة إحدى وخمسين وستمائة أمر السلطان ناصر الدنيا والدين محمود ألغ خان أن يترك إقطاعه وأن يذهب إلى سوالك وهانسي، وحينما ذهب الخان المعظم بحكم الأمر إلى هانسي، رجعت الرايات العليا في أوائل ربيع الأول من هذا العام إلى الحضرة وتغير وتبدل المزاج على الأكابر في الأعمال، وفي شهر جمادى الألى سندت الوزارة إلى عين الملك محمد نظام الملك الجنيدي، وأعطى الملك كشلي خان الأمير الحاجب إقطاع كره إلى ألغ المبارك أيبك، وهو شقيق الخان المعظم، وأرسلوه إلى هناك، وفي شهر جمادى الأولى من هذا العام صار عماد الدين ريحان وكيلا، وذهبت الرايات العليا من الحضرة إلى هانسي لإزعاج الخان، المعظم ألغ خان، وأحضر عماد الدين ريحان القاضي شمس الدين بهرايجي، وفي السابع والعشرين من شهر رجب سنة إحدى وخمسين وستمائة فوض إليه قضاء الممالك، وذهب الخان المعظم من هانسي إلى ناگور، وفوض السلطان إقطاع هانسي مع شغل إمارة الحجابة إلى الأمير ركن الدين، ورجعت الرايات العليا في شهر شوال إلى الحضرة، وفي أوائل شهر شوال من العام نفسه تحركت الرايات من دهلي عازمين فتح أچه والملتان (وتبرهنده)، وحينما وصلت بالقرب من نهر بياه عين جيشا للوصول إلى تبرهنده، وقبل ذلك رجع شيرخان من جيشه الذي سيلاقي جيش الكفار في نهر السند، وذهب إلى التركستان وبقيت أچه والملتان وتبرهنده تحت تصرف التابعين له، حيث فتحت يوم الاثنين السادس والعشرين من شهر ذي الحجة سنة إحدى وخمسين وستمائة.

وأسندت إلى أرسلان خان سنجر، ورجعت الرايات العليا من نهر بياه (والحمد الله عنى أولا وثانيًا وأتم على نبيه مصليًّا).

السنة التاسعة: سنة اثنتين وخمسين وستمائة

حينما بدأ عام اثنتين وخمسين وستمائة، في سفوح جبال بردار وبنجور تمت له فتوحات كبيرة، وحصل على غنائم كثيرة، وعبر نهر جون، ويوم الخميس الثالث عشر من شهر محرم سنة اثنتين وخمسين وستمائة عبر نهر الكنج أمام ميايور، وأيضًا ذهب حتى سفح الجبل حتى شاطئ نهر رهب، وفي أثناء هذه الغزوات في تنكله يوم الأحد الخامس عشر من شهر صفر سنة اثنتين وخمسين وستمائة استشهد رضي الملك عز الدين درمستي، ويوم الاثنين السادس عشر من شهر صفر تحرك سلطان المسلمين للانتقام من الكفار في كاتهير، وتغلب عليهم، وسيظل هذا الأمر ذكرى في هذه البلاد حتى نهاية العمر، ثم ذهب إلى بداون، ويوم الخميس التاسع عشر من شهر صفر ازدانت مقاطعة بداون بعظمة المظلة والرايات المباركة وجلالها، وأقام هناك تسعة أيام، وبعد ذلك صمم على الرجوع إلى الحضرة، ويوم الأحد السادس من شهر ربيع الأول فوض وزارة الممالك لصدر الملك نجم الدين أبي بكر للمرة الثانية، وعلى حدود كول ويوم الأحد العشرين من ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين وستمائة شرف السلطان داعي الدولة بلقب صدر جهاني[1] فليبقه الله تعالى في سلطنته.

ويوم الثلاثاء السادس والعشرين من شهر ربيع الأول وصل إلى حضرة دهلي، وأقام في المدينة مدة خمسة أشهر، حيث وصل خبر اجتماع الملوك مع

([1]) صدر جهاني: شيخ الإسلام (المترجم).

الملك جلال الدين فذهبت الرايات العليا في شهر شعبان إلى سنام وتبرهنده، وأمضى عيد الفطر في سنام، وكانت جيوش الملوك مثل أرسلان خان تبرهنده وبتي خان أيبك خطائي وألغ خان أعظم من ناگور في صفوف الملك جلال الدين في تبرهنده، وقدمت الرايات العليا من سنام إلى هانسي، وتحرك هؤلاء الملوك إلى كهرام وكيتهل، وأمر السلطان بالتحرك من هانسي إلى هذه الجهة وتحدثت جماعة الأمراء بين شخصين، وكانت الفتنة بين الطرفين هو عماد الدين ريحان، حتى كان يوم الخميس الثاني والعشرين من شوال من العام نفسه أمر السلطان أن يذهب عماد الدين ريحان إلى بداون وأن تكون هذه الولاية هي إقطاعه وبذلك تم الصلح. ويوم الثلاثاء التاسع من شهر ذي القعدة التحقوا بخدمة السلطان بعد القسم والعهود والمواثيق من جميع الأمراء والملوك، وصارت لوهور إقطاع الملك جلال الدين في ضمان عصمة الرايات المباركة للسلطان ودولته، ويوم الثلاثاء التاسع من شهر ذي الحجة قدم إلى حضرة دهلي بالطالع المسعود فليجعل الحق تعالى الرايات المباركة للسلطان مطرزة بآيات الفتوح آمين يا رب العالمين.

السنة العاشرة: سنة ثلاث وخمسين وستمائة

حينما جد عام ثلاثة وخمسين وستمائة، ظهر أمر عجيب وهو: من التقادير السماوية تغير مزاج حضرة السلطان على والدته ملكة جهان أي ملكة الدنيا، ولما كانت هي زوجة لقتلغ خان فقد أمر لهما أن تكون أوده، إقطاعًا لهما ويذهبا إليها، وذهبا تنفيذًا للأمر، وكانت هذه الحادثة يوم الثلاثاء السادس من

شهر المحرم سنة ثلاث وخمسين وستمائة. وحينما دخل شهر ربيع الأول يوم الأحد الثامن والعشرين من شهر ربيع الأول من هذا العام جعل سلطان الإسلام قضاء الممالك وقضاء حكومة حضرة دهلي بناء على ما تقدم من قرار لداعي الدولة منهاج السراج. فليبق الملك في السلطنة أعوامًا كثيرة. وفي ربيع الآخر وصل إلى أسماع السلطان المعظم والملك المبارك عن الملك قطب الدين حسين علي، وكان نائب الملك، كلام على خلاف الرأي الأعلى للسلطان، ويوم الثلاثاء الثالث والعشرين من الشهر المذكور خاطبوا الأمير قطب الدين وقيدوه وحبسوه حيث استشهد فليبق الملك.

ويوم الاثنين السابع من جمادى الأولى جعل إقطاع ميرت للملك كشلي خان، وصار ألغ أعظم باربك مساعدًا للسلطان، حيث التحق من كره إلى الخدمة في الدرگاه رحمه الله.

ويوم الثلاثاء الثالث عشر من شهر رجب سنة ثلاث وخمسين أحال مشيخة الإسلام إلى حضرة شيخ الإسلام جمال الدين البسطامي، وأيضًا في هذا الشهر أتى بالملك تاج الدين سنجر السيوستاني من أوده وأزعج عماد الدين ريحان في بهرايج حتى توفي.

وأيضًا في هذا العام وفي شهر شوال تحركت الرايات العليا من الحضرة إلى الهندوستان، ويوم الأحد السابع عشر من شهر ذي القعدة من هذا العام ذهب ألغ خان المعظم إلى هانسي للنظر في انتظام أحوال الرعية في سوالك، فرتب أمور الحشم ورجع إلى الحضرة. ويوم الأربعاء التاسع عشر من ذي الحجة آخر هذا العام التحق بالمعسكر الأعلى، وقبل هذا صدر الأمر وهو:

أن يذهب الملك قتلغ خان من أوده إلى إقطاع بهرايج. ولم ينفذ هذا الأمر، فعين السلطان من الحضرة الملك بكتم ركني لحربه، والتقى الجيشان على حدود بداون، واستشهد بكتم، فذهبت جيوش السلطان المبارك إلى أوده لتدارك هذه الحادثة، وحينما وصلت الجيوش إلى هذه الحدود، ذهب قتلغ خان قبل ذلك وذهبت الرايات الملكية إلى أطراف كالنجر، وتعقبوا ألغ خان المعظم فلم يدركوه، ولكنه التحق بخدمة البلاط السلطاني بغنائم كثيرة والله أعلم بالصواب.

السنة الحادية عشرة: سنة أربع وخمسين وستمائة

حينما جد هذا العام بالدولة والعزم والنصرة في رعاية الخالق سبحانه وتعالى وعصمة ودخل المحرم سنة أربع وخمسين وستمائة تحقق هذا الفتح للرايات المباركة، واتجه صوب الحضرة، ويوم الثلاثاء الرابع من ربيع الآخر من هذا العام وصل إلى الحضرة وحينما وصلت الأخبار لقتلغ خان أن الرايات العليا اتجهت صوب الحضرة بقى في ولاية كره ومانكپور ووقع اشتباك بينه وبين أرسلان خان سنجرچست، وكان النصر لأرسلان خان، ولما لم يتيسر لقتلغ خان الذهاب للهندوستان، وسط هذا الغم وهذه المآسي قرر الاتجاه إلى أعلى فقدم إلى سنتور، ولجأ إلى هذه القبائل والجبال، فتحركت الرايات العليا من حضرة دهلي يوم الاثنين العشرين من شهر ذي الحجة سنة أربع وخمسين لصد شره وفتنته، وحينما جدت سنة خمس وخمسين ذهب الجيش في هذا العام إلى سنتور، ونشب القتال بين جيش الإسلام والهنود في سفوح الجبال، وكان قتلغ خان بين هذه الطائفة، وكان من أمراء الإسلام مجموعة خائفة، فانضموا إليه في الحرب بسبب اتهامهم بهذا، ولما لم تكن لهم قدرة على المقاومة فقد ولوا الأدبار بسبب ذلك، وسيطر ألغ خان المعظم على كل هذه الجبال بالسيف، وطردهم إلى داخل شعاب الجبال ومضايقها، وسيطر على قصبة سلمور، ولم

يسيطر عليها ملك من قبل، وفتحها ولم تكن للجيوش الإسلامية يد ولا سيطرة عليها.

وحقق سُنَة الغزو وقتل الكثير من فسدة الهنود ومتمرديهم مما لا يعد ولا يحصى ولا يحتويه كتاب، والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

السنة الثانية عشرة: سنة خمس وخمسين وستمائة

بعد العودة والرجوع ويوم الأحد السادس من شهر ربيع الأول سنة خمس وخمسين وستمائة وقع الملك بتي خان أيبك الخطائي من فوق الجواد وتوفي، واتجهت الرايات المباركة للحضرة، ويوم الأحد السادس والعشرين من شهر ربيع الأول سنة خمس وخمسين وستمائة وصل إلى المعظمة دار الملك، وحينما رجع الجيش المظفر، تقدم الملك عز الدين كشلوخان بلبن مع جيش أجه والملتان نحو نهر بياه، واشتبك الملك قتلغ خان والأمراء الذين معه بالملك كشلوخان في منصور پور وسامانه.

وحينما وصل خبر تحرك هؤلاء الجماعة إلى السلطان، عين ألغ خان المعظم على رأس جيش، فترك الحضرة يوم الخميس الخامس عشر من شهر جمادى الأولى سنة خمس وخمسين وستمائة، وحينما وصل بالقرب من ذلك الجيش ولم يبق بين الفريقين سوى أربعة فراسخ كتب جمع من الحضرة مكتوبات سرية، وأرسلوا شيخ الإسلام سيد قطب الدين والقاضي شمس الدين بهرايجي إلى قتلغ خان والملك كشلوخان ليذهبا إلى الحضرة، وأنهم سوف يجعلون المفاتيح في أيديهما، وفي المدينة سوف يجعلون كل شخص يتحرك للبيعة والموافقة ويمدون أيديهم للعهد، وفي الحضرة كان هناك جواسيس مخلصون، فكتبوا لألغ خان المعظم بهذه المخالفة، ومن المعسكر أطلعوا الدركاه

الأعلى على هذه المخالفة، وقالوا: إذا كان الأمر صحيحًا واتفاق الجماعة ولابسي العمائم على هذه المخالفات جميعها فمن الصواب أن يصدر أمر الأعلى-أعلاه الله- في شأنهم، فلهم إقطاع حول المدينة فليذهبوا إلى إقطاعهم، حتى تهدأ هذه الفتنة ثم يعودون إلى المدينة، فأصدر أمرًا بإجلائهم عن حضرة دهلي.

ويوم الأحد الثاني من شهر جمادى الآخرة سنة خمس وخمسين وستمائة صدر الأمر بأن يذهب سيد قطب الدين والقاضي بهرابج من الحضرة إلى إقطاعهم، ووصلت مكتوباتهم من المدينة إلى الملك قتلغ خان والملك كشلوخان بلبن، فتحركوا في الحال من مواضعهم صوب المدينة مع كل جيوشهما، ويوم الأحد الثالث من شهر جمادى الآخرة سنة خمس وخمسين تعجلوا للسفر من سامانه وبعد يومين ونصف قطعوا مسافة تقرب من أربعة وثلاثين فرسخًا، وفي الفجر بعد الصلاة اتجهوا صوب أبواب المدينة وطافوا حولها، وفي الليل ضربوا معسكرهم في ظاهر دهلي بين بستان الجود وكيلوكهري، وحينما وصل هؤلاء الملوك والعسكر إلى بستان الجود على أمل وعود هذه المكتوبات كان فضل الله كبيرًا؛ لأنه قبل ذلك بيومين كان المخالفون قد تركوا المدينة، وحينما علم هؤلاء الملوك برحيلهم تأنوا في عملهم، وكان الأمر من الحضرة الملكية بأن تغلق أبواب المدينة، ولما كان الجيش غائبًا عن المدينة، فقد أخذوا العدة للحرب وأظهر أمير الحجاب علاء الدين إياز الزنجاني نائب الأمير الحاجب وألغ كوتوال بك جمال النيشاپوري وديوان عرض الممالك- نصرهم الله- استعدادات حربية عظيمة وأعمالا محمودة في المحافظة على المدينة، وفي هذه الليلة عينوا على أسوار المدينة الأمراء ووجهاء القبائل والأعيان، وحينما حل فجر الجمعة لطف الله سبحانه وتعالى، وصمم الملك كشلوخان على العودة، أما

الملوك الآخرون ووالدة السلطان ملكة جهان حينما شاهدوا هذا الأمر، وأن هذه الأفكار لم تنجح، اتفقوا جميعا على العودة. ولم يوافق أكثر حشمهم الذين كانوا بصحبتهم على العودة وأقاموا حول المدينة وطلبوا العهد من الأكابر والأعيان والتحقوا بالخدمة بالحضرة، ورجع هؤلاء الملوك خائبين في اتجاه سوالك، وحينما وصل خبر مغادرتهم إلى ألغ خان المعظم وملوك السلطان وأمرائه عز نصرهم اتجهوا إلى المدينة من المكان الذي كانوا فيه، وحينما اقتربوا اتضحت الأمور لألغ خان المعظم، ووصلوا إلى الحضرة سالمين غانمين منصورين يوم الثلاثاء الحادي عشر من شهر جمادى الآخرة. فليبق الحق تبارك وتعالى هذه الدولة مع أهل الإسلام بعز السلطان وجلاله وعظمة وأبهة المُلك، وبعد ذلك ويوم الأربعاء الثامن من رمضان من هذا العام أسند منصب الوزارة لضياء الملك تاج الدين وخوطب بنظام الملك، وأسند منصب إشراف الممالك لصدر الملك، وفي آخر هذا العام وصل جيش كفار المغول من أطراف خراسان إلى أچه والملتان فتعاهد معهم الملك كشلوخان والتحق بمعسكر سالين نوين.

السنة الثالثة عشرة: سنة ست وخمسين وستمائة

وحينما هلَّ عام جديد، وهلَّ المحرم من سنة ست وخمسين وستمائة، يوم الأحد السادس من شهر المحرم سنة ست وخمسين وستمائة سارت الرايات المباركة من الحضرة عازمة على الغزو ودفع الكفار، وضربوا المعسكر في خارج دهلي. ويروى الثقات: أنه في يوم الأربعاء التاسع من هذا الشهر هزم

هلاو[1] الكافر رأس كفار المغول على أبواب بغداد أمام جيش أمير المؤمنين المستعصم بالله[2].

وحينما خرجت الرايات السلطانية بقصد الغزو عين في كل طرف الملوك والأمراء مع أفواج الحشم، ورجع السلطان إلى الحضرة غرة شهر رمضان. وأقام في الحضرة مدة خمسة أشهر، وفي الثامن عشر من شهر ذي القعدة فوض مُلك لكهنوتي للملك جلال الدين مسعود شاه ملك جاني (والله أعلم بالصواب).

السنة الرابعة عشرة: سنة سبع وخمسين وستمائة

وحينما هل عام جديد تحركت الرايات العليا قاصدة الغزو يوم الخميس الثالث عشر من شهر المحرم سنة سبع وخمسين وستمائة، وفي يوم الأحد الحادي والعشرين من شهر صفر من هذا العام فوضت للملك شيرخان ولاية بهاينة وكول وبلارام وكاليور، وعين ملك النواب أيبك مع فوج من الحشم لغزو كفار رن تهپور، ورجعت الرايات المباركة إلى مقر عز السلطنة، ويوم الأربعاء الرابع من شهر جمادى الآخرة من هذا العام وصل إلى البلاط الأعلى فيلان وخزانة من ديار لكهنوتي لخدمة البلاط الأعلى، وفي السادس من هذا الشهر توفي شيخ الإسلام جمال الدين البسطامي، وفي الرابع والعشرين من هذا الشهر أيضًا توفي القاضي كبير الدين رحمهما الله. وفوضت مناصبهما إلى

---

(1) أحد الأسماء التي كتبت عن هولاكو. (المترجم).

(2) هذا ما كتبه الذين نسخوا طبعة كلكتا، ولكن كما هو معروف أن جيش المغول استأصل شأفة المستعصم بالله أمير المؤمنين، ولكن تقدم في الحديث عن الخلفاء أن جيوش هولاكو هُزمت في المرة الأولى على يد المدافعين عن بغداد، ومن الجائز أن يكون قصد المؤلف هو هذه الهزيمة الأولى؛ لأن سقوط بغداد والاستيلاء عليها كان يوم الأربعاء السابع من صفر عام ٦٥٦هـ، لهذا لم يكن هذا الخبر المشئوم قد وقع (المترجم).

أبنائهما بعاطفة ملوكية، وفي شهر رجب سنة سبع وخمسين وستمائة رحل إلى جنة الخلد الملك كشلي خان أعظم باربك أيبك وفوض عمل الأمير الحاجب لابنه الملك علاء الدين محمد. وفي غرة رمضان توفي الإمام حميد الدين ماريگله، وبعاطفة سلطانية منحت جميع إنعاماته لأبنائه، وبعد الكثير من التعازي تضاعفت أعباء السلطنة والملك على السلطان، ولكنه استطاع أن يضمد هذه الجروح ويجبر هذه الكسور، فوجد مرهما لكل ألم، وتفتحت زهرة يانعة على غصن البقاء في دوحة المُلك، وأينعت الثمار، ونضجت الفاكهة، وفي التاسع والعشرين من شهر رمضان سنة سبع وخمسين وستمائة منّ الله- تبارك وتعالى- على السلطان بولد فوصلت الإكرامات والإنعامات إلى الخاص والعام بحيث لا يستطيع أن يحصيه قلم محرر أو تقرير كاتب.

فليبق الحق تبارك وتعالى بستان السلطنة وخمائل الملك مزدانة بأشجار وأثمار البقاء دائمًا، وفي أول شوال من هذا العام وصل الملك تبرخان سنجر. إلى الحضرة بجيش مؤيدا ومزدانا بالأمر الأعلى.

السنة الخامسة عشرة: سنة ثمان وخمسين وستمائة

حينما هل عام ثمان وخمسين وستمائة أشرقت شمس التوفيق من مطالع السعد وتلألأ قمر الملك من برج التوفيق، وفي الثالث عشر من صفر نهض الخاقان المعظم ألغ خان الأعظم إلى أطراف جبال دهلي لرفع فساد المتمردين في ميو[1] فقد كان الشيطان يخاف منهم ، وسار في ركابه الميمون المبارك عشرة آلاف فارس مدججين بالسلاح والدروع، ومبارزون صناديد شجعان، وفي اليوم

([1]) ميو: اشتهرت بميوات في عصر الدولة المغولية، يقول الشاعر بيدل:

صبح گلشن ميوات ياسمين بهار است   اين بوى يارمى أيد جلوه گاه يا راست

الترجمة: صباح الرياض والبساتين في ميوات هو ياسمين الربيع،

وهذه رياح الحبيب تهب يصاحبها دلال الحبيب وجماله. (المترجم).

التـالي حصلوا علـى غنـائم كثيرة، ومـواش لا تعد ولا تحصـى وسـيطروا علـى شـعاب صـعبة منيعـة وفتحـوا جبـالا حصـينة، وأصـبح هنـود لا حصـر لهم تحت سـيوف المسـلمين البتـارة دون اعتـراض أو إنكـار للغـزاة، وحينمـا تـم هـذا الأمـر وصل التاريخ إلى هذا الموضع وبهذا الفتح والغزو تم نصر الله.

فلو كان في الحياة امتداد وفي البقاء طول واستعداد سوف أكتب ما يحدث بعد ذلك، وأرجو رجاء الواثقين من الذين يقرءون هذه الطبقـات، ويتـأملون فـي هذه الأخبار والحكايات ويصل إلى أسماعهم بعض هذه الأحوال ورمز من هذه الأقوال إذا وصلت إلى أسماعهم المشنفة وخواطرهم المعطـرة هفوة أو زلـة أو سهو أو سقط فليستروها بأذيال العفو والستر، ويسدلوا عليهـا دثـار التجـاوز عن الخطـأ ويجتهدوا فـي الإصـلاح، ففيمـا تقدم مـن التـواريخ مـن قصـص وأخبـار الأنبيـاء والملـوك اطلعنـا عليـه ونقلنـاه، ومـا رأينـاه رأي العـين وشـاهدناه كتبنـاه وسجلناه.

فليبق الله تبارك وتعالى دولة السلطان المعظم ملك الملوك الأعظم سلطان السلاطين ناصر الدنيا والدين أبا المظفر محمـود ابـن السـلطان فـي مسند الملك ومتكأ السلطنة حتى نهاية الحدود والإمكان آمين.

ولـيكن الظفـر وحسـن السـيرة فـي الـدنيا والآخـرة لكاتـب هـذه الطبقـات وقارئها وسامعها بحق محمد وآله أجمعين.

أشجار نسب
الأسر الحاكمة

لقد أثرنا أن نلحق بالكتاب جداول تسلسل الأسر الحاكمة التي أوردها المحقق العلامة الاستاذ عبد الحي حبيبي في ثنايا النسخة الفارسية لكتاب طبقات ناصري، وقد جعلناها في آخر الكتاب حتى لا يختلط الأمر لدى القارئ بين عمل المؤلف، وعمل المحقق، ولهذا أثرنا الفصل بينهما، وقد أوردنا هذه الجداول حتى تعم الفائدة للقارئ، ولن يخفى على فطنة القارئ ما ورد بها من بعض التراكيب الفارسية، التي وردت بهذه الجداول.

وقد تناولت الجداول الأسر الآتية:

١) خلفاء بني أمية.
٢) خلفاء بني العباس.
٣) الطاهريين.
٤) الصفاريين.
٥) السامانيين.
٦) الغزنويين.
٧) سلاجقة خراسان.
٨) الخوارزمشاهيين.
٩) الغوريين.

خلفای بنی اُمیہ (۴۱-۱۳۲ھ) مربوط صفحہ (۱۰۲)
اُمیہ بن عبدالشمس بن عبدالمناف (قریشی عرب)
حرب
ابوسفیان
۱- معاویہ اول (۴۱-۶۰ھ)
۲- یزید اول (۶۰-۶۴ھ)
۳- معاویہ ثانی (۶۴ھ)
ابوالعاص
الحکم
۴- مروان اول (۶۴-۶۵ھ)
۵- عبدالملک (۶۵-۸۶ھ)
عبدالعزیز
۸- عمر (۹۹-۱۰۱ھ)
محمد
۱۴- مروان ثانی (۱۲۷-۱۳۲ھ)
(استیلای عباسیان)
۶- الولید اول (۸۶-۹۶ھ)
۷- سلیمان (۹۶-۹۹ھ)
۹- یزید دوم (۱۰۱-۱۰۵ھ)
۱۱- الولید دوم (۱۲۵-۱۲۶ھ)
۱۰- ہشام (۱۰۵-۱۲۵ھ)
معاویہ
عبدالرحمن
(امویان اندلس)
۱۲- یزید سوم (۱۲۶ھ)
۱۳- ابراھیم (۱۲۶ھ)
(دول اسلامیہ ص ۱۱)

(۱) خلفای عباسیه (۱۳۲-۶۵۶ھ) صفحه (۱۳۰)

محمد بن علی بن عبدالله بن عباس (عم حضرت محمد صلعم) هاشمی قریشی

۲- المنصور (۱۳۶-۱۵۸ھ) | ۱- عبدالله سفّاح (۱۳۲-۱۳۶ھ) | ابراهیم

۳- المهدی (۱۵۸-۱۶۹ھ)

۴- الهادی (۱۶۹-۱۷۰ھ) | ۵- الرشید (۱۷۰-۱۹۳ھ) | المنصور | ابراهیم

۶- الامین (۱۹۳-۱۹۸ھ) | ۸- المعتصم (۲۱۸-۲۲۷ھ) | ۷- المامون (۱۹۸-۲۱۸ھ)

۹- الواثق (۲۲۷-۲۳۲ھ) | ۱۰- المتوکل (۲۳۲-۲۴۷ھ) | محمد

۱۴- المهتدی (۲۵۵ھ) | ۱۲- المستعین (۲۴۸-۲۵۱ھ)

۱۱- المنتصر (۲۴۷-۲۴۸ھ) | ۱۳- المعتز (۲۵۱-۲۵۵ھ) | ۱۵- المعتمد (۲۵۶-۲۷۹) | الموفق

۱۶- المعتضد (۲۷۹-۲۸۹ھ)

۱۷- المکتفی (۲۸۹-۲۹۵ھ) | ۱۸- المقتدر (۲۹۵-۳۲۰ھ) | ۱۹- القاهر (۳۲۰-۳۲۲ھ)

۲۲- المستکفی (۳۳۳-۳۳۴ھ)

(رجوع به صفحهٔ دیگر)

(۲) عباسیان

۱۸- المقتدر

۲۰- الراضی (۳۲۲- ۳۲۹ھ)

۲۱- المتقی (۳۲۹- ۳۳۳ھ)

۲۳- المطیع (۳۳۴- ۳۶۳ھ)

۲۴- الطائع (۳۶۳- ۳۸۱ھ)

۲۵- القادر (۳۸۱- ۴۲۲ھ)

۲۶- القائم (۴۲۲- ۴۶۷ھ)

محمد ذخیرۃ الدین

۲۷- المقتدی (۴۶۷- ۴۸۷ھ)

۲۸- المستظہر (۴۸۷- ۵۱۲ھ)

۲۹- المسترشد (۵۱۲- ۵۲۹ھ)

۳۰- الراشد (۵۲۹- ۵۳۰ھ)

۳۱- المقتفی (۵۳۰- ۵۵۵ھ)

۳۲- المستنجد (۵۵۵- ۵۶۶ھ)

۳۳- المستضئ (۵۶۶- ۵۷۵ھ)

۳۴- الناصر (۵۷۵- ۶۲۲ھ)

۳۵- الظاہر (۶۲۲- ۶۲۳ھ)

۳۶- المستنصر (۶۲۳- ۶۴۰ھ)

۳۷- المستعصم (۶۴۰- ۶۵۶ھ)

(استیلای ہلاکو)

(خلفای عباسی مصر)

(دول اسلامیہ، ص ۱۴)

طاہریان پوشنگی (۲۰۵-۲۵۹ھ) صفحہ (۱۹۶)
حسین (متوفی ۱۹۹ھ) بن مصعب بن رزیق بن ماہان پوشنگی (ابن خلکان ۱/۲۷۵: رزیق اسعد بن باذان بن مای خسرو؟)
حسن متوفی ۲۳۱ھ (طبرستان) (۲۲۴-۲۳۱ھ)
۱- طاہر اول (متولد ۱۵۹ھ متوفی ۲۰۷ والی شام ۱۹۸ھ - سلطنت ۲۰۵ھ)
ابراہیم (والی پارس ۲۳۲-۲۳۶ھ)
اسماعیل
حسین (۲۵۰ھ)
اسحق والی بغداد ۲۱۴ھ
محمد والی بغداد ۲۳۵ھ
محمد والی بغداد (۲۱۰، ۲۳۶ھ)
۳- عبداللہ (۲۱۳-۲۳۰) (متولد ۱۸۲، والی شام ۲۰۶ والی مصر ۲۱۱ھ)
۲- طلحہ (۲۰۷، ۲۱۳)
علی (۲۱۳ھ)
محمد (ری ۲۵۰)
سلیمان طبرستان: ۲۴۸ھ بغداد: ۲۵۵ھ متوفی ۲۶۵ھ
طلحہ
حسین ہراۃ ۲۴۸ھ
مصعب بادغیس ۲۵۸ھ
۴- طاہر دوم (۲۳۰، ۲۴۸ھ)
ابواحمد عبیداللہ (متولد ۲۲۳ھ متوفی ۳۰۰ والی بغداد ۲۶۵ھ)
محمد (نائب بغداد ۲۶۹ھ)
محمد (بغداد ۲۳۷ھ حرمین ۲۴۸، ۲۵۳ھ)
طاہر (بغداد ۲۵۳ھ)
محمد
منصور (مرو، سرخس ۲۴۸ھ)
ابراہیم (مرو ۲۶۸ شکست از خجستانی ۲۷۸ھ)
حسین (خراسان) ۲۶۱ھ
۵- محمد (۲۴۸، ۲۵۹ھ) متوفی ۲۶۹ھ حاکم بغداد ۲۳۷ھ
احمد (خوارزم ۲۶۷ھ)
۶- طاہر سوم (نشاپور ۲۵۹، ۲۸۲ھ)
مآخذ: طبری، ابن اثیر، دائرۃ المعارف اسلام، ابن خلکان، طبقات ناصری، دول اسلامیہ ۱۷۳،
معجم الانساب زامباور ۲/۳۰۰۔

حصہ اول : صفاریان سیستانی (۲۵۴/۸۸۵ھ) مربوط صفحہ (۲۰۰)

لیث صفار (حدود ۲۰۰ھ) بن معدل بن حاتم ماهان بن کیخسرو بن اردشیر بن قباد بن خسرو اپرویز بن هرمز بن خسرو انوشروان (تاریخ سیستان)

۱- یعقوب × (۲۵۴/۲۶۵ھ)
شاه ملک (هراة ۳۱۱ھ)

محمد (والی پارس) (۲۶۸ھ)

۲- عمرو × (۲۶۵/۲۸۹)
محمد = بانو

معدل ؟

علی

(۱) لیث × ۲۹۶/۲۹۹ھ
ابوالحسین — محمد — عایشہ — طاهر بوعلی (۳۵۲ھ)
ابوعلی محمد (۲۹۸ھ)
اسماعیل
(۲) معدل (۲۹۹ھ)

یعقوب
(۳) عمرو (۳۰۰/۳۲۲ھ؟)
بانو (زن احمد بن محمد)

احمد نیا (۳۰۱ھ)

۳- طاهر × (۲۸۹/۲۹۰ھ)

(۴) ابوجعفر احمد × بن محمد بن خلف بن ابوجعفر بن طاهر ؟ بن (۳۰۹/۳۵۲ھ)

(۵) خلف بانو × (۳۴۴/۳۹۲ھ) متولد ۳۲۶ھ

عمرو (متوفی ۳۸۲ھ)

ابوحفص

طاهر (۳۹۲ھ)
محمد (حدود ۴۰۰ھ)
[۱] طاهر (۴۶۰/۴۸۰ھ ملک نیمروز)
بر حصۂ دوم این شجره
حسین ؟

نصر
[۲] بهاء الدین طاهر (۴۸۰/۴۸۱ھ)
مهربان
خلف
بر حصۂ سوم شجره

توضیح : درین شجره چهار سلسله شاهان بعلامات ذیل اند :
اول اعداد مطلق ، دوم بین علامت ( ) ،
سوم بین علامت [ ] ، چهارم به اعداد لاتینی .
× علامت شاهی که سکه اش موجود است .

حصۂ دوم : صفاریان سیستانی ۔ مربوط صفحہ (۲۰۰)

[۱] طاہر

[۴] تاج الدین ابو الفضل نصر × (۴۸۲، ۵۵۹ھ)
[۳] فلان ؟ (۴۸۱ھ)

فلان (؟)
عمر نوحی

[۵] شمس الدین ابو الفتح محمد (احمد)
۵۵۹ھ دارای ہژدہ برادر

[۶] عز الملوک محمد (حدود ۵۶۰ھ)

[۷] محمد تاج الدین حرب ×
(۵۶۲، ۶۱۲ھ)

[۱۲] امیر علی (۶۲۰ھ)
ابو المظفر حرب (۶۱۹ھ)
ناصر الدین عثمان (متوفی ۶۰۴ھ)

[۸] شمس الدین یمین الدولہ
بہرامشاہ (۶۱۲، ۶۱۸ھ)
ملکشاہ
[۱۱] شہاب الدین محمود
(۶۱۹، ۶۲۲ھ)
علاء الدین احمد (مقتول ۶۲۰ھ)

[۹] نصرۃ الدین یا تاج الدین نصر بہرامشاہ × (۶۱۸ھ)
[۱۰] رکن الدین ابو منصور × (۶۱۸ھ)

مآخذ ہر سہ حصۂ این شجرہ : ابن اثیر، طبقات ناصری، دائرۃ المعارف اسلام، تاریخ یمینی، میرخوند، تاریخ سلاجقہ، خاندانہای اسلامی بارتولد، نولدکی، سخاو، جستی، دول اسلامیہ ۱۷۵، معجم الانساب ۲/ ۳۰۲، تاریخ سیستان، احیاء الملوک ۔

حصۂ سوم : صفاریان ، صفحہ (۲۰۰)

خلف

شجاع الدین نصر سپہ سالار — مسعود

1/ شمس الدین علی (۶۲۶/ ۶۹۴؟) — ابو الفتح مبارز الدین (۵۶۳۶)

2/ نصیر الدین محمد × (۶۵۲/ ۷۲۶؟)

3/ نصرۃ الدین (۵۷۲۸) — رکن الدین محمود (۷۰۰ھ) — شاہ علی

6/ سلطان محمود (۷۵۱/ ۷۵۳ھ)

4/ قطب الدین محمد × (۷۳۱/ ۷۴۷ھ) — 7/ عز الدین × (۷۵۳/ ۷۸۴ھ)

5/ تاج الدین (۷۴۷/ ۷۵۱ھ)

8/ قطب الدین دوم (۷۸۴/ ۷۸۸ھ)

9/ شاہ شاہان تاج الدین (۷۸۸/ ۸۰۵ھ) — 11/ شاہ شاہان شمس الدین × (۸۲۲/ ۸۴۲ھ)

10/ قطب الدین × (حدود ۸۱۰ھ)

12/ نظام الدین یحیی (۸۴۲/ ۸۸۵ھ)

13/ شمس الدین محمود (۸۸۵ ؟)

(۱)

سامانیان (۲۶۱، ۳۸۹ھ) مربوط صفحہ (۲:۷) جلد اول طبقات ناصری

اسد بن سامان خداۃ (منسوب بہ سامان روستای بلخ) حدود ۱۶۰ھ بن خامتا (جثمان) بن نوش (نوشردین)
بن طمغاسپ بن شادل بن بہرام چوبین (گردیزی)

احمد × (فرغانہ) حدود ۲۰۴ھ — نوح (سمرقند) ۲۰۴ھ — یحیی (چاچ و اسروشنہ) — الیاس (ہرات) — حارث؟ (از روی سکہ)

الیاس (ہرات) ← ابواسحق محمد ← بکر

احمد ← یعقوب — ابراہیم — حمید — ۱- نصر اول × (۲۶۱، ۲۷۹ھ) — اسد — ۲/ اسماعیل × (۲۷۹، ۲۹۵ھ) متولد ۲۳۴ھ — اسحاق × (سمرقند و فرغانہ ۳۰۱ھ) — یحیی (خراسان) (۳۱۴، ۳۲۰ھ) — منصور (۳۰۱ھ)

یعقوب ← سلوق

اسد ← حمویہ؟

اسماعیل ← ۳/ احمد × (۲۹۵، ۳۰۱ھ) ← صفحۂ دیگر

اسحاق ← ابوصالح منصور (خراسان) (۳۰۱، ۳۰۲ھ) — الیاس (۳۰۱ھ) — حسن

الیاس ← ابوعلی محمد متوفی ۳۵۶ھ (کرمان ۳۲۱ھ)

حسن ← محمد ← محمد

(۲) بقیۂ سامانیان
۳-۱ احمد
صفحہ ۲۱۷
یحییٰ × (خروج درخراسان وضرب سکہ ۳۱۸ھ)
۴، نصر دوم × (۳۰۱، ۳۳۱ھ)
ابراہیم (کور کردہ شد) ۳۳۲ھ
منصور در ۳۱۷ھ خروج درخراسان
ابوجعفر محمد (کور ۳۳۴ھ)
۵، نوح اول (۳۳۱، ۳۴۳ھ)
اسماعیل (بخارا)
احمد
۶، عبدالملک اول × (۳۴۳، ۳۵۰ھ)
۷، منصور اول × (۳۵۰، ۳۶۶ھ)
محمد
نصر (شاہ یکروزہ ۳۵۰ھ)
ابوزکریا یحییٰ (۳۸۹ھ)
۸، نوح دوم × (۳۶۶، ۳۸۷ھ)
ابوسلیمان (۳۸۹ھ)
ابوابراہیم اسماعیل (۳۸۹ھ)
ابویعقوب (۳۸۹ھ)
۹، منصور دوم × (۳۸۱، ۳۸۹ھ)
۱۰، عبدالملک ثانی × (۳۸۹ھ)
ابراہیم المنتصر (متوفی ۳۹۵ھ)
مآخذ: یمینی، دائرۃ المعارف اسلام، طبقات ناصری، میرخوند، سخاو، ترکستان بارتولڈ،
نامہای ایرانی، زین الاخبار، دول اسلامیہ ۱۷۷، معجم زامباور ۲/ ۳۰۸،

(الف)

غزنویان (۳۵۱-۵۹۲ھ) مربوط صفحہ (۲۴۰) جلد اول طبقاتِ ناصری

(۱) الپ تگین × (۳۵۱ھ) امیر حاجب (حکمران تخارستان و خراسان و زاولستان از طرف سامانیان)

بُغراجق؟ — (۲) ابواسحاق ابراهیم — (۳) بلکا تگین — (۴) امیر پیری

۱- ناصر الدین سبکتگین × بن قرابجکم جوق (۳۶۶ - ۳۸۷ھ)

حره (زن علی بن مامون خوارزمشاه) — حسین — حسن — نصر (خراسان و سیستان ۳۸۹ھ) — ۲- اسمٰعیل × (۳۸۷ھ) — ۳- سلطان محمود × متولد ۳۶۰ھ (۳۸۷ - ۴۲۱ھ) — یوسف / یعقوب

زینب (زن محمود بغرا خان) — سلیمان — نصر × — اسمعیل — ۹- عبدالرشید × (۴۴۱ - ۴۴۴ھ) — دختر (زن منوچهر زیاری) — ۴- محمد × (۴۲۱ - و ۴۳۲ھ)

نامی — عبدالرحیم — عبدالرحمٰن — احمد

۵- مسعود اول × (۴۲۱ - ۴۳۲ھ)

۶- مودود × (۴۳۲ - ۴۴۱ھ) — مردانشاه — ۸- علی (۴۴۱ھ) — سعید (خوارزم ۴۲۳ھ) — محمد — ۱۰- فرخزاد × (۴۴۴ - ۴۵۱ھ) — ایزدیار — مجدود (لاهور و ملتان) — ۱۱- ابراهیم × (۴۵۱ - ۴۹۲ھ)

دختر — ۷- مسعود دوم × صبی ۴۴۱ھ

۱۲- مسعود سوم × (۴۹۲ - ۵۰۸ھ) (دارای ۳۹ برادر)

پشت این صفحه

(ب) غزنویان
مقابل صفحہ ۲۴۴
مسعود سوم
جمشید ملک
علی
طاہر
ملک زاد
محمود
ملک چہر
۱۳- شیرزاد (۵۰۸ھ)
۱۴- ارسلان شاہ × (۵۰۹ — ۵۱۲ھ)
۱۵- بہرام شاہ × (۵۱۱ھ)
توران شاہ
خورشید
سلطان ملک
امیونوک
حسن
ارسلان ملک
فرخزاد
بہاء الدین محمد
خطیر الدین محمد
۱۶- خسرو شاہ × (۵۴۷ — ۵۵۵ھ)
کیخسرو
(۱۷) خسرو ملک × یا ملکشاہ (۵۵۵ — ۵۷۹ھ)
محمود
بہرام شاہ
محمود شاہ
شاہزاد
ایران ملک
علی
خسرو شاہ دارای ۱۷ برادر
فرخشاہ
سید الدولہ
دولت شاہ مقتول ۵۴۴ھ
دختر (زن قطب الدین محمود بن حسین غوری)
جہان شاہ
مسعود شاہ
ملک شاہ
خسرو شاہ
مآخذ: معجم زامباور ۲/ ۴۱۷؛ دول اسلامیہ ۴۵۴، طبقات ناصری

سلجوقیان خراسان (۴۳۲-۵۵۲ھ) صفحہ (۲۶۲) جلد اول طبقات ناصری
سلجوق (حدود ۴۰۰ھ)
میکائیل
اسرائیل
موسیٰ
یوسف
جغری بک داؤد
۱- طغرل بک (۴۳۲-۴۵۵ھ)
ارسلان بیغو
قتلمش
(سلجوقیان اناطول)
۲- الپ ارسلان (۴۵۵-۴۶۵ھ)
سلیمان
قاورت (سلجوقیان کرمان)
۳- ملکشاہ (۴۶۵-۴۸۵ھ)
تتش (سلجوقیان شام)
۴- محمود (۴۸۵-۴۸۷ھ)
۵- برکیارق (۴۸۷-۴۹۸ھ)
۶- ملکشاہ ثانی (۴۹۸ھ)
۷- محمد (۴۹۸-۵۱۱ھ)
(سلجوقیان عراق)
۸- سنجر (۵۱۱-۵۵۲ھ)
(راحۃ الصدور، دول اسلامیہ ۲۱۸)

(۱) خوارزمشاهیان (۳۰۰-۶۲۸ ھ) مربوط صفحه (۳۱۷) ج ۱ طبقات ناصری

دودمان اول خوارزمشاهی

محمد (حدود ۳۰۰ ھ)

۱- ابو سعید احمد × (حدود ۳۴۰ ھ) سکه ۳۶۶ ھ او موجود است۔

۲- ابو عبداللہ محمد (متوفی ۳۸۵ ھ)

۳- مامون ۳۸۵ ھ (در ابتداء عامل سامانیان بود)

۴- ابوالحسن علی × (۳۸۷ ھ) شوهر حره بنت سبکتگین

۵- ابوالعباس مامون (۳۹۰ ھ)

دختر (زن سلطان محمود)

۶- ابوالحارث محمد (سلطان محمود او را عزل کرد و بجایش در سنہ ۴۰۸ ھ التونتاش گماشته شد)

(معجم الانساب زامباور ۲/۳۱۶)

دودمان دوم خوارزمشاهی

۱- التونتاش حاجب کبیر سلطان محمود (۴۰۸ ھ)

۲- هارون ۴۲۳ ھ، استقلال او ۴۲۵ ھ

۳- اسمعیل خندان (۴۲۵ ھ)

۴- شاه ملک (حاکم جند، والی از طرف سلطان مسعود ۴۲۹ ھ، مقتول در جنگ سلجوقیان ۴۳۴ ھ

(معجم زامباور ۲/۳۱۶ بحواله ابن اثیر و طبقات ناصری و جهنتی و سیما و)

↓

(دودمان سوم بر صفحهٔ آینده)

↓

(۲)

دودمان سوم خوارزمشاهی (۴۷۰/۶۲۸ھ) صفحہ (۳۱۷)

۱/ انوشتگین غرچہ یا غرشاہ (۴۷۰/۴۹۱ھ) والی ملکشاہ سلجوقی در خیوہ

۲/ قطب الدین محمد (۴۹۱/ ۵۲۲ھ)

- فلان ؟
  - دختر (زن سلیمان بن محمد سلجوقی ۵۴۹ھ)
- ۳/ آتسز (۵۲۲/۵۵۱ھ)
  - سلیمان
  - ۴- ایل ارسلان (۵۵۱/۵۶۸ھ)
    - ۵/ سلطان شاہ محمود (۵۶۸ھ متوفی ۵۸۹ھ)
    - ۶/ علاء الدین تکش× (۵۶۸/۵۹۶ھ)
      - علی شیر (دراوز گنبد سکہ زد) ۶۱۰ھ
      - یونس خان (بہی)
      - ۷/ علاء الدین محمد (۵۹۶ ، ۶۱۷ھ)
        - قطب الدین (ازلاغ ، ارزلو؟)
        - رکن الدین (غورشانستی) غور سانجی متوفی ۶۱۹ھ
        - ینی خورشاہ
        - کوجا تگین
        - غیاث الدین (پیر شاہ) مقتول ۶۲۷ھ در کرمان
        - آق سلطان
        - ۸/ جلال الدین× منکبرنی (۶۱۷/ ۶۲۸ھ)
        - اغول ملک (دختر)
        - خان ملک زوجہ عثمان ایلک
      - تاج الدین علیشاہ (کردستان)
      - ناصر الدین ملکشاہ (خراسان) متوفی ۵۹۳ھ
        - ارسلانشاہ
        - ہندوخان

ماخذ : ابن اثیر، طبقات ناصری، میرخوند
دول اسلامیہ ۲۵۹، زامباور ۲/ ۳۱۸

(ص ۳۲۱)
(۲) حصۂ دوم شجرۂ غوریان : ۱ - عزالدین حسین
شہاب الدین محمد خرنک مادین
شجاع الدین علی خرماس
۱ - فخرالدین مسعود × بامیان
(۵۴۰ - ۵۵۸ھ)
۲ - شمس الدین محمد (۵۵۸ھ)
ناصرالدین حسین سوری مقتول ۵۴۷ھ
سیف الدین سوری
علاءالدین مسعود
۳ - بہاءالدین سام × (۵۸۷ - ۶۰۲ھ)
ناصرالدین غازی
دختر (زن شہاب الدین محمد سام)
شہاب الدین علی
ناصرالدین ابوبکر (متوفی دھلی ۶۲۰ھ)
۱۰ - علاءالدین محمد (غور ۵۹۹ - ۶۱۲ھ)
عباس
علاءالدین غزنہ (۶۰۲ - ۶۰۳ھ)
۴ - جلال الدین علی × (۶۰۲ - مقتول بامر خوارزمشاہ ۶۱۲ھ)
رکن الدین ایرانشاہ (متوفی ۶۰۶ھ)
ماخذ : پادشاھان افغان در دھلی از توماس طبع لندن ۱۸۷۱م ، طبقات ناصری ، دائرۃ المعارف اسلام ،
نامہای ایرانی ۴۵۵ ، دول اسلامیہ ۴۵۸ ، معجم زامباور ۲ ، ۴۶۰

فهرست

الأعلام والأماكن والكتب

أولا: فهرست الأعلام

(ويشمل الأفراد والقبائل والأسر)

حـــــرف الألف

حرف الباء الفارسية

حرف التاء

حــــرف الشين

حـــــرف الغـــين

حـــرف الفـــاء

حـــــرف اللام

حرف الميـــم

حرف الهاء

حـــرف الـــواو

ثانيا: فهرس الأماكن

ويشمل المدن والقلاع والحصون والبحار والجبال والأنهار والوديان

حـــــــرف الألف

الباء الفارسية

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حــــرف الخاء

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حـــرف الظــــاء

حرف العين

حرف الغين

غزنين= غزنة= غزني	٢٣- ٣٦- ٣٧- ٣٩- ٤٤- ٤٦- ٥١- ٥٧- ٧١- ٧٦- ٧٩- ٩٤- ٢٤٣- ٣٣١- ٣٣٥- ٣٤٧- ٣٤٩- ٣٥١- ٣٦٤- ٣٦٥- ٣٦٧- ٣٦٩- ٣٧٠- ٣٧١- ٣٧٢- ٣٧٣- ٣٧٤- ٣٧٥- ٣٧٧- ٣٧٨- ٣٧٩- ٣٨٠- ٣٨١- ٣٨٢- ٣٨٣- ٣٩٠- ٣٩١- ٣٩٣- ٣٩٥- ٤٠٠- ٤٠١- ٤٢٤- ٤٣٣- ٤٤٩- ٤٥٥- ٤٥٧- ٤٦٠- ٤٦١- ٤٦٢- ٤٦٥- ٤٧٤- ٤٨١- ٤٨٣- ٤٩٠- ٤٩١- ٤٩٣- ٤٩٤- ٤٩٥- ٤٩٦- ٤٩٧- ٤٩٨- ٤٩٩- ٥٠٠- ٥٠١- ٥٠٢- ٥٠٣- ٥٠٤- ٥٠٥- ٥٠٧- ٥٠٨- ٥٠٩- ٥١٠- ٥١٩- ٥٢٥- ٥٢٦- ٥٢٧- ٥٢٨- ٥٣٨- ٥٣٩- ٥٤٠- ٥٤٢- ٥٤٣- ٥٤٩- ٥٥٠- ٥٥١- ٥٥٢- ٥٥٣- ٥٥٥- ٥٥٦- ٥٥٨- ٥٦٠- ٥٦١- ٥٦٢- ٥٦٣- ٥٦٤- ٥٦٥- ٥٦٦- ٥٦٧- ٥٦٩- ٥٧١- ٥٧٤- ٥٧٥- ٥٧٦- ٥٧٧- ٥٧٨- ٥٧٩- ٥٨٠- ٥٨١- ٥٨٢- ٥٨٥- ٥٨٦- ٥٨٧- ٥٨٨- ٥٩١- ٥٩٢- ٥٩٤- ٥٩٥- ٥٩٦- ٥٩٨- ٦١٠- ٦١٢- ٦١٩- ٦٢٠- ٦٢١- ٦٢٢- ٦٤٤- ٦٦٨
الغور	٢١- ٣٩- ٤٠- ٤٣- ٤٤- ٤٥- ٤٦- ٤٨- ٦١- ٦٢- ٦٣- ٦٤- ٧١- ٨٤- ٩٤- ٢٠٢- ٢٤٢- ٢٦٠- ٣٦٥- ٣٦٩- ٣٨١- ٣٨٢- ٣٨٣- ٤٠١- ٤٠٢- ٤٢٠- ٤٢١- ٤٢٦- ٤٣١- ٤٣٢- ٤٣٣- ٤٣٤- ٤٤٩- ٤٥٠- ٤٥٢- ٤٥٥- ٤٥٦- ٤٥٧- ٤٦٠- ٤٦٢- ٤٦٥- ٤٦٩- ٤٧٠- ٤٧٢- ٤٧٤- ٤٧٧- ٤٧٩- ٤٨١- ٤٨٢- ٤٨٣- ٤٨٤- ٤٨٥- ٤٨٦- ٤٨٧- ٤٨٨- ٤٨٩- ٤٩٠- ٤٩١- ٤٩٢- ٤٩٣- ٤٩٤- ٤٩٥- ٤٩٦- ٤٩٧- ٤٩٨- ٤٩٩- ٥٠٠- ٥٠١- ٥٠٢- ٥٠٤- ٥٠٥- ٥٠٦- ٥٠٩- ٥١٠- ٥١٢- ٥١٤- ٥١٥- ٥١٦- ٥١٧- ٥١٨- ٥١٩- ٥٢٠- ٥٢١- ٥٢٢- ٥٢٣- ٥٢٤- ٥٢٥- ٥٢٦- ٥٢٧- ٥٢٩- ٥٣١- ٥٣٤- ٥٣٥- ٥٣٩- ٥٤٠- ٥٤١- ٥٤٢- ٥٤٣- ٥٤٧- ٥٤٨- ٥٥٠- ٥٥١- ٥٥٢- ٥٥٣- ٥٥٣- ٥٥٤- ٥٥٥- ٥٥٦- ٥٥٧- ٥٥٨- ٥٦١- ٥٦٢- ٥٦٥- ٥٦٦- ٥٦٧- ٥٦٨- ٥٦٩- ٥٧٠- ٥٧٢- ٥٧٤- ٥٧٥- ٥٧٩- ٥٨٠- ٥٨١- ٥٨٢- ٥٨٣- ٥٨٦- ٥٩١- ٥٩٥- ٥٩٨- ٦١٠- ٦١١- ٦٢٤- ٦٢٨- ٦٢٩

حرف الفاء

حرف القاف

ثالثا: فهرس الكتب

المؤلف في سطور:

أبو عمر منهاج الدين عثمان المعروف بالقاضي منهاج السراج الجوزجاني، وهو الإمام العلامة شيخ الإسلام، قاضي القضاة، السياسي المجاهد ضد المغول، شيخ مدرسة فيروزي والمدرسة الناصرية بالهند ورئيسهما، وكلاهما تعادل جامعة بالمفهوم العصري لهذا الزمان، وكذلك حظي بمسند حكومة دهلي.

وهو سليل أسرة كبيرة عرفت بالفصاحة والبلاغة والبيان، والعلم والمعرفة.

وكتابه طبقات ناصري من أشهر كتب التاريخ والحضارة، فقد بدأ التاريخ منذ بدء الخليقة إلى أن وصل إلى الدولة التي عاصرها وهي دولة الغوريين في خراسان والهند، ثم الدولة الشمسية في الهند، وأنهى الأحداث التاريخية في كتابه بعام ٦٥٨هـ.

المترجمة في سطور:

الأستاذة الدكتورة عفاف السيد زيدان:

- أستاذ اللغة الفارسية وآدابها بجامعة الأزهر.
- رئيس قسم اللغة الفارسية وآدابها.
- وكيل كلية الدراسات الإسلامية والعربية.
- وكيل كلية الدراسات الإنسانية.
- مقرر اللجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة والأساتذة المساعدين للغات الشرقية بجامعة الأزهر.
- عميد كلية الدراسات الإنسانية جامعة الأزهر.

لها العديد من المؤلفات والترجمات المطبوعة والمنشورة:

من الترجمات: زين الأخبار للجرديزي وقد طبع ونشر بالمجلس القومي للترجمة عام ٢٠٠٦م.

من المؤلفات: شاعر المشرق الإسلامي فرُخي السيستاني عصره وبيئته وشعره نشر بالقاهرة ٢٠٠٨م.